الحركة الفكرية في خراسان

في القرن السادس الهجري



تأليف

د. مُنيرة ناجي سالم

الدار العربية للموسوعات

الحركة الفكرية في خراسان

في القرن السادس الهجري

اسم الكتاب: الحَرَكة الفِكريةُ في خراسان في القرن السادس الهجري

المؤلف: د. مُنيرة ناجي سالم

الطبعة الأولى: ٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ

ISBN 978-614-424-166-0

الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

الحركة الفكرية في خراسان

في القرن السادس الهجري

يتضمن تراجم طائفة كبيرة من حملة العلم والثقافة
في المشرق الإسلامي وخراسان من بينهم المحدثون
والفقهاء والمتكلمون والمناظرون والأدباء والخطباء
والوعاظ والمفسرون والأطباء والصيادلة وغيرهم.
كما تضمن أيضاً معلومات قيمة
عن المدارس والمساجد والربط وخزائن الكتب

تأليف

د. مُنيرة ناجي سالم

الدار العربية للموسوعات

بيروت

تمهيد

بعد الجهد والصبر الذي يستوجبه البحث العلمي، ولا سيّما في مثل هذا الموضوع الذي كرّس لدراسة الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، الذي يمكن وصفه بالجدّة لعدم توفّر بحث منهجي مستقلّ في موضوعه. استطعت أن أصل إلى بعض الأمور المهمّة.

ولعلّ أبرز هذه الأمور تصحيح النظرة الخاطئة عن تاريخ الفكر في خراسان في هذا العصر فقد أشيع بأنّ خراسان كانت تعيش فترة جمود وركود فكري خالية من الأصالة والنبوغ، مستندين في ادعائهم هذا على حملة علماء الحديث على الفلسفة وما يتعلّق بها وسمّوها بـ«العلوم المهجورة» غير الشرعية.

إن التقصي الدقيق في المظان المختلفة يدلّ دلالة واضحة على وجود تراث فكري خصب فقد ازدهرت في هذا العصر العلوم العقليّة ومناشطها، ذلك لأنّه قد برّز في علوم الفلسفة، والحكمة، والمنطق طائفة من علماء خراسان ممّن عرفوا بالأصالة والنبوع، حتى إنّ ظهير الدين البيهقي الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ قد جمع تراجمهم ودوّن بعض آرائهم الفلسفيّة في كتابه «تاريخ حكماء الإسلام» وكتاب «تتمّة صوان الحكمة».

كما أنّ علماء خراسان في هذا العصر كانوا يناظرون في المسائل الفلسفيّة في مجالسهم العلميّة، حتى أن أبا الفتح الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ قد دوّن مناظراته الفلسفيّة في كتابه «مصارعة الفلسفة».

أمّا علم الكلام فقد بلغ شأناً بعيداً من التقدم فقد برز فيه ثلاثة من أساطين علم الكلام وهم: الإمام أبو حامد الغزالي، وأبو الفتح الشهرستاني، والفخر الرازي صاحب مدرسة هراة، وصنفوا المؤلفات القيّمة في علم الكلام والفلسفة معاً.

أما العلوم الطبيعيّة فقد بلغت درجة ملحوظة من التقدّم، وكان من نتائج هذا التقدّم في علوم الرياضيّات والفلك، وإنشاء مرصد فلكي في مدينة مرو، وإصلاح التقويم الذي قال به عمر الخيام النيسابوري مع جماعة من العلماء، الذي قال فيه العالم الإنكليزي جيبون: أن تقويم الخيام أدقّ من التقويم الجريجوري. ذلك لأن التقويم الجريجوري يؤدي إلى خطأ مقداره يوم في كل ٣٣٣٠ سنة الذي ينجم من تقويم الخيام هو يوم في كل ٥٠٠٠ سنة.

وحسبت مواقع النجوم لعام (٥٠٩-٥١٠هـ/ ١١١٥-١١١٦م) وتمّ تحديد عرض مدينة مرو. وصنّفت المؤلفات القيّمة في الرياضيات، حتى إن «الدوميلي» كان يعتبر كتاب عمر الخيام في «الجبر والمقابلة» الذي ألّفه بالعربيّة، من أهمّ النتاج الرياضي في الإسلام. وعدّ «سارتون» كتاب «منتهى الإدراك في تقسيم الأفلاك» للفيلسوف بهاء الدين الخرقي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٣هـ، الذي ألّفه باللغة العربية، من أحسن الكتب التي تبحث في الأفلاك.

وألّف الحكيم أبو الفتح الخازن المروزي الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري كتابه «ميزان الحكمة» الذي قال فيه

الدوميلي أنّه من أهم الكتب العربية في فن الحيل (الميكانيكا) وموازنة السوائل الهيدروستاتيكا وعلم الطبيعة بوجه عام.

أمّا الطب والصيدلة فقد تقدّم كثيراً نلمس ذلك من مهاراتهم في معالجة الأمراض وصناعة الأدوية والعقاقير الطبيّة، هذا إضافة إلى أنهم صنفوا في الطب والصيدلة مؤلفات قيّمة منها: كتاب «البواسير» للحكيم محمد بن علي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٩هـ، ومؤلفات السيد إسماعيل الجرجاني نزيل مرو منها: كتاب «الطب الملوكي» وكتاب «التذكرة الأشرفية في الصناعة الطبيّة» وكتاب «المباحث العلائية» وكتاب «الأجوبة الطبيّة» وغير ذلك. ومؤلفات الرازي صاحب مدرسة هراة المتوفى سنة ٦٠٦هـ وأظهرها كتابه «التشريح من الرأس إلى الحلق» وكتابه «الطب الكبير» وغير ذلك.

وكتاب «السموم» وكتاب «تفاسير العقاقير» للإمام ظهير الدين البيهقي الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ، وجميع هذه المؤلفات صنّفت بالعربية.

لقد توصّلت إلى أن العلوم النقليّة في هذا العصر قد بلغت شأواً بعيداً في التقدّم والرقي والأصالة، وأصبحت خراسان في القرن السادس الهجري مركزاً نشطاً من مراكز الحديث فقد برّز فيها طائفة من المحدثين الذين انتهى إليهم الأسناد العالي والتفرد برواية الأحاديث والكتب المصنّفة فيه نذكر منهم: أبا بكر الشيروبي النيسابوري، وأبا سعد السمعاني المروزي، والمؤيد الطوسي، وزينب الشعريّة النيسابوريّة، وغيرهم. وتخرج بهم خلائق رووا عنهم سماعاً أو إجازة.

لقد كانت المؤسسات العلميّة والدينيّة المتمثّلة في المدارس والمساجد والربط، المنتشرة في مراكز الحركة الفكريّة في خراسان مزدانة بمجالس التدريس، والنظر، والإملاء والتحديث، والوعي والتذكير.

لذلك كانت الرحلة إلى خراسان من أجل طلب العلم والمعرفة والتفقّه في مؤسساتها العلميّة والدينيّة، ولم تكن الرحلة مقتصرة إلى هذه المؤسسات بل رحلوا إلى القرى النائية وذلك من أجل لقاء العلماء والمحدثين هناك والأخذ عنهم.

وقد رحل إلى خراسان كبار المحدثين والمؤرخين منهم: محدث دمشق ابن عساكر، ورجع منها بمسموعات وكتب جليلة دخلت الشام عن طريقه، وكذلك أين النجار البغدادي، وابن نقطة البغدادي مؤرخاً بغداد. ولعلّ أشهر من رحل إليها الرحالة ياقوت الحموي الرومي البغدادي الذي جال في معظم مدن خراسان وقراها، وقدم لنا وصفاً مهماً عن المواضع التي زارها بخراسان والمؤسسات العلميّة والدينيّة، وخزائن الكتب، وقد استفاد من كتب خزائن الوقف التي كانت بمدينة مرو في جمع مادة مؤلفاته خاصة كتابته «معجم البلدان» الذي صنّفه بخراسان.

وفي الوقت نفسه رحل علماء خراسان إلى بلدان العالم الإسلامي شرقاً وغرباً من أجل نشر العلم والمعرفة، وقلدوا في تلك البلدان مناصب علميّة رفيعة مثل التدريس في مدارس بغداد، ودمشق، وحلب، ومكّة، ومصر، وهمذان، وغيرها من البلدان الإسلاميّة، وكثيراً من مدارس هذه البلدان قد بنيت من أجلهم.

واتضح لي أن العلم في المجتمع الخراساني لم يكن وقفاً على طبقة معيّنة دون أخرى بل كان يشارك فيه الخاصة والأغنياء إلى جانب العامة والفقراء والمعدمين والموالي والخدم وغيرهم، فقد كان لهم جميعاً نصيب وافر في تلقيه ونشره.

وتبيّن لي أن العربية بعلومها من بلاغة، وصرف، ونحو، وآدابها من شعر ونثر قد حلّت مكانة ساميّة في خراسان حتى غارات التتر، وأنها

سيطرت على الفارسية، يتبين ذلك من كثرة الأدباء والشعراء والكتّاب الذين نظموا الشعر العربي وتغنوا به ووضعوا الدواوين الشعريّة، وقد ذكرت قسماً منهم في هذا البحث، ولم اذكرهم على سبيل الحصر وإنما ذكرتهم على سبيل المثال لأنهم خلق يطول ذكرهم.

ومما يدل على عناية أهل خراسان بالأدب العربي وانتشاره في تلك الربوع يومئذ أنّه كان يدرس بنفس الطرق التي يدرس بها علوم الحديث.

وكانت العربية لغة العلم والدين، فيها كان يدرس مختلف فنون المعرفة المألوفة آنذاك في المؤسسات العلميّة والدينيّة، وخارج هذه المؤسسات، كما أنها كانت لغة المحافل والمجالس العلمية فيها كان العلماء يناظرون ويناقشون ويجادلون في المسائل العلميّة والفقهيّة والفلسفيّة. ويكفي أن نشير في هذا الخصوص أن الفخر الرازي قد دوّن مناظراته باللغة العربية، كما فعل أبو الفتح الشهرستاني في كتابه «مصارعة الفلاسفة».

كما أن العربية كانت لغة مجلس الإملاء والتحديث، فعلى الرغم من كثرة مجالس الإملاء التي عقدت في خراسان والتي عدت بالمئات لم أعثر على مجلس واحد دوّن بغير العربية ناهيك عن المجالس التي أملاها علماء خراسان في البلدان الإسلامية الأخرى.

وبالعربية كانوا يعظون جماهير المسلمين، وكان لأساليب الوعاظ وسحر بيانهم أثر كبير في إثارة نفوس الحاضرين وهذا يدل دلالة واضحة على أن جمهور الحاضرين كانوا يفقهون العربية.

هذا وإن العربية كانت لغة المراسلات والمكتبات الجارية بين علماء خراسان والعالم الإسلامي يومئذ.

كما أن العربية كانت لغة التأليف فإن جل المؤلفات التي أشرنا إليها

في هذا الكتاب كانت بالعربية، فقد دوّنت بها المؤلفات التي وضعت في علوم القرآن، ويكفي أن نشير هنا إلى أن تفسير الإمام الفخر الرازي الذي يقع في (٣٢) مجلداً، فسر فيه القرآن على المنهج العقلي لا النقلي كان باللغة العربية. كما أن جميع المصنفات التي ألفت في علوم الحديث من كتب وأجزاء وأحاديث في خراسان يومئذ كتبت باللغة العربية، وكذلك المؤلفات الفقهية والفلسفية والكلامية، وكذلك كتب الرجال والطبقات والبلدان، والأنساب صنفت بالعربية.

وإن أغلب المؤلفات التي صنفت في العلوم الطبيعية مثل: الحساب، والجبر، والهندسة، وكذلك علم الفلك، وفي الطب والصيدلة، كانت باللغة العربية وقد أشرنا إلى قسم منها آنفاً. وهذا يدل دلالة واضحة إلى أنّ اللغة العربية كانت من مقومات الحركة الفكرية في خراسان في هذا العصر.

أمّا المؤلفات التي صنّفت باللغة الفارسية في هذه الحقبة فكانت معدودة وقد أشرت إليها في ثنايا الكتاب.

المقدمة

شهدت خراسان في القرن السادس الهجري حركة فكرية عظيمة، جذبت رجال الفكر والعلم والأدب، ولفتت أنظارهم إليها من أرجاء العالم الإسلامي، حتى أصبحت معظم مدن خراسان مثل: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلغ، وطوس، وسرخس، وغيرها حواضر للعلوم، ولا سيما العربية وآدابها، والعلوم الإسلامية، وبرزت فيها طائفة كبيرة من العلماء من ذوي الأصالة والتقصي ممن تركوا دويًّا في دنيا البحث والدراسة وقد استمد الفكر الإسلامي كثيراً من الجدّة والحداثة من وجود هذه الطائفة من العلماء، حيث احتدم في مجالسهم العلمية الجدل الفقهي، والفلسفي، كما أنهم صنفوا مؤلفات قيمة في مختلف فنون المعرفة المألوفة آنذاك.

وكان لدراستي وتحقيقي كتاب «التحبير في المعجم الكبير» لأبي سعد السمعاني المروزي المتوفى سنة ٥٦٢هـ في مرحلة الماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور ناجي معروف أكبر الأثر في اختياري لهذا الموضوع لأن هذا الكتاب قد تضمن تراجم طائفة كبيرة من حملة العلم والثقافة في المشرق الإسلامي بعامة وخراسان بخاصة في القرن السادس الهجري، **كان من بينهم المحدثون، والفقهاء، والمتكلمون، والمناظرون، والأدباء، والخطباء، والوعاظ، والمفسرون، والأطباء، والصيادلة، وغيرهم.**

كما إنه تضمن معلومات قيمة عن المدارس، والمساجد، والربط، وخزائن الكتب الموجودة في مدن خراسان، حيث كانت تدرس فيها علوم العربية، وعلوم الشريعة الإسلامية، وعقدت فيها المجالس العلمية مثل: مجالس النظر، والإملاء والتحديث، والوعظ والتذكير.

كما تضمن ذكراً لعدد كبير من المؤلفات القيّمة في مختلف فروع المعرفة المألوفة آنذاك.

فبدأتُ أرسم في ذهني موضوعاً يمثل الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري، مستفيدة من المعلومات التي وردت في التحبير والمظان الكثيرة التي اطلعت عليها المخطوطة منها والمطبوعة العربية والأعجمية.

ولقد ركزت على دراسة القرن السادس الهجري لأنه يمثل عصراً ظنّ كثيرون أنه من العصور التي وصفت بالتأخر وهي في الحق من العصور التي نضجت فيها الحضارة الإسلامية والثقافة العربية في تلك الربوع وأتت ثمارها شهية طيبة في فروع المعرفة الإسلاميّة.

موجز جغرافي لبلاد خراسان

خراسان - معناها في الفارسية القديمة «البلاد الشرقية».

كان الجغرافيون العرب يطلقون اسم خراسان على إقليم يتألف من عدد من البلدان يقع بعضها اليوم في إيران، وبعضها في الإتحاد السوفياتي، وبعضها في بلاد الأفغان.

وتختلف حدود خراسان بحسب الأزمنة والدول والإمارات التي نشأت فيها، فخراسان في مدلولها الواسع كانت تشمل كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي، عدا سجستان ومعهما قوهستان في الجنوب، وكانت حدودها الخارجية، صحراء الصين، والياميسر من ناحية آسيا الوسطى، وجبال هندكوش من ناحية الهند[1].

ثم تعيّنت حدودها بعد ذلك فصارت حدودها الشمالية الشرقية تنتهي بنهر حيحون، وفي غربيها مفازة الغزيّة ونواحي جرجان، وفي جنوبيها مفازة فارس وقومس[2].

وحددها ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ بقوله: «أول حدودها

(١) بلدان الخلافة الشرقية: ص٤٢٣.

(٢) المسالك والممالك: ص٢٥٣-٢٥٤.

مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند، طخارستان، وغزنة، وسجستان، وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها»[(١)].

وقسمت خراسان إلى أربعة أرباع: نيسابور، مرو، هراة، بلخ، وكان لكل ربع من الأرباع المذكورة عدد كبير من المدن والقرى سنشير إليها بإيجاز.

فأما نيسابور فكانت مدينة عامرة في القرن الرابع تشغل مساحة قدرها فرسخ في مثله، ولها مدينة، وقهندز، وريض، وكانت المدينة مسورة بسور له أربعة أبواب[(٢)].

■ **وهذا ذكراً لأرباع نيسابور في بعض كدورها ورساتيقها العامرة في القرن السادس الهجري:**

الشامات: أسم لأحد أرباع نيسابور، تمتد من الجامع إلى حدود بست، وهي في غاية الخصب[(٣)].

ريوند: كورة من نواحي نيسابور، وهي أحد أرباعها، وتشتمل على (٢٣٢) قرية هكذا قال أبو الحسين اليهقي، وذكر أبو سعد أنها تشتمل على أكثر من (٥٠٠) قرية.

أولها من الجامع القديم إلى أحمد آباذ، وهو أول حدود بيسهق[(٤)].

رخ: من أرباع نيسابور، والعامة تقول ريخ، وهي كورة تظم (١٠٦) قرية[(٥)].

---

(١) معجم البلدان: ج٢، ص٤٠٩.

(٢) المسالك والممالك: ص٢٥٣-٢٥٤.

(٣) الأنساب: الورقة/ ٣٢٣أ.

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٢٣؛ معجم البلدان: ج٢، ص٨٩١.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص١٠١-١٠٢، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٣٠ب، =

بشتنفروش: كورة من أعمال نيسابور من أرباعها وفيها من القرى (١٢٦) قرية[١].

أستوا: كورة من نواحي نيسابور تشتمل على (٩٣) قرية وقصبتها خبوشان، وهي من عيون نواحي نيسابور، وحدودها متصلة بحدود نسا[٢].

أرغيان: كورة من نواحي نيسابور، قيل أنها تشتمل على (٧١) قرية وقصبتها الراونير[٣].

جوين: كان أسمها كويان، فحربت فقيل جوين، حدودها متصلة بحدود بيهق، وتشتمل على (١٨٩) قرية[٤].

بيهق: كورة واسعة كثيرة البلدان من نواحي نيسابور تشتمل على (٣٢١) قرية، وكانت قصبتها أولاً خسر وجرد، ثم صارت سابزوار[٥].

بشت: بلدة بنواحي نيسابور، وهي كورة، قصبتها طريثيت، وتشتمل على (٢٢٦) قرية ويقال لها بشت العرب لكثرة أدبائها وفضلائها[٦].

وقد تعرضت مدينة نيسابور في منتصف القرن السادس الهجري لهجمات الغزّ[٧]، سنة ٥٤٨هـ، حيث خربوها وأحرقوها، فانتقل أهلها

= معجم البلدان: ج٢، ص٧٧٠.

(١) معجم البلدان: ج١، ص٤٢٦.

(٢) الأنساب: ج١، ص٢٠٧، معجم البلدان: ج١، ص٢٤٣، اللباب: ج١، ص٤٠.

(٣) الأنساب: ج١، ص١٦٧، معجم البلدان: ج١، ص٢٠٩، اللباب: ج١، ص٣٣.

(٤) معجم البلدان: ج٢، ص١٩٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٥٣٧.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٦٢٨.

(٧) الغزّ: اختلفت الأقوال في تعريفهم، فقيل: هم طائفة من الأتراك المسلمين كانوا فيما وراء النهر، وقيل: هم أمة عظيمة من الترك وهم نصارى كانوا في طاعة =

غلى محلة فيها يقال لها الشاذياخ عمرها وسورها المؤيد عامل السلطان سنجر سنة ٥٥٦هـ، وصارت الشاذياخ هي العاصمة[(١)].

ولمّا نزلها ياقوت الحموي سنة ٦١٣هـ لم ير في خراسان مدينة أحسن منها[(٢)].

وفي سنة ٦١٨هـ استولى عليها المغول بقيادة جنكيزخان ونهبوها وخربوها[(٣)].

■ **ومن مدن خراسان التي تقع ضمن ربع نيسابور:**

طوس: وتتألف من بلدتين الطابران، ونوقان، ولها أكثر من ألف قرية، وعلى مقربة من طوس قرية سناباذ، حيث دفن الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ، والإمام علي الرضا سنة ٢٠٢هـ، وكان على هذين القبرين حصن حصين[(٤)].

ودخل الغزّ مدينة طوس سنة ٥٤٩هـ في طريقهم إلى نيسابور قاصدين العسكر الخراساني الذي اجتمع حول الملك سليمان شاه،

= سلاطين بني سلجوق إلى زمن سنجر بن ملكشاه، وقيل أيضاً: هم قبيلة من الترك يعرفون بالغزيّة، وهم أهل بادية لهم بيوت من الشعر، لا يعبدون شيئاً بل يسمون كبراءهم أرباباً.

ولقد اجتاحت هذه الفتنة معظم مدن خراسان، لأسباب فصلها ابن الأثير في كتابه: «الكامل» وذكر أنه لم يسلم من خراسان شيء لم تنهبه الغز غير هراة، ودهستان، لأنه كانت حصينة فامتنعت، الكامل: ج١١، ص١٧٦-١٧٨، آثار البلاد وأخبار العباد: ص٥٨٧، رسالة ابن فضلان، ص٩١، دولة آل سلجوق: ص٢٥٧-٢٦٠.

(١) الكامل: ج١١، ص٢٧٣-٢٧٤، معجم البلدان: ج٣، ص٢٣٩.

(٢) (٣) معجم البلدان: ج٥، ص٣٣٢.

(٤) صورة الأرض: ص٣٣٤، الأنساب: الورقة/٣٧٣أ، معجم البلدان: ج٣، ص٥٦٠.

فنهبوها، وسبوا نساءها، وقتلوا رجالها، وخربوا مساجدها، ومساكن أهلها. وذكر ابن الأثير أنه لم يسلم من جميع ولاية طوس إلّا البلد الذي فيه مشهد علي بن موسى الرضا، ومواضع أخرى يسيرة لها أسوار(١).

بينما ذكر أبو سعد السمعاني أن عسكر الغزّ أحاطوا بمشهد الرضا، ونزلوا به، وقتلوا من تحصن به وذلك سنة ٥٤٩هـ(٢).

سرخس: كانت في القرن الرابع مدينة عظيمة، وكان فيها جامع وأسواق حسنة وبساتين كثيرة(٣). ولم تسلم هذه المدينة من هجمات الغزّ، فأغاروا عليها أكثر من مرة، فأول ما وردوها كان سنة ٥٤٩هـ، وأغاروا عليها ثانية سنة ٥٥٣هـ(٤).

نسا: وهي تلي رستاق أستوا من الشرق، وقد وصفها المقدسي بكونها بلد رحب نزيه طيب، وامتدح جامعها الظريف وسوقها العامر(٥). ورحل إليها أبو سعد السمعاني سنة ٥٤٠هـ وزار أغلب مدنها مثل بالوز، وفراوز(٦). وحينما زارها ياقوت وجدها مدينة وبيئة جيدة(٧).

مرو الشاهجان: تقع على نهر مرغاب الذي يسميه ياقوت الحموي بنهر الرزيّق، وهي الربع الثاني من أرباع خراسان، وتشمل المواضع القائمة على طريق خراسان العظيم مما يلي مرو إلى الشمال الشرقي من نهر جيجون عند آمل حيث معبر الطريق إلى

---

(١) الكامل: ج١١، ص١٨١.
(٢) التحبير: الترجمة/ ٥٨٢، ٦٩٦.
(٣) معجم البلدان: ج٣، ص٧١.
(٤) التحبير: الترجمة/ ٧١٥، ٥٣٤.
(٥) أحسن التقاسيم: ص٣٢١.
(٦) الأنساب: ج٥، ص٢٢٤، ج٢، ص٦٠، معجم البلدان: ج٣، ص٨٦٦.
(٧) معجم البلدان: ج٤، ص٧٧٦.

بخاري[١]. ومرو على ما وصفها بلدانيو العرب: الاصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، أنها تتألف من قلعة داخلة يطلق عليها «قهندر». مرتفع مقداره مقدار مدينة حولة، والمدينة الداخلة لها أربعة أبواب، ويليها أرباض واسعة تمتد على ضفاف الأنهار الكبيرة[٢]، وقد زار المقدسي مدينة مرو في منتصف القرن الرابع فذكر أن ثلث ربضها مهدم، وقهندرها ليس بأحسن حالاً[٣].

وقد عظم شأن مدينة مرو فيما بعد ذلك خاصة في عهد السلطان سنجر، فقد اختارها على سائر بلاده، وما زال مقيماً بها إلى أن مات سنة ٥٥٢هـ، وقبره بها في قبة عظيمة زرقاء تظهر من مسيرة يوم لما شباك إلى الجامع[٤].

وقد خربت هذه المدينة حيثما دخلها الغزّ قاصدين السلطان سنجر الذي فارقها هو وعسكره، فدخلها الغزّ في جمادي الأولى سنة ٥٤٨هـ، ونهبوها أفحش نهب، وقتل بها أكثر أهلها[٥]. ولم تسلم قرى مرو من تخريب الغزّ لها، فقد تعرضت بليدة دنداقان، على عشرة فراسخ من مرو لتخريب الغزّ. وقال أبو سعد: «.. خربها الأتراك المعروفة بالغزّية في شوال سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وقتلوا بعض أهلها، وتفرق عنها الباقون لأن عسكر خراسان كان قد دخلها وتحصن بها»[٦].

---

(١) بلدان الخلافة الشرقية: ص٤٣٩.

(٢) المسالك والممالك: ص٢٥٩، صورة الأرض: ص٤٣٤-٤٣٥، أحسن التقاسيم: ص٣١٠-٣١٢، بلدان الخلافة الشرقية: ص٤٤١.

(٣) أحسن التقاسيم: ص٣٦١.

(٤) معجم البلدان: ج٥، ص١١٤.

(٥) الكامل: ج١١، ص١٨.

(٦) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٤أ-٤ب، معجم البلدان: ج٢، ص٦١٠.

ونزل عسكر الغزّ قرية سنج لمحاصرة حصن بها شهراً كاملاً، وكانوا يحاربون أهل الحصن فلم يقدروا عليها، وذلك سنة ٥٥٠هـ، ثم حاصروها غير مرة مدة شهرين وثلاثة أشهر إلى أن صالحوها بعد جهد سنة ٥٤٤هـ، وكان الوسيط في هذا الصلح أبو سعد السمعاني[١].

وتعرضت قرية كسان لعبث الغز فخربوها سنة ٥٤٨هـ[٢].

ويبدو أن مرو قد استعادت أهميتها ومكانتها العلمية فيما بعد، فقد وصفها ياقوت حين زارها بقوله: «.. وتركتها أنا في سنة ٦١٦هـ على أحسن ما يكون وبمرو جامعان للحنفية والشافعية يجمعهما السور، وأقمت بها ثلاثة أعوام..»[٣].

وقد دمرت مرو عند الغزو المغولي سنة ٦١٧هـ، واحترقت خزائن كتبها، ونهبت المدينة وكسروا السدود، وخربوا المسنيات، ومقاسم الماء في نهر مرغاب[٤].

مرو الروّذ: هي مرو الصغرى، وذكر ياقوت أن الناس في أيامه كانوا يسمونها «مروّذ» ويظهر أنه لم يصبها من الخراب على يد المغول ما أصاب مرو الشاهجان، غير أنها خربت بعد غزو تيمور لها[٥].

هراة: وهي الربع الثالث من أرباع خراسان، وتقع اليوم في بلاد الأفغان، وكانت في القرن الرابع الهجري مدينة جليلة عليها حصن وسور له أربعة أبواب، وكان للحصن أربعة أبواب بحذاء كل باب من

---

(١) الأنساب: الورقة/ ٣١٣أ.

(٢) المصدر نفسه، الورقة/ ٤٨٧أ، معجم البلدان: ج٤، ص٣٠٥.

(٣) معجم البلدان: ج٥، ص١١٤.

(٤) بلدان الخلافة الشرقية: ص٤٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٤٧.

أبواب المدينة باب لهذا الحصن، والمدينة مقدار نصف فرسخ في مثله ودار الإمارة يعرف بخراسان آباد في ظاهر البلد، وعند كل باب من أبواب المدينة سوق وفي ظاهر الباب ربض واسع(١).

واستمرت هراة على ازدهارها وعمرانها حتى اجتياح المغول فخربوها وأدخلوها في خبر كان سنة ٦١٨هـ، وقد وصفها ياقوت عندما كان بها سنة ٦١٣هـ بقوله: «لم أر بخراسان عند كوني بها سنة ٦٠٧هـ، مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم، ولا أحسن، ولا أكثر أهلاً منها، محشوة بالعلماء، مملوءة بأهل الفضل والثراء..»(٢).

بلخ: وهي الربع الرابع من أرباع خراسان، وكانت في القرن الثالث مدينة خراسان العظمى، وكان لها سبعة أبواب، وظلت إلى القرن السادس لها سورها ومسجدها الجامع وقصورها المشرقة، وفي سنة ٥٥٠هـ استولى عليها الخراب الأول مرة بعدما استولى عليها الغزّ ثمّ عاد إليها أهلها وجددوا بناءها في موضع مجاور لموضعها الأول، فاستعادت سابق عزها إلى أن خربها المغول سنة ٦١٧هـ(٣).

وجوزجان وقيول: جوزجانان: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، ويقال لقصبتها اليهودية. ومن مدنها: الأنبار، وكلّار، وفارياب(٤). وقد دمر المغول مدينة الفارياب سنة ٦١٧هـ بعد أن قام ياقوت بها بزمن يسير(٥).

طخارستان: من أرباع بلخ وتقع شرقها، وهي ولاية واسعة كبيرة

---

(١) صورة الأرض: ص٤٣٧-٤٣٨، بلدان الخلافة الشرقية: ص٤٥٢.
(٢) معجم البلدان: ج٥، ص٣٩٦.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٤٨٠، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٦٢-٤٦٤.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٢.
(٥) بلدان الخلافة الشرقية: ص٢٦٧.

تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليا، وطخارستان السفلى، فالعليا تقع شرقي بلخ في محاذاة نهر جيحون، وطخارستان السفلى في جنوبها الشرقي على حدود بدخشان.

■ من مدن **طخارستان**: خلم، وسمنجان، وبغلان، وسكلكند، وروالبز[١].

وأكبر مدن طخارستان، طالقان، وقد ذكر المقدسي أنها نحو ثلث مدينة بلخ، وذكر أن لها أسواقاً كبيرة، ويسقيها نهر يأخذ من جيحون[٢].

● الحالة السياسية في خراسان:

شهدت بلاد خراسان في القرن السادس الهجري حكم السلطان سنجر بن ملكشاه آخر سلاطين السلاجقة العظام من سنة (٥١٢-٥٥٢هـ)، وكان قبل توليه السلطة والياً على خراسان، وما وراء النهر من سنة (٤٩٠-٥١١هـ)، من قبل أخيه السلطان بركيارق[٣].

وبعد توليه السلطنة بسط نفوذه على خراسان، وما وراء النهر، وطبرستان، وكرمان، وسجستان، وأصبهان، وهمذان، والري، وأذربيجان، وأرمينية، والعراقين، والموصل، وديار بكر، وديار ربيعة، والشام، والحرمين، وضربت الدنانير باسمه، وخطب له على منابر هذه الأقاليم[٤].

■ غير أن سلطة سنجر بدأت تنحسر عن كثير من هذه الأقاليم، ومن ثم تقويض حكمه في خراسان **ويعود ذلك لأمرين وهما:**

---

(١) معجم البلدان: ج٣، ص٢٣.

(٢) أحسن التقاسيم: ص٣٠٣، معجم البلدان: ج٣، ص٦.

(٣) دولة آل سلجوق: ص٢٣٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٤٢، الكامل: ج١١، ص٢٢٢-٢٢٣.

★ **الأمر الأول:**

نشوء ثلاث دول جديدة في الأقاليم التي كانت تابعة للسلطان سنجر، وقد لعبت هذه الدول دوراً مهماً في تقويض حكم السلطان سنجر، ذلك بسبب الحروب العديدة التي خاضها سنجر مع هذه الدول وهي:

الدولة القره خطائية: تنسب إلى مجموعة من القبائل التركية عرفت بهذا الاسم، وقد أسست عام ٥١٨هـ، فيما وراء النهر وكانت عاصمتها بلا ساغون، وكان يطلق لقب كورخان على كل ملك من ملوكها(١).

وكانت علاقة السلطان سنجر بالقره خطائية بسبب ازدياد نفوذهم فيما وراء النهر فالتحم معهم في معركة عنيفة تعرف بقطوان بالقرب من سمرقند سنة ٥٣٦هـ، انهزم فيها السلطان سنجر، وتعد هذه المعركة حداً فاصلاً بين عهدين من سلطنة سنجر، عهد القوة والغلبة، وعهد الضعف والانهيار، حيث بسط القره خطائية نفوذهم على إقليم ما وراء النهر(٢).

الدولة الخورازمية: أسسها قطب الدين محمد أنوشتكين سنة ٤٩٠هـ، وكان هذا حاكماً على خوارزم من قبل السلطان سنجر، وأطلق على نفسه لقب خوارزمشاه(٣).

ولما توفي قام مقامه ابنه علاء الدين آتسز سنة ٥٢١هـ، ولم تكن العلاقة بين أتسز وولي نعمته سنجر على ما يرام، وحدثت بينهما منازعات وحروب فصلها ابن الأثير في كتابه «الكامل» والنسوي في كتابه سيرة

---

(١) سلاجقة إيران والعراق: ص١١٢-١١٣.

(٢) الكامل: ج١١، ص٨١-٨٥، عيون التواريخ: الورقة/١٣٨ب-١٣٩أ.

(٣) الكامل: ج١٠، ص٢٦٧-٢٦٨، تاريخ مفصل إيران: ص١١٧، جاء فيه أن بداية دولة خوارزمشاه كانت سنة ٤٩١هـ.

جلال الدين منكبرتي ومن تلك المعارك نذكر غارة آتسر على مرو عاصمة سنجر سنة ٥٣٦هـ، مستغلاً انشغاله بحرب القره خطائية، فدخل مرو، وقتل كثيراً من أهلها، ثم عاد إلى خوارزم واستصحب معه جماعة من أعيان مرو منهم: أبو الفضل الكرماني وأبو منصور العبادي[١].

وبعد عودة سنجر أخذ يعد العدة للانتقام من آتسز فتوجه لقتاله في عام ٥٣٨هـ، وحاصر قلعة هزاراسب، وفتحها عنوة بعد حصار دام شهرين[٢]، ورد أتسز على سنجر صناديق جواهره التي أخذها من الخزانة بمرو بختمها، وتم الصلح بين الطرفين[٣].

الدولة الغورية: أما علاقة السلطان سنجر بالدولة الغورية فلم تكن بأحسن حال من علاقته مع الدولتين المذكورتين، وكانت الدولة الغورية تسيطر على جبال الغور ومدينة فيروزكوه، ثم امتد نفوذها إلى هراة من أملاك سنجر، وحاصر علاء الدين الغوري مدينة بلخ فتوجه سنجر للقائه، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة انتهت بانتصار سنجر وأسر علاء الدين سنة ٥٤٥هـ[٤].

★ الأمر الثاني:

فتنة الغزّ سنة ٥٤٨هـ، التي اجتاحت معظم مدن خراسان، وقد بينا ما أصاب البلاد من جرائها من ويلات وتخريب للمدن والقرى، وإحراق المساجد والمدارس ودور الأهلين، ولم ينج من بطشهم البربري العلماء،

---

(١) الكامل: ج١١، ص٨٧-٨٨.

(٢) Turkestan Down to the Mongol Invasion P. 324.4)

(٣) الكامل: ج١١، ص٩٥-٩٦، دولة آل سلجوق: ص٢٥٦-٢٥٧، سلاجقة إيران والعراق: ص١١٨.

(٤) الكامل: ج١١، ص١٥١.

حيث سفكوا دماءهم في المحاريب، وأدت هذه الفتنة سقوط السلطان سنجر الذي وقع في أسرهم ثلاث سنوات، حيث هرب من الأسر سنة ٥٥١هـ، وجلس على عرشه مرة أخرى، غير أنه كان قد أصبح شيخاً محطماً فلم يقو على تحمل صدمة ما رآه من مظاهر الدمار فمرض ومات كمداً وحزناً سنة ٥٥١هـ(١).

وبعد أن افل نجم السلطان سنجر، شهدت بلاد خراسان نزاعاً داخلياً وخارجياً.

أما الصراع الداخلي فقد تمثل في نزاع الأمراء السنجرية مع بعضهم حتى أنهم خاضوا حروباً طاحنة على أثر وفاة السلطان سنجر من أجل فرض السيطرة على مدن خراسان، أدت هذه الحروب إلى خراب معظم مدن خراسان نذكر من ذلك: الحرب بين الأمير أي أبه المؤيد، وبين الأمير إيثاق سنة ٥٥٢هـ، فخربت من جرائها مدينة اسفرايين، ومدينة طوس وهلك الحرث والنسل، واستولى الخراب على البلاد، وعمت الفتنة أطراف خراسان(٢).

وكان المؤيد قد استولى على طرف من خراسان، وبسط نفوذه على نيسابور، وشارستان(٣)، وفتح طوس سنة ٥٥٧هـ(٤)، وفي سنة ٥٦٠هـ حاصر مدينة هراة، ونسا، فلم يتمكن منهما(٥)، وفي الوقت نفسه كان الغزّ يسيطرون على بعض مدن خراسان.

---

(١) ينظر: الكامل: حوادث سنة (٥٤٨-٥٥٢هـ)، دولة آل سلجوق: ص٢٥٧-٢٦٠، سلاجقة إيران والعراق: ص١٣٠-١٣٣، الخ.

(٢) الكامل: ج١١، ص٢٢٥-٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٢٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١١، ص٣١٥-٣١٦.

وكان هناك صراع خارجي أشد عنفاً بين القوتين الكبيرتين في المشرق، وهما الدولة الخوارزمية، والدولة الغورية من أجل فرض السيطرة على مدن خراسان، وقد ذكر ابن الأثير[١] سلسلة طويلة من الحروب الطاحنة بين هاتين الدولتين فتارة تخضع مدن خراسان لنفوذ الدولة الغورية، وتارة أخرى تكون تحت سيطرة الدولة الخوارزمية، وظل هذا الوضع المضطرب حتى سقوط أغلب مدن خراسان على يد التتر الذين اجتاحوا خراسان أوائل سنة ٦١٧هـ، فخربوا أرباعها، واخذوا قلاعها، وسبوا نساءها وقتلوا رجالها[٢]، وقد فصلنا ذلك آنفاً.

---

(١) ينظر الكامل: حوادث سنة (٥٥٢-٦١٧هـ).

(٢) المصدر نفسه، حوادث سنة ٦١٧هـ، دولة آل سلجوق: ص٢٥٥.

الباب الأول

الصلات الفكرية والثقافية القائمة
بين خراسان والعالم الإسلامي

الفصل الأول

الرحلة

تعتبر الرحلة في طلب العلم والمعرفة شرطاً من شروط كمال المعرفة، وكانت واسطة مهمة في جعل الصلات الفكرية والثقافية بين خراسان والعالم الإسلامي آنذاك متينة، حتى أن وحدة العالم الإسلامي كانت تبدو بوضوح من خلال حرية التنقل بين مراكز العلم في العالم الإسلامي فلم تكن هناك حواجز ولا حدود تعيق حرية التنقل، لذلك طفق العلماء يجوبون العالم الإسلامي لطلب العلم من أقصى بلاد الأندلس إلى أطراف الصين، وكانت الإقامة في تلك المواطن كثيراً ما تنتهي بها الرحلات، فقد أقام بمدن خراسان عدد كبير من العلماء الواردين على خراسان من أطراف العالم الإسلامي الدانية والقاصية، كما أقام علماء خراسان الرحالة في البلاد الإسلامية التي رحلوا إليها، لذلك نجد كثيراً من هؤلاء العلماء قد اكتسبوا عدّة نسب بلدانية نتيجة لإقامتهم في البلدان التي رحلوا إليها على أن المؤرخين والمحدثين لم يغفلوا أصلهم.

كما لم يمنع أحد من الإقامة في أي مكان شاء، ولم آخذ بنظر الاعتبار بعض الحالات الاستثنائية التي اقتضها «المصلحة العامة» لدرء خطر الفتنة، فأدت إلى أبعاد بعض علماء خراسان من بغداد، كأبي الفتوح الأسفراييني المتوفى سنة ٥٣٨هـ، الذي أخرج من بغداد بأمر من

الخليفة المسترشد بأمر الله العباسي[١]. وأبي نصر القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٥١٤هـ، الذي أُخرج من بغداد بأمر من الوزير السلجوقي نظام الملك[٢]، وذلك على أثر قيام الفتنة ببغداد بين الأشاعرة والحنابلة بسبب نظرة هؤلاء لمذهب الأشعري وإثارة الحنابلة.

● **مشجعات الرحلة:**

■ ومما شجع العلماء على الرحلة في طلب العلم **أمران مهمان هما:**

★ **الأمر الأول:** وجود المساجد والجوامع والمدارس، والربط، والزوايا، والخوانق التي كانت تتخذ لضيافة العلماء وإقامتهم بها دون مقابل، وترى ذلك جلياً في أثناء البحث.

★ **الأمر الثاني:** كان التعليم والتحديث والتدريس حسبة لا يتقاضى عنها العلماء أجراً وقد ذهبت طائفة كبيرة من الفقهاء كالحنفية جميعهم، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري وغيرهم إلى أنه لا يجوز أن يأخذ المعلم أجراً على تعليم القرآن والحديث[٣].

حتى أن العلماء والمحدثين كانوا يتعففون عن أخذ شيء على التحديث على الرغم من حاجتهم، وتذكر على سبيل المثال أن أبا الفتح عبد الملك بن عبدالله بن أبي سهل الكروخي الهروي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، ورد بغداد فسمع منه جماعة كتاب «الجامع» لأبي عيسى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٧٢، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص١٠٨.

(٢) تاريخ الإسلام: م١٣ ق١ : الورقة/ ٧٢أ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: الورقة/ ٤٧أ.

(٣) مقدمة كتاب: بستان العارفين للسمرقندي: ص٢٨، وهذا الكتاب هامش لكتاب تنبيه الغافلين للسمرقندي أيضاً، مطبعة عيسى البابي الحلبي - بدون سنة طبع.

الترمذي، قال أبو الفضل محمد بن ناصر البغدادي: «.. فرغبت جماعة من أهل الثورة مراعاة عبد الملك، فحملوا إليه الذهب، فرده ولم يقبل وقال: بعد السبعين واقتراب الأجل اخذ على حديث رسول الله (ﷺ) الذهب. رده مع احتياجه إليه، ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة فكان يكتب النسخ من «جامع» أبي عيسى، ويأكل من ذلك ويكسى..»[(١)].

■ **وقد ترتبت على الرحلة أمور منها:**

★ **تقليد المناصب**: فقد تقلد عدد كبير من علماء خراسان الرحالة، وكذلك العلماء الواردون على خراسان وظائف مهمة، **ويمكن تحديد هذه المناصب التي قلدت لهؤلاء العلماء بما يأتي**:

★ **المناصب العلمية**: تتجلى الصلات الفكرية والثقافية بين خراسان والعالم الإسلامي بالمناصب التدريسية التي شغلها علماء خراسان في مدارس الأقاليم التي رحلوا إليها فقد عهد إلى ثلة من علماء خراسان تدريس مختلف فنون المعرفة من علوم القرآن والحديث، والفقه، والمذهب، والخلاف، وعلم الكلام، وعلوم العربية. في مدارس البلدان التي رحلوا إليها، في حين لم أجد أحداً قد عهد إليه مهمة التدريس في مدارس خراسان من العلماء الواردين عليها وقتذاك خلا شرفشاه بن ملكداد المتوفى سنة ٥٤٦هـ وكان هذا قد تفقه بنظامية بغداد حتى برع أنظر الفقهاء، ثم سافر إلى محمد بن يحيى مدرس نظامية نيسابور، وأقام بنيسابور يدرّس ويفتي[(٢)].

هذا على الرغم من كثرة العلماء الواردين على خراسان من كل

---

(١) الأنساب: الورقة/ ٤٨١، المنتظم: م١٠، ص١٥٤، التقييد: الورقة/ ١٤٨ب-١٤٩أ والكروخي: نسبة إلى بلدة بنواحي هراة، خرج منها جماعة من أهل العلم.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١١٠.

حدب وصوب، وجلالة قدر الراحلين إليها ومكانتهم العلمية نذكر منهم: مؤرخ دمشق ابن عساكر، ومؤرخ بغداد ابن النجار، والرحالة ياقوت الحموي، وغيرهم.

في حين جلّ من قصد خراسان كان من أجل طلب العلم والمعرفة ولقاء مشايخها والدراسة عليهم.

من ذلك نرى أن البيئة العلمية في خراسان كانت مماثلة للبيئات العلمية في العراق والشام، والحجاز، وبلاد ما وراء النهر وغيرها، إن لم تكن متفوقة عليها خاصة في علوم القرآن والحديث والفقه، وعلوم العربية وآدابها، وإلا فبماذا نفسر تقليد المناصب التدريسية في مدارس هذه البلدان إلى علماء خراسان؟ هذا بالإضافة إلى المجالس العامية التي عقدت إليهم في هذه البلدان مثل: مجالس النظر والإملاء والتحديث، والوعظ والتذكير، التي فصلنا ذكرها في الباب الثالث.

- **تدريس علماء خراسان بمدارس بغداد:**

تصدّر جملة من علماء خراسان التدريس في مدارس بغداد، وفي كثير من الأحيان، كانت المصادر لا تصرّح باسم المدارس التي درّس بها علماء خراسان، بل تقتصر على ذكر عبارة: درّس العلم ببغداد، والبصرة، وهمذان، وبلاد الروم[(١)].

- **أهم المدارس التي درّس بها علماء خراسان ببغداد:**

❶ **المدرسة النظامية:** كانت من أشهر المدارس في العالم الإسلامي منذ القرن الخامس، وقد شرع نظام الملك ببناء نظامية بغداد

(١) معجم البلدان: ج١، ص٣٩٧، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٤٠-٢٤١، تاج التراجم: ص٣٨.

في ذي الحجة من سنة ٤٥٧هـ، وتم افتتاحها للدراسة يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة ٤٥٩هـ[(١)]. وطار صيتها في الآفاق حتى لا يكاد يخلو كتاب من كتب التاريخ أو الأدب أو الفقه، أو الحديث، أو كتب التراجم والخطط، من ذكرها، وذكر أخبار مدرسيها ومعيديها، فقائها، وخزان كتبها، ومتولي أوقافها، وكبار وعاظها[(٢)].

★ ولا بدّ لنا من التنويه بأمر مهم هو أن تلامذة خراسان قد تبوأو التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد منهم:

١ • **أبو الحسن علي بن محمد الطبري** المعروف بالكيا الهراسي المتوفى سنة ٥٠٤هـ وكان قد تفقه على أبي المعالي الجويني بنظامية نيسابور مدة إلى أن برع في الفقه، ثم خرج إلى بيهق ودرّس بها مدة، ثمّ خرج إلى العراق وتولى تدريس نظامية بغداد ووعظ بها إلى أن توفي[(٣)].

٢ • **أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني** المتوفى سنة ٥٨٩هـ رحل من بلدة قزوين إلى نيسابور، فأقام بها مدة يتفقه على محمد بن يحيى النيسابوري بنظامية نيسابور، وقرأ عليه ولازمه حتى برع وصار أحد معيدي درسه.

قدم بغداد سنة ٥٥٥هـ، وعقد بها مجلس التذكير واقبلوا عليه لحسن سمعته، وكثرة محفوظه، وجودة إيراده، ثم عاد إلى بلده، ثم قدم بغداد بعد سنة ٥٦٠هـ، ووليّ تدريس النظامية

---

(١) المنتظم: م٨، ص٢٤٦.

(٢) علماء النظاميات: ص٢١-٤٠.

(٣) المنتظم: م١٠، ص١٦٧، مرآة الزمان: ق١ ج٨ ٣٧-٣٨، مرآة الجنان: ج٣، ص١٧٣.

وحدث بمؤلفات علماء خراسان مثل: صحيح مسلم، ومسند إسحق بن راهويه، وتاريخ نيسابور للحاكم، وسنن البيهقي الكبرى، وكتاب دلائل النبوة، وكتاب البعث، والنشور للبيهقي أيضاً، وأملى بجامع القصر، ولما وليّ تدريس النظامية ببغداد مضى إلى دار الوزارة فخلع عليه ورتب مدرساً[(١)].

★ **من علماء خراسان الذين درّسوا بالمدرسة النظامية ببغداد:**

١ • **حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي** سنة ٥٠٥هـ. تلمذ لإمام الحرمين في المدرسة النظامية بنيسابور كما ذكرنا آنفاً، خرج من نيسابور بعد وفاة أستاذه إلى العسكر، ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه، وبالغ في الإقبال عليه، وكان يحضر مجلس الوزير جماعة من الأفاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس وأظهر عليهم واشتهر أسمه، ثمّ فوض إليه التدريس بنظامية بغداد فجاءها وباشر بإلقاء الدروس بها وذلك في جمادي الأولى سنة ٤٨٤هـ، ثمّ ترك ذلك في ذي القعدة سنة ٤٨٨هـ، وسلك طريق الزهد[(٢)]، وحضر درسه الأئمة الكبار كابن عقيل، وأبي الخطاب، وتعجبوا من كلامه، ونقلوا كلامه في مصنفاتهم[(٣)].

وذكر الشيخ علاء الدين علي ابن الصيرفي في كتابه «زاد السالكين» نقلاً عن القاضي أبي بكر ابن العربي، أنه كان يحضر

---

(١) الوافي بالوفيات: ج٦، ص٢٥٣-٢٥٥، العبر: ج٤، ص٢٧١-٢٧٢، وفيه ذكر وفاته سنة ٥٩٠هـ.

(٢) وفيات الأعيان: ج٣، ص٣٥٣.

(٣) المنتظم: م٩، ص١٦٨-١٧٠.

درس الغزالي بنظامية بغداد نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس، وأفاضلهم يأخذون عنه العلم(١).

وقد درّس كتابه «أحياء علوم الدين» بنظامية بغداد، درّسه أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد ابن البرهان الشافعي المتوفى سنة ٥١٨هـ، وذلك حينما تولى التدريس بالنظامية وكان الطلبة يقصدونه من البلدان إلى أن صار جميع نهاره وقطعة من الليل مستوعباً للأشغال وإلقاء الدروس، وطلب منه درس في الإحياء للغزالي فلم يكن له وقت إلى أن سألوه أن يكون الدرس نصف الليل فأجاب(٢).

٢ • **أبو الفتوح أحمد بن محمد الطوسي الغزالي الواعظ** المتوفى سنة ٥٢٠هـ.

أخو الإمام حجة الإسلام أبي حامد، كان من الفقهاء غير أنه مال إلى الوعظ والتصرف فتغلب عليه، ودرّس بنظامية بغداد نيابة عن أخيه أبي حامد لما ترك التدريس فيها زهادة فيه(٣).

٣ • **أبو الفتح أسد بن أبي نصر الميهني** المتوفى سنة ٥٢٧هـ.

تفقه بمرو على أبي المظفر السمعاني، والموفق الهروي، درّس بنظامية مرو نيابة عن أبي بكر السمعاني. وليّ نظامية بغداد مرتين وخرّج له عدة تلامذة(٤)، وقد ولي نظامية بغداد أول مرة بعد وفاة مدرسها الفقيد أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المتوفى

(١) شذرات الذهب: ج٤، ص١٣.
(٢) عيون التواريخ: ج٢: الورقة/ ٦١أ-٦١ب.
(٣) مرآة الجنان: ج٣، ص٢٢٤، شذرات الذهب: ج٤، ص٦٠.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٢، شذرات الذهب: ج٤، ص٨٠.

سنة ٥٠٧هـ[١]، ثمّ قدم بغداد في شعبان سنة ٥١٧هـ مدّرساً بنظامية بغداد وناظراً عليها، بعد أن صرف مدرسها أبو الفتح عبد الواحد بن الحسن الباقرحي المتوفى سنة ٥٥٣هـ، وقد وقع بين أبي الفتح الميهني، وبين الفقهاء فتنة وذلك لأنه قطع جماعة واكتفى بـ(٢٠٠) - طالب منهم، فلم يهن ذلك على كثير منهم، واستمر يدرّس بها إلى سنة ٥٢٣هـ، حيث عزل عن التدريس[٢].

وقد تلمذ له وتفقه عليه عدد كبير من العلماء الذين تخرجوا به ونالوا مراتب عالية في العلم منهم: الإمام رئيس الأصحاب أبو المحاسن يوسف بن عبدالله الدمشقي الفقيه الشافعي. قدم بغداد في صباه قبل سنة ٥٢٠هـ، وتفقه بها على أسعد الميهني، ولازمه حتى برع في المذهب والخلاف، وسافر معه إلى خراسان وتكلم بين يديه في المسائل الخلافية وكان حسن العبارة، كثير المحفوظ، ذا لسن وفصاحة[٣].

• ٤ **عماد الدين أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى العلوي الخراساني النقيب.**

تفقه على أبي المعالي الجويني، وكان جهوريّ الصوت، فصيح العبارة، خرج إلى بيهق فأقام بها مدة، ثم خرج إلى العراق وولي التدريس بالمدرسة النظامية إلى أن توفي وحظي بالحشمة والجاه والتجمل، ولم يكن معنياً بالحديث[٤].

---

(١) عيون التواريخ: ج٢: الورقة/ ٩٣ب.

(٢) البداية والنهاية: ج١٢، ص١٩٣، عيون التواريخ: ج٢: الورقة/ ٥١ب، وفيه ذكر أنه قد اكتفى بثمانين طالباً منهم.

(٣) تكملة إكمال الإكمال: ص٢٤.

(٤) تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ص٢: ص٧٩١، تكملة إكمال الإكمال: ص٣٥١-٣٥٢.

❷ **مدرسة أم الخليفة الناصر**: تنسب هذه المدرسة إلى أم الخليفة الناصر لدين الله(١)، وتقع بالجانب الغربي وهي مجاورة لتربتها عند قبر معروف الكرخي، وقد جعلت هذه المدرسة لأصحاب الشافعي وقد درّس بها الإمام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن أبي علي بن أبي نصر النوقاني الفقيه الشافعي الأصولي المتوفى سنة ٥٩٢هـ، وكان له يد طولى في التفسير والفقه والجدل. تفقه على محمد بن يحيى، وقدم بغداد، وتردد إليه جماعة من المتفقهة وانتفعوا به، وكان عنده طلب لتدريس النظامية، فلما أنشأت أم الخليفة الناصر لدين الله مدرسة للشافعية خلع عليه وجعل مدرسها، وكان أكثر الفقهاء والمدرسين ببغداد من الشافعية والحنابلة تلامذته، وحدث ببغداد بكتاب «الأربعين» لشيخه محمد بن يحيى النيسابوري. توفي بالكوفة سنة ٥٩٢هـ(٢).

❸ **المدرسة البهائية**: وهي من المدارس الشافعية، بنيت بالجانب الشرقي من بغداد وكانت على دجلة قريبة من المدرسة النظامية، ورباط شيخ الشيوخ، ويظهر أن هذه المدرسة قد استولى عليها الحنفية لفترة من الزمن ثم أخذت منهم في سنة ٥٦٦هـ، وأعيدت للشافعية فقد قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٦٦هـ: «.. وأخذت مدرسة كانت للحنفية، وقد كانت قديماً للشافعية، وهي بالموضع المسمى بباب المدرسة على الشط(٣).. وقد سلمت هذه المدرسة إلى أبي حامد محمد بن محمد

---

(١) وهي زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بالله، توفيت سنة ٥٩٩هـ، وكان لها مدرسة ورباطان، ويظهر أن المدرسة بقيت إلى عهد السلطان العثماني سليمان الكبير. مساجد بغداد، ص١٢٥.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٩، الذيل على الروضتين: ص١٠، المختصر المحتاج إليه: ج١، ص١٦٥، طبقات المفسرين: ص٣٩.

(٣) المنتظم: م١٠، ص٢٣٤.

البروّيي الفقيه الشافعي الطوسي، وذلك حينما قدم بغداد سنة ٥٦٧هـ، وصادف قبولاً من الخواص والعوام، وكان يذكر كل يوم عدة دروس في الأصول والجدل، ويحضر عنده الخلق(١). وممن حضر درسه قاضي القضاة وشيخ الشيوخ وحاجب الباب، ومدرس النظامية، وابن سديد الدولة كاتب الإنشاء(٢).

❹ **مدرسة زيرك**: وتسمى مدرسة سوق العميد، وهي مدرسة للحنفية تقع بالجانب الشرقي قبالة مسجد القلعة الحالي(٣).

وممن تولى التدريس فيها الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الجبار أبو المظفر الحنفي السمنانجي المتوفى سنة ٥٧٣هـ.

ولد بسمنان، ورحل إلى مرو وتفقه بها على أبي الفضل الكرماني المروزي، وجال في بلاد المشرق، ثم قدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته، ودرّس بها الفقه على مذهب أبي حنيفة(٤).

❺ **المدرسة القيصرية**: وكانت على مقربة من رباط الشيخ أبي النجيب السهروردي، وهي إحدى مدارس الجانب الشرقي درّس بها الإمام فخر الدين النوقاني عندما قدم بغداد وأقام بها من سنة ٥٨٩هـ حتى وفاته سنة ٥٩٢هـ(٥).

---

(١) طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٢٦٠-٢٦٣، وفيه كنيته أبو منصور، مرآة الجنان: ج٣، ص٣٨٢، المختصر المحتاج إليه: ج١، ص١١٦-١١٧.

(٢) المنتظم: م١٠، ص٢٣٤-٢٣٥.

(٣) بناه الخليفة الناصر لدين الله وعمّره ابنه الظاهر، ونقل إليه الكتب النفيسة بالخطوط المنسوبة والمصاحف الشريفة.

(٤) المختصر المحتاج إليه: ج١، ص٨، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد: م١، ص١١٠-١١١.

(٥) المدارس الشرابية: ص١٤٢.

● **مدارس بلاد الشام:**

■ وقد درس علماء خراسان في مدارس عديدة ببلاد الشام **منها في دمشق، وحلب، والقدس نذكر من هذه المدارس:**

❶ **المدرسة الغزالية:** وتقع في الزاوية الشمالية الغربية شمالي مشهد عثمان، والزاوية الغزالية المنسوبة إلى الشيخ نصر المقدسي، وتنسب إلى الغزالي لكون الغزالي لمّا دخل دمشق وقصد خانقاه السميساطية ليدخل إليها فمنعه الصوفية من ذلك لعدم معرفتهم به فعدل عنها، وأقام بهذه الزاوية بالجامع الأموي إلى أن علم مكانه وعرفت منزلته، فحضر الصوفية بأسرهم إليه واعتذروا له، ثم أدخلوه خانقاه السميساطية فعرفت الزاوية به(١).

وقد درّس بها قطب الدين أبو المعالي النيسابوري الطريثيثي مرتين، وذلك حينما قدم دمشق سنة ٥٤٠هـ، وذلك بعد موت الفقيه أبي الفتح نصرالله المصيصي سنة ٥٤٢هـ، ثم أنه خرج إلى همذان وبعد مدة عاد إلى دمشق واستوطنها ودرّس بالمدرسة الغزالية، وتفرد برئاسة الشافعية، وسافر رسولاً إلى ديوان الخلافة ثم عاد(٢).

وذكر أبو شامة أنه في سنة ٥٧٢هـ وقف السلطان قرية حزم باللوى من حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلم الشريعة، أو بعلم يحتاج إليه الفقيه، أو من يحضر لسماع الدروس بالزاوية الغربية من جامع دمشق المعروفة بالفقيه نصر المقدسي وعلى من هو مدرسهم بهذا الموضوع من

---

(١) الدارس: ج١، ص٤١٣-٤١٤.

(٢) العبر: ج٤، ص٢٣٥، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٩٧، مرآة الجنان: ج٣، ص٤١٣، البداية والنهاية: ج١٢، ص٣١٢-٣١٣، شذرات الذهب: ج٤، ص٢٦٣، الدارس: ج١، ص٤٥٤.

أصحاب الإمام الشافعي، وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري أبو شامة: «ورأيت كتاب الوقف بذلك على هذه الصورة وعليه علامة السلطان (ﷺ): «الحمد لله، وبه توفيقي»[١].

❷ **المدرسة الأمينية**: وتقع قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي بدمشق المسمى قديماً بباب الساعات، وهي شرقي المدرسة المجاهدية، جوار قاسارية القواسين بظهر سوق السلاح، وتعرف هذه المحلة قديماً بحارة القباب، وهناك دار مسلمة بن عبد الملك وقيل أنها أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية، بناها أتابك العساكر بدمشق، وكان يقال له أمين الدولة سنة ٥٣٠هـ[٢].

وقد درّس بها قطب الدين النيسابوري، وذلك حينما بعثه نور الدين مدرساً من حلب إلى دمشق بالمدرسة الأمينية سنة ٥٦٨هـ، فدرّس بهذه المدرسة وبالغزالية، وقيل لم يدرّس بالأمينيّة بل بالزاوية الغزالية[٣].

❸ **المدرسة الجاروخية**: وتقع داخل بابي الفرج والفراديس لصيقة بالمدرسة الإقبالية الحنفية شمالي الجامع الأموي، بناها جاروخ التركماني الملقب بسيف الدين ودرّس بها الفقيه قطب الدين النيسابوري، صاحب كتاب «الهادي» في الفقه، قال الأسنوي: وهو مختصر قريب من مختصر التبريزي في الحجم، كان المتفقهة «يحفظونه»[٤].

وقد درّس بها من بعده تلميذه فخر الدين ابن عساكر عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله بن عساكر أبو منصور الدمشقي شيخ الشافعية بها، اشتغل في صغره بالعلم على شيخه قطب الدين مسعود النيسابوري،

---

(١) الروضتين: ج١، ص٢: ص٦٧٥.

(٢) الدارس: ج١، ص١٧٧-١٧٨.

(٣) مرآة الزمان: ق١، ج٨، ص٢٩٤.

(٤) الدارس: ج١، ص٢٢٧-٢٢٨.

وتزوج بابنته، ودرّس مكانه بالجاروخة وبها كان يسكن(١).

❹ **المدرسة الصادرية**: تقع داخل باب البريد، قال القاضي عز الدين: هي داخل دمشق بباب البريد على باب الجامع الأموي الغربي، أنشأها شجاع الدولة صادر بن عبدالله للحنفية وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق سنة ٤٩١هـ. وأول من درّس بها الإمام علي بن زنكي الكاشاني(٢)، ولم ينزل بها إلى أن نزل عنها للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن الحسن البلخي الواعظ الحنفي، ولد بسكندر من نواحي طخارستان من نواحي بلخ، تفقه بما وراء النهر، وببخارى علي برهان الدين عبد العزيز بن عمر بن مازة حتى برع في الفقه والأصول(٣). قدم دمشق سنة ٥١٩هـ، فنزل المدرسة الصادرية ومدرسها الكاشاني، فعقد له مجلس المناظرة، وجلس للوعظ فوقع له القبول من قلوب الناس فحسده الكاشاني وتعصب عليه الحنابلة فعزفت نفسه عن المقام بدمشق، فخرج إلى مكة وجاور بها وصار إمام الحنفية في المسجد الحرام، فندم الكاشاني على خروج البلخي من جمشق وكاتبه بالعودة إليها، فخرج عن مكة وجعل طريقه إلى بغداد، ووصل إلى دمشق فسلم إليه الكاشاني المدرسة الصادرية عن تراضي منه(٤)، وذكر ابن عساكر أنه عاد إلى دمشق في أول مملكة نور الدين محمود بن زنكي بعد خروج أبق منها، وتوفي في شعبان سنة ٥٤٨هـ ودفن بباب الصغير. إلّا أن قول أبن عساكر هذا فيه نظر، لأن نور الدين إنّما تملك دمشق في سنة ٥٤٩هـ. وأن البلخي توفي سنة

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٨٢-٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٥٣٧، وفي معجم البلدان ج٤، ص٤٣٠ ذكرها ياقوت في حالتين: كاسان: مدينة كبيرة في أول بلاد كردستان وراء نهر سيحون ولها قلعة حصينة على باب وادي اخسيكث، وذكرها أيضاً كاشان بالشين المعجمة.

(٣) الفوائد البهية، ص١٠٢.

(٤) مرآة الزمان: ق١، ج٨، ص٢١٩-٢٢٠، وفيه الكاساني، العبر: ج٤، ص١٣١.

٥٤٨هـ، حسب قول ابن عساكر نفسه، من هذا نرى أن في هذين القولين لابن عساكر تناقضاً.

❺ **المدرسة الخاتونية**: تنسب هذه المدرسة إلى الست زمرد خاتون ابنة الأمير جاولي، أخت دقاق لأمه، وزوجة تاج الملوك بوري، وأم ولديه شمس الملوك إسماعيل ومحمود. توفي سنة ٥٥٧هـ.

سمعت الحديث من أبي الحسن علي بن قيس واستنسخت الكتب وحفظت القرآن وبنت المسجد الكبير، ويعرف بمسجد الخاتون عند مكان يسمى بصنعاء الشام المطل على وادي الشعراء وهو مشهور بدمشق، ووقفت مدرسة للحنفية، وهي من كبار مدارسهم وأجودها معلوماً وتسمى بالمدرسة الخاتونية، وأول من درّس بها الشيخ أبو الحسن علي البلخي سنة ٥٢٩هـ(١).

● **مدارس حلب:**

■ وقد درّس علماء خراسان في مدارس عديدة بمدينة حلب وبعض هذه المدارس بنيت لهم **منها**:

❶ **المدرسة البلخية**: تقع في مدينة حلب، أنشأها الأمير ككز الدقاقي بعد سنة ٥٢٥هـ للشيخ برهان الدين أبي الحسن علي البلخي(٢). وتسمى أيضاً المدرسة الحلاوية من المدارس الحنفية، وكانت هذه المدرسة كنيسة من بناء هيلاني أم قسطنطين، فلما حاصرت الفرنج حلب في سنة ٥١٨هـ وملكها يومئذ ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين فهرب منها وأقام بأمر البلد ومن فيه القاضي أبو الحسن محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد الخشاب فعمد الفرنج إلى قبور المسلمين فنبشوها فلمّا بلغ القاضي

(١) الدارس: ج١، ص٥٠٢-٥٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٨١.

ذلك أخذ من كنائس النصارى التي كانت بحلب أربعاً وجعل فيها محاريب منها هذه الكنيسة فجعلها مسجداً، وأطلق عليه اسم مسجد السراجين، فلمّا جاء الملك العادل نور الدين حلب، ووقف عليها وقفاً[١]، ووقفه مدرسة وجدّد فيه مساكن يأوي إليها الفقهاء، وإيواناً كان مبدأ عمارته في سنة ٥٤٤هـ، وأصبحت من أعظم المدارس صيتاً وأكثرها طلبة، ومن شروط وقفها أن يحمل في شهر رمضان من وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدرّس يصنع بها للفقهاء طعاماً وغير ذلك.

فلّما فرغ من بنائها استدعي لها من دمشق الفقيه الإمام برهان الدين أبا الحسن علي ابن الحسن البلخي فولاه تدريسها[٢].

وقد أناب للتدريس عنه في هذه المدرسة الفقيه برهان الدين أبا العباس أحمد بن علي الأصولي السلفي، فلم يزل نائباً عنه إلى أن مات فحزن عليه برهان الدين[٣].

★ وقد تفقه علي برهان الدين البلخي على جماعة من الفقهاء في المشرق ودمشق منهم:

عبد الرشيد الولوالجي، ومحمد بن يوسف بن علي العقيلي[٤]، ويوسف بن الحسين بن عبدالله الحلبي المعروف بالبدر الأبيض المتوفى سنة ٥٩٣هـ[٥]. ومسعود بن شجاع بن محمد الأموي[٦].

---

(١) الأعلاق الخطيرة: ج١، ق١، ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ق١، ص١١٠-١١١.

(٣) الأعلاق الخطيرة: ج١، ص١، ص١١١.

(٤) الفوائد البهية: ص١٠٢.

(٥) المصدر نفسه، ص١٨١.

(٦) المصدر نفسه، ص١٧٠، وفيه ذكر أن الأبيض محمد بن يوسف تفقه على مسعود ابن شجاع الأموي المعروف ببرهان الدين.

٢ **المدرسة المجاهدية**: وتقع بالقرب من باب الخواصين، وتنسب إلى الأمير مجاهد الدين أبي الفوارس بزان بن يامين بن علي بن محمد الحلالي الكردي، في دولة نور الدين صاحب صرخد[(١)]، المتوفى سنة ٥٥٥هـ، وهو من ذوي الوجاهة في الدولة من مقدمي الجيش.

وأول من درّس بهذه المدرسة قطب الدين النيسابوري سنة ٥٤٠، ثمّ وليها بعده الفقيه أبو الفتح نصرالله المصيصي وتوفي بها سنة ٥٤٢هـ، ثم عادت المدرسة إلى قطب الدين النيسابوري عند عودته من بلاد خراسان المرة الثانية[(٢)].

٣ **المدرسة النورية**: وتقع بخط الخواصين، أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر في سنة ٥٤٤هـ، في حلب، ولِيّ التدريس فيها قطب الدين مسعود بن محمد النيسابوري الطريثيثي مصنف كتاب «الهادي» في الفقه، والتزم فيه أن لا يأتي إلّا بالقول الذي عليه الفتيا[(٣)].

٤ **المدرسة الأسدية**: وتقع بالرحبة في حلب، أنشأها أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان، وهي للطائفتين الحنفية والشافعية، وقد درّس بها قطب الدين النيسابوري[(٤)].

---

(١) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال جمشق وهي قلعة حصينة، معجم البلدان: ج٣، ص٤٠١.

(٢) الدارس: ج١، ص٤٥٣-٤٥٤، الأعلاق الخطيرة: ج١، ق١، ص١٠٠، وفيات الأعيان: ج٢، ص٨٣، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٩٧، مرآة الجنان: ج٣، ص٤١٣، البداية والنهاية: ج١٢، ص٣١٢-٣١٣.

(٣) الأعلاق الخطيرة: ج١، ق١، ص١٠٠، الدارس: ج١، ص٦٠٦-٦٠٧، وفيه أنشأها الملك العادل سنة ٥٦٣هـ.

(٤) الأعلاق الخطيرة: ج١، ق١، ص١٠٣، الدارس: ج١، ص١٥٢، وفيه ذكر أنها =

● **مدارس مصر:**

★ **وقد درّس بها جملة من علماء خراسان منهم:**

١ • **صدر الدين شيخ الشيوخ أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن علي الجويني برع في مذهب الشفعي**، وكان قد تتلمذ على قطب الدين النيسابوري، وزوجه بابنته فأولدها الأخوة الأمراء الأربعة، ثمّ وليّ بمصر التدريس بمدرسة الشافعي، ومشهد الحسين، وقد أجاز له أبو الوقت السجزي(١).

٢ • **شباب الدين أبو الفتح محمد بن محمود الطوسي**، نزيل مصر وشيخ الشافعية بها. دخل بغداد سنة ٥٦٩هـ، وقيل لمّا دخل بغداد ركب بالسنجق والسيوف المسلّلة والغاشية المرفوعة والطوق في عنق البلغة فمنع من ذلك(٢).

فسار إلى مصر ودرّس بمنازل الغز، وأفتى ووعظ، وصنف وتخرج به الأصحاب وكانت وفاته سنة ٥٦٩هـ، وكان يوماً مشهوداً ركب فيه الملك العادل وكبراء الدولة وخرج أهل مصر والقاهرة جميعاً مشيعين نعشه إلى حيث دفن في القرافة(٣).

وكان الشيخ بهاء الدين علي بن هبة الله خطيب القاهرة معيداً لشهاب الدين الطوسي بمنازل الغز وتوفي سنة ٦٤٩هـ(٤).

٣ • **الفقيه نجم الدين محمد بن الموفق الصوفي الزاهد الشافعي الخبوشاني**(٥)، المتوفى سنة ٥٨٧هـ، تفقه بنيسابور على محمد

= تقع بالشرق القبلي ظاهر دمشق، مطلة على الميدان الأخضر.

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٨، ص٩٦-٩٧، شذرات الذهب: ج٥، ص٧٧.

(٢) (٣) الذيل على الروضتين: ص١٨-١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٨٧.

(٥) الخبوشاني: نسبة إلى خبوشان بليدة بنواحي نيسابور. الأنساب: ج٥، ص٤٣.

ابن يحيى مدرّس نظامية نيسابور، وقيل انه كان يستحضر كتاب «المحيط» ويحفظه، قدم مصر سنة ٥٦٥هـ، فأقام بمسجد القاهرة، وكان صلاح الدين الأيوبي يعظمه، فقيل هو الذي أشار عليه بعماة المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي فلّما عمّرها فوض تدريسها إليه[١].

ثمّ أنه درّس بالمدرسة الصلاحية التي بناها صلاح الدين بجوار الإمام الشافعي سنة ٥٧٢هـ، وعين للتدريس والنظر بها الشيخ نجم الدين الخبوشاني، **وشرط له، أو لمن يشغل هذا المنصب من بعده الأجر التالي**:

- (٤٠) ديناراً في كل شهر عن التدريس
- (١٠) دنانير لأجل النظر في أوقاف المدرسة
- (٦٠) رطلاً مصرياً من الخبز في كل يوم
- راويتين من ماء النيل في كل يوم

قال السيوطي: وقد استمرت المدرسة بيد الخبوشاني إلى أن مات سنة ٥٨٧هـ[٢].

من تصانيفه كتاب «تحقيق الحيط» في ستة عشر مجلداً، وقد أوقفه على المدرسة المجاورة لضريح الشافعي[٣]، وحدث بالقاهرة عن أبي الأسعد هبة الرحمن القشيري النيسابوري.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى:ج٧، ص١٤، العبر: ج٤، ص٢٦٢-٢٦٣، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٤٩٣-٤٩٤.

(٢) حسن المحاضرة: ج٢، ص١٥٧.

(٣) العبر: ج٤، ص٢٦٢-٢٦٣، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٤، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٤٩٣، شذرات الذهب: ج٤، ص٢٨٨.

■ وقد درّس علماء خراسان في مدارس عديدة في بلدان متعددة، غير أن المصادر قد ضنت علينا **بأسماء المدارس التي درّسوا بها واكتفت بالإشارة إلى البلدان التي درّسوا بها وهي:**

❶ مكة: وقد تولّى التدريس بها من علماء خراسان في القرن السادس الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد بن علي النيسابوري الأكاف المتوفى سنة ٥٤٩هـ.

كان من تلامذة الأستاذ أبي نصر القشيري، رحل إلى مكة وصحب بها الشيخ عبد الملك الطبري، ودرّس كتاب «مختصر» أبي محمد الجويني، مكة، وعلق عنه جماعة بها. قدم بغداد متوجهاً وعائداً وتكلم في المسائل الخلافية، وأحسن الكلام فيها، ورجع إلى نيسابور(١).

● **المناصب الدينية:**

تقلّد علماء خراسان الرحالة مناصب دينية مهمة في البلدان التي رحلوا إليها، وكذلك قلّد العلماء الوافدون على خراسان مثل هذه المناصب كالإمامة والخطابة في المساجد، وتولي مشيخة الربط.

■ **بعض المساجد التي تولى إمامتها علماء خراسان على سبيل المثال لا الحصر:**

١ • **الحرم الشريف:** تولّى إمامته الشيخ الأجل أبو عبدالله، وقيل أبو الفتح محمد بن عبدالله الهروي الاشكيذباني المتوفى سنة ٥٩٠هـ، نزل مكة فكان عظيم الحنابلة بها وأَمَّ الناس بالحرم الشريف في موضع الحنابلة سنين، وقد حدث بمكة، وسمع منه بها ناصح الدين ابن الحنبلي، كما سمع منه والد زكي الدين المنذري(٢).

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٥١-١٥٢.

(٢) المختصر المحتاج إليه: ج١، ص٦٠-٦١، ذيل طبقات الحنابلة: ج١، ص٣٨١- =

كما تولى مشيخة الحرم المكي أبو الوفاء محمد بن عبدالله الطوسي المعروف بالمقدسي المتوفى سنة ٥١٦هـ[(١)].

٢ • **مسجد المواريث بالإسكندرية**: تولّى إمامته أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشلانجردي المتوفى سنة ٥٣٣هـ[(٢)].

٣ • **مسجد راعوم**: يقع هذا المسجد ببلخ وقد فوضت إمامته إلى أبي الحجاج يوسف ابن محمد بن فارو الأشكربي الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٨هـ ولد بأشكرب مدينة بشرقي الأندلس ونشأ بجيان، ورد نيسابور وهراة وسمع الحديث، وسكن في آخر عمره ببلخ وفوضت إليه إمامة مسجد راعوم، قال أبو سعد: «سمع بقراءتي الكثير وسمعت بقراءته أيضاً، وكتب عني وكتبت عنه»[(٣)].

وكان أبو شجاع عمر بن محمد البسطامي البلخي المتوفى سنة ٥٦٢هـ قد تولى إمامة هذا المسجد، وقد رحل إليه أبو سعد السمعاني وزاره ببلخ سنة ٥٤٦هـ، وكانت له خزانة كتب قال أبو سعد: «رأيت في الخزانة التي وضعها شيخنا الإمام أبو شجاع عمر بن أبي الحسن البسطامي كطتب «المعجم». لشيوخ أبي محمد عبد العزيز التخشبي الحافظ فاستحسنه..»[(٤)] غير أن أبا سعد لم يحدد موضع هذه الخزانة، وربما كانت تقع في هذا المسجد الذي تولى أبو شجاع البسطامي إمامته.

= ٣٨٢، التكملة لوفيات النقلة: ج١، ص٣٩٥، شذرات الذهب: ج٤، ص٣٠٤-٣٠٥.

(١) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ١٩أ.

(٢) المصدر نفسه، م١٣ ق٢: الورقة/ ١٩٦أ.

(٣) الأنساب: ج١، ص٢٧٠، الأنساب: ج٣، ص٤٥٠، معجم البلدان: ج١، ص٢٨١ وفيه ذكر كنيته أبو العباس، وذكر وفاته سنة ٥١٨هـ.

(٤) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢ب.

★ **الربط التي تولى علماء خراسان مشيختها والإشراف على أمورها فهي:**

١ • **رباط الخلاطية:** من ربط بغداد وقد سلم الخليفة الناصر لدين الله العباسي إلى بهاء الدين أحمد بن أبي الفضائل الميهني رباط الخلاطية وأوقافه ثقة منه من غير مشرف ولا عمل حساب فأقام مدة يقصده الناس من البلاد وأطراف بغداد وأرباب البيوت والفقهاء والفقراء والأعيان فما رد قاصداً ولا منع سائلاً توفي سنة ٦١٤هـ(١).

٢ • **رباط البسطامي:** من ربط بغداد المشهورة، وقد تولى خدمة هذا الرباط أبو الفضائل لعبد المنعم بن محمد الميهني المقرئ المتوفى سنة ٥٩٥هـ(٢).

٣ • **رباط الزوزني:** من ربط بغداد المعروفة ويقع مقابل جامع المنصور(٣) وينسب إلى أبي الحسن علي بن محمود بن إبراهيم ابن ماخرة الزوزني(٤)، الصوفي سكن بغداد وكتب عنه الخطيب البغدادي وتوفي ببغداد سنة ٤٥١هـ، ودفن بباب الرباط(٥)، وتولى مشيخة هذا الرباط من بعده أبناؤه وأحفاده منهم: أبو بكر محمد بن علي الزوزني(٦)، وأبو سعد أحمد بن محمد بن علي بن محمود الزوزني، كتب عنه أبو سعد السمعاني وقال:

---

(١) الذيل على الروضتين: ص١٠٣.

(٢) المختصر المحتاج إليه: ج٣، ص٨٩.

(٣) الأنساب: ج٦، ص٣٤٤.

(٤) الزوزني: نسبة إلى زوزن وهي بلدة كبيرة حسنة بين هراة ونيسابور وقيل هي البصرة الصغرى لكثرة فضلائها وعلمائها وقيل أن إمارتها تعادل إمارة مدينة كبيرة بخراسان.

(٥) (٦) الأنساب: ج٦، ص٣٤٤.

«كان أكثر سماعاته بقراءة جدي الإمام أبي المظفر السمعاني»[١].

أبو البركات إسماعيل بن أبي سعد أحمد بن محمد النيسابوري، شيخ الشيوخ ببغداذ تولى مشيخة هذا الرباط. قرأ عليه أبو سعد السمعاني وكان نازلاً عنده في رباطه وقال «كتبت عنه وكان سماعه عن الشيوخ بقراءة والدي (ﷺ)..»[٢]، وقد روى عنه أبناه عبد الرحيم، وعبد اللطيف، وطائفة[٣].

ثم تولى مشيخة هذا الرباط ابنه صدر الدين عبد الرحيم ومن بعده أخوه أبو الحسن عبد اللطيف شيخ الشيوخ ببغداد ونظر في أوقافه[٤].

٤ • **رباط السميساطي**: وقد ينسب هذا الرباط إلى أبي القاسم علي ابن محمد السميساطي السلمي المعروف بالحميش وقيل الحبيش، توفي سنة ٤٥٣هـ ودفن في داره بباب الناطفانيين وكان قد وقفها على فقهاء المسلمين والصوفية ووقف علوها على الجامع. قال ابن عساكر داره بدمشق ملاصقة للجامع التي هي دار الصوفية[٥].

وقد عمّر هذا الخانقاه من شيوخ خراسان أبو المظفر سعيد بن محمد النيسابوري المتوفى سنة ٥٦٠هـ، وذلك حينما قدم الشام بعد سنة ٥٣٣هـ[٦].

---

(١) المصدر السابق، ج٦، ص٣٤٤، مرآة الزمان: ج٨، ق١، ص١٨٠-١٨١، تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢١٩أ.

(٢) الأنساب: ج٦، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٣) تاريخ الإسلام: م١٣، ق٢: ق٢: الورقة/ ٢٥٨أ.

(٤) الجامع المختصر: ج٩، ص٣٧.

(٥) معجم البلدان: ج٣، ص٢٥٨.

(٦) العبر: ج٤، ص١٧٠، تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ص٣، ص٤٩٦-٤٩٧.

وقد أوقف أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود المسعودي البنجديهي من أهل بنج ديه[١]، أوقف على هذا الخانقاه الكتب التي حصلها من خزانة حلب والتي أباح له السلطان صلاح الدين أن يأخذ منها ما يشاء[٢].

٥ • **رباط الأرجوانية:** من ربط بغداد، تولى مشيخة هذا الرباط أبو الفضل أحمد بن اسفنديار بن الموفق البوشنجي الواعظ، وكان متواضعاً متكلماً منطقياً، جيد الوعظ، طيب الإنشاء عذب الإيراد، حسن النظم[٣].

• **المناصب السياسية:**

وقد عهد إلى علماء خراسان الرحالة والعلماء الوافدين عليها القيام بمهام سياسية مثل الترسل بين الخليفة وأمراء الأطراف، وذلك نظراً لمكانتهم العلمية الكبيرة، **نذكر جملة من هؤلاء العلماء الذين قاموا بمهمة الترسل:**

١ • **القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي البشكاني**[٤].

كان في ابتداء أمره من النازلين في الدرجة مختلفاً إلى الدروس للارتفاق بالجراية والنفقة متكسباً بالوراقة وتزجية الوقت في ضيق من المعيشة، وكان ذا حظ من العربية ومعرفة بشيء من الأصول وخط حسن سافر وتحمل المشاق إلى أن اتصل بخدمة دار

---

(١) بنج ديه: معناه بالفارسية الخمس قرى، وهي خمس قرى متقاربة من نواحي مرو الروذ. معجم البلدان: ج١، ص٧٤٣.

(٢) إرشاد الأريب: ج٧، ص٢٠، أنباء الرواة: ج٣، ص١٦٦-١٦٥ بغية الوعاة: ص٦٦-٦٧.

(٣) البداية والنهاية: ج١٣، ص١٥٨.

(٤) البشكاني: نسبة إلى بشكان قرية من قرة هراة، الأنساب: ج٢، ص٢٤٩.

الخلافة العباسية وأقام بها مدة من الزمان حتى عرف بالكفاية ثم صار رسولاً في تلك الحضرة إلى ملوك الأطراف بخراسان والشام ومصر وأعد أنواع الأهب والخدم والحشم وتولى قضاء الممالك ولم يزل في الذهاب والإياب والسفارة بين السلاطين إلى أن قتل شهيداً حينما كان قافلاً من ناحية خراسان بجواب السلطان سنجر عما صدر على يده، فدخل جامع همذان فوثب عليه قوم من الباطنية فقتلوه وذلك سنة ٥١٨هـ(١).

٢ • **أبو حفص عمر بن أبي بكر بن عمر الحكاك الجوهري البغدادي** من أهل الظفرية، كانت له معرفة بالجواهر والخرز والأحجار وسافر بها إلى البلاد في طلب الكسب، وقد صاحب قاضي القضاة محمد بن جعفر العباسي وقد أنفذه رسولاً إلى نيسابور وذلك سنة ٥٧٥هـ فسمع بقراءاته على أبي المعالي عبد المنعم ابن عبدالله بن محمد بن الفضل الفراوي، وكتب عنه ابن النجار شيئاً بمنزله بقراءته على أبي المعالي(٢).

٣ • **شيخ الشيوخ، صدر الدين عمر بن محمد بن علي بن محمد بن حمويه الجويني الصوفي**، عظم جاهه بالدولة الكاملية بمصر وسيره الكامل رسولاً إلى الخليفة يستنجده على الفرنج في نوبة دمياط فمرض بالموصل ومات سنة ٦١٧هـ(٣).

٤ • **أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك** المؤذن النيسابوري المتوفى سنة ٥٤٧هـ قدم بغداد رسولاً من صاحب

---

(١) الأنساب: ج٢، ص٢٤٩، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١١٢-١١٣، عيون التواريخ، ج٢: الورقة/ ٦٢ب.

(٢) التاريخ المجدد لمدينة السلام: الورقة/ ٩٤أ.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ج٨، ص٩٧.

كرمان في سنة ٥٤٦هـ، وكان قد قدم رسولاً إلى السلطان سنة ٥٤٤هـ[(١)].

٥ • **صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل النيسابوري ثم** البغدادي المتوفى سنة ٥٨٠هـ كان أوحد زمانه قد جمع رئاسة الدين والدنيا، وكان ملجأ كل خائف كريماً حليماً، له مناقب كثيرة، سار من ديوان الخلافة رسولاً إلى صلاح الدين ومعه شهاب الدين بشير الخادم في معنى الصلح بين صلاح الدين، وعز الدين صاحب الموصل فوصل إلى دمشق وصلاح الدين يومئذ على الكرك فأقاما إلى أن عاد فلم يستقر الصلح فمرضا وطلبا العودة إلى العراق فأشار معاوني صلاح الدين بالمقام إلى أن يصطلحا فلم يفعلا وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين بالرحبة سنة ٥٨٠هـ. وقد رثاه ابن المنجم المصري فقال:

يا أخلّائي وَحَقِّكُمُ ما بَقِي من بعدكُمْ فَرَحُ
أيُّ صدرٍ في الزمانِ لنا بَعدَ صدرِ الدِّين يَنْشَرِحُ[(٢)]

٦ • **فخر الدين أبو المظفر يوسف بن شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد ابن أبي الفتح الجويني** ثم المصري الأمير، أصله من بحيراباذ من رستاق جوين من أعمال نيسابور انتقل إلى مصر وسكنها وصار شيخ الشيوخ بها وأعقب أولاداً، وكان فخر الدين في خدمة الكامل بن العادل وأنفذه رسولاً إلى بغداد في أيام الناصر لدين الله العباسي وكان يلبس العمامة ثم خلع عليه القباء والقلنسوة في دار الخلافة وأعطي الكوسات والإعلام وقيل له ما تصلح أن تكون

---

(١) المنتظم: م١٠، ص١٤٩.

(٢) العسجد المسبوك: ص٢٢-٢٣، النجوم الزاهرة: ج٦، ص٩٧.

إلّا أميراً، وكانت له غزوات مع الفرنج، واستشهد بالمنصورة سنة ٦٤٧هـ[١].

● **الرحلة إلى خراسان في طلب العلم:**

يتبين لنا من طبيعة العلاقات الفكرية والثقافية بين خراسان والعالم الإسلامي أن البيئة العلمية في خراسان لم تكن في عزلة عن البيئات العلمية في العالم الإسلامي آنذاك، كما أنها لم تتباين عن نظائرها من البيئات العلمية القائمة يومئذ في العراق، وبلاد الشام، والحجاز، ومصر، والأندلس، حتى أن خراسان كانت تنافس بغداد في العلوم الإسلامية والعربية، وكانت اللغة العربية هي السائدة فيها، كما أنها كانت أهم وسيلة في تقارب هذه البيئات العلمية، ولو لم تكن بيئة خراسان عربية لما رحل إليها من جميع البلدان الإسلامية الدانية والقاصية أعلام معروفون فقد رحل إليها الأدباء والشعراء واللغويين والنحاة وغيرهم، وقد مدح الشعراء غير واحد من حكام خراسان، **وسوف نذكر طائفة من الأدباء الذين وردوا خراسان فيما يأتي:**

١ ● **أبو إسحق إبراهيم بن عثمان الكلبي ثم الأشهبي الأديب** المعروف بالغزّي المتوفى سنة ٥٢٤هـ، ذكر ابن عساكر انه رحل إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية عدة سنين ومدح ورثى غير واحد من المدرسين، ورحل إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها وانتشر شعره هناك، وذكر العماد الأصبهاني انه مدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية، **وقد قصد التجنيس في أولها ومطلعها:**

وُرُود ركايا الدمع يكفي الركائبا وشَمُّ تراب الربع يَشْفي الترائبا

(١) تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ص٣، ص٤٥٣.

إذا شِمتَ من برق لعقيق عقيقةً فلا تنجع دون الجفون سحائبا
منازل أُنسٍ من ربائبِ مازنٍ ألثَّ ربابُ المزن فيهنّ ساكبا[1]

وذكره أبو سعد في ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، فقال: أحد فضلاء الدهر، ومن يضرب به المثل في صنعة الشعر، كان ضنيناً بشعره ما كان يملي منه إلّا القليل، ورد علينا مرو، وكان نازلاً في المدرسة النظامية بها إلى أن اتفق له الخروج من مرة إلى بلخ فباع قريباً من عشرة أرطال من مسودات شعره بخطه من بعض القلانسبين ليفسدها فحضر بعض أصدقائي وزاد على ما اشتراه شيئاً وحملها في الحال إليّ فطالعتها فرأيت شعراً دهشت من حسنه، وجودة صنعته، فبيضت من شعره أكثر من خمسة آلاف بيت وبقي منه شيء كثير، وبقية شعره الذي كان معه اشتراه بعض اليمنيين، واحترق ببلخ مع كُتَيّبات له[2].

٢ • **أبو بكر محمد بن عتيق بن نجم بن أحمد السوارقي البكري** المتوفى سنة ٥٣٨هـ بطوس من أهل السوارقية قرية بين مكة والمدينة، قال فيه العماد الأصبهاني: «له في ابتكار المعاني ذكاء خاطر وفكر، وكلامه بطائر البلاغة والبراعة..»[3] وذكر أبو سعد السمعاني أنه لقيه بمرو وكان ينشد قصيدة له رائية في محمود بن أبي توبة الوزير السلجوقي، وقال: ثم لقيته بنيسابور، ثم بنوقان طوس، وصارت بيني وبينه صداقة أكيدة ومودة واختلاط وانشراح **ومن مليح شعره قوله**[4]:

---

(١) الجريدة/ قسم شعراء الشام: ج١، ص١١.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣١-٣٣، العبر: ج٤، ص٥٥، مرآة الجنان: ج٣، ص٢٣١.
(٣) الجريدة/ قسم شعراء الشام: ج٣، ص٢٦-٢٨.
(٤) الأنساب: الورقة/ ٣١٦أ.

عَلَى يَعْمَلاتٍ كالحَنايا ضَوامِرٍ إذا ما أُنيخت فاكُلالُ عِقالُها

وكان أبو نصر الخطيبي يقول في هذا البيت: ما قيل في معناه أحسن منه[1].

وقال أبو سعد: وأنشدني أبو الحسن علي بن محمد البروجردي أملاءً بأبيورد، أنشدني الشريف أبو بكر البطري لنفسه بنوقان قوله[2]:

أيا ساكِني نجدٍ سلام عليكمُ وإن كنتُ لا أرجو إياباً إليكمُ
وإنْ كان جِسمي في خُراسان ثاوياً فقلبي بنجدٍ لا يزال لَدَيْكمُ

٣ • **أبو العباس الخضر بن مروان بن أحمد الثعلبي التّوماني**، كان عالماً بالنحو، مقرئاً، أديباً، حسن الشعر كثير المحفوظ، قرأ اللغة على ابن الجواليقي وكان يحفظ كتاب «المجمل» وشعر الهذليين، وأخبار الأصمعي، وشعر رؤية بن العجاج وذي الرّمة، سافر إلى خراسان سنة ٥٤٤هـ، ودخل سرخس ومرو ثم بلخ وأقام بنيسابور، **ومن شعره قوله**[3]:

أنت في غَمْرَةِ النعيمِ تعومُ لستَ تدري بأن ذا لا يدومُ
كم رأينا من الملوكِ قديماً همدوا فالعظام منهم رَميمُ
ما رأينا الزمانَ أبقى على شخـ ـصٍ شقاءً فهل يدومُ النعيمُ
والغنى عند أهله مُسْتَعارٌ فحميدٌ منهمْ بهِ وذَميمُ

٤ • **أبو المعالي محمد بن هياج بن مبادر بن علي الأثاربي الأنصاري** المتوفى بهراة سنة ٥٤٧هـ. سافر الكثير، ودخل ديار مصر

---

(١) الجريدة/ قسم الشام: ج٣، ص٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨.
(٣) أنباه الرواة: ج١، ص٣٥٦-٣٥٧، بغية الوعاة: ٢٤١.

والعراق والسواحل ودخل خراسان، ووصل إلى أقصى بلاد الهند، قال أبو سعد: «لقيته ببغداد أولاً، ثم بنيسابور، ثم بمرو، وهراة، وبلخ، وكتبت عنه أقطاعاً من الشعر،.. **وأنشدني محمد بن هياج الأثارجي ببلخ**»:

عَكَفتْ على البُرحاءِ مَن أشجانها ... فطوى عناق الشوق في كتمانِها
نَفْسٌ على مضضِ السقام شحيحةٌ ... من شأنِها أن لا تبوح بشأنِها(١)

- ٥ **الأديب أبو الحسن علي بن حسكويه بن إبراهيم المراغي**، المتوفى بمرو سنة ٥١٦هـ برع في الفقه، وكان عارفاً باللغة والشعر، سكن مرو إلى حين وفاته، **ومن شعره**:

رَجائي عَنَّاني وَروَّحِني اليأسُ ... ومالِمُعنَّى القلب كاليأسِ إيناسُ
فكلُّ طوعٍ مُستهانٌ رجائِه ... وذو اليأس في رَوْضِ القناعة مَيَّاسُ
الأكلُّ عزٍّ نِيلَ بالذُّلِّ ذِلّةٌ ... وكلُّ ثراءٍ حِيز بالهُونِ إفْلاسُ

وكان السبب في قوله هذه الأبيات انه حضر دار الوزير فلم يتمكن من الدخول، فالتزم أن لا يدخل بعدها إلى أحد من العسكر(٢).

- ٦ **أبو علي محمد بن عبدالله بن أبي صالح البسطامي** المعروف بإمام بغداد المتوفى ببلخ سنة ٥٤٨هـ. رحل إلى خراسان واستوطنها وكان فقيهاً مناظراً شاعراً مجوداً **ومن شعره**:

إذا كنت في دار القناعةِ ثاوياً ... فذلك كنزٌ في يديك عتيدُ

---

(١) الأنساب: ج١، ص١١١-١١٢، والأثاربي نسبة إلى أثارب، وهي قلعة حصينة بين حلب وإنطاكية.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢١٣-٢١٤.

وان سـألُ الآتـي بـمـا تُـريـدُه فـذلـك هـمٌّ لا يـزال يَـزيـدُ(١)

كما أنه تدفق على خراسان طلاب العلم والمعرفة والعلماء والفقهاء من بلاد ما وراء النهر وإقليم الجبال، وأذربيجان، وفارس، والعراق، والحجاز، وبلاد الشام، ومصر والمغرب، والأندلس، يدرسون على علمائها العلوم الإسلاميّة، وعلوم العربية إضافة إلى العلوم العقلية، وقد تلقوا هذه العلوم عن علماءِ خراسان حيث التقوا بهم في المدن والقرى النائية، والمحلات، والسكك، والأبواب، والمدارس، والمساجد والربط وخزائن الكتب، وفي دور العلماء، وتخرجوا بعلماء خراسان، وأصبحت لهم مكانة علمية مرموقة ثم أعادوا إلى بلادهم، ونالوا المناصب العلمية الرفيعة فيها، وقد عكف العلماء الواردون على خراسان على دراسة المؤلفات المتداولة هناك، وحصلوا على الكتب والإجراء، وعادوا بها إلى بلدانهم، وحدثوا بها عن علماء خراسان إمّا سماعاً، أو قراءة أو إجازة، نذكر من ذلك أن أبا القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر مؤرخ دمشق رحل إلى خراسان سنة ٥٢٩هـ، وبقي بها نحو أربع سنين، وسمع بنيسابور، ومرو، وميهمنة، وبيهق، وخسروجرد، وهراة وسرخس، ونوقان، وكان قد سمع كتباً كثيرة لم يحصل منها على نسخ، ذلك لأنه اعتمد على رفيقه الحافظ أبي علي ابن الوزير الدمشقي أن يقدم بالكتب التي سمعها بخراسان مثل: «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» وكتب أبي بكر البيهقي، وعوالي الأجزاء، فاتفقت سكناه بمرو وإقامته بها، ثم أنه كان يؤمل وصول رفيق آخر له، وهو يوسف بن فارو الحياتي الأندلسي الذي كان في رحلة إلى خراسان. فلم يقدم أحد منهما إلى دمشق، فكان الحافظ ابن عساكر يقول متحسراً، رحلت وما كأني

(١) المصدر السابق، ج٦، ص١٢٢-١٢٣.

رحلت، وحصلت وما كأني حصّلت.. فلا بدّ من الرحلة ثالثاً وتحصيل الكتب الكبار والمهمّات من الأجزاء والعوالي[١].

فلم يمض إلّا أيام يسيرة حتى جاء أبو الحسن المرادي أحد أصحابه، وقدم بأربعة أسفاط مملوءة من الكتب المسموعات، **فقال ولده الحافظ أبو محمد القاسم:**

«ففرح أبي بذلك فرحاً شديداً، وشكر الله سبحانه على ما يسّره له من وصول مسموعاته إليه من غير تعب وكفاه مؤونة السفر، وأقبل على تلك الكتب فنسخ واستنسخ حتى أتى مقصوده منها وكان كلّما حصل على جزء منها كأنه حصل على ملك الدنيا»[٢].

وقال الأسنوي: «ورجع بسماعات عزيزة وكتب عظيمة لم يدخل الشام قبله منها: «مسند» الإمام أحمد و«مسند» أبي يحلى الموصلي»[٣].

- **تراجم جملة من الفقهاء وطلاب العلم، والعلماء الذين وردوا خراسان من مختلف البلاد الإسلامية مما يظهر بجلاء أهمية البيئة العلمية في إقليم خراسان وتأثيرها في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً فمن هؤلاء:**

١ • **أبو علي الحسن بن علي بن الحسن.. البطليوسي الأندلسي** المتوفى بنيسابور سنة ٥٤٨هـ، كان فقيهاً متكلماً حريصاً على طلب الحديث، ورد مرو سنة ٥٢٠هـ، وأقام بها مدة ثمّ خرج إلى نيسابور وسمع بها من جماعة منهم أبو نصر الأرغياني، وعمر بن أحمد الصفار وأبو نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم القشيري، وأبو القاسم سهل بن إبراهيم المسجدي وأبو عبدالله

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢١٩-٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص٢٢٠.

(٣) طبقات الشافعية للأسنوي: ج٢، ص٢١٦.

أحمد بن محمد الميداني الأديب وطبقتهم، وقال أبو سعد: «سمعت منه أحاديث يسيرة وسمع بقراءتي من الشيوخ وسمعت بقراءته أيضاً»[(١)].

٢ • **أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي.. الكلبي** المتوفى سنة ٦٣٣هـ وهو من أهل ميورقة من بلاد الأندلس، ذكر ابن النجار أنه قدم بغداد مرات، وأملى من حفظه، وكتب عنه، وذكر أنه سمع من أبي الفرج ابن الجوزي، وسمع بأصبهان، ودخل خراسان فسمع بنيسابور من أبي سعد ابن الصفار، ومنصور ابن الفراوي، وعبد الرحيم الشّعري ومن المؤيد الطوسي، وسمع بمرو أيضاً. وحصل الكتب والأصول[(٢)].

٣ • **العلّامة أبو عبدالله محمد بن عبدالله المرسي شرف الدين النحوي الأديب** المتوفى سنة ٦٥٥هـ، ذكر ياقوت الحموي بأنه كان أحد أدباء عصره وممن أخذ من النحو والشعر بأوفر نصيب وتكلم على المفصل للزمخشري، وأخذ عليه عدة مواضع قيل إنها سبعون موضعاً أقام على خطئها البرهان، وله عدة تصانيف، رحل إلى خراسان ووصل إلى مرو ولقيي المشايخ، سمع بنيسابور «صحيح مسلم» من المؤيد الطوسي، وجزء ابن نجيد السّلمي من منصور بن عبد المنعم الفراوي، وزينب الشعريّة، وبهراة من ابن روح الهروي، ثم قدم بغداد، وأقام بحلب ودمشق ثم عاد إلى المدينة فأقام على الإقراء ثم انتقل إلى مصر[(٣)].

---

(١) الأنساب: ج٢، ص٢٥٩-٢٦٠، والبطليوسي: هذه النسبة إلى بطليوس من مدن الأندلس من بلاد المغرب.

(٢) التاريخ المجدد لمدينة السلام: الورقة/ ٩٧ب.

(٣) بغية الوعاة: ص٦٠-٦١.

٤ • **أبو موسى عمران بن علي بن الحسين بن أبي القاسم بن عبد الملك الفاسي** المتوفى سنة ٥٤٧هـ من بلدة فاس بالمغرب، كان حافظاً للقرآن، تفقه على مذهب الإمام مالك وكان جوالاً في الآفاق دخل ديار مصر والشام والحجاز والسواحل وبلاد اليمن وكور الأهواز وفارس وكرمان وخراسان وما وراء النهر مع العمى وكبار السن، قال أبو سعد: لقيته ببلخ وكتبت عنه شيئاً يسيراً[1].

٥ • **أبو بكر محمد بن علي بن عبدالله بن ياسر الأنصاري الأندلسي،** تفقه بدمشق على نصرالله المصيصي «وأدب بها، قال ابن عساكر: «ثمّ زاملني إلى بغداد، وسمع من ابن الحصين، وبمرو من أبي منصور الكراعي، وبنيسابور من سهل المسجدي وطائفة ثم سكن في الآخر بلدة حلب، وكان ذا معرفة جيدة بالحديث»[2].

٦ • **الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد السلمي الغرناطي المعروف بابن خولة** مولده بغرناطة سنة ٥٥٣هـ، دخل بغداد سنة ٥٨٧هـ وسمع بها من جماعة ومنها رحلته إلى واسط والبصرة وطاف ببلاد فارس، وكرمان، والغور، وقطعة من بلاد الهند وبخاري، وسمرقند، وخوارزم، ورجع إلى خراسان، وسكن هراة، وامتدح الملوك وحصل مالاً، وكان فاضلاً متأدباً شاعراً. كتب عن جماعة في أسفاره، وحينما قدم هراة أخرج بقية مسند أبي يعلى وفيه سماع أبي روح من تميم الجرجاني، وكان

---

(١) الأنساب: الورقة/ ٤١٧أ.

(٢) العبر: ج٤، ص١٨٣، والمصيصة: مدينة في ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم معجم البلدان: ج٥، ص١٤٥.

لأبي روح فوت فيه فكمل له جميع المسند سماعاً من تميم الجرجاني بتلك المجلدة التي جلبها الغرناطي إلى هراة، وقتل بهراة في فتنة الكفار التتر سنة ٦١٨هـ(١).

٧ • **أبو الحسن علي بن سلمان بن أحمد بن سليمان المرادي الفرغليطي الأندلسي**، خرج من الأندلس سنة نيف و٥٢٠هـ، رحل إلى بغداد، ودخل خراسان، سكن نيسابور مدة يتفقه على محمد بن يحيى مدرس نظامية نيسابور، سمع الكثير من شيوخ خراسان مع أبي سعد السمعاني، وحصل كتب الإمام أبي بكر البيهقي نسخاً ووريقات، قال أبو سعد: خرجنا صحبة واحدة إلى نوقان طوس لسماع كتاب «التفسير» لأبي إسحق الثعالبي - وصادفته بنيسابور.. وخرج بعد ذلك إلى الحجاز عازماً على الانصراف إلى بلاده، قدم دمشق بعد سنة ٥٤٠هـ، وحدث بالصحيحين، وندب للتدريس بحماة فمضى إليها، ثم ندب للتدريس بحلب فدرّس بها المذهب في مدرسة ابن العجمي(٢).

٨ • **الشيخ جمال الدين أبو القاسم يحيى بن علي بن الفضل بن بركة ابن فضلان** المتوفى سنة ٥٩٥هـ، شيخ الشافعية ببغداد، تفقه أولاً على سعيد بن محمد الرزّاز مدرّس النظامية، ثمّ ارتحل إلى خراسان فأخذ عن الشيخ محمد الزبيدي تلميذ أبي حامد

(١) التقييد: الورقة/ ١٧٠ب، تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢ الورقة/ ٢٠٥أ-٢٠٥ب، تكملة إكمال الإكمال: ص٨٩-٩٠.

(٢) الأنساب: الورقة/ ٤٢٤ب، تاريخ الإسلام: ١٣ ق٢: الورقة/ ٢٩٠أ، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٢٤-٢٢٥، والفرغليطي: نسبة إلى فرغليط قرية من نواحي قرطبة من بلاد الأندلس.

الغزالي، وعاد إلى بغداد، وانتفع به الطلبة والفقهاء، وبنيت له مدرسة فدرّس بها وبعد صيته وكثرت تلاميذه[(١)].

٩ • **أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الحسن الدمشقي المعروف بابن الصوري** المتوفى سنة ٦٥٤هـ، سافر إلى خراسان، ودخل نيسابور فسمع بها من أبي الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي، وزينب بنت عبد الرحمن الشعرية، والإمام أبي بكر القاسم بن عبدالله بن عمر الصفار روى عنهم بدمشق ومصر[(٢)].

١٠ • **أبو نصر سعد الله بن أبي الفتح الطائي المنيجي** المتوفى سنة ٦٥٠هـ، سافر إلى خراسان وسمع من أبي روح عبد المعز بن محمد الهروي البزاز، وحدث عنه بدمشق[(٣)].

١١ • **أبو حفص عمر بن محمد العليمي الدمشقي**، كان حريصاً على طلب العلم رحل إلى العراق، وحرّان طالباً الحديث. قال أبو سعد السمعاني: لقيته أولاً بنيسابور في رحلتي الزابعة إليها، وأدركت مشايخه الذين رووا لنا عن موسى بن عمران، وأحمد ابن علي بن خلف، كتب عني، وعلقت عنه شيئاً يسيراً، ثم ورد مرو وكتب عني، وعلقت عنه شيئاً يسيراً.. وانصرف إلى بلاده..»[(٤)].

١٢ • **أبو القاسم واثق بن عبد الملك الطبري المدير الشبلي** المتوفى سنة ٥٢٠هـ، ولد ببغداد، وسمع من هبة الله بن الحصين، وكتب

---

(١) البداية والنهاية: ج١٣، ص٢١، الذيل على الروضتين: ١٥.

(٢) تكملة إكمال الإكمال: ص٢٤٨-٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٤) الأنساب: الورقة/٣٩٧ب.

بخطه الكثير، ورحل إلى خراسان، وسمع بطوس، ونيسابور وهراة، وسرخس، وبلخ، وأدركه أجله هناك[١].

١٣ • **أبو القاسم تميم بن أبي سعيد الجرجاني** المتوفى سنة ٥٣٠هـ، رحل إلى خراسان وسكن هراة، سمع بنيسابور «مسند» أبي سعد الكنجروذي، وسمع كتاب «التقاسيم والأنواع» لأبي حاتم بن حبان التميمي البستي النيسابوري، برواية علي ابن محمد البحاثي، وأصبح مسند هراة، سمع منه أبو روح عبد المعز بن محمد الهروي في سنة ٥٢٩هـ «مسند» أبي يعلى، ودرس عليه كتاب «التقاسيم والأنواع»، روى عنه ابن عساكر وغيره[٢].

وقد رحل إلى نيسابور من طلاب العلم والمعرفة خلق لا يمكن إحصاؤهم، ولا يسع المجال لنذكرهم هنا، وقد ذكرت عدد كبير منهم في ثنايا البحث.

ولعل أبرز ممن رحل إلى خراسان ياقوت بن عبدالله الحموي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦هـ رحل إلى خراسان وزار أغلب مدنها الكبيرة والصغيرة، والنواحي، والقرى المعروفة والمغمورة، والمحلات، والسكك، والمقابر، وغيرها، من المواضع، دوّن لنا معلومات مهمة عما شاهده من أحوال هذه المواضع والعمران الذي كان فيها من مساجد، ومدارس، وخزان الكتب، وقصور، وقنوات، وقناطر، وغير ذلك، ثم ذكر من انتسب إلى هذه المواضع من العلماء والأدباء، والأعيان، قديماً وحديثاً، وقد نصّ على أغلب المدن والقرى والمواضع التي زارها بخراسان في كتابه «معجم البلدان» الذي

(١) عيون التواريخ: ج٢: الورقة/٦٧ب.

(٢) التقييد: الورقة/١٧٠أ-١٧٠ب، تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/٢٠٥أ-٢٠٥ب.

شرع بتأليفه بمرو الشاهجان التي أقام بها أكثر من ثلاث سنوات، واستفاد من الكتب التي كانت تزخر بها خزائن الكتب، فقد قال في مقدمة كتابه معجم البلدان: كان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب أنني سئلت بمرو الشاهجان، في سنة خمس عشرة وستمائة في مجلس شيخنا الإمام السعيد الشهيد فخر الدين أبي المظفر عبد الرحيم.. السمعاني.. عن حباشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية، فقلت: أرى أنه حباشة، بضم الحاء قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة لأن الحباشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئاً، فانبرى لي رجل من المحدثين وقال: إنما هو حباشة، بالفتح، وصممّ على ذلك وكابر وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل إذ لا معوّل في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فأستعص كشفه في كتب غرائب الأحاديث، ودواوين اللغات، مع سعة الكتب التي كانت بمرو يومئذ وكثرت وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها: فلم أظفر به إلّا بعد انقضاء ذلك الشغب والمراء.. فكان موافقاً والحمد لله لمّا قلته»[١].

يتبين لنا أنه بدأ عمله في جمع المعلومات وكتابتها على الأوراق والجذاذات استعداداً لتصنيف الكتاب في سنة ٦١٥هـ بمرو الشاهجان، لأنه كما ذكرنا سئل عن لفظة، فعلم افتقار العالم إلى كتاب مضبوط، ذلك لأنه نفسه قد صرّح في كتابه «معجم البلدان» في معرض كلامه على خزائن الوقف بمرو الشاهجان فقال: «وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره ممّا جمعه فهو من

---

(١) معجم البلدان: ج١، ص١٠.

تلك الخزائن»[١].

وهذا يعني أنه قد استفاد من كتب هذه الخزائن، والخزائن الأخرى بخراسان في تدوين مؤلفاته التي غدّت مصادر مهمة مثل: معجم البلدان، ومعجم الأدباء، وغيرهما، ويعتبر ياقوت من أعاظم المسلمين الذين كتبوا في الجغرافية التاريخية.

وقد شهد بحقه روزنتال، وذكر ان لسترانج العالم الإنكليزي، مؤلف كتاب بغداد في عهد الخلافة العباسية، بقطع النظرعن مؤهلاته العلمية، يبدو قزماً إذا ما قيس بياقوت[٢].

---

(١) معجم البلدان: ج٤، ص٥٠٩.

(٢) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص١٩، تأليف الدكتور فرانتز روزنثال، ترجمة الدكتور أنيس فريحه، بيروت ١٩٦١م.

الفصل الثاني

المكاتبات والمراسلات

بين علماء خراسان والعالم الإسلامي

للمكاتبات والمراسلات أهمية كبيرة حيث تبين لنا الترابط الفكري والثقافي بين علماء وأدباء خراسان أنفسهم وبينهم وبين علماء وأدباء العالم الإسلامي يومئذ.

وقد جرت هذه المكاتبات والمراسلات بأسلوب عربي بليغ، وقد تكون هذه المكاتبات عبارة عن قصائد شعرية أو رسائل نثرية، وقد تكون حكماً بليغة.

- **أغراض المكاتبات والمراسلات منها:**

❶ تبادل الكتب:

من الطبيعي في مثل هذا العصر أن يتراسل الأدباء والعلماء والفضلاء وأن يتكاتبوا فيما بينهم وان يستعين الواحد منهم بالآخر فيما يعترضه من صعاب وأن يتبادلوا فيما بينهم الكتب واستعارتها.

فقد جرت من أجل ذلك مكاتبات بين الإمام أبي سعد السمعاني وبين مؤرخ دمشق الحافظ أبي القاسم المعروف بابن عساكر، صاحب أبي سعد ورفيقه في رحلته، أرسل إليه أبو سعد من مرو إلى دمشق كتابه **«فرط الغرام إلى ساكني الشام»**[1] كتبه بخطه في ثمانية أجزاء، وذلك

---

(١) تذكرة الحفاظ: ج٢، ص١٣١٧، كشف الظنون: ج٢، ع١٢٥٥، وفيه ذكر أن أبا =

سنة ٥٦٠هـ، وضمنه قطعة من الأحاديث المسانيد، وأودعه جملة من الأخبار والأناشيد، وذكر له حسن صحبته، ودّله على صحة محبته[(١)].

وكان **أبو القاسم الدمشقي** قد كتب إلى أبي سعد السمعاني من دمشق كتاباً يعاتبه على عدم إنفاذه كتاب «دلائل النبوة»[(٢)] لأبي بكر البيهقي، وغيره من الكتب، **ومن جملة ما كتب إليه هذه الأبيات**[(٣)]:

مـا خِـلْـتُ حـاجـاتـي إلـيـ ... ـك وإنْ نـأتْ داري مُـضـاعَـه

وأراكَ قــد أهــمــلــتــهــا ... واضَـعْـتَـهـا كـلَّ الإضـاعَـه

أنــســيــتَ ثــدي مــودّةٍ ... بَـيـنـي وبـيـنـك وارتـضَـاعَـه

ولـقـد عـهـدتُـك فـي الـوفـا ... أخـا تـمـيـمٍ لا قُـضـاعَـه

وأراكَ بــكــراً مــا تــخــا ... ف عـلـى الـصـداقـةِ والـبضَـاعَـه

وبشأن الكتب جرت سلسلة من المكاتبات بين رشيد الدين محمد بن محمد.. العمري البلخي المعروف بالوطواط[(٤)] المتوفى سنة ٥٧٣هـ، نزيل خوارزم، وبين الحكيم عين الزمان الإمام الحسن القطان المروزي الذي استنبط شجرتي الأخرب والأخرم[(٥)] لتسهيل استخراج أوزان الرباعي

= سعد أرسله إلى ابن عساكر في جملة ما أرسله من الكتب.

(١) تاريخ مدينة دمشق: م٧: الورقة/ ١٦٥أ النجوم الزاهرة: ج٥، ص٣٧٨.

(٢) كشف الظنون: ج١، ع٧٦٠.

(٣) الجريدة/ قسم شعراء الشام: ج١، ص٢٧٥-٢٧٦، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٢٢، ورد فيه اختلاف في بعض الألفاظ من البيت الأول والثالث، والخامس.

(٤) لقب به لضآلة جسمه وهزال بنيته. تاريخ الأدب في إيران: ص٤١٧.

(٥) الأخرم: من الشعر ما كان في صدره وَتِدْ مجموع الحركتين فخرم أحدهما وطرح الآخر كقول الشاعر:

إن امرأ قد عاش عشرين حِجَّةً ... إلى مثلها يرجو الخلود لجاهل =

التي تبلغ الأربعة والعشرين وزناً[١]. وقد جرت بينه وبين رشيد الدين الوطواط سلسلة من المكاتبات في موضوع نجمل ذكره فيما يأتي حينما أغار آتسز خوارزمشاه على مدينة مرو سنة ٥٣٦هـ، انتهز جماعة من الرعاع والأوباش هذه الفرصة واتفقوا مع جنود خوارزم شاه على نهب الأموال وقتل الرجال، وكان رشيد الدين في معسكر آتسز، وكانت تربطه بالإمام حسن القطان رابطة الصداقة وسابقة المعرفة فتوسل إليه الحسن القطان أن يحمل مكتبته إلى معسكر السلطان حتى يحفظ الكتب النفيسة التي بها من التلف والبور ولكن رشيد الدين لم يوفق إلى تحديد رجائه فوقعت في يد الرعاع فنهبوها وأتلفوها واتهم الحسن القطان رشيد الدين بأنه هو الذي أوعز بنهب كتبه، وأخذ يفحش له في القول ويكيل له الشتائم والسباب، فجرت بينهما من أجل ذلك جملة من المراسلات، كتب رشيد الدين أربع رسائل دفع فيها التهمة عن نفسه، **واليك بعض مما كتبه رشيد الدين الوطواط إلى الحسن القطان المروزي يقول فيه:**

ورد كتاب سيدنا أطال الله بقاءه في دولة مفترّة المباسم، ونعمة متجددة المراسم مشتملاً من الإيذاء والأفحاش على كلمات بل على ظلمات.. وكان قد لحقت في ذلك الوقت بعسكر خوارزم من طبقات الناس أوزاع وأخياق[٢].. همهم القتل والإغارة، ومنتهى أربهم الإحراق والإبارة.. أما أنا فالله تعالى يعلم وقد خاب من استشهد به باطلاً، أني ما فتحت للإغارة

= لسان العرب (مادة خرم).

والخرم هنا إسقاط الواو في أول البيت لأن أصله (وان أمرا..).

والأخرب: هو الأخرم وذلك لقب الميم باء كقولهم (خرم الإبرة) و(خرب الإبرة).

(١) المعجم في معايير أشعار العجم: تأليف شمس قيس الرازي: ص٩١، الحاشية التي كتبها العلاّمة محمد خان القزويني في تاريخ جهانكشاي: م٢، ص٥.

(٢) جماعات وأقوام مختلفون.

بابا، ولا نهبت كتاباً، بل ذهبت يوماً على مقتضى إشارته الكريمة لا حمل كتبه إلى العسكر. فلما دخلت داره الرفيعة ورأيت كتباً كثيرة فوق أن يحيط بها عدٌّ، أو يشتمل عليه حدٌّ. فقلت نقل هذه الكتب أمر مشكل وحمل هذه خطب معضل، فتركتها بحالها في أماكنها وخرجت كما دخلت خالي الحقائب فارغ الزكائب. فان كنت غضبت يوم وقعة مرو أو قبلها أو بعدها من كتبه أدام الله علوّه كتاباً أو جزءاً، أو رقاً... فأنا بريّ من الله وهو بريّ مني..»[1] ثم كتب إليّ الشيخ الإمام الحسن القطان كتاباً آخر قال فيه:

«قرع سمعي من أفواه الواردين وألسنة الطارئين على خوارزم أن سيدنا أدام الله فضله كلما يفرغ من مهمات نفسه، ووظائف درسه يقبل بمجامعة على أكل لحمي والأطناب في سبي وشتمي، وينسبني إلى الإغارة على كتبه، ويبالغ في هتك أستار الكرم وحجبه. أهذا يليق بالفضل والمروّة، ويحمل بالكرم والفتوة يفتري على أخيه المسلم مثل هذا الكذب. والله إذا نفخ في الصور يوم النشور.. لم يتعلق في ذلك المقام الهائل أحد بذيلي طالباً مني ملكاً غصبته أو مالاً نهبته... قد أتاني الله تعالى من الوجه الحلال قريباً من ألف مجلدة من الكتب النفيسة والدفاتر الفائقة والنسخ الشريفة، وأنا أوقف الكل على خزائن الكتب المبنية في بلاد الإسلام.. ومن كانت عقيدته هكذا كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كتب إمام من شيوخ العلم أنفق جميع عمره حتى حصل أيراقاً يسيرة لو بيعت في الأسواق لما أحضرت بثمنها مائدة لئيم[2]. والله الذي لا إله إلّا هو ليقترفن سيدنا أدام الله فضله بافتراء الكذب على مثلي ذنباً يتعقر في أذياله يوم القيامة فليخافن الله الذي لا إله إلّا هو

---

(١) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط: ج٢، ص١٩-٢٠.

(٢) نرى كيف ناقض رشيد الدين الوطواط نفسه بخصوص كتب الإمام الحسن القطان، ففي الرسالة التي قبلها قال فيها: «رأيت كتباً كثيرة فوق ما يحيط به عدّ أو يشتمل عليه حدّ..».

وليذكرن يوماً بقلب الصادق على صدقه، ويعاقب الكاذب على كذبه والسلام[(١)]. وذكر ياقوت الحموي، أنه حينما كان بمرو عرض عليه الشيخ فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم السمعاني جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان إلى رشيد الدين الوطواط محشوة بالسب له والثلب تصريحاً لا تعريضاً، الحجة في أنه نهب كتبه وسلبه نتيجة عمره ويستحسب الله عليه، وضاق نطاق الزمان من تحصيلها وكتبها[(٢)].

❷ المدح والثناء:

ومن أغراض المكاتبة المدح والثناء وهو أن يمدح الواحد منهم زميله خاصة إذا برز في العلم واشتهر بالفضل ووصل إلى مرتبة رفيعة لدى الملوك والأمراء وأصبح من ذوي الجاه يرجى نفعه ويخشى بأسه.

فقد كتب الشاعر الدمشقي شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين الأنصاري إلى الإمام فخر الدين الرازي نزيل هراة يمدحه، وكان ابن عنين قد رحل إلى بلاد المشرق ولم يسعد ببلاد المشرق إلّا بلقاء الفخر الرازي البكري، فهو الذي عرف قدره، وأغدق عليه العطايا فاستفاد الشاعر من علمه وهباته، آخذ عنه بالري، وحضر درسه بخوارزم وبغيرها من البلدان، ومدحه وأطال الثناء عليه[(٣)].

وقال يمدح فخر الدين الرازي ويهنئه بولايات تولاها من المدارس والوقوف وسيّرها إليه من نيسابور إلى هراة **وقد تضمنت هذه القصيدة (٢١) بيتاً منها:**

ريحَ الشّمال عساكِ أن تتحمّلي   شوقي إلى صدرِ الإمام الأَفضلِ

---

(١) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط: ج٢، ص١٨.

(٢) معجم الأدباء: ج٣، ص٩٥-٩٦.

(٣) مقدمة ديوان ابن عنين: تقديم خليل مردم بك: ص٨.

وقفي بواديه المقدّسِ وانظري نور الهدى مُتألقاً لا يأتلي
من دوحةٍ فخريةٍ عمريةٍ طابَتْ مَغَارِسُ مجدِعا المنائل
مكيةِ الأنسابِ زاكٍ أصلُها وفروعُها فوق السِماك الأعزلِ[١]

وجرت جملة من المراسلات والمكاتبات بين رشيد الدين الوطواط وجمهرة من علماء وأدباء خراسان المعاصرين له مدحهم وأثنى عليهم منهم: الإمام أبو سعد الهروي[٢]، والإمام أبو شجاع البسطامي البلخي[٣]، والأديب عتيق النيسابوري[٤]، والإمام ضياء الدين صدر الأئمة من كبراء بلخ وشعرائها[٥]، والإمام عزيز الدين علي البلخي مفتي خراسان[٦]، وغيرهم.

وكان الوطواط من نوادر الزمان وعجائبه وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب طار في الآفاق صيته وسار في الأقاليم ذكره[٧].

وأظهر فنونه الكتابية في الرسائل الديوانية، والرسائل الأخوانية، وتظهر فيها عاطفته القوية المتمثلة في الحنين إلى وطنه بلخ، وكان طابع الصنعة ظاهراً على كل ما نظمه وما أنشأه تلك الصنعة التي تدل على أن صاحبها كان على درجة كبيرة من الإلمام بمعارف عصره، ولا عجب إذا

---

(١) ديوان ابن عنين: ص٥٣.
(٢) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط: ج٢، ص٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦.
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٤١.
(٧) معجم الأدباء: ج١٩، ص٢٩.

كان من أصحاب اللسانين وهم الذين أجادوا العربية والفارسية وترجع أهميته في النثر العربي إلى رسائله المؤلفة فيه(١). وقد خلف لنا مجموعة من رسائل العربية، ومن يتصفح هذه المجموعة يجد أن رشيد الدين الوطواط، كان يضفي على الممدوح كل الصفات المحببة إلى النفس، من كرم، وحلم، وفضل وعقل، وحكمة، ونسب رفيع، وقد صاغ كل ذلك بأسلوب جزل عذب، سهل الألفاظ غلبت عليه عاطفته الصادقة، وطغت عليه نزعته الدينية، فجاء متدفقاً جياشاً، مليئاً بالمشاعر المتصارعة نلمس ذلك من كتابه الذي أرسله إلى أستاذه أبي سعد الهروي ببلخ الذي يقول فيه:

كتابٌ وفي الأحشاءِ وَجْدٌ على وجدٍ ... إلى الصّدرِ مولانا الأجلِّ أبي سعدِ
أشَمَّ طويل الباع أصبح رافعاً ... إلى قِمّة الأفلاكِ ألويةَ المجدِ
سراةُ بني الإسلام عقد جواهرٍ ... وفيهم أبو سعدٍ كواسطةِ العِقدِ(٢)

٣ المباحثات والمناقشات في مسائل علمية وفلسفية:

جرت المكاتبات والمراسلات من أجل المباحثات والمناقشات في مسائل علمية وفلسفية فقد كتب الإمام ابن العربي(٣) رسالة إلى الإمام

---

(١) مقدمة كتاب حدائق السحر في دقائق الشعر لرشيد الدين الوطواط - نقله إلى العربية - إبراهيم أمين الشواربي - القاهرة - (١٣٦٤هـ-١٩٤٥م). ص٢٦.

(٢) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ج٢، ص٢٩-٣١.

(٣) أبو بكر محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين، فيلسوف من أئمة المتكلمين، وله بمرسية بالأندلس سنة ٥٦٠هـ، وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ومصر، واستقر في دمشق وتوفي بها سنة ٦٣٨هـ، وهو كما يقول الذهبي قدوة القائلين بوحدة الوجود، وله نحو أربعمائة كتاب ورسالة الأعلام: ج٧، ص١٧٠.

الفخر الرازي تزيل هراة يناقش فيها رأي الفخر الرازي في مسألة الوجود التي ذكرها في مؤلفاته، ورسالة ابن العربي تتمثل فيها قوة البلاغة العربية، وفلسفة وجود الله، والعلم بالله التي يقول فيها:

أما بعد فأنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو. وقال رسول الله (ﷺ)، إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه، وأنا أحبك.. وقد وقفت على بعض تواليفك وما أيدك الله به من القوة المتخيلة وما تتخيله من الفكر الجيد..

وليعلم وليي وفقه الله تعالى أن الوراثة الكاملة هي التي تكون من كل الوجوه لا من بعضها والعلماء ورثة الأنبياء، فينبغي للعاقل أن يجتهد لأن يكون وارثاً من جميع، لوجوه ولا يكون ناقص الهمة، وقد علم وليي وفقه الله تعالى أن حسن اللطيفة الإنسانية إنما يكون بما تحمله من المعارف الإلهية وقبحها ضد ذلك وينبغي للعالي الهمة أن لا يقطع عمره في المحدثات وتفاصيلها فيفوته حظه من ربه، وينبغي له أيضاً أن يسرح مفسه من سلطان فكره، فان الكفر يعلم مأخذه، والحق المطلوب ليس ذلك وأن العلم بالله خلاف العلم بوجود الله.

فالعقول تعرف الله من حيث كونه موجوداً من حيث السلب لا من حيث الإثبات وهذا خلاف الجماعة من العقلاء والمتكلمين إلّا سيدنا أبا حامد قدس الله روحه فأنه معنا في هذه القضية، ويجل الله سبحانه وتعالى أن يعرفه العقل بفكره ونظره فينبغي للعاقل أن يخلي قلبه عن الفكر إذا أراد معرفة الله تعالى من حيث المشاهدة، وينبغي للعالي الهمة أن لا يكون تلقيه عند هذا من عالم الخيال وهي الأنوار المستجدة الدالة على معان، فإن الخيال ينزل المعاني العقلية في القوالب الحسية كالعلم في صورة اللبن، والقرآن في صورة الحبل، والدين في صورة القيد.

. . .ولقد أخبرني من أثق به من أخوانك وممن له فيك نية حسنة جميلة أنه رآك وقد بكيت يوماً فسألك هو ومن حضر عن بكائك. قلت:

«مسألة اعتقدتها منذ ثلاثين سنة تبين لي في الساعة بدليل لاح لي أن الأمر على خلاف ما كان عندي فبكيت وقلت: لعل الذي لاح أيضاً يكون مثل الأول، فهذا قولك ومن المحال على العارف بمرتبة العقل والفكر أن يسكن أو يستريح ولا سيما في معرفة الله، ومن المحال أن يعرف ما هيته بطريق النظر فما لك يا أخي تبقى في هذه الورطة ولا تدخل طريق الرياضات والمجاهدات والخلوات التي شرعها رسول الله (ﷺ)».

والرسالة طويلة بلغت عشرين صفحة لا يسع المجال لذكرها(١).

وكانت بين الإمام الصاحب بن محمد البخاري والإمام ظهير الدين البيهقي مكاتبات في مسألة الوجود التي تكلما فيها، وذكر ذلك البيهقي في كتابه عرائس النفائس فقال: وله إليّ رسائل وفوائد منها استفدت وكأني عانيت فيها عين الحياة، وأوردت في الفوائد التي جرت بيننا وكتبتها إليه: الحسد حزن على حسن حال يكون للمستحق، والمنافسة حزن على حسن حال يكون لغير المستحق، وهي (أي المنافسة) لكبار الهمم، والفضيلة قوة جذابة للخير والكرم (بذل) المال الكثير بسهولة من النفس، والسخاء فضيلة يكون المرء بها نبيلاً بالتوسع في المال، والبخل ضدها، والمروءة فضيلة يكون المرء بها نبيلاً بالتوسع في الطعام، والنذالة ضدها، وكذا الهمة فضيلة يكون المرء بها فعالاً لمحامد الأمور، والسفالة ضدها، والحلم فضيلة يكون المرء بها غير منفعل من المغضبات، والسفاهة ضدها. فأجاب بما يليق بفضله. وكتبت إليه في فصل منه: الرياسة تنقسم إلى رياسة بحسب العلم، والعمل، وهي أشرف الرياسات، وإلى رياسة

---

(١) رسائل ابن العربي - الجزء الأول - الرسالة الخامسة عشر بعنوان رسالة إلى الإمام الرازي حيدر آباد الدكن (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م). وذكرت هذه الرسالة في كتابي ثلاث رسائل نشر باعتناء عبد العزيز الهمني الوارجكوني - المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٨٧هـ، وكانت هذه الرسالة الأخيرة.

بحسب الإجماع، وإلى رياسة بحسب الغنى، وإلى رياسة بحسب الكرامة، وإلى رياسة بسبب التغلب، والقسم الأول أشرف الرياسات، وهي أن تكون رياسة العلماء لا علمهم، ورياسة الجند لا شجعهم، ورياسة كل صنعة لمن هو أعرف بتلك الصنعة فيكون رئيس أهل العصر بـ(الرياستين) رياسة الصورة ورياسة المعنى والرياسة التغلبية أحسن الرياسات فهذه بسائط الرياسة وقد تتركب من بسائط الرياسة رياسة كما في زماننا(١).

٤ المكاتبات مصدراً من مصادر التدوين:

كانت المكاتبات والمراسلات جارية بين علماء خراسان والعالم الإسلامي من أجل إرسال المعلومات من بلد إلى آخر، فكان العلماء في الغالب يتفقون فيما بينهم على أن يرسل كل واحد منهم المعلومات التي تستجد في بلده إلى الآخرين حتى يستطيعوا متابعتها والوقوف عليها، ويطلق لقب (الفيج على الشخص الذي يحمل الكتب بسرعة من بلد إلى بلد آخر)(٢).

ونجد المكاتبات قد كوّنت مادة جيدة في مؤلفات العلماء لتضمنها معلومات مهمة عن سير العلماء فكان منها ما يتعلق بذكر سني ولاداتهم، وإيراد الروايات عنهم، وقد تكون أحاديث، أو أبيات من الشعر، أو طلب إجازة، أو إرسال إجازة، وغير ذلك من المعلومات الأخرى التي تتعلق بسير العلماء، ويمكن أن يعد ذلك بمثابة الصحف والمجلات والكتب التي نستقي منها معلوماتنا اليوم.

وقد اعتمد كثير من المؤرخين والمحدثين مثل: ابن عساكر الدمشقي، وابن النجار البغدادي، وابن القفطي، والذهبي على

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٤٩-١٥٠، تتمة صوان الحكمة: ١٤٦-١٤٧.

(٢) الأنساب: الورقة/ ٤٣٥أ.

مراسلاتهم مع علماء خراسان في تدوين المعلومات والأخبار عن العلماء الذين ذكروهم في مؤلفاتهم ونصوا على ذكرها.

كما نصّ علماء خراسان على ذكر مكاتباتهم مع علماء البلدان الإسلامية في تدوين الأحداث وأخبار العلماء وسيرهم في تلك الأقاليم ومتابعة شؤونهم المختلفة.

■ **بعض المكاتبات التي ذكرها المؤرخين والمحدثين في مؤلفاتهم:**

❶ كان لأبي سعد السمعاني مكاتبات ومراسلات مع جماعة من العلماء والأدباء في العالم الإسلامي، علماً أنه كان قد رحل إلى تلك الأقاليم والتقى بجملة كبيرة من العلماء الذين ترجم لهم، وقد كونت هذه المكاتبات معلومات مهمة دونها في مؤلفاته مثل: التحبير، ومعجم الشيوخ، والأنساب، وغيرها. **وإليك طرفاً من مكاتباته مع العلماء:**

١ • ترجمة أبي الفرج مسعود بن الحسن.. الثقفي من أهل أصبهان.

كان هذا قد تفرد بالرواية عن جماعة من الشيوخ وبالكتب، وكانت له إجازة عن الإمام أبي بكر الخطيب البغدادي.

قال أبو سعد: فإن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحاجيان الفيج، وهو الرحالة إلى الشام ومصر، كتب إليّ كتاباً من بنج ديه بعد عوده من الرحلة أنه كان في سنة ٥٦٠هـ بأصبهان، وكتب عن الرئيس أبي الفرج الثقفي هذا جميع كتاب «تاريخ مدينة السلام بغداد» لأبي بكر الخطيب بروايته عنه إجازة، وقرأ عليه كتاب «التوحيد» وكتاب «الإيمان» و«الأمالي» و«الفوائد» لأبي عبدالله ابن منده الحافظ[١].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٩٨١، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٦.

٢ • **ترجمة أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البخاري، الملقب بالزاهد المتوفى سنة ٥٣١هـ.**

كان إماماً مذكراً، أصولياً، متكلماً، حسن الكلام في الوعظ والتفسير، قيل أنه صنف في التفسير كتاباً أكثر من ألف جزء! وأملى في آخر عمره، ولكنه كان مجازفاً متساهلاً في الرواية.

قال أبو سعد: كتب إليّ أبو الفضل مسعود بن محمود الطرازي قال: «كنا ليلة معه يعني مع الزاهد - بائتاً في موضع، وكان من الغد يوم إملائه فقال لنا: هل معكم جزء من الحديث؟ فقلنا: وما تفعل به، قال: أملي منه، قلنا: وأيش ينفعك ذلك وليس في ذلك الجزء سماعك فقال: لا حاجة إلى السماع إذا صح لك أن الحديث مسموع لشيخ يجوز لك أن تروي عنه، أو كلاماً هذا معناه»[(١)].

٣ • **ترجمة أبي زيد عبد الملك بن حمد.. الجوهري البروجردي من أهل بروجرد.**

قال أبو سعد: «ووفاته بها في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، هكذا كتب لي محمود الخيام قال: عاش إحدى وسبعين سنة»[(٢)].

٤ • **ترجمة أبي على الحسن بن محمد المقرئ البروجردي من أهل بروجرد.**

قال أبو سعد: توفي ببروجرد ليلة الاثنين الثاني من رجب سنة ست وثلاثين وخمسمائة هكذا كتب لي محمود الخيام[(٣)].

---

(١) المصدر السابق، الترجمة/ ٧٨٢.

(٢) المصدر نفسه، الترجمة/ ٤٦١، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٦٠ب.

(٣) المصدر نفسه، الترجمة/ ٤٧١، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٨٠.

٥ • **أبو نصر هارون بن إسماعيل.. اليعقوبي الفوشنجي.**

قال أبو سعد: أخبرنا أبو العز الثقفي في كتابه، أنبأنا أبو مطيع محمد بن عبد الواحد ابن عبد العزيز المصري قراءة عليه، أنبأنا أبو بكر بن أبي علي محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المعدل، أنبأنا عبدالله بن جعفر بن أحمد بن فارس، أنبأنا أبو مسعود أحمد ابن الفرات الرازي، أنبأنا عبد الرزاق، عن ابن جريج، أن سليمان ابن موسى أخبره، أن ابن شهاب أخبره، أن عروة بن الزبير أخبره، أن عائشة أخبرته قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أيها امرأة نكحت بغير إذن موالها فنكاحها باطل، ولها المهر بما أصابها فان اشتجروا فالسلطان وليّ من لا وليّ له. هذا حديث حسن محفوظ من حديث سليمان بن موسى، عن الزهري[(١)].

وقد يعبر عن صيغة المكاتبة بلفظة «بلغني»، وذلك حينما دوّن وفيات بعض المشايخ فيقول: بلغني أن وفاته كانت..»[(٢)].

❷ وذكر أن لجمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني المتوفى سنة ٦٨٥هـ مكاتبات مع جماعة من أهل خراسان، فقد ذكرني في كتابه «إكمال الإكمال» في ترجمة الأخوين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن الحسين.. الموصلي المعروف بابن رشيق، وأخيه أبي عبدالله الحسين بن أبي بكر بن الحسين، قال ابن الصابوني: كتب إليّ الشيخان الأخوان أبو عبدالله محمد، والحسين، أنبأنا أبو بكر ابن الحسين الموصليان، قال: أنبأنا زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد، أنبأنا أبو القاسم عبد الكريم.. القشيري النيسابوري قراءة عليه، أنبأنا أبو الحسين أحمد بن

---

(١) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٤٩أ-٤٩ب.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٧٨، ٩٣، ٣٨٥، ٤٥٨، الخ.

محمد الخفاف، أنبأنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج، أنبأنا قتيبة بن سعيد، أنبأنا مالك بن أنس عن عامر بن عبدالله بن الزبير، عن عمرو بن سليم الزرقي، عن أبي قتادة السلمي أن رسول الله (ﷺ) كان يصلي وهو حامل أمانة فإذا سجد وضعها وإذا قام رفعها - أخبرناه عالياً أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الهروي في كتابه «إليّ غير مرة، أنبأنا؟ أبو القاسم القشيري فذكره بأنه «حديث صحيح»، أخرجه أبو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري في صحيحه، وأبو عبد الرحمن النسائي في سننه عن قتيبة بن سعيد به، فوقع لنا موافقة عالية[١].

● ٣ وكان بين مؤرخ بغداد ابن الدبيثي، وبين أبي المظفر عبد الرحيم السمعاني المروزي مكاتبات فقد ذكر ابن الدبيثي في ترجمة أبي جعفر محمد بن حمد بن محمد بن منأن من أهل نهاوند، أن فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني ذكره في معجم شيوخه، ووصفه بالفضل والعلم، والدين، وأثنى عليه، وذكر أنه علمه القرآن والفقه وأفاده السماعات الكثيرة وقال: جمع له والدي معجماً عن شيوخه، وسمعته منه.

وقال ابن الدبيثي: أنشدنا أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد المروزي في كتابه إلينا منها قال: أنشدني أبو جعفر محمد بن حمد بن منان قال: أنشدني أبو سالم هبة الله بن أحمد الأنصاري، **قال: أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المحري لنفسه:**

وإنّي مُذْلَاح القَتيرُ بعارِضِي أفَتِّشُ عن هذا الورة وأُكشَفُ
فما إنْ صَحِبتُ الناسَ إلا ذَمَمْتُهم جَزى اللهُ خيراً كلَّ منْ لَيسَ أعْرِفُ[٢]

---

(١) تكملة إكمال الإكمال: ص١٦٢-١٦٥.

(٢) تاريخ مدينة السلام بغداد: م١، ص ٢٤٩-٢٥٠.

❹ وقد جرت مكاتبات بين أبي الضوء شهاب بن محمود الشاهد الشوذباني من أهل هراة، وبين جماعة من المؤرخين، وكان هذا قد سمع من جماعة من علماء خراسان منهم: أبو الوقت السجزي، وأبو سعد السمعاني، وقرأ عليه وكتب عنه بالجامع القديم بمرو وروى عنه، سمع منه جماعة منهم الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن محمود بن النجار البغدادي، حينما رحل إلى خراسان، وروى عنه في كتابه «التاريخ المجدد لمدينة السلام بغداد»(١).

★ **وكان لأبي الضوء الشوذباني مكاتبات مع جماعة من العلماء منهم:**

١ • **عماد الدين الكاتب، محمد بن محمد الأصبهاني القرشي** المتوفى سنة ٥٩٧هـ، صاحب كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» غير أنه يذكره هكذا «أبو شهاب بن محمود الشذياني»، وقد كتب أبو شهاب الشذياني إلى العماد الأصبهاني جملة من أخبار ذات بال، ومجموعة من الشعر استغرقت أكثر من خمس عشرة صفحة مرتبة إلى حروف الهجاء تتعلق بالشاعر ابن شبل، وذلك مما قرأه على أبي سعد السمعاني وكتبه عنه وقد حفظها لنا العماد في «الخريدة» عن أبي سعد السمعاني عن طريق أبي الشهاب الشذياني(٢).

٢ • **الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن محمود ابن النجار**، والشيء المهم هنا هو أن الإمام الحافظ أبا عبدالله ابن النجار، يسميه «شهاب الحاتمي» ولعلها نسبة أخرى لأبي الضوء الشوذباني وليس أسماً لشخص آخر.

---

(١) معجم البلدان: ج٣، ص٣٧٥، تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٣١٦، والشوذباني: نسبة إلى شوذبان من قرى هراة.

(٢) الشعر العربي: ج١، ص١٧٣، والشذياني: تصحيف لنسبة الشوذباني.

وقد التقى ابن النجار بشهاب الحاتمي بهراة، وأن أغلب نقول ومرويات ابن النجار عن أبي سعد السمعاني كانت عن طريق شهاب الخاتمي، حتى أن مرعياته عن أبي سعد السمعاني كوّنت مادة جيدة من كتابه «التاريخ المجدد لمدينة السلام» الذي هو ذيل على ذيل تاريخ بغداد للسمعاني، ومرويات ابن النجار عن شهاب الحاتمي عن أبي سعد قد حصل عليها إما عن طريق السماع حينما التقى به في هراة، ولما حصل عليها عن طريق المكاتبة بينه وبين شهاب الحاتمي، حتى لا تكاد تخلو ورقة من ذكر اسمه(١).

٣ • **جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف المعروف بالقفطي** المتوفى سنة ٦٤٦هـ، كانت بينه وبين أبي الضوء الشوذباني مكاتبات ذكر ذلك في كتابه الموسم باسم «أنباه الرواة على أنباء النحاة» وذكره باسم أبي الضياء شهاب بن محمود الشذياني الهروي الوراق وكانت مروياته أيضاً عن أبي سعد السمعاني، وكونت مكاتباته مادة مهمة في تدوين سيرة العلماء خاصة من أهل خراسان(٢).

• وكان لأبي عساكر مؤرخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١هـ، الذي رحل إلى خراسان، وزار أغلب مدنها والتقى بعلمائها وأخذ عنهم، وحدث أيضاً في تلك الرحلة فسمع عنه أئمة وجرت بينه وبين جماعة منهم، مكاتبات ومراسلات، كونت مصدراً مهماً من مصادره، وقد

---

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام: الورقة/٣، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٤، ٢٦، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٤٦، ٥٩، ٧٦، ٨٨، ٩٥، ٩٦، ١٢٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٩، ٢١٠، الخ.

(٢) أنباه الرواة: ج١، ص٢١٢، ٢٧٠، ج٢، ص١٢٤، ج٣، ص٢٦.

نصّ على ذكر جملة من هذه المكاتبات في كتابه «تبيين كذب المفتري»

فمن جملة علماء خراسان الذين كاتبهم:

١ • أبو النصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري(١).

٢ • أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي النيسابوري، صاحب كتاب «السياق لتاريخ نيسابور»(٢).

★ هذا وقد ذكرنا طرفاً من مكاتباته مع أبي سعد السمعاني آنفاً.

---

(١) تبيين كذب المفتري: ص١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٦، ٢١١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٣، الخ.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩٠، ٢٠٠، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٨٧، ٢٨٨، الخ.

الباب الثاني

المؤسسات العلمية والدينية القائمة
في مراكز الحركة الفكرية في خراسان

التعليم خارج نطاق المؤسسات العلمية

«الكتاتيب»

قبل أن نتكلم على المؤسسات العلمية والدينية القائمة في مراكز الحركة الفكرية في خراسان والمتمثلة في المدارس، والمساجد والربط، حيث كان يمارس فيها تدريس العلوم الإسلامية، والعلوم العربية، والعلوم العقلية.

كان الطالب يمر بسلسلة متصلة الحلقات تبدأ بالكتاتيب[١]، وتنتهي بالتدريس العالي في هذه المؤسسات العلمية الراقية.

وكان من نتائج إقبال الصغار على حلقات التعليم في الكتاتيب في سن مبكّر أن حذقوا قسطاً كبيراً من العلوم ووصلوا إلى مراكز علمية مرموقة وهم في مقتبل العمر.

نذكر من ذلك أن الإمام أبا الحسن علي بن زيد البيهقي الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ الذي سلّمه والده إلى الكتّاب في قصبة سابزوار من

---

(١) الكتاتيب: جمع الكتّاب، الذي اشتق من التكتيب وتعليم الكتابة، وهي المهمة التي اضطلع بها، ويؤيد ذلك ما ورد في لسان العرب، من أن الكتّاب موضع تعليم الكتّاب والمكتب: موضع التعليم، والمكتّب: المعلم، والكتّاب: الصبيان. ومن جعل الموضع الكتّاب فقد أخطأ، لسان العرب: مادة كتب.

ناحية بيهق، فحفظ فيها كتاب «الهادي للشادي»[١]، وكتاب «السامي في الأسامي» تصنيف الميداني، وكتاب «المصادر» للقاضي الزوزني، وكتاب «غريب القرآن» للعزيزي، وكتاب «إصلاح المنطق» وكتاب «المنتحل» للميكالي، وكتاب «التلخيص» فيض النحو، وكتاب «المجمل في اللغة» وحفظ أشعار المتنبي، والحماسة، والسبعيات، وغير ذلك[٢].

هذا بالإضافة إلى جهود الآباء وعنايتهم الكبيرة بأبنائهم فنجدهم يكبرون في أسماعهم الحديث ويطوفون بهم على المشايخ، ويحضرونهم مجالس المحدثين، ما يقرأ عليهم، ثم يتخذون لهم مربين، ومؤدبين، ويرحلون بهم لأسماعهم من كبار المحدثين والمشايخ ويحصلون لهم الإجازات العلمية، فتكون هذه السماعات، والإجازات أصلاً للرواية وعلو الإسناد فيما بعد، نذكر من ذلك عناية تاج الإسلام أبي بكر السمعاني بولديه أبي سعد وأبي المظفر مبكراً بهما السمّاع من أجلة مشايخ مرو، ونيسابور، وسارع بأدراج أسميهما في سجل المحدثين فكان يحضر أبا سعد وهو صغير مجالس المحدثين، ويكتب له ما أملوه، أو ما قرأ عليهم، وهو حاضر يثبت ذلك ويصححه ليكون أصلاً يرجع إليه ولده، ويروي منه إذا كبر، ويحصل له الإجازات العلمية عن المشايخ، ولم يكتف بتسميعهما من مشايخ بلده بل رحل بهما إلى نيسابور، وسرخس سنة ٥٠٩هـ، وأسمعهما حضوراً من أجلة مشايخ نيسابور، فحصل لهما بذلك على الإسناد والإجازات العالية[٣].

وكان عدد كبير من علماء خراسان يتخذون من منازلهم أماكن للتدريس والبحث وكان هذا قبل إنشاء المدارس فيها، واستمر ذلك حتى

---

(١) ورد اسمع في كشف الظنون: ج٢، ع٢٠٢٦، هادي الشادي في النحو.
(٢) إرشاد الأريب: ج٥، ص٢٠٨-٢٠٩.
(٣) منهاج الإسلام أبو سعد السمعاني وكتابه التحبير، ص٦٥-٦٩.

بعد انتشار المدارس في معظم مدن خراسان وكان مستوى الطلاب في العاجة ممن أنهوا دراساتهم الأولية في الكتّاب وأشربوا إلى دراسة كتب العلم المتقنة والأدب، وإسماع الحديث الشريف وروايته، نذكر من ذلك السيد عزيز الدين إسماعيل بن الحسين بن محمد المروزي العلوي الحسيني النسابة.

وصف بأنه أعلم الناس يقيناً بالأنساب والنحو واللغة، والشعر، والأصول، والنجوم، وقد تفرد بمرو بالتصدر لإقراء العلوم على اختلافها في منزل ينتابه الناس حسب أغراضهم، فمن قارئ للفقه، ومتعلم في النحو، ومصحح للّغة، وناظر في النجوم، ومباحث في الأصول، وغير ذلك من العلوم، وهو مع سعة علمه، متواضع، حسن الأخلاق، لا يرد غريب إلّا عليه ولا يستفيد مستفيد إلّا منه، وقد اجتمع به ياقوت الحموي سنة ٦١٤هـ بمرو في داره هذه فقال عنه: «.. قد زرته فوجدته **كما قيل**:

قد زُرْتهُ فوجدتُ النّاس في رجُلٍ والدّهر في ساعةٍ والفضل في دارِ[(١)]

ومما يؤكد ممارسة التعليم خارج المؤسسات العلمية، ما وصل إلينا من معلومات عن كثير من المدرسين وعن تدريباتهم، ورحلة الطلبة إليهم وتخرجهم بهم، وانتشارهم في الآفاق. **وهذه نماذج من العلماء الذين مارسوا مهمة التدريس غير أن المصادر لم تنص على موضع تدريسهم**:

١ • «**تاج القضاة أبو سعد يحيى بن عبد الملك بن عبيدالله بن صاعد الصاعدي الهروي** درس عليه ظهير الدين البيهقي الأنصاري سنة ٥١٨هـ، وقال فيه: كان ملكاً في صورة إنسان وعلقت من لفظه كتاب «الزكاة» والمسائل الخلافية.. ثم خضت في المناظرة

---

(١) معجم الأدباء: ج٦، ص١٤٢-١٤٧.

والمجادلة سنة جرداء حتى رضيت عن نفسي فيه، ورضي عني استاذي، وكنت اعقد مجلس الوعظ في المدرسة وفي الجامع، ثم انصرفت عن مرو.. سنة إحدى وعشرين وخمسمائة»[١].

٢ • **أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني** من أهل نيسابور المتوفى سنة ٥١٨هـ وقد وصفوه بأنه كان إمام أهل الأدب في عصره بلا مدافعة، وإنه صار مقصود الطلبة معروفاً في البلدان بتصانيفه الحسان في الأدب والأمثال[٢]. وقد درس عليه ظهير الدين البيهقي الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ، وحضر درس الميداني سنة ٥١٦هـ، وصحح عليه قراءة الكتب التي حفظها في الكتّاب ومنها: كتاب «السامي في الأسامي» من تصنيف الميداني وكتاب «المصادر» للقاضي، وكتاب «المنتحل» وكتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد، وكتاب «إصلاح المنطق» و«مجمع الأمثال» من تصنيف الميداني، وكتاب «صحاح اللغة» للجوهري وغير ذلك[٣].

٣ • **فخر الدين أبو ثابت عبد العزيز بن عبد الجبار الكوفي**، ومدرس نيسابور في القرن السادس. وقد كتب إليه رشيد الدين الوطواط من خوارزم **يقول**[٤]:

صَنَائِعُ فخرِ الدّين عندي كثيرةٌ   تَقَاصَرَ عن أعدادِها عَدَدُ القَصْرِ

فَلَوْ نظمَ الرحمنُ عِقْد اجتماعِنا   نَثَرتُ على إعطافِه دُرَرَ الشُّكرِ

(١) ارشاد الأريب: ج٥، ص٢٠٩.

(٢) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٥ب.

(٣) إرشاد الأريب: ج٥، ص٢٠٩.

(٤) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط: ج١، ص٤٢-٤٣.

٤ • **أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي الطوسي** المتوفى سنة ٦١٧هـ، مسند خراسان، وانتهى إليه علو الإسناد بنيسابور، ورحل إليه في الأقطار، سمع «صحيح البخاري» من الفراوي، وسمع «صحيح مسلم» من جماعة[(١)]. درس عليه جماعة منهم: أبو الطيب رزق الله بن يحيى الباجبّاري الدنيسري المتوفى سنة ٦١٥هـ[(٢)]، وأبو إسحق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني المتوفى سنة ٦٤١هـ[(٣)] والقاضي أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة الخوييّ[(٤)]. وجماعة كثيرة غيرهم ذكرنا بعضهم في الباب الأول، في الرحلة إلى خراسان لطلب العلم.

٥ • **أبو سعيد عبد الرحمن بن عبد الصمد القايني النيسابوري المقرئ** المتوفى سنة ٥٤٥هـ. مقدم القراء وشيخهم وإمامهم، عمّر حتى رحلوا إليه في علم القراءات، وظهر له أصحاب وتلامذة[(٥)].

٦ • **أبو الفتح إسماعيل بن عبيدالله بن أحمد الأديب المروزي الصدقي** المتوفى سنة ٥١٧هـ. من سكة صدقة بن الفضل بمرو، وهو أديب فاضل، وصف بأنه عارف بأصول اللغة وحافظ لها، رزق من التلامذة والتلقين لهم ما لا يوصف[(٦)].

---

(١) شذرات الذهب: ج٥، ص٧٨.

(٢) تكملة إكمال الإكمال: ص١٥٢-١٥٣، والدنيسري: نسبة إلى دنيسر بلدة من نواحي الجزيرة قرب ماردين معجم البلدان: ج٢، ص٤٧٨.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة: ج١، ص٢٢٧.

(٤) تكملة إكمال الإكمال: ص١٠٦.

(٥) تاريخ الإسلام: ١٣ ق٢: الورقة/٣٠٢ب.

(٦) الأنساب: الورقة/٤٠٩ب.

الفصل الأول

المدارس القائمة في مراكز الحركة الفكرية في خراسان

لقد تبوأت المدارس في إقليم خراسان في القرن السادس الهجري، مكانة علمية مهمة في نشر العلم والمعرفة بدلالة المدارس التي انتشرت في مدنه، فقد وصلت إلينا أخبار عن نحو من (٣٠) مدرسة كانت قائمة بخراسان، أنشئ بعضها قبل القرن السادس، وظلت قائمة إلى ما بعد هذا القرن، فالمدرسة النظامية بهراة بقيت مدة طويلة بعد وفاة منشئها نظام الملك[1]، فقد ذكر الأستاذ خليل الله خليلي، أن نور الدين عبد الرحمن الجامي[2]،

(١) هو، أبو علي الحسن بن علي بن إسحق الطوسي، ولد براذكان بليدة صغيرة بطوس سنة ٤٠٨هـ، اشتغل بالحديث والفقه، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان معتمد مدينة بلخ، ثم وزر للسلطان ألب أرسلان السلجوقي، ثم لولده ملكشاه، وأخذ في بناء المساجد والرباطات، والمدارس المعروفة بالنظاميات وهي: نظامية بغداد، نظامية نيسابور، نظامية مرو، نظامية هراة، نظامية بلخ، نظامية أصبهان، نظامية آمل طبرستان، نظامية الموصل، ونظامية جزيرة ابن عمر. وعمّر دور الكتب، وابتاع الكتب بأوفر الأثمان، وأدرّ - الجرايات على الخزان، فكانت سوق العلم في أيامه قائمة، قتل قرب نهاوند على يد الباطنية سنة ٤٨٥هـ. المنتظم: م٩، ص٦٤-٦٨، وفيات الأعيان: ج٢، ص١٢٨-١٣١ طبقات الشافعية الكبرى: ج٤، ص٣٠٩-٣٢٨، الروضتين في أخبار الدولتين: ج١، ق١، ص٦٢-٦٣.

(٢) الجامي: نسبة إلى جام بين المشهد وهراة، وهي اليوم ضمن محافظة خراسان =

الشيباني المولود في خرجرد[1] سنة ٨١٧هـ، دخل المدرسة النظامية بهراة، ودرس على أيدي أستاذه عظام[2].

في الوقت الذي انقطعت عنّا أخبار المدرسة النظامية ببغداد بوفاة مدرسة مجد الدين الفيروز أباذي العكبري، صاحب كتاب «القاموس المحيط» المتوفى سنة ٨١٧هـ[3].

وقد كان عدد المدارس في خراسان في هذا القرن في الحقيقة يزيد على العدد الذي ذكرناه، ومما يؤيد كثرتها عدد المدارس التي حربت بنيسابور في حوادث سنة ٥٥٦هـ، فقد بلغت خمس وعشرين مدرسة، للشافعية، والحنفية[4].

لقد عرفت المدرسة بوصفها مؤسسة علمية في إقليم خراسان قبل القرن السادس بأمد بعيد، فقد ذكر الأستاذ الدكتور ناجي معروف إحدى وثلاثين مدرسة كانت قائمة بخراسان قبل أن ينشئ نظام الملك المتوفى سنة ٤٨٥هـ مدارسه المعروفة بالنظاميات، وذكر أن أول مدرسة أنشئت في إقليم خراسان كانت بمدينة نيسابور، وهي مدرسة أبي الوليد حسان القرشي الأموي المتوفى سنة ٣٤٩هـ[5].

ويرى ريبيرا الذي أورد أولدميلي رأيه في كتاب «العلم عند العرب»[6] أن في نيسابور بدأت عادة الختام بإنشاء معاهد للتعليم

= بإيران. تاريخ هراة: ج١، ص٨٧-٨٨.

(١) خرجرد: بلد قرب بوشنج هراة، معجم البلدان: ج٢، ص٣٥٧.

(٢) تاريخ هراة: ص٨٧-٨٨.

(٣) علماء النظاميات: ص٢٨.

(٤) الكامل: ج١، ص٢٧١-٢٧٢.

(٥) مدارس قبل النظامية: ص٢٥.

(٦) العلم عند العرب: ص٢٨٦.

العالي، وعلم اللاهوت، والكلام، وعلم الفقه، والشريعة وهذا قبل أن يوحي أبو سعد الصوفي إلى نظام الملك بفكرة إنشاء مدرسة بغداد.

ممّا تقدم يمكن اعتبار المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك صورة موسعة لمدرسة ابن حبان البستي(١) بنيسابور، وتطوراً ملحوظاً للمجارس الأخرى التي أنشئت بخراسان من حيث الإقامة في المدرسة، والجرايات للمتفقهة، واحتوائها على خزائن الكتب.

وكانت النظاميات من المدارس المستقلة عن المساجد أي إنها لم تكن مدارس مسجدية بل كانت كل مدرسة فيها مسجد تؤدي فيه الفروض الدينية، وقد تكون للإقراء والتدريس(٢).

فقد ورد ذكر مسجد المدرسة النظامية بنيسابور في ترجمة أبي نصر محمد بن محمد بن هميماه الرامشي المقرئ المتوفى سنة ٤٨٩هـ، وقد ارتبطه نظام الملك في المدرسة النظامية بنيسابور ليقرئ في المسجد المبتنى فيها فتخرج به جماعة(٣).

وذكر أبو سعد السمعاني في التحبير، أن أبا حفص محمد بن علي المقرئ المتوفى سنة ٥٥٠هـ، كان قد سكن هراة، وتولى إمامة المدرسة النظامية بهراة.

---

(١) تنسب هذه المدرسة إلى أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، ذكر الحاكم النيسابوري مدرسته عندما ترجم له، وقد أورد ياقوت الحموي قوله: «أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه، ومسكن للغرب الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة، ولهم جرايات يستنفقونها دارّة، وفيها خزانة كتبه في يدي وصيّ سلّمها ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير أن يخرجه منها». معجم البلدان: ج١، ص٤٥١.

(٢) علماء النظاميات: ص١٢.

(٣) الأنساب: ج٦، ص٤٤-٤٥، منتخب السياق: الورقة/١٦ب، المنتظم: م٩، ص١٠٢.

وهذا بلا شك يعني إمامة مسجد المدرسة النظامية بهراة.

وقد جعلت هذه المدارس وقفاً على الشافعية أصلاً وفرعاً، وشرط نظام الملك في الأملاك الموقوفة عليها أن تكون على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً أيضاً، كما شرط مثل ذلك في المدرّس الذي يكون بالنظامية، والواعظ الذي يعظ بها، ومتولي الكتب[١].

وكان هدفه من ذلك نشر المذهب الشافعي عموماً، وعقيدة الإمام الحسن الأشعري خصوصاً حتى أنه كتب اسم الإمام أبي الحسن الأشعري على باب المدرسة النظامية ببغداد[٢]. ذلك لأن الشافعية بخراسان عموماً قد تعرضوا لمحنة خطيرة منذ سنة ٤٤٥هـ، حيث منعت الشافعية من الوعظ، والتدريس والخطابة بجامع نيسابور، ولعن الإمام أبو الحسن الأشعري على المنابر، وكان ذلك بتحريض من الوزير عميد الملك أبي نصر الكندري المقتول سنة ٤٥٦هـ وكان هذا معتزلياً شديد التعصب على الشافعية فأدى ذلك إلى نشوء فتنة خطيرة، وشق ذلك على أئمة خراسان ذلك، فأرسلت الكتب والرسائل استنكاراً لهذه الأفعال، نذكر منها رسالة الإمام أبي القاسم القشيري المتوفى سنة ٤٦٥هـ، والمسماة «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة»[٣] وفارق أئمة الشافعية خراسان مثل: الإمام أبي القاسم القشيري، وأبي بكر البيهقي، وابي المعالي الجويني، فمنهم من غادر إلى العراق، ومنهم من جاور بمكة.

فلّما استوزر نظام الملك للسلطان ألب أرسلان أحضر من انتزح من الأئمة وأكرمهم، وأحسن إليهم، وبنى لهم المدارس لنشر المذهب

---

(١) المنتظم: م٩، ص٦٦.

(٢) المصدر نفسه، م١٠، ص١٠٧ حوادث سنة ٥٣٨هـ، المتنبي وسعدي: ص٥٢.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ج٢، ص٢٧٥-٢٨٨ (الحسينية).

الشافعي، وعقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري، وذلك من أجل رفع شأن السلطان ألب أرسلان السلجوقي يتبين صحة ذلك مما قاله نظام الملك مخاطباً السلطان ألب أرسلان: «.. قد جعلت من خراسان جنداً ينصرونك ولا يخذلونك، ويرمون دونك بسهام لا تخطئ وهم العلماء والزهاد، فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك»(١).

يتبين من ذلك عدم صحة ما ذهب إليه الدكتور أحمد شلبي حيث ذكر أن هدف نظام الملك من إنشاء هذه المدارس هو مكافحة المذهب الشيعي الذي كان منتشراً في عهد البويهيين وان يبعد عن هذه المدارس كل مدّرس يعطف على الشيعة أو يعتنق مذهبهم(٢).

ويبدو أنه قد استنتج ذلك من حادثة عزل أبي الحسن علي بن محمد الفصيحي المتوفى سنة ٥١٦هـ، لاتهامه بالتشيع وحينما سئل عن ذلك قال: لا أجحد أنا متشيّع من الفرق إلى القدم(٣).

وأرى أنه إنما عزل عن التدريس لأنه لم يكن شافعياً وهو شرط نظام الملك الذي أوقف مدارسه على الشافعية أصلاً وفرعاً، كما ذكرنا آنفاً.

ولا بدّ أن نبيّن حقيقة مهمة، وهي أن المدارس في خراسان كانت للحنفية والشافعية، ولم أقف على ذكر مدارس للحنابلة، أو للمالكية، أو للمذاهب الإسلامية الأخرى، غير أن ابن الأثير ذكر أن للكرّامية(٤)

---

(١) الكامل: ج١٠، ص٣٦.

(٢) تاريخ التربية الإسلامية: ص١٧٨.

(٣) معجم الأدباء: ج٥، ص٦٦.

(٤) الكرّامية: وهي فرقة من المرجئة، وهم ينتسبون إلى أبي عبدالله محمد بن كرّام النيسابوري وكان هذا قد انتقل إلى بيت المقدس وسكنها ومات بها سنة ٢٤٤هـ، وذكر أبو سعد السمعاني، أنه كان على مذهبه عالم لا يحصون بنيسابور، وهراة ونواحيها. وله كتاب سماه «عذاب القبر» ذكر فيه مذهبه في التجسيم. =

مدارس في خراسان، وذلك في حوادث سنة ٤٨٨هـ، حينما قامت فتنة عظيمة بنيسابور تضافرت فيها الحنفية والشافعية على الكرّامية، وكان مقدم الشافعية الإمام أبو القاسم بن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد الصاعدي، ومقدم الكرّامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرّامية فخربت مدارسهم(١).

وهذا لا يعني القضاء على الكرّامية في خراسان، فنجد شوكة الكرّامية قد قويت في خراسان في القرن السادس، على أنني لم أقف على ذكر أي مدرسة كانت قائمة للكرّامية بخراسان وقتذاك. ولعل المصادر قد أغفلت ذكر مدارسهم، ذلك لأن الناس في خراسان كانوا يزرون على الكرّامية ويحتقرونهم كما أبلغ ذلك غياث الدين صاحب غزنة، لمّا ملك خراسان فانتقل عن مذهب الكرّامية وصار شافعياً، ذلك سنة ٥٩٥هـ، وبنى مدارس للشافعية(٢).

= وكان الكرّامية يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وينكرون أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله (ﷺ) مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله، والإنكار له باللسان. وقيل أن عددهم اثنتا عشرة فرقة وأصولها ست، منها الهيصمية، الذين ينتسبون إلى محمد ابن الهيصم، وهذه الفرقة توافق المعتزلة في صفة العقل، والسمع. مقالات الإسلاميين: ج١، ص٢٠٥-٢٠٦، الملل والنحل: ج١، ص١٤٤، الأنساب: الورقة/٤٧٦ب، طبقات الشافعية الكبرى: ج١، ص٩٧، الجواهر المضية: ج١، ص٣٥٧.

(١) الكامل: ج١٠، ص٢٥١.

(٢) المصدر نفسه، ج١٢، ص١٥٤، العسجد المسبوك: ص٢٥٢-٢٥٣.

• تعيين المدرسين في المدارس:

تشير أخبار المدرسين إلى أنهم كانوا ينتقون من خيرة علماء العصر، ممن كانت لهم شهرة علمية وصيت ذائع انتهت إليهم رئاسة العلم، والإسناد العالي، وعرفوا بالبحث والاستقصاء عن الحقائق العلمية، وبما ألفوا من الكتب القيّمة التي تعد من المصادر في الفكر الإسلامي والثقافة العربية، وبما عرفوا به من النزاهة والعفة والديانة والتثبت، وبالاطلاع الواسع وقوة الحافظة، حتى أن الإمام فخر الدين الرازي البكري صاحب مدرسة هراة، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، لم يؤذن له في تدريس علم الكلام كما يروى إلّا بعد أن حفظ اثنتي عشر ألف ورقة(١). وكان أبو الفضل الزرنجري المتوفى سنة ٥١٢هـ، يحفظ الرواية، بحيث إذا طلب منه المتفقهة الدرس يلقي عليه من أي موضع أراده من غير مطالعة أو مراجعة في كتاب(٢). وكان المدرسون يقلدون التدريس بتفويض يصدره الوزراء أو السلاطي، أو الخلفاء.

فقد فوّض نظام الملك التدريس في مدارسه لعدد كبير من العلماء مثل: أبي المعالي الجويني مدرّس نظامية نيسابور، والإمام أبي حامد الغزالي مدرّس نظامية بغداد، وبنيسابور.

وقد يصدر التوقيع من السلطان، فقد أصدر السلطان سنجر بن ملكشاه توقيعين، قلّد في أحدهما الإمام ظهير الدين، تاج الإسلام، التدريس والنظر في أوقاف عدة مدارس بمدينة بلخ(٣).

---

(١) اليواقيت والجواهر: ج١، ص١٧.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٦٢، الأنساب: ج٦، ص٢٨٨، والزرنجري: نسبة إلى وزنجر قرية من قرى بخاري يقال لها زرنكري.

(٣) عتبة الكتبة: ص٣٣-٣٧.

والتوقيع الآخر قلد فيه التدريس والنظر للإمام محمد بن يحيى النيسابوري الذي قتل في فتنة الغزّ بنيسابور سنة ٥٤٩هـ، بالمدرسة النظامية بنيسابور، ولهذا التوقيع مقدمة طويلة يتحدث فيها السلطان سنجر عن الوزير العظيم نظام الملك، وما بذله مدرّسو النظامية بنيسابور من جهد في خدمتها، وإليك مقتطفاً من قول السلطان سنجر في هذا التوقيع: «.. وبما أن أيامنا قد تجملت بجمال وكمال وفضل وعلم، وعفة الخواجه الإمام الأجل محيي الدين محمد بن يحيى متعنا الله بطول حياته... فقد رأينا من الواجب بل من الفرض العين بعد استخارة حضرة العزة الإلهية أن نوكل أمر المدرسة النظامية التي هي أشهر مدارس العالم وأعز البقاع لدى طلبة العلم، إلى محمد بن يحيى، ونهبه منصب التدريس، وهو أشرف المناصب، وأن نجعل مصالح الفقهاء، والمدرسة، والأوقاف وتنظيم كل ما يتعلق بها وينسب إليها في عهدة علمه وعفته ودينه ليضع هو تلك المهمة الكبيرة في عنقه واجباً بما عهد منه، ويؤثر عنه من سداد الطريقة، وحسن السيرة والعقيدة، وغزارة الفضل والفطنة، وليطلب التوفيق من الله على إقامة شروطها كما ينطق بذلك حجة الوقف..»(١).

• أوقاف المدارس والجرّاية على الطلبة والمدرسين:

كان من مستلزمات إنشاء المدرسة أن يعيّن لها وقف ثابت تتلقى منه ما يسدّ به نفقاتها ويمدّها بما يحتاج إليه من مصروفات، وقد تنوعت أوقاف المدارس، فشملت العقارات، والغلات والكتب وكان بقاء المدارس مقروناً بسلامة أوقافها، فقد عزي سبب خراب المدرسة النظامية ببغداد بعد القرن الثامن، وهو القرن الذي درّس فيه مجد الدين

---

(١) المصدر السابق، ص٦-٩.

الفيروزآبادي فيها. فقد اغتصب الحكام والولاة أوقافها خصوصاً في عهد التركمان القره قوينلية، وآلاف قوينلية، ثمّ تهدمت فأصبحت خربة واستولى عليها أحد الولاة فجعلها عقاراً مستغلاً وملكاً مستقلاً[١].

وقد أوقف نظام الملك أوقافاً جليلة على مدارسه التي أنشأها، وكانت هذه الوقوف محبسة للإنفاق منها على عمارتها ودور كتبها، لإجراء الجرايات على أربابها من المدرسين والعلماء والطلبة من أهل الحديث والمتفقهة، وغيرهم ممن كانوا يقومون بأعباء الحركة الفكرية وعلى غيرهم من الصوفية، والزهاد، والأئمة، والمؤذنين والخدم، والغرباء والطارئين والمستورين من ذوي الحاجات والأرامل واليتامى وأولي الضرر[٢].

وذكر سعيد نفيسي أن للمدرسة النظامية بنيسابور أوقاف عظيمة[٣]. وقد جعلت إدارة أوقاف هذه المدرسة في القرن السادس للإمام محمد بن يحيى النيسابوري، وذلك عندما فوّض إليه السلطان سنجر التدريس والنظر في أوقاف هذه المدرسة، كما ذكرنا آنفاً.

كان لطلبة العلم في مدارس خراسان التي أنشئت قبل القرن السادس وبعده، نصيب معلوم من الجرايات، وممن انتفع بهذه الجرايات سوى طلبة العلم، ذوو العازة، والفقراء والغرباء، والطارئون، وممن انتفع بجرايات مدارس خراسان قبل إنشاء النظاميات على سبيل المثال الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، وأخوه أبو الفتوح المتوفى

---

(١) مجلة المعلم الجديد - كانون الأول - ١٩٤٢م - السنة الثانية - ج٢، ص١١٢-١١٩، مقال الدكتور مصطفى جواد - المدرسة النظامية.

(٢) علماء النظاميات: ص١٢-١٣.

(٣) نظامية بغداد - لسعيد نفقيسي - ترجمة الدكتور حسين محفوظ، بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٥٤م - م٣، ص١، ص١٤٤.

سنة ٥٢٠هـ، وكان والدهما فقيراً يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بمدينة طوس، فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف، واقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فني ذلك النور اليسير الذي خلفه لهما أبوهما فقال لهما: اعلما إني قد أنفقت عليكما ما كان لكما، وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما، ففعلا ذلك وكان الغزالي يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبي أن يكون إلا لله[١]. وهذا ينقض ما ذكره السبكي حين سأل هل كانت المدارس قبل نظام الملك بمعاليم للطلبة أم لا؟ فأجاب على تساؤله بقوله: «وأظهر أنه لم كن لهم معلوم»[٢].

وقد نسب الدكتور أحمد شلبي ما ناله الغزالي وأخوه من الجراية إلى نظام الملك حين عيّن مرتباً منتظماً للطلاب المعوزين[٣].

غير إني لا أتفق مع الدكتور أحمد شلبي فيما ذهب إليه، ذلك لأن الإمام أبا حامد الغزالي ولد سنة ٤٥٠هـ، ودرس في عهد النشأة بطوس وهي مدرسة مغمورة، ثم أنه شدا طرفاً من الفقه على الإمام أحمد الراذكاني[٤].

كما أن نظام الملك لم ينشئ مدرسة بطوس، لذلك من الصعب أن نسب هذه الجراية التي ارتفق بها الغزالي إلى مدارس نظام الملك ثمّ أن الإمام أبا حامد كان قد سافر إلى جرجان فعلق عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي «التعليقة» ثم رجع إلى طوس وأقبل بها على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظ جميع ما علقه، ثم أن الغزالي قدم نيسابور بعد ذلك ولازم

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٣، ص١٩٣-١٩٤، شذرات الذهب: ج٤، ص١١.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٣١٤.

(٣) تاريخ التربية الإسلامية: ص٢٥٠.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٢٠٤.

إمام الحرمين مدرس النظامية بنيسابور حتى برع في المذهب والخلاف، والجدل، والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك[(١)].

ويتبين مما تقدم أن الغزالي حينما قدم نيسابور كان قد انتفع من جراية مدرسة طوس، ثم بعد ذلك ارتفق من جراية المدرسة النظامية بنيسابور، ذلك لأن نظام الملك كان قد عيّن معاليم لطلاب العلم في مدارسه، وقيل أنه كان ينفق ستمائة ألف دينار سنوياً على طلاب العلم[(٢)].

ولعل نظام الملك أول من نذر للمدرسين معاليم أو مشاهرات منتظمة من الخزانة العامة، أو من إيراد الوقوف المحبسة على مدارسه، ولعل هذه المعاليم كانت تختلف كميتها باختلاف مكانة المدرس العلمية، وريع الوقف، ولكنها كانت على العموم أميل إلى الجود والسخاء والدليل الواضح على تقاضي المدرسين في المدارس النظامية المعاليم السلطانية، ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي، الذي درّس بنظامية بغداد مدة أربع سنوات من سنة (٤٨٤-٤٤٨هـ)، وحينما دعاه ضياء الملك أحمد بن نظام الملك متولي المدرسة النظامية ببغداد بغد أبيه، للتدريس في النظامية ثانية، ورغب إليه القدوم إلى بغداد في رسالة[(٣)] بعثها إليه من بغداد إلى طوس سنة ٥٠٤هـ، أي قبل وفاة الغزالي بسنة واحدة، فاعتذر الإمام أبو حامد الغزالي عن التدريس ثانية بنظامية بغداد، وذكر في معرض رده على رسالة ضياء الملك قوله: «أنني نذرت لما وصلت إلى تربة الخليل (عليه السلام) سنة ٤٨٩هـ، أي قبل خمس عشرة سنة تقريباً ألّا أقبل مالاً من سلطان أو سلطاني، وألّا أخرج للسلام على سلطان أو سلطاني، ولا أناظر، فإذا نقضت هذا النذر ضاع الوقت، وانصرف القلب، ولم

---

(١) المصدر السابق، ج٦، ص١٩٥-١٩٦.

(٢) سراج الملوك: ص١٢٨.

(٣) المدرسة النظامية: لسعيد نفيسي - مجلة المجمع العلمي العراقي: ج٣، ص١٥٢.

أستطع شيئاً من أعمال الدنيا والدين... وليس عندي في بغداد ملك، وباب المعيشة موصد. وعند هذا الحقير ضييعة[١] في طوس تكفي هذا الضعيف وأطفاله جميعاً بعد المبالغة في الاقتصاد والقناعة..»[٢].

ولعلّ تعيين هذه المعاليم للمدرسين في المدارس النظامية هو الذي دفع علماء ما وراء النهر حينما بلغهم خبر بناء المدارس ببغداد، إلى إقامة مآتم العلم وقالوا: كان يشتغل به أرباب الهمم العليّة والأنفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه أو الكمال به فيأتون علماء ينفع بهم وبعلمهم، وإذا صار عليه أجرة تداني إليه الأخساء وأرباب الكسل فيكون سبباً لارتفاعه، ومن ههنا هجرت علوم الحكمة، وان كانت شريفة لذاتها ومنها أن يمتهن العلم بابتذاله إلى غير أهله[٣].

يتبين لنا أن صحت هذه الرواية أن علماء ما وراء النهر أنكروا إجراء المعاليم على المدرسين وبما أن المدارس عرفت ببلاد ما وراء النهر قبل إنشاء نظامية نيسابور بأكثر من قرن ونصف القرن، فقد جاء في تاريخ بخاري[٤]، أن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان المتوفى سنة ٢٩٥هـ، الذي عرف برعايته للعماء حتى قدم إليه كثير منهم من أماكن بعيدة ليستكملوا دراستهم في مدرسته أو ليقضوا حياتهم في التأمل والبحث بدار كتبه التي حبس عليها الحبوس.

وذكر البرسخي المتوفى سنة ٣٤٨هـ، عدة مدارس كانت قائمة

(١) تصغير ضيعة، وهي عند الحاضرة مال الرجل من النخل والكرم، وقيل هي الأرض المغلة. معجم متن اللغة: م٣، ص٧٥٣ (مادة ضيعة).

(٢) المدرسة النظامية في بغداد - لسعيد نفيسي - مجلة المجمع العلمي العراقي مج٣، ج١، ص١٥٢.

(٣) كشف الظنون: ج١، ص٥٣ (طبعة لايبزك).

(٤) تأليف أرمينيوس فاميري: ص١٠٦.

ببخاري منها: مدرسة فارجك، بمحلة بكار، احترقت سنة ٤٢٥هـ[١] ومدرسة كولارتكين، كانت موجودة قبل سنة ٣٤٨هـ، كان قد أسسها الأمير قدرخان جبرائيل[٢].

ولعلّ المدرسين في المدارس قبل النظامية سواء أكانت بخراسان أم ببلاد ما وراء النهر لم يتقاضوا فيها معاليم سلطانية منتظمة، وربما كانوا ينالون خلعاً وهبات سنية من قبل الحكام، وقد يكون الدافع الحقيقي لسخط علماء بلاد ما وراء النهر احتجاجاً على عدم إنشاء نظام الملك مدارس في بلاد ما وراء النهر على غرار المدارس التي أنشأها في بلاد خراسان، وغيرها. وقد تكون هذه الطائفة من العلماء تمثل الحنفية فيكون احتجاجهم هذا طبيعياً خاصة إذا علمنا أنهم قد ناصبوا العداء للشافعية التي أوقفت هذه المدارس عليهم. أما إدعاء علماء بلاد ما وراء النهر إنه إذا صار للعلم أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل. فقد سبق وأن تصدر التدريس في المدارس قبل النظامية غير الأكفاء، وقد انتقدهم الأديب أبو الحسن علي بن أحمد بن علي المعروف بالفاللي، المتوفى سنة ٤٤٨هـ، فمن قوله في ذم المدرسين[٣]:

تصدَّر للتدريس كلُّ مُهوِّس ... بَليدٍ تَسمَّى بالفقيه المدرِّسِ
فحق لأهل العلم أن يتمثّلوا ... ببيتٍ قديم شاع في كل مجلسِ
(لقد هَزُلَتْ حتى بدا من هُزالها ... كُلاّها وحتى سامها كلُّ مفلسِ)

في حين لم يحدث أن تطاول الأخساء وأرباب الكسل إلى التدريس في المدارس النظامية فلو ألقينا نظرة فاحصة على أسماء المدرسين في تلك

---

(١) تاريخ بخاري: ص١٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٠.
(٣) الكامل: ج٩، ص٦٣٢.

المدارس لوجدناهم ممن نالوا شهرة علمية واسعة في العالم الإسلامي آنذاك مثل: إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، مدرّس نظامية نيسابور، وأبي إسحق الشيرازي، مدرّس نظامية بغداد، وأبي حامد الغزالي، مدرّس نظامية بغداد ونيسابور، وغيرهم.

- **السكنى في المدارس:**

لما أنشئت المدارس في العالم الإسلامي كانت الفرص المتاحة للفقير والمعدم لتلقي العلم أيسر، لأن منشئي المدارس أدركوا أن أغلب النابهين في العلم والمعرفة يعيشون في أسر فقيرة، ومن أجل ذلك عنيّ منشئوا المدارس عناية كبيرة في تيسير الحياة للفقراء من الطلاب ليتيحوا لهم الفرصة المناسبة لتلقي العلم، لذلك نجد المدارس قد ألحقت بها بيوت يسكنها الطلاب وخاصة الفقراء منهم، أو الطلاب الواردون على هذه المدارس، وقد سكن في مدارس خراسان المدرّسون كما نزلها بعض العلماء الرحالة الذين وردوا خراسان من البلاد الإسلامية، وكانت الإقامة في المدارس النظامية شرطاً أساسياً للمدرسين والطلاب قال العماد الأصبهاني في حوادث سنة ٤٥٨هـ: «في هذه السنة استتم بناء المدرسة النظامية ببغداد، وانتظمت أحوالها، وسكنها من حملة الشريعة رجالها»[١].

- **أساليب التدريس وآدابه:**

كان لمجالس التدريس جلالة وهيبة، فإذا عزم المدرّس على عقد مجلس التدريس، تطهر من الحدث والخبث، وتنظف وتطيب، ولبس من أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه قاصداً بذلك تعظيم العلم

(١) دولة آل سلجوق: ص٣٢.

وتبجيل الشريعة[١]. فكام الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء النيسابوري المتوفى سنة ٥١٦هـ، لا يلقي الدرس إلّا على طهارة[٢].

ويجلس المدرّس بوقار وسكينة متربعاً، ولا يجلس مقعياً[٣]، ولا مستوفزاً[٤]، ولا رافعاً إحدى رجليه على الأخرى[٥].

ولا بأس أن يطالب المدرس الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات، ويمتحن ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة والمسائل الغريبة، ويختبرهم بمسائل تبنى على أصل قرره أو دليل ذكره، فمن رآه مصيباً في الجواب شكره، ومن رآه مقصراً، ولم يخف نفوره عنفه على قصوره[٦].

وكان الإمام أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري مدرّس نظامية نيسابور، وهراة، يمتحن طلابه فقد ذكر تلميذه أبو الخير الطالقاني القزويني، الذي صار مدرساً لنظامية بغداد، أنه لمّا كان بنيسابور، عند محمد بن يحيى، وهو صبيّ، كان من عادته أنه في كل أسبوع يأخذ على الفقهاء ما حفظوه وقال: «وكنت غير جيد الحفظ فطالبني مرة بعد مرة وأنا لا أقدر على حفظه، فأمرني بالانتقال من عنده والاشتغال على غيره كعادته»[٧].

---

(١) تذكرة السامع: ص١٨٥.

(٢) وفيات الأعيان: ج١، ص٤٠٢، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧ حد ٧٥.

(٣) مقعياً، أقعى الرجل في جلوسه إذا جلس متسانداً إلى وراءه. لسان العرب، (مادة قعا).

(٤) مستوفزاً: استوفز في قعدته إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن، لسان العرب: (مادة وفز).

(٥) تذكرة السامع: ص١٨٦.

(٦) المصدر نفسه، ص١٩٩.

(٧) الوافي بالوفيات: ج٦، ص٢٥٤.

وللمسلمين في إجلال العلم والمدرسين أمور تدعو إلى احترامهم وتقديرهم، فقد كان التلميذ يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب، كما يجلس الصبي بين يدي المقرئ بتواضع وخشوع، ويصغي إلى الشيخ ناظراً إليه، ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام مرة ثانية[١].

حتى أن كبار العلماء كانوا يتواضعون لمن يشدون عنه طرفاً من العلم والمعرفة التي يجهلونها ويجلسون بين أيديهم كما يجلس الطالب بين يدي الأستاذ، وقد يبذلون في ذلك الغاية من التواضع، فقد كان الإمام فخر الدين الرازي البكري، نزيل هراة على جلالة قدره وعظيم هيبته وعلو منزلته في العلم، لا يراجع في كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه لا عظامه، غير أنه عندما ورد مرو، وقرأ عليه السيد النسابة إسماعيل بن الحسين العلوي المروزي طلب منه الإمام الفخر الرازي أن يصنف له كتاباً في أنساب الطالبيين. فصنف له الكتاب وسماه بـ«الفخري» فلما وقف عليه الفخر الرازي أعجبه ونزل عن طرّاحته[٢]، وجلس على الحصير ولم يتردد أن يقول له: اجلس على هذه الطرّاحة. فلمّا أعظم السيد النسابة ذلك انتهزه وقال له: «أجلس بحيث أقول له» فجلس حيث أمره، ثم أخذ يقرأ عليه ذلك الكتاب وهو جالس بين يديه يستفهمه عما يستغلق عليه إلى أن افهاه قراءة، فلمّا فرغ منه قال له: «.. اجلس الآن حيث شئت فأن هذا علم أنت أستاذي فيه، وأنا استفيد منك، وأتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلّا بين يدي الأستاذ»[٣].

---

(١) تذكرة السامع: ص٢١٨.

(٢) الطراحة: بضم الطاء، وتشديد الراء، ما يطرح للجلوس عليه أو القعود وكأنها المنذر.

(٣) معجم الأدباء: ج٦، ص١٤٨-١٥٠، تلخيص مجمع الآداب: ق١، ج٤، ص٤٠١.

ومن مظاهر احترام الطلاب لأساتذتهم وتوقيرهم حتى بعد وفاتهم، ما ذكره ابن أبي أصيبعة الخزرجي، أنه اجتمع بدمشق بشمس الدين الخسروشاهي، تلميذ الفخر الرازي، وكان شيخاً حسن السمت، مليح الكلام، قويّ الذكاء، وقال: ورأيته يوماً وقد أتى إليه بعض فقهاء العجم بكتاب دقيق الخط ثمن[١] البغدادي، معتزلي التقطيع، فلمّا نظر فيه صار يقلبه ويضعه على رأسه، فسألته عن ذلك فقال: هذا خط شيخنا الإمام فخر الدين ابن الخطيب (رحمه الله)، فعظم عندي قدره لتعظيمه شيخه[٢].

وهذا وصفاً لمجلس تدريس الإمام الفخر الرازي البكري من قبل تلميذه محيي الدين قاضي مرند قال: «.. وكان لمجلسه جلالة وهيبة عظيمة، وكان يتعاظم حتى على الملوك»[٣].

وقال أيضاً: «إذا جلس الإمام فخر الدين الرازي للتدريس يكون قريباً منه جماعة من تلاميذه الكبار، مثل: زين الدين الكشي، والقطب المصري، وشهاب الدين النيسابوري ثم يليهم بقية التلاميذ، وسائر الخلق على قدر مراتبهم، فكان من يتكلم يباحثه أولئك التلاميذ الكبار، فان جرى مشكل أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه وتكلم في ذلك المعنى بما يفوق الوصف»[٤] وكان إذا تكلم بذا القائلين[٥].

---

(١) ذكر الأستاذ حبيب الزيات في بحثه الموسم بـ «صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام» أن المصطلح عليه قديماً من الورق قطع الثلثين، والنصف، والثلث، والربع، والسدس، وأحياناً الثمن وكان ثمن البغدادي يستعمل للنسخ بالخط الدقيق كما في هذا النص أعلاه، وربما كتب أيضاً في قطعه نصف ثمن البغدادي في الأجزاء الصغار، وممن كان شديد الرغبة فيه خصوصاً أسعد بن الياس بن المطران الرومي طبيب صلاح الدين الأيوبي. مجلة المشرق/ لعام ١٩٥٤م، ص٦٣٢-٦٣٣.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص١٧٣.

(٣) (٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦.

● **مدارس نيسابور:**

عرفت مدينة نيسابور بكثرة المدارس، وممّا يؤكد كثرتها، عدد المدارس التي خربت سنة ٥٥٦هـ، على أثر الفتنة التي نمت بين نقيب العلويين بنيسابور ورئيس الشافعية بها، فقد ذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة، أنه قد خرب من مدارس الحنفية ثماني مدارس، ومن مدارس الشافعية سبع عشرة مدرسة، وقد أحرقت خمس خزائن للكتب، ونهب سبع خزائن كتب أخرى، وبيعت الكتب بأبخس الأثمان(١).

غير أنني وقفت على أخبار عشرة مدارس كانت بنيسابور للشافعية والحنفية في هذا القرن غير أن ثلاثة منها انقطعت عنا أخبارها في مطلع القرن السادس وهي: المدرسة القشيرية(٢)، والمدرسة المنسوبة إلى أبي العباس المشطى، فقد وقفت على ذكر مدرسها الإمام أبي الحسن المبارك ابن محمد الواسطي، المتوفى سنة ٤٩٢هـ(٣). ومدرسة أبي علي إسماعيل ابن علي الجاجرمي المتوفى سنة ٤٩٧هـ، وتحتوي على خزانة للكتب(٤).

١ المدرسة النظامية:

وهي إحدى المدارس العشر المنسوبة إلى نزام الملك، ولم تصل إلينا معلومات دقيقة عن تاريخ إنشاء نظامية نيسابور، وأول من درّس بها هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨هـ، فقد ذكر

---

(١) الكامل: ج١١، ص٢٧١-٢٧٢.

(٢) منتخب السياق: الورقة ١٤٠أ، ١٢١أ-١٢١ب، طبقات الشافعية الكبرى: ج، ص١٥٣-١٦٢.

(٣) منتخب السياق: الورقة/ ١٣٤ب، طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص٣١١، وفيه ذكر المدرسة المشطبية بدلاً من المشطي.

(٤) منتخب السياق: الورقة/ ٤٢ب، الأنساب ج٣، ص١٦٠، والجاجرمي: نسبة إلى جاجر وهي بلدة بين نيسابور وجرجان.

عبد الغافر الفارسي في ترجمته في السياق ما نصه: «.. وعاد إلى نيسابور في ولاية السلطان ألب أرسلان.. بإشارة نظام الملك، وعاد إلى التجريس، وبنيت المدرسة الميمونة النظامية، وأقعد فيها، واستقامت أمور الطلبة وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة..»[١].

يتبين من ذلك أن تاريخ إنشاء نظامية نيسابور كان سنة ٤٤٨هـ، على وجه التقريب. وأرى أن ما ذهب إليه صاحب السياق، غير صحيح، لأن السلطان ألب أرسلان قد تولى السلطنة بعد وفاة طفرلبك سنة ٤٥٥هـ[٢]، حيث اسند الوزارة إلى نظام الملك، وان إمام الحرمين عاد إلى نيسابور بعد سنة ٤٥٥هـ، ذلك لأنه خرج منها سنة ٤٤٥، لمّا وقعت الفتنة بين المعتزلة والأشعرية، حيث كان يقيم بأصبهان تارة، وببغداد تارة أخرى، وغيرها من الأماكن، ثم خرج إلى الحجاز، وجاور بمكة أربع سنين يدرّس ويفتي[٣].

ولعل تاريخ إنشائها مقارب لتاريخ إنشاء المدرسة النظامية ببغداد، حيث شرّع نظام الملك ببناء نظامية بغداد في ذي الحجة سنة ٤٥٧هـ، وتم افتتاحها للدراسة يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة ٤٥٩هـ[٤].

وقد احتلت نظامية نيسابور مكانة علمية ملحوظة في خراسان والعالم الإسلامي، وهي بهذا لا تقل شأناً عن نظامية بغداد ومكانتها العلمية أن لم تكن تنافسها، وذلك من حيث أنه قلد التدريس فيها طائفة من كبار علماء المسلمين مثل: الإمام أبي المعالي الجويني وأبي حامد الغزالي، ومحيي الدين النيسابوري، والأديب الخطاط أبي محمد النظامي

---

(١) السياق: الورقة/ ٤٨ب.

(٢) الكامل: ج١٠، ص٢٦-٢٧.

(٣) الكامل: ج١٠، ص٣٣، طبقات الشافعية الكبرى: ج٢، ص٢٧٢ (الحسينة).

(٤) وفيات الأعيان: ج١، ص٢٩٦.

المتوفى سنة ٥٩٠هـ، الذي تخرج فيها[١].

وقد تخرج منها ثلة من طلاب العلم والمعرفة الذين قصدوها من جميع أنحاء العالم الإسلامي يومئذ ونالوا مكانة علمية وأدبية مرموقة في بلدانهم، نذكر منهم شاعر ديوان السلطان سنجر الأنوري الأبيوردي الذي تخرج منها[٢].

هذا وقد تصدر التدريس بنظامية بغداد عدداً من مدرسي نظامية نيسابور، ومعيدها وتلامذتها الذين تخرجوا منها، وقد فصّلنا ذلك آنفاً[٣].

وقد أشاد السلطان سنجر المتوفى سنة ٥٥٢هـ بمكانة المدرسة النظامية بنيسابور في القرن السادس الهجري، حينما قلد تدريسها إلى الإمام محمد بن يحيى النيسابوري، فذكر أن المدرسة النظامية بنيسابور كانت منشأ الحقيقة الإسلامية، ومستقر فقهاء الدين وعلمائه ومتكأهم، وهم مفاتيح أنوار الهدى، ومصابيح أنواع الورع والتقوى، وكان صدور هذه المدرسة والمقتدون بها والمدرّسون فيها كبراء زحل إليهم نحارير علماء الآفاق من كل فجّ عميق، ورغبوا في خدمتهم، واغترفوا واقتبسوا من معادن علومهم وآدابهم[٤].

وكان للمدرسة النظامية خزانة للكتب، وقد تولى النظر في أمور هذه الخزانة عدد كبير من العلماء منهم: الإمام أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري المتوفى سنة ٥١٢هـ، اعتمد عليه في ذلك لصيانته وديانته في خزانة الكتب الموضوعة في المدرسة النظامية،

---

(١) (٢) مجلة المجمع العلمي العراقي - المدرسة النظامية في بغداد - لسعيد نفيسي: مج٣، ج١، ص١٤٢.

(٣) ينظر الفصل الأول من الباب الأول: ص١٢٣.

(٤) عتبة الكتبة: ص٧.

واقعد فيها، وكان يحضرها كل يوم من الظهر إلى العصر، ويفتح باب الخزانة ويحضرها المستفيدين، وربما كان يقرأ عليه الأصول والتفسير[١].

وقد ضمت هذه الخزانة نفائس الكتب نذكر من ذلك كتاب «بحر الأسانيد» ألفه مدرّس نظامية نيسابور، أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي المتوفى سنة ٤٩١هـ، ويروى أن هذا الكتاب بلغ (ثمانمائة) جزء بخط مؤلفه المقرمط[٢]، وقد ذكر فيه الأحاديث على اختلافها وتباين وجوهاً ورواياتها، وقد أودعه في خزانة كتب المدرسة النظامية بنيسابور مع سائر أجزائه وكانت حجرته التي يسكنها في المدرسة النظامية مملوءة بالأجزاء[٣].

وكتاب أبي عبدالله المعصومي الحكيم، في المفارقات وأعداد العقول والأفلاك، وترتيب المبدعات، كان في الخزانة النظامية بنيسابور نسخة منه، فأخذها جمال الملك، ابن نظام الملك، قال ظهير الدين البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥هـ: «ولا ندري أطارت بها العنقاء، أم أدركها الفناء؟ وكان هذا الكتاب معشوق كافة الحكماء، وكان أبو علي يقول للمعصومي: «هو مني بمنزلة أرسطو بن أفلاطون»[٤].

وقد وجد ظهير الدين البيهقي في خزانة المدرسة النظامية بنيسابور نسخة من كتاب «الحيوان» باللغة الفارسية، صنفه الفقيه الحكيم أبو عبيد عبد الواحد الجورجاني، وكان هذا من خواص أبي علي بن سينا وندمائه، وهو الذي أعان أبا علي على جمع كتاب «الشفاء» كما أنه فسر مشكلات

---

(١) السياق: الورقة/ ٢٩ب.

(٢) القرمطة في الخط: دقة الكتابة وتداني حروفها، لسان العرب (مادة قرمط).

(٣) السياق: الورقة/ ٦ب-٧أ.

(٤) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٠٢-١٠٣، تتمة صوان الحكمة: ٩٥-٩٦، والمراد بأبي علي الفيلسوف الكبير ابن سينا.

القانون لابن سينا، وشرح رسالة «حي بن يقظان»[١]. **وإليك ذكرا لطائفة من العلماء الأجلاء الذين تصدروا التدريس بالمدرسة النظامية بنيسابور، منذ إنشائها، والعلماء الذين تخرجوا بهم، ممن قاموا بأعباء الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس:**

١ **الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبدالله الجويني**، المعروف بأم الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨هـ، وهو أول من تصدر التدريس في نظامية نيسابور بعد إنشائها، وتخرج به جماعة من الأئمة والفحول، وأولاد الصدور حتى بلغوا محل التدريس في زمانه[٢].

وكان يحضر درسه الأكابر والجمع العظيم في الطلبة، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو من (ثلاثمائة) رجل من الأئمة والطلبة[٣]. وقد درّس كتابه «المذهب الكبير» المسمى بنهاية المطلب في دراية المذهب، وكان قد أتى فيه من البحث والتقرير والسبك والتدقيق، ودرّسه للخواص من تلامذته، وعقد مجلساً لتتمة الكتب، وحضره الأئمة الكبار وختم الكتاب على رسم الإملاء والاستملاء[٤].

وقد حزن الطلبة عليه عندما توفي فقال ابن عساكر: «كان الطلبة قريباً من أربعمائة نفس يطوفون في البلد نائحين عليه مكّسرين المحابر، والأقلام مبالغين في الصباح والجزع»[٥].

وقد تلمذ له، وتفقه عليه جماعة كبيرة من الفقهاء، وتخرجوا به ونالوا مكانة علمية كبيرة في القرن السادس، ذكرنا بعضهم في ثنايا

---

(١) تتمة صوان الحكمة: ص٩٣-٩٤، تاريخ حكماء الإسلام: ص١٠٠-١٠١.
(٢) تبيين كذب المفتري: ص٢٨٦، طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص١٧٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٨١، المصدر نفسه، ج٥، ص١٧١.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٨١-٢٨٢، المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٧-١٧٨.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٨٥، المصدر نفسه، ج٥، ص١٨١.

البحث منهم: أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ[١]، أبو المظفر أحمد ابن محمد الخوافي المتوفى سنة ٥٠٠هـ[٢]، أبو الحسن علي بن محمد الطبري الهّراسي المعروف بالكيا المتوفى سنة ٥٠٣هـ[٣]، أبو نصر عبد الصمد بن أحمد السراج الكوشكي المتوفى سنة ٥١٨هـ[٤]، أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي النيسابوري المتوفى سنة ٥٢٩هـ[٥]، أبو عبدالله محمد بن الفضل الفراوي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٠هـ[٦]، أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٥١٤هـ[٧]، وأبو محمد عبد الجبار بن محمد الخواري البيهقي المتوفى سنة ٥٣٦هـ[٨]، وأبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرماني الدّامغاني المتوفى سنة ٥٤٥هـ[٩]، أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران الأنصاري النيسابوري المتوفى سنة ٥١٢هـ[١٠]، وأبو سعيد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٢هـ[١١].

وأبو العباس عمر بن عبدالله الخطيب الارغياني النيسابوري المتوفى

---

(١) الوافي بالوفيات: ج١، ص٢٧٦، مرآة الجنان: ج٣، ص١٨١.

(٢) وفيات الأعيان: ج١، ص٩٦-٩٧، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٦٣.

(٣) السياق: الورقة/ ٧٣أ، وفيات الأعيان: ج٣، ص٢٨٦:

(٤) التحبير: الترجمة/ ٣٤٣، طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٧٥.

(٥) وفيات الأعيان: ج٢، ص٣٩١-٣٩٢؛

(٦) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٦٨.

(٧) المصدر نفسه، ج٦، ص١٦٠-١٦٢.

(٨) التحبير: الترجمة/ ٣٨٢، التقييد: الورقة/ ١٤٤ب-١٤٥أ:

(٩) المصدر نفسه/ ٤٥٠، الأنساب: ج٦، ص١٦٦.

(١٠) طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٦٤-٦٥.

(١١) التحبير: الترجمة/ ١٢، العبر: ج٤، ص٨٧.

سنة ٥٣٤هـ[١]، وأبو الفضل محمد بن أحمد الماهاني المروزي المتوفى سنة ٥٢٥هـ[٢]، أبو القاسم إسماعيل بن عبد الملك الطوسي المتوفى سنة ٥٢٩هـ[٣]، وأبو القاسم يوسف بن الحسن الخارزنجي النيسابوري[٤]، وأبو حفص عمر بن محمد بن علي السرخسي الشيرازي المتوفى سنة ٥٢٩هـ[٥]، أبو الحسن القيرواني الأديب[٦].

٢ **الإمام أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي** المتوفى سنة ٥٠٥هـ، وكان قد اشتغل في مبدأ حياته كما ذكرنا بمدينة طوس على أحمد الراذكاني، ثم قدم نيسابور، واختلف إلى درس إمام الحرمين وجدّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه، وأوحد أقرانه، فكان الطلبة يستفيدون منه ويدرّس لهم ويرشدهم ويجتهد في نفسه، وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف، ويقال: أنه لمّا صنف كتابه «المنحول» وعرضه على أستاذه إمام الحرمين فقال له: «دفنتني وأنا حيّ فهلاً صبرت إلى أن أموت؟ لأن كتابك غطى على كتابي»[٧]، **وكان إمام الحرمين يصفه بقوله: «الغزالي بحر مغرق»**[٨].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥٠٣.

(٢) المنتخب من كتاب السياق: الورقة/ ١٩ب، تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة/ ١٤٣.

(٣) تاريخ الإسلام: م٣١ ق١: الورقة/ ١٦٠ب، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٤٣١-٤٣٤.

(٤) الأنساب: ج٥، ص٧، معجم البلدان: ج٢، ص٣٨٦.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٥٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٦.

(٧) الوافي بالوفيات: ج١، ص٢٧٦، مرآة الجنان: ج٣، ص١٨١.

(٨) مقدمة إحياء علوم الدين: ص٢، ط١، المطبعة العثمانية المصرية (١٣٥٢هـ-١٩٣٣م).

فوّض إليه التدريس بنظامية نيسابور بعد أن اعتزل التدريس بنظامية بغداد سنة ٤٨٨هـ، فعاد من الشام إلى نيسابور ولزم التدريس بنظاميتها، ثم ترك ذلك، وأقام بوطنه طوس إلى أن توفي[١].

❸ **أبو المعالي عبد الرزاق بن عبدالله بن علي بن إسحق الطوسي** المتوفى سنة ٥١٥هـ. تفقه على أبي المعالي الجويني حتى صار من فحول المناظرين، وكان إمام نيسابور في عصره، ومن مشاهير العلماء، وليّ التدريس في مدرسة عمه نظام الملك مدة، ثم ارتفعت درجته إلى أن صار وزير السلطان سنجر بن ملكشاه وبقي على الوزارة يجتمع عنده الأئمة ويظهر كلامه عليهم[٢].

❹ **أبو الفتح إدريس بن علي بن إدريس الأديب الحنيفي البياري،** النيسابوري المتوفى سنة ٥٤٠هـ وكان أديباً فاضلاً، مليح الشعر، رقيق الطبع، وكان يدرّس الفقه[٣] وكان قد فوّض التدريس بالمدرسة السلطانية بنيسابور، فكان يدرّس ويفتي إلى أن مات[٤].

❺ **الإمام أبو سعد محمد بن يحيى بن أبي منصور النيسابوري،** الملقب بمحيي الدين. كان والده من أهل جنزة، خرج عنها بسبب الأستاذ أبي القاسم القيشري. قدم نيسابور وصار من مريده، وسكن بالآخر قصبة طريثيث، وولد أبو سعد هذا بها.

كان إماماً مفتياً، مناظراً، مفسراً، أصولياً، واعظاً. وتفقه على

---

(١) وفيات الأعيان: ج٣، ص٣٠٤، مرآة الجنان: ج٣، ص١٨٠، شذرات الذهب: ج٤، ص١٢ الوافي بالوفيات: ج١، ص٢٧٦.

(٢) التحبير: الترجمة/٤٠٥، دولة آل سلجوق: ص٢٤٤-٢٤٥.

(٣) المصدر نفسه/٥١.

(٤) معجم البلدان: ج١، ص٧٧٢، الجواهر المضية: ج١، ص١٣٥-١٣٦، والبياري: نسبة إلى بيار مدينة من أعمال قوس بين بسام وبيهق.

الإمامين أحمد الخوافي، وأبي حامد الغزالي، وبرع في الفقه والمناظرة وصار انظر الخراسانيين في عصره، وصنف التصانيف في الخلاف، قلده السلطان سنجر السلجوقي التدريس في المدرسة النظامية بنيسابور، فتكاثر الفقهاء لديه، ورحل الناس إليه من أقصى الغرب والشرق وتخرجوا عليه، وصاروا أئمة فضلاء قتل بنيسابور في جامعها الجديد سنة ٥٤٩هـ، قتله الغزّ وقت الإغارة على نيسابور، **وقد رثاه جماعة من الأدباء منهم: أبو الحسين علي بن أبي القاسم البيهقي بقوله**(١):

يا سافكاً دَمَ عالِمٍ مُتَبَحرٍ   قد طار في أقصى الممالِك صيتُهُ
باللهِ قُلْ لي يا ظَلومُ ولا تَخفْ   مَن كان يحيي الدّين كيف تُمِيتُهُ؟

★ **وقد تلمذ له جماعة من الفقهاء منهم:**

١ • **أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني الطالقاني** المتوفى سنة ٥٨٩هـ.

رحل من بلده قزوين إلى نيسابور فأقام بها عند الفقيه محمد بن يحيى، وقرأ عليه، ولازمه، حتى برع وصار أحد معيدي دروسه(٢).

٢ • **أبو القاسم إبراهيم بن علي السّلمي الآمدي البغدادي** المتوفى سنة ٥٧٥هـ.

تفقه على أسعد المهيني مدرّس نظامية بغداد، ثم رحل إلى

---

(١) التحبير: الترجمة/٩٠٨، الكامل: ج١١، ص١٨١، وفيات الأعيان: ج٣، ص٣٥٩، العبر: ج٤، ص١٣٣-١٣٤، مرآة الجنان: ج٣، ص٣٩٠-٣٩١، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٥-٢٧، النجوم الزاهرة: ج٥، ص٥٣٠، روضات الجنات: ص٦٩٥.

(٢) الوافي بالوفيات: ج١، ص٢٥٣-٢٥٥.

نيسابور فتفقه على محمد بن يحيى وعلق عنه الخلاف[١].

٣ • **أبو نصر الفتح بن أحمد بن عبد الباقي** من أهل بعقوبة.
سافر إلى خراسان، وأقام بنيسابور يتفقه على محمد بن يحيى. قال أبو سعد: «علقت عنه أبياتاً من الشعر» قتل بنيسابور سنة ٥٤٠هـ[٢].

٤ • **أبو حامد عبدالله بن أبي الفتوح بن عمران القزويني الشافعي** المتوفى سنة ٥٨٥هـ. تفقه بنيسابور على الإمام أبي سعد محمد ابن يحيى[٣].

٥ • **أبو نصر أحمد بن زّر بن كمّ بن عقيل الكمال السمناني** المتوفى سنة ٥٧٥هـ. تفقه على محمد بن يحيى، وكان مقدم أصحابه، ومعيد درسه[٤]، وقد قصده الإمام فخر الدين الرازي بعد وفاة والده واشتغل عليه[٥].
وقد تفقّه عليه جماعة كبيرة ذكرنا بعضهم في موضوعات أخرى من هذا البحث.

٦ **أبو المعالي مسعود بن أحمد بن محمد بن المظفر الخوافي**، المتوفى سنة ٥٥٦هـ. كان إماماً، فقيهاً، منتاظراً، عاقلاً، ذا رأي صائب، درّس بنظامية نيسابور، وسمع وحدّث[٦].

---

(١) المختصر المحتاج إليه: ج١، ص٢٣٢.
(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٥٧.
(٣) التكملة لوفيات النقلة: ج١، ص٢١٦.
(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٦-١٧ المتن، والحاشية
(٥) طبقات النحاة واللغويين: ص٢١٥.
(٦) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٩٧، طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٧٥١-٧٥٢، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٤٨٠.

❼ **قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود الطريثيثي النيسابوري** المتوفى سنة ٥٧٨هـ. كان من فحول المناظرين، وليّ التدريس بنظامية نيسابور(١)، نيابة عن سبط ابن الجويني(٢).

❷ **المدرسة البيهقية:**

أنشئت هذه المدرسة بنيسابور على قول تاج الدين السبكي: قبل أن يولد نظام الملك(٣). أي قبل سنة ٤٠٨هـ. وتقع هذه المدرسة في سكة سيار(٤)، وتنسب إلى أبي علي بن الحسين بن الموفق البيهقي المتوفى سنة ٤١٤هـ، وقال عبد الغافر الفارسي: بنى مدرسته من خالص ماله، وانفق على عمارتها ومصالحها آلافاً مؤلفة»(٥). أقيمت هذه المدرسة لأصحاب الشافعي، وظلت قائمة إلى القرن السادس، حيث أقام بها أبو بكر أحمد بن محمد ابن بشار الخرجردي البوشنجي المتوفى سنة ٥٤٣هـ.

وكان هذا قد تفقه على أبي بكر الشاشي بهراة، ثم تلمذ لأبي المظفر السمعاني، وعلق عليه الخلاف والأصول، وكتب تصانيفه بخطه، ثم عاد إلى نيسابور واشتغل بالعبادة، واعرض عن الخلق، وما كان يخرج إلّا أيام الجمعات، سمع منه أبو سعد السمعاني بقراءته الكثير وقال: «لزم منزله

(١) تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ص٤، ص٧١٩، العسجد المسبوك: ص١٩٠، وفيه وفاته سنة ٥٧٩هـ.

(٢) مرآة الزمان: ق١، ج٨، ص٣٧٣، الأعلاق الخطيرة: ج١، ق١، ص١٠٠، الدارس في تاريخ المدارس: ج١، ص١٨٣، وفيات الأعيان: ج٥، ص١٩٦-١٩٧، وفيه درّس نيابة عن الجويني.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ج٤، ص٣١٤.

(٤) منتخب السياق: الورقة/ ٢٥ب.

(٥) السياق: الورقة/ ٦١أ.

بنيسابور في مدرسة البيهقي»[١] مما يؤكد على أن أبا سعد قد قرأ عليه بهذه المدرسة.

وكان للمدرسة البيهقية خزانة للكتب عامرة، فقد اعتمد على أبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن في أمر الودائع من كتب الحديث المجموعة في الخزائن الموروثة عن المشايخ والموقوفة على أصحاب الحديث، وكان يصونها، ويتعهد حفظها، ويتولى أوقاف المحدثين من الحبر والورق، وغير ذلك في المدرسة البيهقية[٢].

وخلفه سلمان بن ناصر الأنصاري المتوفى سنة ٥١٢هـ في حفظ الكتب الموقوفة والمملوكة عنده في المدرسة البيهقية[٣].

٣ المدرسة الناصحية:

تنسب هذه المدرسة إلى ناصح الدولة، وهي من مدارس أصحاب الشافعي بنيسابور، وظلت قائمة إلى القرن السادس، وأول من درّس بها أبو القاسم عبد الواحد بن إسماعيل البوشنجي المتوفى سنة ٤٨٠هـ، وهو من وجوه الفقهاء، والمدرسين، والمناظرين، تفقه على إبراهيم الضرير، وأقعده ناصح الدولة في مدرسته، فكان يدرّس فيها[٤].

---

(١) الأنساب: ج٥، ص٨٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٣أ.
(٢) الوافي بالوفيات: ج٧، ص١٥٦-١٥٧.
(٣) السياق: الورقة/ ٣٠أ.
(٤) السياق: الورقة/ ٥٢ب-٥٣أ، وفيه وفاته سنة ٤٠٨هـ، وهذا غير صحيح، لأنه حضر درس أمام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨هـ، وربما حصل هذا الخلط من قبل ناشر المخطوطة المصورة بالأوفست، يراجع ملاحظات الدكتور ناجي معروف على هذا الكتاب، منتخب السياق: الورقة/ ٩٨ب-٩٩أ، طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص٢٢٥.

ثم درّس بها محمد بن الفضل بن أحمد أبو عبدالله الفراوي الصاعدي الكناني، الأزدي، النيسابوري الملقب بفقيه الحرم المتوفى سنة ٥٣٠هـ، درس على زين الإسلام القشيري، ثم اختلف إلى جرس إمام الحرمين، وتفقه عليه، وعلق عنه الأصول، وصار من جملة المذكورين من أصحابه، وحج وعقد المجلس ببغداد، وسائر البلاد، وعاد إلى نيسابور، درّس بالمدرسة الناصحية(١).

٤ المدرسة الشرقية:

لم تصل إلينا معلومات تبين لنا لمن تنسب هذه المدرسة ومتى أنشئت، وقد ذكر أن أبا سعد عبدالله بن عمر المعروف بابن الصفار المتوفى سنة ٦٠٠هـ، من أحفاد ابن فورك الأنصاري، تفقه على جماعة، وبرع في الفقه والأصول، وتولى التدريس في المدرسة الشرقية بنيسابور(٢).

٥ مدرسة عميد خراسان:

تنسب هذه المدرسة إلى الأمير أبي نصر محمد بن منصور النسوي المعروف بعميد خراسان وكان هذا كثير الرغبة في الخير بنى مدرسة للشافعية بنيسابور، ودفن فيها سنة ٤٩٤هـ، وقد تفقه فيها أبو سعد السمعاني، وأخوه عبد الوهاب في عهد النشأة على الشيخ أبي بكر الشيرويي المتوفى سنة ٥١٠هـ، عندما رحل بهما والدهما إلى نيسابور سنة ٥٠٩هـ وكان يحضران مجلسه، وقد سمعا منه الكثير، وأكثر التسميعات كانت مثبتة بخطه والدهما ومن جملة ما سمعاه عنه منه: جزء

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٦٨، وفيات الأعيان: ج٣، ص٤١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص١٥٦، العبر: ج٤، ص٣١٢، النجوم الزاهرة: ج٦، ص١٨٦، شذرات الذهب: ج٤، ص٣٤٥.

سفيان بن عيينة، وجزء محمد بن هشام بن ملاس، وجز محمد بن عبدالله ابن عبد الحكم، خمسة أجزاء من كتاب «المسند» لأبي عبدالله الشافعي، من أصل ثمانية أجزاء ولم يكن هذا القدر مسموعاً للشيخ أبي بكر الشيرويي، والجزء الثالث من «مغازي» ابن إسحق(١).

٦ المدرسة الصاعدية:

وهي من مدارس الحنفية بنيسابور، وقد أنشئت قبل سنة ٤٠٤هـ لأن أبا العلاء الصاعدي كان قد استخلف الإمام أبا القاسم عبدالله بن محمد بن عمرو الزيادي المتوفى سنة ٤٣٠هـ للتدريس وإفادة المختلفة من الطلبة في مدرسته عند خروجه إلى الحج سنة ٤٠٤هـ، وكان هذا من وجوه الفقهاء الحنفية بنيسابور(٢).

وقد درّس بها أبو العلاء صاعد بن منصور قاضي القضاة المتوفى سنة ٤٩٤هـ، وكان هذا أحد وجوه الدوحة الصاعدية من الأزد في عصره، وكان يحضر المجالس والمحافل والمجامع مع أبيه وعمه، وينوب عن والده في الخطابة واقعد في المدرسة ودرس(٣).

وممن درس بالمدرسة الصاعدية أبو الفتح عبد الملك بن صاعد المتوفى سنة ٥١٠هـ، ويظهر من سياق ترجمته، أنه درّس بالمدرسة الصاعدية، إذ كان شيخاً فاضلاً، فقيهاً، مفتياً، مدرساً من وجوه الدوحة الصاعدية، ودفن في مدرستهم(٤).

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٤٣٤.

(٢) السياق: الورقة/ ٣٢أ، منتخب السياق، الورقة/ ٨٠ب، وفيه ذكر سنة ٤٠٢هـ سنة خروجه إلى حجته الثانية.

(٣) السياق: الورقة/ ٨٧ب-٨٨أ، تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة/ ٢٥، وفيه سنة وفاته ٥٠٦هـ.

(٤) السياق: الورقة/ ١٤٩أ، منتخب السياق: الورقة/ ١٩٦أ.

⑦ المدرسة الصندلية:

وهي من مدارس الحنفية، تنسب إلى الإمام أبي الحسن علي بن الحسن بن علي الصندلي المتوفى سنة ٤٨٤هـ، وهو وجه أئمة أصحاب أبي حنيفة في عنصره، توفي فدفن في مدرسته[(١)]. ودرّس بها الفقيه أبو إسحق إبراهيم بن محمد الدهستاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ، وكان قد ورد نيسابور سنة ٤٦٠هـ، وتفقه بمدرسة الإمام الصندلي، وصار من المدرسين، وكان إمام الحرمين يقبل عليه في مجلس المناظرة، ذكره الهمذاني في الطبقات، فقال: «قرأ على أبي الفرائض والحساب..»[(٢)].

وظلت هذه المدرسة قائمة حتى منتصف القرن السادس الهجري، حيث خربت سنة ٥٥٣هـ، كما ذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة[(٣)].

● مدارس مرو الشاهجان:

أحصيت ثماني مدارس كانت قائمة بمرو في القرن السادس، وكان لها دور فعال في تنشيط الحركة الفكرية، وقد عقدت في هذه المدارس عدد كبير من المجالس العلمية إلى جانب مجالس التدريس، وكان ينزل بهذه المدارس العلماء الواردون على مرو ويعقد لهم فيها المجالس العلمية، ويعكفون على سماع الكتب وتحصيل المعلومات، واستفادة من كتب الخزائن، حيث عرفت مدينة بمرو بكثرة خزائن الكتب التي ضمت آلافاً من الكتب في مختلف فنون المعرفة، منها كتب الأصول المتقنة، والعلوم، والآداب الموجودة في المدارس، والمساجد،

---

(١) السياق: الورقة/ ٦٨أ-٦٨ب، منتخب السياق: الورقة/ ١١٤ب، الجواهر المضية: ج١، ص٣٥٧-٣٥٩.

(٢) الجواهر المضية: ج١، ص٤٧-٤٨.

(٣) الكامل: ج١١، ص٢٣٦.

والربط، وغيرها، فقد ذكر ياقوت الحموي الذي جال في مدن خراسان وأقام بمرو أكثر من ثلاث سنوات حيث فارقها سنة ٦١٦هـ عند ورود التتر إليها أنه فارقها وكان فيها عشر خزائن للوقف.

وقال ياقوت عن كتب تلك الخزائن: «أنها سهلت التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار، فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الأهل والولد، وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن»(١). **نذكر من تلك الخزائن:**

١ • **خزانة كتب شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور** المتوفى سنة ٤٩٤هـ. وكان حنفي المذهب، وكانت هذه الخزانة في مدرسته هناك(٢).

٢ • **الخزائن الخاتونية في مدرستها**(٣)، ولم نعرف لمن تنسب هذه المدرسة.

٣ • **الخزانة الضميرية في الخانكاه**(٤)، لم يشر ياقوت لمن تنسب هذه الخزانة ولا الخانكاه، ولم يعيّن موضعه.

٤ • **خزانة مجد الملك**، أحد الوزراء المتأخرين، وهذه هي إحدى خزائن الوقف العشر التي كانت بمرو(٥).

★ **أما بقية الخزائن فقد ذكرناها في مواضع أخرى.**

وكان للسلطان سنجر بن ملكشاه خزانة للكتب، ولم يبيّن ياقوت موضع هذه الخزانة، إلّا أنني أرجح أنها كانت بمرو، لأن السلطان سنجر بن ملكشاه كما ذكرنا قد اتخذ من مرو عاصمة له وقبره بها في قبة عظيمة لها شباك إلى الجامع.

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) معجم البلدان: ج٤، ص٥٠٩.

فلعل هذه الخزانة تقع في هذه المقبرة.

ومن الكتب التي تضمها هذه الخزانة مؤلفات الحكيم أبي الفتح كوشك قال ظهير الدين البيهقي الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ، «ورأيت كتبه في خزانة السلطان الأعظم سنجر وكان السلطان مشغوفاً بكتبه بسبب حسن اعتقاده فيه، وكان أبو الفتح عارفاً بأجزاء علوم الحكمة»(١).

■ **وهذه أشهر المدارس القائمة بمرو في هذا القرن:**

١ المدرسة النظامية:

وكانت أشهر المدارس القائمة بمرو في هذا القرن، وتنسب هذه المدرسة إلى نظام الملك، ولم أعثر على ذكر مدارس كانت قائمة بمرو قبل المدرسة النظامية، وكانت تضم خزانة كتب نظام الملك(٢).

ولعل تاريخ إنشائها يوافق انتقال أبي المظفر السمعاني المتوفى سنة ٤٨٩هـ، نجد أبي سعد، من المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي سنة ٤٦٨هـ، ويحتمل أن نظام الملك قد بنى هذه المدرسة لأبي المظفر السمعاني، وأصحابه، لأن نظام الملك، رفع من حشمته وقدّمه على أقرانه، وعلا أمره، وعقد له مجلس التذكير والتدريس في مدرسة أصحاب الشافعي بمرو(٣).

● **لقد ذكره حفيد أبو سعد السمعاني فقال عنه**: «إمام عصره بلا مدافعة، عديم النظر في وقته، ولا اقدر اصف بعض مناقبه، ومن طالع

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٠٦، تتمة صوان الحكمة: ٩٩-١٠٠.

(٢) معجم البلدان: ج٤، ص٥٠٩.

(٣) السياق: الورقة/ ٨٨ب، منتخب السياق: الورقة/ ١٣٠أ، طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص٣٤٤.

تصانيفه وأنصف عرف محله من العلم»(١).

وذكر له حفيده في كتاب «التحبير» عدداً كبيراً من الفقهاء الذين تفقهوا عليه وسمعوا منه، وقد أدرك أبو سعد جماعة من أصحابه، وتفقه على صاحبيه: أبي حفص عمر بن علي السرخسي(٢). وأبي إسحق إبراهيم ابن أحمد المروذي(٣). وقد روى عنه الحديث جماعة يزيدون على خمسين نفراً منهم: نصر بن محمد القاشاني بأصبهان(٤)، وأبو بكر الخرجردي بنيسابور(٥)، وأبو البدر حسان بن كامل قاضي طوس(٦)، وأبو القاسم الجنيد بن محمد الفامي بهراة(٧)، وغيرهم.

ومن تلامذته: أبو عبدالله محمد بن الحسن المرداخواني(٨). وممن حضر درسه أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد البوينجي الجويباري المتوفى سنة ٥٢٨هـ(٩)، وأبو المعالي مسعود ابن أحمد بن محمد بن أحمد العباسي الطبري النسابه المتوفى سنة ٥٣٢هـ(١٠).

❷ **درّس بها ولده الإمام أبو بكر محمد بن منصور السمعاني** المتوفى سنة ٥١٠هـ، وكان قد احتل مكانة كبيرة بين علماء عصره حتى أن والده

---

(١) الأنساب: الورقة/ ٣٠٧ب-٣٠٨أ.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٥٢١.

(٣) الأنساب: الورقة/ ٥٢٢ب، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٣١-٣٢.

(٤) المصدر نفسه، الورقة/ ٣٠٨أ.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٨٣، معجم البلدان: ج٢، ص٤٢٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج٤، ص٥٠-٥١.

(٦) التحبير: الترجمة/ ١٥٤.

(٧) الأنساب: الورقة/ ٣٥٨أ، التحبير: الترجمة/ ٩٠ وفيه القايني وليس الفامي.

(٨) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٨.

(٩) التحبير: الترجمة/ ٣٦٢.

(١٠) المصدر نفسه، ٩٧٥.

كان يفتخر به ويقول على رؤوس الإشهاد وفي مجلس الإملاء: «محمد أبني أعلم مني وأفضل مني»[(١)]. وكان إذا أجرى شيء يتعلق بالأنساب أو اللغة وإذا سئل عن ذلك يقول: «سلوا ابني محمداً فأنه أعرف باللغة مني»[(٢)]. خلف أباه في مجالس التدريس والنظر والتذكير وزاد عليه في الخطابة، ولقي القبول التام بين الخاص والعام ونفق سوق تقواه وورعه عند الملوك والأكابر حتى عظموا خدمته وتبركوا به وبنصحه وكلامه، وصار قطب قطره حشمة وحرمة وجاهاً ومنزلة[(٣)].

ذكره القفطي فقال: «شاب نشأ في عبادة الله وحظي من الأدب والنحو نظماً ونثراً وتصدر للإفادة، وسطر بقلمه ما سارت فوائده وانتظمت فرائده، وتفقه فأجاد وزاد، وروى الحديث بمرو في خلافة والده بمدرسته وأخذ الناس عنه كل هذه العلوم وسادوا بالأخذ عنه»[(٤)].

وقد حضر درسه أبو الفتح محمد بن عبد الحميد الأسمذي من قرية أسمذ بسمرقند. وكان فقيهاً فاضلاً مناظراً فحلاً، صنف التصانيف في الخلاف، ورد مرو قاصداً إلى القاضي الأرسابندي، ولم يكن حاضراً فحضر درس الإمام أبي بكر السمعاني وعلق عنه مسألة بيع اللحم بالشاه وانصرف من مرو[(٥)].

وممن تلمذ له الفقيه أبو حفص عمر بن محمد بن علي المروزي المتوفى سنة ٥٣٩هـ، وكان يعرف القراءات ويقرأ القرآن بالروايات،

---

(١) الأنساب: الورقة/٣٠٨أ.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٨.

(٣) تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٢٨٦، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٦-٧.

(٤) أنباء الرواة: ج٣، ص٢١٧.

(٥) الأنساب: ج١، ص٢٤٦.

وكان من المختصين بأبي بكر السمعاني والمختلفين إليه والمتلمذين له[١].

❸ **درّس بنظامية مرو نيابة عن أبي بكر السمعاني الإمام أبو الفتح أسعد بن محمد بن أبي نصر الميهني** المتوفى في حدود سنة ٥٢٧هـ، وكان تفقه بمرو على الإمام أبي المظفر السمعاني وعلى الموفق الهروي، قال أبو سعد السمعاني: «برع في الفقه، ففاق أقرانه في حدة الخاطر والاعتراض، ودري اللسان، وقهر الخصوم، وكان والدي استنابه في التدريس بالنظامية بمرو فتولى ذلك وتفقه عليه جماعة..»[٢]. منهم أبو مضر طاهر بن مهدي ابن طاهر.. الطبري المتوفى سنة ٥٣٢هـ أصله من طبرستان.

ولد بنيسابور ونشأ بها، وسكن مرو إلى حين وفاته، تفقه على أبي بكر السمعاني وتخرج على أسعد بن أبي نصر الميهني[٣].

❹ **درّس بها الإمام أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني** المتوفى سنة ٥٣٤هـ وهو عمّ أبي سعد الأصغر وأستاذه، إمام مفسر، حافظ لمذهب الشافعي، يفتي ويناظر، وكان مجلس وعظه كثير الفوائد، نظم الشعر باللسانين، وكان مشتغلاً بالعلم ودرسه وما كان يصرف وقته إلّا في إفادة واستفادة[٤].

وكان أبو سعد السمعاني، وأبو المجد فخراور بن شهفور، الذي ورد مرو نزل المدرسة النظامية يكرران درس أبي القاسم السمعاني وذلك سنة ٥٢٩هـ[٥].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥٢٣.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٤٣.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٢٩٢.

(٤) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٣١أ.

(٥) التحبير: الترجمة/ ٦٣٧.

٥ ودرّس بها تاج الإسلام أبو سعد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ وكان له بها نائب وهو عبدالله بن ميمون بن عبدالله المالكاني الكوفني المتوفى سنة ٥٦١هـ، وكان قد ورد مرو وسمع أبا بكر السمعاني وتفقه عليه قال أبو سعد: «كتب بمرو، وكان قد صار نايبي في المدرسة النظامية بمرو»[(١)].

٢ المدرسة العميدية:

تنسب هذه المدرسة إلى عميد خراسان محمد بن منصور النسوي المتوفى سنة ٤٩٤هـ، وقد أوقفها على أبي بكر السمعاني وأولاده، وكانت موجودة بعد وفاته بأكثر من قرن من الزمن. قال ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ: «فهم فيها إلى الآن»[(٢)].

وذكر ياقوت الحموي بأن لآل السمعاني ثلاث خزائن للكتب بمرو إحداها في المدرسة العميدية[(٣)].

وفي ترجمة أبي نصر عبد الرحمن بن محمد الخطيبي الخرجردي، ذكر أبو سعد أنه كان يستأنسه في المدرسة التميمية بمرو[(٤)].

والراجح أنها المدرسة العميدية، ولم يذكرها أبو سعد هنا بهذا الاسم، وإنما نسبها إلى قبيلته تميم.

ولا يذكر أبو سعد المدرسة العميدية إلّا بقوله: مدرستي[(٥)]،

---

(١) معجم البلدان: ج٤، ص٣٢٢.

(٢) المنتظم: ج٩، ص١٢٨.

(٣) معجم البلدان: ج٤، ص٥٠٩.

(٤) الأنساب: ج٥، ص٨٤، اللباب: ج١، ص٣٥٣.

(٥) التحبير: الترجمة/ ٧٥٠، معجم البلدان: ج١، ص٤٢١، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٠٣.

ومدرستنا[١]، وقد قرأ أبو سعد على عدد من المشايخ في هذه المدرسة كما أجازه بعض العلماء من بينهم:

١ • أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله الأبرينقي[٢] المتوفى سنة ٥٢٣هـ.

قال أبو سعد في التحبير: «لقيته غير مرة في مدرستنا واستجاز لي عنه أبو الحارث السرخسي وسمع منه الإمام والدي وعماي وحدثني عنه مشايخي..»[٣].

٢ • أبو طاهر إسماعيل بن أحمد العقيقي من أهل نيسابور المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

قال أبو سعد السمعاني: «ورغبت في القراءة عليه فحضر مدرستي يوماً وقرأت عليه أوراقاً»[٤].

٣ • أبو عبدالله محمد بن داود بن أحمد بن رضوان الإيلاقي الخطيب من أهل إيلاق إحدى بلاد فرغانه المتوفى سنة ٥٣٩هـ.

قال أبو سعد في التحبير: «لمّا رجعت من العراق سنة ثمان وثلاثين (وخمسمائة) قدم علينا مرو واقام عندي في المدرسة العميدية إلى أن توفى وسمعت منه أحاديث يسيرة[٥].

(١) الأنساب: ج٤، ص٢٧٢، التحبير: الترجمة/ ٥٩٦، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٣١، ٣٢.

(٢) الأبرينقي: نسبة إلى أبرينق وهي قرية من قرى مرو يقال لها أبريته. الأنساب: ج١، ص٩٤ معجم البلدان: ج١، ص٨٩.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٥٧٣.

(٤) التحبير: الترجمة/ ١٠، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٣٨ب.

(٥) التحبير: الترجمة/ ٧٥٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٠٣.

٣ المدرسة الخاقانية:

لم أقف على معلومات توضح لنا لمن تنسب هذه المدرسة، وتاريخ إنشائها، غير أن أبا سعد ذكرها في ترجمة شيخه أبي الحسن علي بن موجود بن الحسين النطنزي الكشاني، المتوفى سنة ٥٥٧هـ، من أهل الكشانية بلدة من السغد بنواحي سمرقند.

ووصفه بكونه إماماً، فاضلاً، مناظراً، واعظاً، قوالاً بالحق. تفقه بسمرقند، وبخارى، ثم بمرو على القاضي محمد بن الحسين الأرسابندي.

وليّ التدريس بالمدرسة الخاقانية بمرو وسكنها، وتفقه عليه جماعة، وكان يعظ وعظاً مفيداً[(١)].

٤ مدرسة شرف الملك المستوفي:

وهو أبو سعد محمد بن منصور المتوفى سنة ٤٩٤هـ، وكان حنفي المذهب، وقد زارها ياقوت الحموي وذكر أن خزانة كتب شرف الملك المستوفي كانت في مدرسته، وهي إحدى خزائن الوقف العشرة التي كانت بمرو حينما زارها ياقوت[(٢)].

٥ المدرسة الخاتونية:

ولم نعرف لمن تنسب هذه المدرسة غير أن ياقوت الحموي الذي زارها ذكر أن فيها خزانة للكتب[(٣)].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥٨١، الأنساب: الورقة/٤٨٣ب، اللباب: ج٣، ص٤٢، الجواهر المضية: ج١، ص٣٨٠، الفوائد البهية: ص١١٥، وفي المصدرين المتأخرين، ورد فيهما مودود بدلاً من موجود.

(٢) (٣) معجم البلدان: ج٤، ص٥٠٩.

٦ مدرسة الأرسابندي:

وهي من مدارس الحنفية، تنسب هذه المدرسة إلى القاضي الشهيد أبي بكر محمد بن الحسين الأرسابندي المتوفى سنة ٥١٢هـ. كان إماماً فاضلاً، انتهت إليه رئاسة أصحاب الإمام أبي حنيفة بمرو[١]، وقد تفقه عليه الإمام أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه أمام أصحاب أبي حنيفة بخراسان، قدم مرو وتفقه على القاضي الأرسابندي وارتفع حاله لاشتغاله بالعلم ونشره وتكاثر الفقهاء لديه، وتزاحم الطلبة عليه، تخرجوا به، وانتشر تلامذته في الآفاق، وظهرت تصانيفه بخراسان والعراق، وكانوا يقرأون عليه التفسير والحديث في شهر رمضان. سمع منه أبو سعد السمعاني، توفي سنة ٥٤٣هـ ودفن بمدرسة القاضي الشهيد بأعلى البلدة[٢]. ومن تصانيفه «الجامع الكبير» و«التجريد» في الفقه في مجلد وشرحه في ثلاث مجلدات وسماه «الإيضاح» و«شرح الجامع الكبير» و«الفتاوي» وكتاب «الحيض»[٣].

٧ المدرسة الحورانية:

لم تصل إلينا معلومات تبين لنا لمن تنسب هذه المدرسة، وقد ذكرها أبو سعد السمعاني في ترجمة أبي سليمان داود بن محمد بن الحسن الأربلي الموصلي الذي ورد مرو متفقهاً ونزل المدرسة الحورانية في حدود سنة ٥٢٠هـ، وكان يشتغل بالحديث، فسمع حديث الحارث بن

---

(١) الأنساب: ج١، ص١٦٦، والأرسابندي: نسبة إلى أرسابند من قرى مرو.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٣٥٩، الجواهر المضية ج١، ص٣٠٤، الفوائد البهية: ص٧٨، طبقات المفسرين: ص١٨.

(٣) هدية العارفين: ج١، ص٥١٩، الأعلام: ج٤، ص١٠٣، معجم المؤلفين: ج٥، ص١٧٢.

أبي أسامة من أبي منصور محمد بن علي بن محمد الكراعي بمرو ثم خرج إلى ما وراء النهر بعد أن أقام مدة بمرو[(١)].

٨ المدرسة الخازنية:

وانفرد بذكر هذه المدرسة أبو سعد السمعاني عندما ترجم لشيخه أبي عمرو إسماعيل بن الحسين بن أبي عمرو المستوفي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٠هـ. قال أبو سعد: «قدم مرو بسبب ولده الموفق». كان فقيهاً، مناظراً مبرزاً، فوّض إليه التدريس بالمدرسة الخازنية[(٢)].

- **مدارس هراة:**

- **وقفت على ذكر مدرستين مهمتين بهراة وهما:**

١ المدرسة النظامية بهراة:

تنسب هذه المدرسة إلى الوزير السلجوقي نظام الملك المتوفى سنة ٤٨٥هـ، وقد ذكر ابن الجوزي نظامية هراة في حوادث سنة ٤٧٨هـ، وذلك عندما تكلم بهراة أجد الفلاسفة وأرى أن هذا قد تكلم في المدرسة النظامية بهراة، فأنكر عليه ذلك عبدالله الأنصاري فتعصب لذلك قوم فافتتنت مدينة هراة واخرج ذلك المتكلم إلى فوشنج بعد أن أثخن وأحرقت داره فلجأ إلى دار القاضي أبي سعيد بن أبي يوسف مدرس فوشنج فاتبعه قوم من أصحاب الأنصاري إلى فوشنج، وهجموا عليه ونالوا منه، ومن أبي سعيد فافتتنت فوشنج وسودّ باب النظامية، فبعث نظام الملك من قبض على الأنصاري فابعد عن هراة حتى خبت الفتنة ثم أعاده إلى هراة[(٣)].

---

(١) الأنساب: ج١، ص١٥٢.

(٢) التحبير: الترجمة/ ١٩.

(٣) المنتظم: م٩، ص١٥-١٦.

ودرّس بها الإمام محمد بن يحيى النيسابوري، الذي كان يدرّس في نظامية نيسابور، ثم فوض إليه التدريس في نظامية هراة، توفي شهيداً قتله الغزّ سنة ٥٤٩هـ[١].

ويظهر أن هذه المدرسة بقيت مدة طويلة بعد وفاة نظام الملك. فقد ذكر الأستاذ خليل الله خليلي[٢]، أن نور الدين عبد الرحمن الجامي الشيباني، المولود في خرجرد سنة ٨١٧هـ دخل المدرسة النظامية بهراة، ودرّس على أيدي أساتذة عظام.

❷ مدرسة الإمام فخر الدين الرازي:

أنشئت في النصف الثاني من القرن السادس الهجري للإمام فخر الدين الرازي، وهو محمد ابن عمر بن الحسين بن علي القرشي البكري الصديقي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء، وقد شاعت سيادته، وانتشرت له في الآفاق مصنفات تزيد على مئتي مؤلف، وكان شديد الحرص في طلب سائر العلوم الشرعية، والحكمية، جد النظرة، حاد الذهن، وكان الناس يقرأون مؤلفاته ببلاد سمرقند على الإمام الفريد الغيلاني مثل: كتاب «المباحث المشرقية» وكتاب «شرح الإشارات» وكتاب «الملخص»وحينما قدم الرازي سمرقند عقد مناظرة مع الفريد الغيلاني[٣].

---

(١) وفيات الأعيان: ج٣، ص٣٥٩-٣٦٠، العبر: ج٤، ص١٣٣-١٣٤، روضات الجنات: ص٦٩٥.

(٢) تاريخ هراة: ص٨٧-٨٨، الجامي نسبة إلى جام بلدة بين المشهد وهراة وهي اليوم ضمن محافظة خراسان بايران.

(٣) مناظرات الإمام فخر الدين الرازي: ص٦٠، وكان الفريد الغيلاني رجلاً مستقيم الخاطر، حسن القريحة، إلّا أنه كان قليل الحاصل، وكان بعيداً عن النظر ورسوم الجدل.

وقد بنى له السلطان غياث الدين الغوري صاحب غزنة المتوفى سنة ٥٩٩هـ مدرسة بهراة، حينما قدم الإمام الفخر الرازي مفارقاً لبهاء الدين سام صاحب باميان[١]. فأكرمه غياث الدين، واحترمه، وبالغ في إكرامه، وكانت مدرسته تقع بالقرب من الجامع، فقصده الفقهاء من البلاد[٢].

ويظهر أن السلطان غياث الدين قد بنى له هذه المدرسة قبل وقوع الفتنة بين الفخر الرازي والكرّامية، وعلى رأسهم القاضي مجد الدين بن عمر المعروف بابن القدوة، وهو من الكرّامية الهيصمية، بسبب المناظرة التي جرت بينهما وحضرهما السلطان غياث الدين، والفقهاء من الكرّامية، والحنفية، والشافعية بفيروز كوه[٣]، وامتلأ البلد فتنة وكادوا يقتلون فبلغ ذلك السلطان، فأرسل جماعة من عنده إلى الناس وسكنهم ووعدهم بإخراج الفخر من عندهم، وتقدم إليه بالعودة إلى هراة فعاد إليها، ورجع إلى مدرسته بهراة[٤].

وقد درّس الإمام فخر الرازي بمدرسته بهراة إلى أن توفي سنة ٦٠٦هـ[٥]، وكان له مجلس عظيم للتدريس، وقد خلفه في التدريس بهذه المدرسة ولده أبو بكر[٦].

---

(١) وهو ابن أخت غياث الدين الغوري، والباميان، كورة في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة، وبها قلعة حصينة، معجم البلدان: ج١، ص٣٣٠.

(٢) الكامل: ج١٢، ص١٥١-١٥٢، العسجد المسبوك: ص٢٤٩، الجامع المختصر: ج٩، ص٤-٥، تاريخ هراة: ص٤٦.

(٣) قلعة حصينة في جبال غورشتان بين هراة وغزنة، معجم البلدان: ج٤، ص٢٨٤.

(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص٢٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣.

(٦) فخر الدين الرازي وآراؤه: ص٣٦، وفي الفوائد البهية، ص١٩٢، كان للإمام فخر =

وكان أهل العلم يقصدونه من البلاد ويهاجرون إليه من كل ناحيى على اختلاف مطالبهم في العلوم، وتفننهم فيما يشتغلون به فكان كل منهم يجد عنده النهاية القصوى فيما يرومه منه، على حد قول بن أبي صبيعه الخزرجي(١).

وكان إذا ركب مشى في خدمته نحو ثلاثمائة تلميذ من الفقهاء وغيرهم(٢).

وكان هؤلاء التلاميذ يوقرونه ويحترمونه، ويثنون عليه، وقد نبغ منهم كثيرون، انتشروا في حياته وبعد موته يبثون آراءه في البلاد القاصية، ويزيدون من شهرته وبعد صيته(٣).

■ **بعض تلامذة الإمام الفخر الرازي:**

❶ **شمس الدين عبد الحميد بن عيسى بن عمرويه الخسروشاهي،** المتوفى سنة ٦٥٢هـ، أحد مشاهير المتكلمين ممن اشتغل على الإمام الفخر الرازي في الأصول وغيرها، اختصر كتاب «المهذب» في الفقه وكتاب «الشفاء» لابن سينا، وأقم كتاب الآيات والبينات لأستاذه الفخر الرازي. قدم الشام فلزم الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم وأقام عنده بالكرك وكان يتردد إلى شمس الدين الخسروشاهي

= الدين الرازي ولد اسمه محمد ولأجله صنف أكثر مصنفاته وذكر اسمه فيها ومات وهو في عنفوان شبابه ثم ولد للإمام ولد سماه محمداً أيضاً وبلغ رتبة الكمال، وخلف ولداً اسمه محمود وقد بلغ هذا أيضاً رتبة الكمال وعزم على السفر إلى الحجاز، وخرج من هراة ولما وصل إلى بسطام، أكرمه أهلها لمحبتهم العلماء سيّما أولاد الإمام الفخر الرازي فأقام هناك بحرمة وافرة.

(١) عيون الأنباء: ج٢، ص٢٣.

(٢) طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة: ص٢١٥.

(٣) فخر الدين الرازي وآراؤه: ص٣٢.

يقرأ عليه كتاب «عيون الحكمة» للشيخ أبي علي بن سينا، وكان إذا وصل إلى رأس المحلة التي بها منزل الخسروشاهي أومأ إلى من معه من الحشم والمماليك ليقفوا مكانهم، ويترجل، ويأخذ الكتاب تحت ابطه ملتفاً بمنديل ويجيء إلى باب الحكيم ويقرعه، ويفتح له، ويدخل ويقرأ ويسأل عما خطر له ثم يقوم ولم يمكن الشيخ من القيام[١].

❷ **أبو يعلى محمد بن مسعود المالِيني الهروي النحوي اللغوي الأديب**، كان يقول الشعر الجيد بالعربية والفارسية. قال ابن مكتوم: كان عارماً بالنحو واللغة وكان ينتحل مذهب الكرّامية فيما قيل، ودخل عليه الفخر الرازي فعتب عليه لانقطاعه عنه **فارتجل معتذر**:

مَجْلِسُكَ البَحْرُ وإني امروءٌ　　لا أُحْسِنُ السَّبْحَ فأخشى الغَرَقْ

قدم بغداد حاجاً سنة ٦٠٨هـ وكتب بها عنه من شعره[٢].

❸ **أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري المنطقي**، درس الفلك، والفلسفة على الإمام الفخر الرازي، ومن مؤلفاته: «تنزيل الأفكار في تعديل الأسرار» في المنطق، وكتاب «هداية الحكمة» مختصر في علم الهيئة، أقام ببلاد الروم إلى أن توفي سنة ٦٣٣هـ[٣].

❹ **الإمام قطب الدين إبراهيم بن علي السلمي المغربي الأصولي** ثم المصري المتوفى سنة ٦١٨هـ، انتقل إلى مصر وأقام بها مدة ثم سافر إلى خراسان واشتغل بعلم الأصول، وقرأ على الإمام الفخر الرازي تصانيفه

---

(١) عيون الأنباء: ج٢، ص١٧٣-١٧٤، البداية والنهاية: ج١٣، ص١٨٥، ابن العبري: ص٤٤٥.

(٢) أنباه الرواة: ج٣، ص٢١٤، بغية الوعاة: ص١٠٥-١٠٦، روضات الجنات: ص٧٠٢، طبقات اللغات والنحويين: ص٢٦١.

(٣) روضات الجنات: ص٧٠٢، ابن العبري: ص٤٤٥، الأعلام: ج٨، ص٢٠٣.

وتواليفه بخوارزم وهراة وكان من كبار وأجل تلامذة الإمام الفخر الرازي وأميزهم، وكان الفخر الرازي يصفه بالذكاء والفهم. صنف كتباً كثيرة في الطب والحكمة، وله كتاب «شرح كليات القانون» لابن سينا. قتل القطب المصري بنيسابور فيمن قتل ظلماً على يد التتر سنة ٦١٨هـ. وقد درّس على القطب المصري بنيسابور، محمد ابن محمد بن الحسن الطوسي، الملقب بخواجه نصير الدين، وقد خرج نصير الطوسي عن نيسابور في حدود سنة ٦١٨هـ، لمّا قتل أستاذه قطب الدين المصري فيها[١].

● **شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر المشهور بابن عنين الأنصاري الدمشقي**، رحل إلى بلاد المشرق، ولم يسعد إلّا بلقاء الإمام الفخر الرازي، فهو الذي عرف قدره، وأغدق عليه العطايا فاستفاد الشاعر من علمه وهباته، وأخذ منه بالريّ[٢]. وحضر درس الإمام الفخر الرازي بخوارزم في يوم شات وقد سقط ثلج كثير، فإذا حمامة يطردها صقر، فألقت بنفسها في حجر الإمام الفخر الرازي، فرجع عنها الجارح ورقّ لها الشيخ وأخذها بيده فقال ابن عنين يمدح الراوي في الحال[٣]:

يا بن الكرام المُطعِمين إذا اشتَوا   في كل مَخْمَصَةٍ وثَلْج خاشِفِ
العاصمين إذا النفوسُ تطايَرَت   بين الصَّوارم والوشيج الراعِفِ
من نبَّأ الورقاء ان محلكم   حَرُمَ وانك ملجأ للخائفِ
وَفَدَتْ عليكَ وقد تدانى حتفُها   فَحَبْوتها ببقائها المستانِفِ
جاءت سليمان الزمان بشكورها   والموتُ يلمعُ من جناحي خاطفِ

(١) عيون الأنباء: ج٢، ص٣٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج٨، ص١٢١-١٢٢، ابن العبري: ص٤٤٥، مقدمة الدكتور أحمد ناجي القيسي لكتاب عطار نامه، مطبعة الإرشاد بغداد (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) مقدمة ديوان الشاعر ابن عنين: ص٨ بقلم خليل مردم بك.

(٣) ديوان ابن عنين: ص٩٤.

❻ **زين الدين الكشي، عبد الرحمن بن محمد**، درس على الإمام الفخر الرازي بخراسان(١)، وذكر له حاجي خليفة كتاب «حدائق الحقائق في المنطق والطبيعي والإلهي»(٢).

❼ **تاج الدين الأرموي**، محمد بن الحسن كان وحيد عصره فضلاً، وفريد دهره علماً، وهو سلطان المناظرين، قرأ على الإمام الفخر الرازي، وصحبه، وبرع في العقليات، وكان أول من عيّن للتدريس بالمدرسة الشرابية ببغداد في آخر شوال سنة ٦٢٨هـ. وقد ألقى يوم افتتاح المدرسة أربعة دروس دلت على فضله وغزارة معلوماته، وله كتاب «الحاصل»، وهو مختصر كتاب «المحصول» للرازي، وممن قرأ عليه جمال الدين بن إياز، شيخ النحو بالمدرسة المستنصرية، توفي سنة ٦٥٤هـ(٣).

❽ **أفضل الدين الخونجي، محمد بن ناماور بن عبد الملك**، درس على الإمام الفخر الرازي الفلسفة والمنطق، وله كتاب «الموجز» و«كشف الأسرار». قدم مصر وولي قضاءها إلى أن مات سنة ٦٤٦هـ، ودفن في سفح المقطم(٤).

❾ **محمد بن رضوان**، وهو الذي سأل أستاذه الفخر الرازي تفسير كتاب «عيون الحكمة» لابن سينا فأجابه على طلبه(٥).

❿ **شمس الدين الخيوبي أحمد بن الخليل**، كان ماهراً في الطب، والفلسفة، وعلم الكلام وهو الذي قيل: أنه أتم تفسير الفخر الرازي،

(١) عيون الأنباء: ج٢، ص٣٣، ابن العبري: ص٤٤٥.
(٢) كشف الظنون: ج١، ع٦٣٣.
(٣) الوافي بالوفيات: ج٢، ص٣٥٣، الحوادث الجامعة: ص٣١٠-٣١١، ابن العبري: ص٤٤٥، تاريخ علماء المستنصرية: ج٢، ص٢٠.
(٤) ابن العبري: ص٤٤٥، شذرات الذهب: ج٥، ص٢٣٦.
(٥) كشف الظنون: ج٤، ص٢٩١ طبعة لايبزك، فخر الدين الرازي وآراؤه: ص٣٤.

ذكره بعض المؤرخين أنه تلميذ الفخر الرازي[١] ولكن أبن العماد الحنبلي يقول: «دخل - أي الخيوبي - خراسان وقرأ بها الأصول على القطب المصري، صاحب الإمام الفخر الرازي»[٢] فقوله هذا يشعر بأنه ليس تلميذاً للفخر الرازي، بل تلميذ تلميذه، ويمكن القول بان شمس الدين، دخل خراسان في أواخر حياة الفخر الرازي فدرس عنده، وأتمّ تحصيله على التلميذ الكبير بعد وفاة الشيخ.

⑪ **أبو بكر إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني**، الذي أملى عليه الفخر الرازي وصيته وهو في شدة مرضه، وذلك يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ست وستمائة وامتد مرضه إلى أن توفي يوم العيد غرة شوال من السنة المذكورة[٣].

والوصية[٤] أملاها باللغة العربية، وتعتبر وثيقة مهمة تثبت قوة اللغة العربية، ومدى انتشارها يومئذ في خراسان، وتشير إلى المصطلحات اللغوية التي كانت مستعملة كقوله: «وان هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات والأعراض..». وقوله الذي يثبت به إيمانه: «كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده، ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية، والتدبرية والفعالية فذاك هو الذي أقول به وألقى الله تعالى به». كل ذلك يشير إلى أن مريديه وتلامذته، والعلماء الذين حوله كانوا يفهمون هذه اللغة العربية ومصطلحاتها التي تتعلق في وحدة الله، وقدمه وأزليته، وهذا كله جانب مهم من جوانب الثقافة العربية في خراسان. في القرن الذي نحن بصدد البحث فيه.

---

(١) شذرات الذهب: ج٥، ص١٨٣.

(٢) عيون الأنباء: ج٢، ص٢٦-٢٧.

(٣) (٤) ينظر نص الوصية في: عيون الأنباء: ج٢، ص٢٧-٢٨، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٠-٢٥١ الخ.

● مدارس مدينة بلخ:

كانت مدينة بلخ في القرن السادس الهجري من أعظم مدن خراسان وتعتبر مساوية في مكانتها نيسابور، وهراة، ومرو الشاهجان، وتمتاز بكثرة المدارس والجوامع والمكتبات التي كان يقضي فيها الفضلاء والعلماء أيامهم ناشرين نور العلم والفضل مقيمين أسواق الإفادة والاستفادة(١).

■ **وقد وقفت على أخبار خمس مدارس كانت قائمة بمدينة بلخ في هذا القرن وهي:**

١ المدرسة النظامية:

تنسب هذه المدرسة إلى نظام الملك(٢). ولا نعرف تاريخ إنشائها على وجه التحديد، وقد درّس بها جملة من العلماء الأفاضل، وتخرج بها عدد كبير من الفقهاء والعلماء والأدباء الذين كان لهم شأن كبير في نشر العلم والمعرفة في خراسان وغيرها من البلاد الإسلامية. ومن ألمع العلماء الذين تولوا التدريس بنظامية بلخ - الإمام أبو سعد آدم بن أحمد ابن أسد الهروي النحوي اللغوي المتوفى سنة ٥٣٦هـ.

---

(١) مقدمة كتاب حدائق السحر في دقائق الشعر: ص٣.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٤، ص٣١٣.

وقد ورد أن الإمام أبا القاسم عبدالله بن طاهر بن محمد بن شهفور الأسفراييني المتوفى سنة ٤٨٨هـ/ نزيل بلخ قد تولى المدرسة النظامية ببلخ، وظهرت له الحشمة التامة وكان ذا مرؤة وإحسان يتفقد الغرباء والطارئين، وكان مقبول القول. وقد خلفه في التدريس بهذه المدرسة ولده الإمام أبو المحاسن محمد، وكان هذا ثقة مناظراً واعظاً، ذكره أبو سعد في كتابه الذيل على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي السابق: الورقة/ ٣٥أ-٣٥ب، طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص٦٣-٦٤، طبقات الشافعية للأسنوي، ج١، ص١٩٤-١٩٥.

وهو من أهل هراة، سكن بلخ وكان أديباً فاضلاً عالماً بأصول اللغة. قدم بغداد سنة ٥٢٠هـ، وكان من أبرز تلامذته في المدرسة النظامية ببلخ الأديب الكبير رشيد الدين محمد بن محمد العمري المعروف بالوطواط[١]، المتوفى سنة ٥٧٣هـ.

وكان رشيد الدين الوطواط، كما قال ياقوت الحموي: من نوادر الزمان وعجائبه، وافراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب كما طار في الآفاق صيته، وسار في الأقاليم ذكره[٢].

وبعد أن حصل في المدرسة النظامية ببلخ قدراً من علومه على يد أستاذه الإمام أبي سعد الهروي انتقل إلى خوارزم وتبوأ فيها مكانة أدبية رفيعة إذ أصبح كاتباً في ديوان الإنشاء وشاعراً في بلاط السلطان خوارزمشاه أستر، ثم لابنه أيل أرسلان من بعده، ثم لابنه علاء الدين تكشي وبقي في خدمته مدة ثلاثين سنة. وكان السلطان أتسز قد اتخذ منه رفيقاً خاصاً بالإضافة إلى كونه شاعراً لبلاطه طيلة مدة حكمه من سنة (٥٢١-٥٥١هـ).

وبقي إلى آخر عمره في خدمة ملوك خوارزم[٣].

وظل رشيد الدين الوطواط بتكاتب الشيخ أبا سعد الهروي من خوارزم ويخضع له، ويقر بفضله، ويستمع لنصائحه[٤].

ونلمس من رسائله التي بعثها إلى الإمام أبي سعد الهروي نظماً ونثراً على أنه مدحه بعاطفة صادقة، ولمّا قدم خوارزم أخورشيد الدين، وهو

(١) لقب به لضآلة جسمه وهزال بنيته: تاريخ الأدب في إيران: ص٤١٧.

(٢) معجم الأدباء: ج١٩ - ص٢٩.

(٣) مقدمة كتاب حدائق السحر في دقائق الشعر: ص٢٦.

(٤) إرشاد الأريب: ج١، ص٣٢.

نجيب الدين عمر بن محمد من خراسان، أخبره بأن الإمام أبا سعد الهروي يشيد بذكره في المجالس والمحافل، ويفرط في تفريط كلامه بين أيدي الأكابر والأماثل. كتب رشيد الدين رسالة إلى الشيخ أبي سعد الهروي ذكر فيها سوابق آياديه وجعل فيه نفسه رهناً لحقوق أستاذه ومربيه قال فيها: «... سقى الله أيامنا بالعقيق، ودهورنا باللوى، وأعوامنا بالخليصاء، وشهورنا بالحمى. فأن هذه المعاني، لألفاظ المسرات كالمعاني، جنينا فيها ثمار أطايب الأماني. من أشجار وصال الغوائي لا بل سقى مواقفنا ببلخ في المدرسة النظامية واجتماعنا في المجالس الأمامية... وكيف لا أبالغ في ثنائه، ولا أواظب على دعائه، وهو الذي رفع قدري، وشرح للآداب صدري، وسقاني كؤوس العلم وأحشائي صادية، وكساني حلل الفضل وعوراتي بادية، اغترفت ما اغترفت من بحاره، واقتطفت ما اقتطفت من ثماره.

وَأَنْتَ الذي عَرَّفْتَني طُرُقَ العُلى   وَأَنْتَ الذي أهْدَيْتَني كُلَّ مَقْصَدِ
وَأَنْتَ الذي بلَّغْتَني كُلَّ رُتْبَةٍ   مَشَيْتُ إليها فَوْقَ أعْناقِ حُسَّدِي[١]

ومن مدرسي المدرسة النظامية ببلخ الإمام عزيز الدين علي البلخي مفتي خراسان، وقد كتب إليه رشيد الدين الوطواط برسالة يهنئه فيها على توليته منصب التدريس في هذه المدرسة إلّا أنه ذكرها بأسم المدرسة السلطانية، فقال: «عزيز الدين مفتي خراسان أدام الله جماله على أنه في ريعان عمره وعنفوان أمره، برز في الفضائل على أخوانه، واترلِه، واحرز قصب السبق على أقرانه وأضرابه... ولقد بلغني أن المدرسة السلطانية عمرها اللها فوضت إليه وصارت أزمة تدريسها في يديه واحتفت به زمر الفقهاء واختلفت إليه عصب العلماء على أن أمر هذه المدرسة مع عظم

(١) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط: ج٢، ص٢٩-٣١.

شأنها وعلو مكانها مستصغر بالنسبة إلى استحقاق عمله...»[١].

ونزل هذه المدرسة أبو الفتوح نصرالله بن منصور الدويني، الحيري المتوفى سنة ٥٤٦هـ. تفقه ببغداد، وانتقل إلى خراسان وسكن نيسابور، ثم مرو، وبعدها سكن بلخ في المدرسة النظامية، كتب عنه أبو سعد السمعاني، مات على أثر صدمة فرس في الطريق فحمل إلى منزله في المدرسة النظامية ببلخ[٢].

٢ المدرسة التكشية.

٣ مدرسة كوزه.

٤ مدرسة سرسنك.

٥ المدرسة الأتابكية.

وقد أنيط أمر التدريس في هذه المدارس الأربع التي كانت قائمة ببلخ في القرن السادس الهجري باهتمام الإمام ظهير الدين، وكان هذا حسن السيرة والعقيدة وقد عرف بتبحره في فنون العلم وقد بلغ من غزارة علمه مبلغاً بحيث كان يقتبس منه علماء عصره من أنوار علومه، ويغترفون من بحار أدبه. وكانت إليه نقابة سادة مازندران، وأوقاف المساجد والمشاهد، والمدارس، وعقد مجالس الوعظ والتذكير هناك. ثم لمّا رغب في السفر إلى مدينة بلبغ والإقامة بها والاشتغال بالإفادة والاستفادة والتدريس والتذكير، فصدر توقيع السلطان سنجر بتفويض التدريس لظهير الدين في المدرسة التكشية، ومدرسة كوزه، ومدرسة سرسنك، وما ينسب إلى هذه المواقع من موقوفات وغيرها، وقد أودع

---

(١) رسائل رشيد الدين الوطواط: ج١، ص٤١-٤٢.

(٢) الأنساب: ج٥، ص٤١٨.

إليه كذلك عقد مجلس الوعظ في المدرسة الأتابكية، وقد أوصى السلطان سنجر أخاه الأمير اسفهلا عماد الدين أمير خراسان، وابنه علاء الدين أن لا يسمحا لأحد كائناً من كان ليسلك طريق مزاحمته ومنازعته في أمور تلك البقاع والأوقاف وأن يجعل للعلماء والفقهاء، وسائر المسلمين نصيباً من الفوائد العلمية ويجلب للدولة دعاء الخير، وأن يبالغوا في احترام ظهير الدين تاج الإسلام وإكرامه ويهيئوا له كل الوسائل التي تريح خاطره ويمهدوا له قاعدة إحترامه وتقديره وأن يزيلوا دواعي الخلل في عمله، ويديموا شكره الذي يؤدونه له. وعلى نواب الولد العزيز، أن يتلقوا حكم الأمر بالانقياد وأن يبحثوا عن راحة قلب ظهير الدين وعلى كافة أعيان المدينة ومشاهيرها أن يعزّوا مقدم ظهير الدين أمام الشرق وأن يغتنموا فرصة أيام إقامته وأن يعتبروا إعادته إلى تلك الديار من عوائد عواطف مجلسنا ولطائف عوارفه، وأن رأوا خلاف أمرنا هذا فعليهم أن يخفوا حكم ذلك ولا يعلموا به دون استطلاع رأينا إن شاء الله[١].

● مدارس طوس:

وقد ورد ذكر مدرسة الإمام الغزالي التي أنشأها أبو حامد الغزالي نفسه بعد أن ترك التدريس في المدرسة النظامية بنيسابور وعاد إلى طوس، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن والتدريس لطلبة العلم والقيام بالعبادات إلى أن انتقل إلى ربه[٢]. وقد اشتغل عليه بهذه المدرسة نحو مئة وخمسين

(١) عتبة الكتبة: ص٣٥-٣٧.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٩١-٣٨٩، الوافي بالوفيات: ج١، ص٢٧٤، وفيات الأعيان: ج٣، ص٣٥٤؛ مرآة الجنان: ج٣، ص١٨٠، شذرات الذهب: ج٤، ص١٢.

محصلاً متورعاً مشغولين بالاستفادة ذكر ذلك الإمام العزالي نفسه حين اعتذر عن التدريس في المدرسة النظامية ببغداد ثانية عندما دعاه إلى ذلك ضياء الملك أحمد بن نظام الملك متولي نظامية بغداد سنة ٥٠٤هـ[١].

وممن تلمذ له بطوس الإمام أبو الفتح محمد بن الفضل بن علي المارشكي الطوسي من أهل الطابران[٢].

تفقه على الإمام أبي حامد الغزالي وكان من أنجب تلامذته الطوسيين، وكان مفتياً مصيباً، مناظراً فحلاً، أصولياً. توفي بطوس خوفاً من الغزّ وقت نزولهم بطوس واحاطتهم بها من غير معاقبة سنة ٥٤٩هـ. سمع منه أبو سعد السمعاني بطوس[٣].

وتفقه على الغمام أبي حامد الغزالي بطوس وصحبه أبو الحسن علي ابن محمد بن حمويه ابن محمد بن حمويه الصوفي، روى عن عبد الغفار الشيروي، روى عنه أبو سعد السمعاني توفي سنة ٥٣٩هـ[٤].

وقد عقد الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ حينما كان بطوس مناظرة في صومعة الغزالي وقد اجتمع عنده قوم عن كتّاب المستصفى للإمام الغزالي[٥]. يتبين من ذلك أن مدرسة الغزالي قد استمرت إلى زمن الفخر الرازي وبين وفاتي الإمامين قرن من الزمن.

---

(١) المدرسة النظامية لسعيد نفيسي: ترجمة د. حسين محفوظ. مجلة المجمع العلمي العراقي: مج٣، ج١، ص١٤٩-١٥٢.

(٢) الطابران: إحدى مدينتي طوس، لأن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما الطابران والأخرى نوقان: معجم البلدان: ج٣، ص٣.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٨٤٧، معجم البلدان: ج٤، ص٣٦٠-٣٦١.

(٤) طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٦٨٥.

(٥) مناظرات فخر الدين الرازي: ص٤٥.

- **مدارس سرخس:**

- **وردت أخبار عن أربع مدارس كانت قائمة بمدينة سرخس في القرن السادس الهجري وهي:**

١ مدرسة السره مرد:

لم تصل إلينا معلومات عن تاريخ إنشائها على وجه التحديد. وتنسب هذه المدرسة إلى أبي نصر محمد بن محمود بن محمد بن علي بن محمد ابن علي ابن شجاع الشجاعي المعروف بالسره مرد. كان يفتي ويناظر، ويذب عن مذهب الشافعي ويبالغ في نصرته، وانفق أموالاً جمة في ذلك. قال أبو سعد: «سمعت منه بمرو وسرخس الكثير وكان بينه وبين والدي (ﷺ) مود أكيدة، وكان لي بمنزلة الوالد المشفق البرّ» ولد سنة ٤٥٢هـ وتوفى سنة ٥٣٦هـ[١]، ودفن في مدرسته بسرخس، وزار أبو سعد قبره غير مرة، وكتب عن ابنيه: أبي الفتوح فضل الله، وأبي بكر محمود، وأخوانه وبني عمه وكلهم ينسبون إلى شجاع هذا المذكور[٢].

وممن دفن بهذه المدرسة الإمام الحافظ أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الروّاسي الدهستاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ، ودفن في المقبرة التي في وسط البلد عند مدرسة السره مرد، وقد زار أبو سعد السمعاني قبره غير مرة أيضاً[٣].

٢ مدرسة الزيادي:

تنسب هذه المدرسة إلى قاضي سرخس أبي محمد الفضل بن محمد بن إبراهيم الزيادي المتوفى سنة ٥٥٥هـ. وكان شيخ أصحاب أبي حنيفة بها

---

(١) في التحبير: الترجمة/ ٨٨٦ وفاته سنة ٥٣٤هـ.

(٢) الأنساب: الورقة/ ٣٣٠أ.

(٣) الأنساب: ج٦، ص١٧٩-١٨٠.

في وقته، ورد بغداد مرتين الأولى في حدود سنة ٥٠٥هـ، وحدث بها عن والده والثانية سنة ٥٢٤هـ وحضر أبو سعد السمعاني مجلس إملائه بسرخس، وكتب عنه، ودفن في مدرسته(١).

٣ مدرسة العياضي:

تنسب هذه المدرسة إلى أبي نصر محمد بن ناصر بن أحمد السرخسي العياضي.

كان فقيهاً واعظاً، فصيح العبارة، صاحب قبول عند الخاص والعام سمع منه أبو سعد السمعاني بسرخس، ودفن في مدرسته بسرخس سنة ٥٣٢هـ(٢).

٤ مدرسة الخدامي:

تنسب هذه المدرسة إلى بيت الخدامي(٣)، بيت معروف بسرخس، منهم أبو نصر زهير بن علي ابن زهير.. الخدامي السرخسي. سكن ميهنة، قرأ عليه أبو سعد السمعاني «تحفة العالم وفرحة المتعلم» لأبي المعالي محمد بن محمد بن زيد الحسيني البغدادي، ولد بسرخس سنة ٤٥٥هـ، ومات بمهينة سنة ٥٣٣هـ(٤).

---

(١) الجواهر المضية: ج١، ص٤٠٧.

(٢) التحبير: الترجمة/٨٩٧.

(٣) الخدامي: نسبة إلى خدام والمشهور بهذه النسبة بيت كبير بسرخس. الأنساب: ج٥، ص٥٨، اللباب: ج١، ص٣٤٨، وفي منتخب السياق: الورقة/٦٦أ، وردت الجذامي بالجيم ولعلها تصحيف.

(٤) منتخب السياق: الورقة/٦٦أ، التحبير: الترجمة/ ٢٢٤، الأنساب ج٥، ص٥٨.

● مدارس مرو الروذ:

■ وقفت على أخبار مدرستين بمرو الروذ كانتا قائمتين في القرن السادس الهجري وهما:

❶ مدرسة المنيعي:

وتنسب إلى أبي أحمد عبد الرزاق بن حسان المنيعي القرشي المخزومي المعروف بالكمال. كان فقيهاً فاضلاً مبرزاً، بنى المدرسة الكبيرة بمرو الروذ، ورحل إليه الفقهاء ودرسوا عليه، وحدث عنه جماعة، توفي سنة نيف وعشر وخمسمائة بمرو الروذ[١].

❷ مدرسة خاتون:

لم أتمكن من الوقوف على معلومات تبين لنا نسبة هذه المدرسة، إلّا أن ابن باطيش، ذكر أن أبا الحسن علي بن محمد الحاكم المرو الروذي وقد درّس بمرو الروذ في مدرسة خاتون[٢].

---

(١) الأنساب: الورقة/ ٥٤٤أ، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٢٢.

(٢) طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/٦٨٨.

الفصل الثاني

المساجد والجوامع والربط القائمة
في مراكز الحركة الفكرية في خراسان

يتبين لنا من دراسة المساجد بخراسان أنها قامت بخدمات كبيرة في نشر العلوم الإسلامية وعلوم العربية قبل نشوء المدارس، وظلت على ذلك بعد ظهور المدارس في القرن الرابع فلم تفقد أهميتها العلمية إلى جانب أهميتها الدينية على الرغم من انتشار المدارس آنذاك وكانت تعقد فيها المجالس العلمية مثل: مجالس النظر، ومجالس الإملاء والتحديث، ومجالس الوعظ والتذكير، إضافة إلى إقامة خطبة الجمعة، وخطبة العيدين، كما أن بعض مهام القضاء كانت تمارس في المساجد مثل: كتابة الصكاك والشروط، فقد كان أبو بكر القاسم بن الحسن الشروطي المتوفى سنة ٥٥٥هـ، يكتب الصكاك في مسجد هراة[(١)].

ولمّا كانت الحنفية والشافعية القوتين الرئيسيتين المتنافستين في خراسان، فأننا نجد مساجد خاصة بالحنفية، وأخرى للأصحاب وهم الشافعية الذين قويت شوكتهم في زمن السلاحقة، وذلك بفضل وزرائهم الشافعية وعلى رأسهم نظام الملك ومن بعده[(٢)].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٦٣٩.

(٢) لقد بلغ من تعصب الحنفية على الشافعية بمرو، أنه حينما بنى وزير خوارزمشاه نظام الملك مسعود بن علي المتوفى سنة ٥٩٦هـ، للشافعية بمرو جامعاً مشرفاً على جامع =

بعض المساجد القائمة في خراسان وأثرها في الحركة الفكرية

• مساجد نيسابور:

وقفت على ذكر خمسة من المساجد المهمة القائمة بنيسابور في هذا القرن للطائفتين الحنفية والشافعية، مما كان لها أثر كبير في نشر علوم الشريعة الإسلامية، والعلوم العربية منها:

❶ المسجد الجامع:

ذكر الأصطخري أن المسجد الجامع يقع في الربض بمكان يعرف بالمعسكر(١). ويشير المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم(٢)، إلى أن المسجد الجامع كان من بناء عمرو بن الليث على أساطين الآجر مدورة، يدور على قاعته ثلاثة أروقة، وسطه بيت مزخرف، له أحد عشر باباً على أعمدة رخام، مجزع، وقد زوق حيطانه وسقفه، ولعله هو الجامع الكبير الذي أصبح فيما بعد لأصحاب أبي حنيفة، وكان يسمى بالجامع القديم(٣). لتميزه عن الجامع الجديد لأصحاب الشافعي فيما يظهر، **وقد درّس بهذا المسجد عدد من أعيان المدرسين منهم:**

= الحنفية، فتعصب شيخ الإسلام، فجمع الأوباش فأحرقه، فانفذ إلى خوارزمشاه، فأحضر شيخ الإسلام، وجماعة ممن سعى في ذلك وغرمهم مالاً كثيراً. ونمت فتنة هائلة وكادت بها الجماجم تطير عن الغلاصم. الكامل: ج١٢، ص١٥٨، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٩٦.

(١) المسالك والممالك: ص٢٥٤.

(٢) أحسن التقاسيم: ص٣١٦.

(٣) الجواهر المضية: ج١، ص١٤٢.

❶ **أبو المعالي أسعد بن صاعد بن منصور بن إسماعيل**، القاضي الحنفي الصاعدي الأزدي المتوفى سنة ٥٢٧هـ، وكان قد تولى الخطابة في المسجد الجامع الكبير أي القديم، وظلت الخطابة فيه لأولاده، وكان إليه التذكير والتدريس مع الخطابة(١).

❷ **الإمام أبو جعفر أحمد بن علي بن أبي جعفر المقرئ**، ويعرف بـ(جعفرك)(٢) المتوفى سنة ٥٤٤هـ. كان إماماً في القراءة والتفسير، والنحو، واللغة، صنف التصانيف فيها، وانتشرت في البلاد منها كتاب «تاج المصادر» وكتاب «المحيط بلغات القراءات» وظهر له أصحاب وتلامذة تخرجوا به، وكان لازماً بيته في المسجد القديم بنيسابور، ولا يخرج منه إلّا أوقات الصلوات، ولا يزور أحد بل كان يزار ويتبرك به(٣). وقد درس عليه بالجامع القديم بنيسابور الإمام أبو الحسن علي بن زيد البيهقي الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ، وقد قرأ عليه في شهور سنة ٥١٤هـ، نحو ابن نصال، وفصلاً من كتاب «المقتصد» و«الأمثال» لأبي عبيد بن سلام، وكتاب «الأمثال» للأمير أبي الفضل الميكالي، وقد حفظ كتاب «تاج المصادر» من تصنيف أبي جعفر المقرئ(٤).

❸ **وقد درّس أبو سعد السمعاني في هذا المسجد** على أبي القاسم منصور بن محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد الصاعدي الأزدي القاضي المتوفى سنة ٥٥٢هـ، وكان قد لزم الجامع القديم بنيسابور وكان أكثر

---

(١) الجواهر المضية: ج١، ص١٤٢، المنتظم: م١٠، ص٣١-٣٢.

(٢) في أنباه الرواة: ج١، ص١٩، المعروف ببوجعفرك، والكاف بالفارسية للتصغير أي جعيفر.

(٣) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٩أ-٢٩ب، أنباه الرواة: ج١، ص٨٩-٩٠، كشف الظنون: ج٢، ص١٦١٩.

(٤) ارشاد الأريب: ج٥، ص٢٠٨-٢٠٩.

أوقاته معتكفاً فيه. قال أبو سعد: «قرأت عليه بجهد، ثم لمّا رحلت بأبني أبي المظفر إلى نيسابور قرأت عليه جزءاً..»[١]. يتبين من ذلك أن القراءة عليه كانت بالجامع القديم حيث لزمه.

٢ الجامع المنيعي:

ينسب إلى الرئيس أبي علي حسان بن سعيد المنيعي المخزومي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ. وقعت له الرغبة في بناء الجامع الجديد، بسبب التعصب بين الفريقين، واضطراب أمور الأصحاب (الشافعية) في الدول الماضية، فطلب من السلطان آل رسلان، الأذن في بناء المسجد فأجيب إلى ذلك، وأخذ في التأسيس من خالص ماله في سنة ٤٥٧هـ، وبعد أن أتم أضيف إليه بعض العمارات من قبل نظام الملك، وعميد خراسان مؤيد الملك، وغيرهما من الصدور، ورفع الطاق الكبير بعده، مرتين وغيّر فيه بعض الأبنية عمّا كانت عليه، وقامت فيه الجماعات، والجمع، ثم بنيت بالقرب منه منشآت أخرى من المدارس وبيوت الكتب[٢].

وقد بقي هذا الجامع قائماً إلى ما بعد سنة ٦٠٦هـ، فقد ذكر أبو بكر محمد بن عبد الغني مؤرخ بغداد المعروف بابن نقطة، المتوفى سنة ٦٢٩هـ، أن أبا سعد مسعود بن محمود المنيعي قد توفي في شهر رمضان سنة ٦٠٦هـ، ودفن بالجامع المنسوب إليهم بنيسابور[٣]. ويظهر أنه كان يطلق على الجامع المنيعي اسم «جامع نيسابور» أو «المسجد الجامع» بنيسابور ويسمى أيضاً «الجامع الجديد»، مما يوهم الباحث أنها ثلاثة مساجد، وهي في حقيقة الأمر مسجد واحد، ولعل تسميته «بجامع

(١) التحبير: الترجمة/ ١٠١٤، الجواهر المضية: ج٢، ص١٨٣.

(٢) السياق: الورقة/ ١١٥أ-١١٦أ، منتخب السياق: الورقة/ ٦١ب-٦٢أ معجم البلدان: ج٤، ص٦٧٣.

(٣) التقييد: الوقة/١٩٨أ-١٩٨ب.

نيسابور» جاءت بعد وفاة منشئه أبي على المنيعي، وقد بقيت بعض المصادر تذكره باسم «الجامع المنيعي».

يتبين ذلك مما ورد في ترجمة أبي محمد عبد الجبار بن محمد الخواري البيهقي، المتوفى سنة ٥٣٦هـ.

وكان إمام المسجد الجامع بنيسابور[١]، وذكر السبكي، أنه إمام الجامع المنيعي بنيسابور[٢].

وذكر أبو سعد السمعاني أن أبا إسحق إبراهيم بن محمد الجاجري كان يسكن الجامع المنيعي بنيسابور ويتولى الإمامة في الصلوات الخمس نيابة عن عبد الجبار بن محمد البيهقي[٣]، أما كون تسميته باسم «الجامع الجديد» فلعل ذلك لتميزه عن «الجامع القديم» الخاص بالحنفية، فقد ورد في ترجمة أبي بكر وجيه بن طاهر الشحامي المتوفى سنة ٥٤١هـ، أنه كان يملي في «الجامع الجديد» بنيسابور كل جمعة مكان أخيه زاهر[٤].

ولمّا كان زاهر بن طاهر الشحامي المتوفى سنة ٥٣٣هـ، قد أملى بجامع نيسابور ألّف مجلس[٥] فأنه يتبين من ذلك أن هناك جامعاً واحداً له ثلاث تسميات.

وكان النظر في خزانة كتب الجامع المنيعي إلى أبي الحسين أحمد ابن عبد الغافر الفارسي النيسابوري وهو شيخ أبي سعد السمعاني، وكانت الرحلة إليه من أقطار الأرض لسماع كتاب «صحيح» مسلم بن الحجاج

---

(١) التحبير: الورقة/ ٣٨٢، معجم البلدان: ج٢، ص٢٧٩.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٤٤، طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٥٠٤.

(٣) الأنساب: ج٣، ص١٦١، اللباب: ج١، ص٢٠١.

(٤) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢٦٥أ.

(٥) المنتظم: م١٠، ص ٨٠، البداية والنهاية: ج١٢، ص٢١٥.

القشيري، توفي في معاقبة الغز بنيسابور سنة ٥٤٩هـ[١]. وكان قد أوقفت كتب كثيرة في خزانة هذا الجامع، منها الكتب التي اشتراها أبو المعالي مجدود بن محمد بن محمود الرشيدي الجوهري المتوفى سنة ٥٣٩هـ، وأوقفها بالجامع المنيعي[٢]، وقد احترقت جميع تلك الكتب في فتنة الغز[٣].

٣ مسجد عقيل:

وهو من المساجد المشهورة بنيسابور، لأصحاب الحديث، وينسب إلى أبي محمد عقيل الخزاعي، وكان من أكابر العلماء[٤]، ولا نعرف تاريخ إنشاء هذا المسجد على وجه التحديد، ولكنه ظلّ قائماً إلى أن خرّب حسبما ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٦هـ على أثر الفتنة بين نقيب العلويين بنيسابور، ورئيس الشافعية بها، وكان هذا المسجد مجمعاً لأهل العلم، وكان من أعظم منافع نيسابور، وفيه خزائن الكتب[٥].

٤ مسجد المطرّز:

ينسب هذا المسجد إلى أبي بكر محمد بن يحيى بن سهل النيسابوري، المطرّز فهو الذي بناه، وكان هذا من أجلاء المشايخ إتقاناً واجتهاداً، توفي بعد سنة ٣٠٠هـ[٦].

وقد درس في هذا المسجد أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد

---

(١) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٨أ.
(٢) التحبير: الترجمة/١٠٣٦.
(٣) الأنساب: ج٦، ص١٣٢-١٣٣، اللباب: ج١، ص٤٦٨-٤٦٩.
(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص١١٧.
(٥) الكامل: ج١١، ص٢٧١.
(٦) الأنساب: الورقة/ ٥٣٣ب.

الطوسي المقرئ من أهل طوس. وكان قد سكن نيسابور في مسجد المطرّز، وكانت له القراءة والختمة، والإمامة في الصلوات الثلاث الفجر، والمغرب، والعشاء التي يجهر فيها، وكان عالماً بالقراءات.

تلمذ له الإمام المقرئ أبي الحسن ابن الغزال، وقرأ عليه ثم صار يقرئ الناس، وظهر له الأولاد والأصحاب، سمع منه أبو سعد السمعاني أحاديث يسيرة(١).

وكتب أبو سعد السمعاني في هذا المسجد على أبي سهل محمد بن الفضل الأيوردي المتوفى سنة ٥٣٦.

وكان قد لزم مسجد أبي بكر المطرّز، وقلما كان يبرح منه، كتب عنه أبو سعد السمعاني بنيسابور في رحلته الأولى إليها، سنة عشر حديثاً من مسند أبي عوانة(٢).

ويظهر أن الكتابة عنه كانت بالمسجد المطرّز، لأنه لازمه ولم يبرح منه.

وكان لمن يقرأ القرآن في هذا المسجد وقف يستحقه، فقد قرأ فيه علي السبعي، وإنما قيل له السبعي لأنه كان يقرأ كل يوم سبعاً من القرآن في مسجد المطرّز(٣).

⑤ مسجد أبي الحسن النيسابوري:

وينسب إلى أبي الحسن عبد الرحيم بن عروة العدل، المتوفى سنة ٥١٠هـ، وهو سبط أبي محمد الناصحي الحنفي، لزم مسجده، وكان يفتي

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥٥١.

(٢) المصدر نفسه، ٨٤٩.

(٣) الأنساب: الورقة/ ٢٨٩.

ويدرّس، ويشتغل بخاصة نفسه، كتب الإجازة بجميع مسموعاته لأبي سعد السمعاني[١].

● **مساجد مرو:**

■ **ذكر ياقوت أن بمرو جامعان كبيران للشافعية، والآخر للحنفية يجمعهما السور[٢]، وهما:**

١ الجامع الأقدم:

ويسمى «المسجد العتيق» وكان يقع على باب المدينة المفضي إلى سرخس، وكان نهر الرزيق يدخل هذا المسجد ويدور فيه، وهو من بناء أبي مسلم الخراساني[٣].

وظلّ قائماً إلى القرن السادس الهجري، فقد قرأ أبو نصر الفامي، على أبي سعد السمعاني بالجامع القديم بمرو، قال القفطي: «كتب إليّ أبو الضياء شهاب بن محمد الشروطي الهروي من أهل هراة، أخبرنا عبد الكريم بن محمد بن منصور بهراة بقراءة أبي نصر الفاسي عليه من كتابه بالجامع القديم»[٤].

٢ الجامع الجديد:

بني في الميدان في ربض الماجان جنب الأسواق الكبرى[٥].

---

(١) معجم البلدان: ج٣، ص٥٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٠٩.

(٣) المسالك والممالك: ص٢٥٨-٢٥٩، صورة الأرض: ص٤٣٤، بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٤١.

(٤) أنباه الرواة: ج٣، ص٢٤.

(٥) المسالك والممالك: ص٢٥٨-٢٥٩، والماجان: نهر كان يشق مدينة مرو. معجم =

وذكر ياقوت الحموي وجود خزانتين للكتب في جامع مرو غير أنه لم يبيّن فيما ذا كان في الجامع الأقدم أم في الجامع الجديد وهما:

١ **الخزانة العزيزية:** أوقفها رجل يقال له عزيز الدين، أبو بكر عتيق الزنجاني وقيل عتيق بن أبي بكر، وكان فقاعياً[١] للسلطان سنجر يبيع الفاكهة والريحان بسوق مرو ثم صار شرابياً له فكان ذا مكانة عنده، وكان في خزانته اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها[٢].

وقد تولى النظر في خزانة وقف الفقاعي التي بجامع مروختن أبي الفتح محمد بن سعد بن محمد بن محمد الديباجي المتوفى سنة ٦٠٩هـ من أهل مرو، وكانت له معرفة جيدة بالنحو فقد شرح كتاب الزمخشري «المفصل» في النحو وسماه «المحصل في شرح المفصل» إلّا أنه لم يأت فيه بغريب فيما ذكروا، ولم يتكلم على عبارة المصنف، وإنما أتى بنفس النحو وكان الكتاب موجوداً في هذه الخزانة وقد اطلع ياقوت الحموي على كراسة منه بخط المصنف من مسوداته واحضرها إلى حلب، قال القفطي: «فرايتها فكان الأمر كما قال»[٣].

وكتاب «الأنصاف» لابن سينا، فقد منه أجزاء، وذلك عندما نهب العميد أبو سهل الحمدوني مع جماعة من الأكراد أمتعة الشيخ ابن سينا، وكانت فيها كتبه، وقد ادعى عزيز الدين الفقاعي الزنجاني في شهور سنة ٥٤٥هـ أنه اشترى منه نسخة بأصبهان حملها إلى مرو[٤].

= البلدان: ج٤، ص٣٧٨.

(١) نسبة إلى الفقاع وهو شراب يتخذ من الشعير سمي به لما يعلوه من الزّبد، لسان العرب - مادة فقع.

(٢) معجم البلدان: ج٤، ص٥٠٩.

(٣) أنباه الرواة: ج٣، ص١٣٩-١٤٠، الوافي بالوفيات: ج٣، ص٨٩-٩٠.

(٤) تاريخ حكماء الإسلام: ص٦٧-٦٨، تتمة صوان الحكمة: ص٥٦.

وكتاب كبير في اللغة في عدة مجلدات من تصنيف الغوري، وقد تأمل ياقوت الحموي هذا الكتاب فرآه أجمع كتاب، كثير الألفاظ، قليل الشواهد، قال القفطي: «فلا أدري اقال[١] في خزانة الشرف المستوفي أم في خزانة الفقاعي»[٢].

❷ **خزانة كتب وقف الكمالية في جامع مرو**، لم يذكر ياقوت لمن تنسب هذه الخزانة، ولكنه ذكر أنه رأى في خزانة كتب جامع مرو فهرستا في نحو ستين ورقة بخط مكتنز[٣] لمؤلفات البيروني في علم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة، وان مؤلفاته تفوق الحصر[٤].

وقد عهد النظر في أمر خزانة الكتب التي بجامع مرو إلى أبي الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزي النحوي المتوفى سنة ٦٠٩هـ وقد استفاد من الكتب التي احتوتها هذه الخزانة فاستطاع أن يؤلف عدة كتب مهمة في النحو منها «المحصل في شرح المفصل» و«شرح أنموذج الزمخشري» وتهذيب مقدمة الأدب للزمخشري وألف في الطب كتب منها كتاب «القانون الصلاحي في أدوية النواحي» كتاب «منافع أعضاء الحيوان»، وغير ذلك[٥].

❸ **مسجد أبي بكر القفال:**

ويقع هذا المسجد بسكة القصارين، سمع فيه أبو سعد السمعاني الحديث، عن الشيخ أبي عبدالله محمد بن فرخ الحفصوي المتوفى

---

(١) المراد به ياقوت الحموي.
(٢) أنباه الرواة: ج٢، ص٣٨٩-٣٩٠.
(٣) المكتنز: الخط المتداخل الحروف والسطور.
(٤) معجم البلدان: ج٤، ص٥٠٩.
(٥) المصدر نفسه، ج١٧، ص١٨٥، الوافي بالوفيات: ج٣، ص٨٩-٩٠.

سنة ٥١٥، وقيل سنة ٥١٦هـ قال أبو سعد: «سمعت الحديث منه، وأحضرت عنده في المحرم سنة أربع عشرة (وخمسمائة) وقرئ عليه الحديث، وسمع منه الحديث والدي وعمامي..»[١].

٤ جامع الصيارفة:

وقد درّس به أبو بكر محمد بن عبد الرحيم الأندغني من قرية اندغن من قرى مرو وكان فقيهاً مناظراً، تفقه على منصور السرخسي، وكان يدرّس الفقه بالعجمية بجامع رأس الصيارفة، ويفظ فيه، توفي سنة ٥٤٨هـ، في وقعة الغزّ[٢].

والتدريس باللغة الفارسية من الأمور النادرة في هذا القرن يدل عليه هذا المثال الوحيد الذي وقفنا عليه.

• مساجد هراة:

١ المسجد الجامع:

يرى بعض المؤرخين أمثال مؤلف[٣] كتاب «**روضة الصفا وحبيب السير**» أن مسجد هراة أسس في عهد السلطان غياث الدين الغوري[٤]، غير أنه من الثابت أن مسجد هراة كان عامراً وموجوداً قبل القرن الرابع الهجري، وقد ذكره الاصطخري المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع في كتابه «المسالك والممالك» قال: «.. والمسجد الجامع من المدينة في وسطها..، وليس بخراسان وما وراء النهر وسجستان والجبال

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٨٥٥، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٣٥ب، الأنساب: ج٤، ص١٩٦، وفيه اسمه فرح.

(٢) (٣) الأنساب: ج١، ص٣٦٢.

(٤) تاريخ هراة: ص٤٥.

مسجد أعمر بالناس على دوام الأيام من مسجد هراة، ثم مسجد بلخ وسجستان فأن بهذه المساجد حلّق الفقهاء ينتابها الناس في الجمعات..»[١].

وقد أضيف إلى هذا الجامع الطاق الكبير الذي عمله المهندس الطاقي أبو محمد عبد السيد ابن أبي بكر من أهل هراة المتوفى سنة ٥٥٠هـ[٢].

ويبدو من كلام منهاج سراج في كتاب «طبقات ناصري» أن مسجد هراة قد أصيب بالحريق قبل إتمام عمارته من قبل السلطان غياث الدين الغوري[٣].

وقد جدد بناءه السلطان غياث الدين الغوري في سنة ٥٩٧هـ والدليل القاطع على أن البنيان الموجود أقيم في عهد السلطان غياث الدين هو الكتابة الكوفية التي ما زالت موجودة حتى الآن في أحد أروقة المسجد وهي: «السلطان المعظم شهنشاه الأعظم مالك رقاب الأمم مولى ملوك العرب والعجم سلطان أرض الله، حافظ بلاد الله، معين خليفة الله غياث الدنيا والدين، معز الإسلام والمسلمين، نظام العالم أبو الفتح محمد بن سام قسيم أمير المؤمنين أنار الله برهانه». وكتب أيضاً بالخط الكوفي: «شهر الله المبارك سنة سبع وتسعين وخمسمائة»، وما زالت معالم هذا المسجد شاخصة بهراة على حد قول خليل الله خليلي[٤].

وسمع أبو سعد السمعاني الحديث بجامع هراة من أبي الفضل عبد

---

(١) المسالك والممالك: ص٢٦٥.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٤٢٢.

(٣) تاريخ هراة: ص٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٦.

الأعلى بن عطاء الهروي[١]. وقرئ بهذا الجامع على السيد أبي الفتوح أحمد بن إسماعيل بن أميرك العلوي الحسني كتاب «الأربعين» لأبي الفضل الجارودي[٢].

• مساجد مدينة بلخ:

❶ المسجد الجامع:

ذكره الاصطخري فقالك «.. والمسجد الجامع في المدينة في وسطها وأسواقها حوالي المسجد الجامع ومسجدها معمور بالناس على دوام الأيام كلها..»[٣]. وقرأ أبو سعد السمعاني بجامع بل خ على أبي الفتح محمد بن محمد بن عبدالله البسطاني الخورنقي.

قال أبو سعد: «قرأت عليه وسمعت منه الكثير بالخورنق وكان يحضر ايام الجمعات جامع بلخ فأقرأ عليه أيضاً»[٤].

❷ مسجد عسقلان:

وعسقلان محلة ببلخ، زارها أبو سعد السمعاني وقرأ في مسجدها، الحديث على جماعة[٥]، وسمع أبو سعد بمسجد عسقلان من أبي الحسن ابن بشيرين عبدالله النقاش من أهل بلخ وهو من أولاد موالي الأشبهي، سمع الحديث بإفادة أبي المكارم محمد بن عمر الأشهبي وكتب عنه أجزاء قال أبو سعد: «وسألناه أن يحضر معنا مسجد عسقلان لنسمع منه.. وقرأت

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٣٧٦.

(٢) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٦أ-٦ب.

(٣) المسالك والممالك: ص٢٧٨.

(٤) الأنساب: ج٥، ص٢٢٥، والخورنقي هنا نسبة إلى خورنق بلخ لا خورنق الحيرة في العراق.

(٥) التحبير: الترجمة/ ٥٣١.

عليه بعسقلان كتاب شمائل النبي (ﷺ) لأبي عيسى الترمذي»، وسمعت منه جزءاً من حديث أبي عمران موسى بن سهل الوثا، ومن حديث أبي جعفر محمد بن محمد ابن عبدالله الجمال..»[1].

- **مساجد سرخس:**

١ المسجد الجامع:

وقد قلد السلطان سنجر بن ملكشاه الخطابة والتدريس والتذكير بالمسجد الجامع بسرخس إلى الإمام أبي محمد الفضل بن إبراهيم الزيادي المتوفى سنة ٥٥٥هـ[2].

الربط

لما انتفت الحاجة إلى الربط باعتبارها مقرات للحاميات العسكرية أخذت تتحول إلى أماكن تؤدي خدمات دينية، واجتماعية، وثقافية. قال المقريزي: الخانقاه، والرباط والزاوية، وجمعها خوانق ورباطات. وزوايا. معاهد دينية للرجال والنساء، غير أن تلك المعاهد الدينية لم تكن للرهبنة وإنّما انشئت لإيواء المنقطعين إلى الله وطلبة العلم ولسكنى الزهاد والعباد على حساب الواقفين، وقد وقف عليها منشؤوها الوقوف الكثيرة بغية الثواب واكتساب الأجر[3].

وبهذا أسدت الربط خدمات دينية للعبادة حيث أنشئت فيها المساجد

(١) التحبير: الترجمة/ ١٠١.

(٢) عتبة الكتبة: ص٣٧-٣٨.

(٣) النجوم الزاهرة: ج٨، ص٨١.

لإقامة الصلوات والإذكار والوعظ والتذكير والتحديث(١).

وقد أسدت الربط في الوقت نفسه خدمات ثقافية وعلمية مهمة حيث اصبحت مراكز ثقافية للتعليم والتعلم ضمت مكتبات عامرة بالكتب، وكان فيها قوامون عليها يتولون خزن الكتب وتصنيفها، وترتيبها ومناولتها كما كان الأمر في خزائن كتب رباط فروشان ريسمان بمدينة بلخ حيث أوكل السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي مصالح هذا الرباط إلى عناية الإمام ظهير الدين، وأوصى السلطان أن لا يسمح لأي جهة في التدخل دون رضى ظهير الدين حتى تعرض خزائن الكتب بحضور الأئمة وموثوقي الديوان هناك، وأن يفصلوها مهذبة منقحة، ويودعها إلى خازن أمين سديد ليسجلها(٢).

وبذلك أصبحت الربط مراكز للتأليف، والاستنساخ، والإقراء، والإسماع، ومنح الإجازات العلمية، وكانت الرحلة مألوفة إلى علماء الربط، حيث كان يقصدها طلبة العلم والمتفقهة كما غدت الربط في خراسان مراكز لالتقاء علمائها بعلماء العالم الإسلامي الواردين على خراسان، والذين أقاموا بالربط، ومارسوا أنواعاً من الأنشطة العلمية كالتدريس، وعقد المجالس العلمية والدينية، والمناظرات التي جرت بينهم وبين علماء خراسان، إضافة إلى أن هؤلاء العلماء الواردين على خراسان والمقيمين في ربطها قد درسوا على علماء خراسان في تلط الربط وكما أنهم أثّروا في علماء خراسان فأنهم في الوقت نفسه قد تأثروا بعلماء خراسان وتخرجوا عليهم في مختلف فنون المعرفة.

---

(١) السياق: الورقة/ ٥ب، الأنساب: ج٦، ص٢٩٧، التحبير: الترجمة/ ١١٨٧.

(٢) عتبة الكتبة: ص٣٧.

■ بعض الربط التي أسدت خدمات علمية وثقافية في خراسان:

❶ رباط الهمذاني:

ويقع هذا الرباط على طرف نهر الرزّيق بمرو[١]. وينسب إلى الإمام أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني البوزنجردي، المتوفى سنة ٥٣٥هـ، سكن مرو، وانتهت إليه تربية المريدين الصادقين بمرو، واجتمع عنده في رباطه من الصلحاء والعلماء ما لم يجتمع في غيره من البقاع[٢]، وكان هذا قد تفقه على الشيخ أبي إسحق الشيرازي، مدرس نظامية بغداد، ولازمه مدة، وبرع في الفقه وفاق أقرانه خصوصاً في علم النظر، وكان أبو إسحق يقدمه على جماعة كبيرة من أصحابه مع صغر سنه لمعرفته وتزهده[٣].

ثمّ قدم بغداد سنة ٥٠٦هـ، فوعظ بها وظهر له قبول تام، وازدحم الناس عليه[٤]. وقد سمع منه أبو سعد السمعاني، ونسخ عنه بخطه أكثر من عشرين جزءاً[٥]. ويقول فيه الشيخ أبو الحسين المقدسي: «رأيت في سياحتي عجمياً بمرو، يعظ ويدعو الخلق إلى الله يقال له يوسف»[٦] وكان يعظ باللغة العربية بطبيعة الحال، كما كان يعظ ببغداد سنة

---

(١) التحبير: الترجمة/ ١٠٤٢، والرزيق: نهر كان بمرو عليه محلة وقرية كبيرة يقال لها الرزيق أيضاً، ينزلها وزراء آل سلجوق والأنساب: ج٦، ص١١٤-١١٥، معجم البلدان: ج٢، ص٧٧٧.

(٢) الأنساب: ج٢، ص٣٥٦، المنتظم: م١٠، ص٩٩٤-٩٥، تاريخ الإسلام: م١٣ ث٢: الورقة ٢١٧، والبوززنجردي: نسبة إلى بوزنجرد من قرى همذان.

(٣) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢١٧أ.

(٤) المنتظم: م٩، ص١٧١، م١٠، ص٩٥، تاريخ الإسلام: م١٣، ق٢: الورقة ٢١٧ب.

(٥) الأنساب: ج٢، ص٢٥٦.

(٦) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢١٨أ.

٥٠٦هـ. وقد دخل عليه أبو سعد السمعاني في رباطه لما عزم على الرحلة مودعاً فصوب عزمه وقال له: «أوصيك لا تدخل على السلاطين، وابصر ما تأكل لا يكون حراماً»[(١)].

★ وقد نزل بهذا الرباط عدد من العلماء والتقى بهم طلاب العلم والمتفقهة، **وأخذوا منهم العلم والمعرفة وحضروا مجالسهم منهم:**

١ ● **أبو محمد الحسن بن الحسين الأندقي** المتوفى سنة ٥٥٢هـ.

شيخ وقته، وصاحب الطريقة الحسنة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله سبحانه واتباع الأثر، واستعمال السنة، والآداب المنقولة عن النبي (ﷺ) وصحب الإمام يوسف بن أيوب الهمذاني، وكان من خواص مريديه، وصحبه في السفر إلى خوارزم وبغداد، وقال أبو سعد: «لقيته أولاً بمرو في خانقاه الشيخ[(٢)]، ولم أكن عرفته، ثم لقيته ببخارى.. سمعت منه أحاديث يسيرة بروايته عن شيخنا يوسف الهمذاني متبركاً به»[(٣)].

٢ ● **أبو الرجاء المؤمل بن مسرور الشاشي الخمركي**، من أهل الشاش، سكن مرو إلى حين وفاته سنة ٥١٧هـ، في رباط يعقوب الصوفي على طرف نهر الرزيق، يقصده الناس للتبرك به.

قال أبو سعد السمعاني: «أحضرت عنده في رباطه، ولا أدري هل سمعت منه شيئاً من الحديث أم لا؟، والظن أني رأيت بخطه الإجازة لي، وحدثني عنه جماعة»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المراد به خانقاه الشيخ يوسف الهمذاني.

(٣) الأنساب: ج١، ص٣٦٣، والأندقي: نسبة إلى أندق من قرى بخاري.

(٤) التحبير: الترجمة/١٠٤٢، طبقات الشافعية الكبرى: ج٤، ص٣١٧ (الحسينية)، والخمركي: نسبة إلى خمرك، وهي من بلاد الشاش، الأنساب: ج٥، ص١٩٢.

٣ • **أبو بكر عمر بن عبد الرحيم الشاشي الصوقي، المتوفى سنة ٥٢٩هـ.**

سكن مرو في الخانقاه التي على شط الرزيق، كتب عنه أبو سعد السمعاني، ومن جملة ما سمع منه «الأربعين» التي جمعها هبة الله الشيرازي(١).

٤ • وقد اعتكف فيه الفيلسوف أبو الفتح بن أبي سعيد الفندروجي، حافد ناصح الدولة حينما تزهد(٢). غير أن ظهير الدين البيهقي قد أسماه باسم مدرسة الإمام يوسف الهمذاني، ولعل هذا الرباط قد تطور إلى مدرسة في زمن ظهير الدين البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥هـ.

❷ رباط أبي المعالي البزار:

ينسب هذا الرباط إلى أبي المعالي عبدالله بن محمد ابن عبدالله البزاز المتوفى سنة ٥٣٩هـ، من أهل مرو. رحل إلى بغداد، وأصبهان ونيسابور ثم إلى غزنة، وأقام بها مدة واشترى كتباً كثيرة، وحصّل له الأصول، ورجع إلى مرو وبنى رباطاً للمحدثين، ووقف فيه الكتب، سمع منه أبو سعد السمعاني وجماعة(٣).

وقد أقام بهذا الخانقاه أبو روح الفرج بن أبي بكر بن الفرج الأرموي من أهل أرمية، وكان قد تفقه بنوقان طوس على الشيخ محمد ثم قدم مرو

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥٠٤.

(٢) تتمة صوان الحكمة: ص١٢٣.

(٣) الأنساب: ج٤، ص٣١٨، وفيه أبو المعالي عبدالله بن أحمد بن محمد الحلوائي، وكان يكتب لنفسه البزا، المنتظم: م١٠، ص١١٣، تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢٤١ب.

وقد أسكنه أبو سعد خانقاه عبدالله ابن الحلواني وكتب عن أبي سعد السمعاني الكثير في الإملاء والسماع، وكتب عنه أبو سعد السمعاني أقطاعاً من الشعر[(١)].

٣ رباط أبي طاهر النسوي بمرو:

ينسب هذا الرباط إلى أبي طاهر فضل الله بن عمر النسوي، نزيل مرو المتوفى سنة ٥٢٠هـ. أحد شيوخ الصوفية. قال أبو سعد: «اسمع منه الكبار مثل: جدي أبي المظفر السمعاني، ووالدي، وعمي، دفن في رباطه بمرو وله تسعون سنة»[(٢)].

٤ خانقاه أبي الفتح الكشميهني بمرو:

ويقع هذا الخانقاه في أعلى نهر الماجان[(٣)]، وينسب إلى أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكشميهني، الخطيب الصوفي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، شيخ مرو في عصره، ومقدم الصوفية، كان كيساً فطناً، مبالغاً في الإحتياط في خدمة الصوفية، خدم الصوفية والمجتازين قريباً من خمسين سنة، قال أبو سعد السمعاني: «كان لي مثل الوالد المشفق للمودة الأكيدة وحقوق الصحبة التي كانت بينه وبين الإمام والدي في السفر والحضر سمعت منه الكثير، وأفادني عنه جماعة من الشيوخ بالبلد وكشميهن»[(٤)].

وقد أحضر الشيخ أبو الفتح الخطيب الكشميهني عدداً من العلماء في

---

(١) الأنساب: ج١، ص١٧٥.

(٢) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ١١٠أ.

(٣) الماجان: نهر كان يشق مدينة مرو: معجم البلدان: ج٥، ص٣٢.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٧٨٠، والكشميهني: نسبة إلى كشميهن، قرية من قرى مرو، خرج منها جماعة من أهل العلم، خربها الرمل. معجم البلدان: ج٤، ص٤٦٣.

خانقاهه للقراءة عليهم منهم: أبو منصور محمد بن علي بن محمود التاجر الزولهي، المعروف بالكراعي، المتوفى سنة ٥٢٥هـ. رحل الناس إليه، وصارت قرية زولاه مقصد الطلبة والفقهاء بسببه، وكان قدر مسموعاته قريباً من عشرين جزءاً، أحضره الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن الخطيب في خانقاهه بأعلى الماجان، وقرئ عليه الأجزاء المسموعة، فسمعها منه، ومن جملة ما سمعه منه كتاب «المناسك» لأبي عبد الرحمن عبدالله بن محمود السعدي في جزءين(١).

وسمع منه في هذا الخانقاه أبو الفتوح عبد الرحمن بن محمد السلمويي المتوفى سنة ٥٣٠هـ، أستاذ أهل نيسابور، سمع حديث الحرب بن أبي أسامة، وغيره من الشيخ أبي منصور محمد بن علي بن محمود الكراعي(٢).

٥ خانقاه البرمويي بمرو:

ذكر هذا الخانقاه في ترجمة أبي طاهر محمد بن أبي النجم الشوالي الخطيب المتوفى سنة ٥٣٢هـ، قال أبو سعد: «فسألناه دخول البلد لقراءة الجامع الصحيح للبخاري، فأجاب، وقرأنا عليه في خانقاه البرمويي، وانتخب عليه جزءاً من شيوخه، كتب عنه الناس بإفادتي»(٣).

ولعل هذا الخانقاه ينسب إلى أبي حفص عمر بن محمد بن علي بن حيدر البرمويي، وكان هذا راغباً في إيصال النفع إلى المسلمين، قرأ عليه أبو سعد السمعاني، جميع كتاب «الجامع الصحيح» للبخاري فقال:

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٨٣٤، والزولهي: نسبة إلى زولاه إحدى قرى مرو، الأنساب: ج٦، ص٣٤٨.

(٢) الأنساب: الورقة ٣٠٣ب، اللباب: ج١، ص٥٥٥.

(٣) الأنساب: الورقة/ ٣٤٠أ.

«كنت أكثر من زيارته وانتفع بها، واتبرك بذلك، توفي سنة ٥٣٥هـ بمرو[١].

٦ خانقاه أبي بكر الواسطي بمرو:

ورد ذكر هذا الخانقاه في ترجمة أبي العلاء عيسى ابن عثمان الشوكاني، تفقه على أبي المظفر السمعاني، وسمع منه الحديث، ثم قدم مرو سنة نيف وعشرين وخمسمائة، ونزل خانقاه أبي بكر الواسطي، وقرأ عليه أبو سعد السمعاني مجالس من أمالي جده أبي المظفر السمعاني في هذا الخانقاه[٢].

٧ رباط السلطان بمرو:

سمع أبو سعد السمعاني بهذا الرباط من أبي علي الحسين ابن علي اللامشي من أهل فرغانه[٣]، ولا مش إحدى قرأها. قدم مرو رسولاً من جهة الخاقان محمد بن سليمان إلى أمير المؤمنين المسترشد بالله العباسي، ونزل رباط السلطان، قال أبو سعد: «حملت إليه مع أخي عبد الوهاب (رحمه الله)، وكان لي إذاك تسع سنين، فتواضع لنا وأكرمنا غاية الإكرام، وسمعنا منه بقراءة عمي أبي القاسم السمعاني (رحمه الله) نسخة أبي مكيس دينار بن عبدالله[٤]، عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)»[٥].

---

(١) الأنساب: ج٢، ص١٨٤-١٨٥.

(٢) الأنساب: الورقة/ ٣٤٠ب، والشوكاني: نسبة إلى شوكان بليدة من ناحية خابران بين سرخس وابيورد.

(٣) فرغانة: مدينة كبيرة واسعة بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان، الأنساب: الورقة/ ٤٢٤أ، معجم البلدان: ج٤، ص٢٥٣.

(٤) ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد: ج٨، ص٣٨١ - ميزان الاعتدال: ج٢، ص٣٠-٣١، لسان الميزان: ج٢، ص٤٣٤-٤٣٥.

(٥) التحبير: الترجمة/ ١٤٠.

٨ رباط فيروز آباذ في هراة:

يقع هذا الرباط بظاهر هراة، وهو خانقاه للصوفية[١]، وقد تولة مشيخة هذا الرباط، أبو القاسم الجنيد بن محمد بن علي القايني المتوفى سنة ٥٤٧هـ، مدة أربعين سنة، وكان مقدم الصوفية، وما كان يعرفه أحذ منهم، لأنه ما كان يتقدم عليه وكان يعاشرهم معاشرة واحد منهم، ولا يخص نفسه بشيء دونهم ولا يظهر أنه يعلم شيئاً من العلم البتة حتى يظنه من يراه من جملة الصوفية. كتب عنه أبو سعد السمعاني، ومن جملة ما سمع منه كتب «تقريع الخلف مما يؤثر من شمائل السلف» لأبي الحسن محمد بن القاسم الفارسي، وكتاب «الوصية بانتهاز الفرصة قبل الغصة» تأليف الفارسي أيضاً، وكتاب «بستان العارفين» لأبي الفضل الطبسي، وكتاب «الوصايا والمواعظ» وغير ذلك[٢].

٩ رباك عبدالله الأنصاري بهراة:

ينسب هذا الرباط إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبدالله الأنصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١هـ، له من التصانيف كتاب «الأربعين» وكتاب «الفاروق في الصفات» وكتاب «ذم الكلام» وأهله، و«تفسير القرآن» وغير ذلك[٣].

وكان أبو روح عبد الأكرم بن أحمد الصوفي الغازي المتوفى سنة ٥٤٢هـ، متكلم صوفية رباط عبدالله الأنصاري، ووجههم، سمع منه

---

(١) معجم البلدان: ج٣، ص٩٢٨.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٩٠، الأنساب: ج٥، ص٣٠١، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٥٤-٥٥.

(٣) السياق: الورقة/٢٣ب، منتخب السياق: الورقة/٨٢ب، المنتظم/ مم٩، ص٤٤-٤٥، تذكره الحفاظ: ج٣، ص١١٨٣-١١٩١.

أبو سعد السمعاني كتاب «أنس المسافر» لأبي إسماعيل أحمد بن حمزة[١].

وممن أقام في رباط عبدالله الأنصاري: أبو محمد عبد القادر بن جندب الهروي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ، وكان من جملة مريديه، كتب عنه أبو سعد السمعاني بهراة في رحلته الأولى إليها[٢].

١٠ رباط الأستاذ أبي نصر البغوي:

ينسب هذا الرباط إلى أبي نصر، ويقع في بلدة بغشور من بلاد خراسان بين مرو وهراة ويقال لها بغ وبغشور[٣]، ويسمى خانقاه بغشور أيضاً[٤]. وكان أبو إسحق إبراهيم بن محمد البغوي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، من صوفية رباط الأستاذ أبي نصر البغوي[٥].

وقد سكن في هذا الخانقاه أبو الحسن علي بن أبي بكر المقرئ البغوي المتوفى سنة ٥٤٤هـ[٦].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٤٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ٤٣٩.

(٣) الأنساب: ج٢، ص٢٧٣، معجم البلدان: ج١، ص٦٩٤.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٥٨٦.

(٥) المصدر نفسه، ٥.

(٦) المصدر نفسه، ٥٨٦.

الباب الثالث

المجالس العلمية والدينية

في خراسان

الفصل الأول

مجالس النظر

قبل الدخول في ذكر مجالس النظر في خراسان لا بد من تعريف المناظرة وعلم الكلام الذي يستند إليه المتناظرون في مناظراتهم.

تعريف المناظرة وشروطها

المناظرة هي المحاجة العقلية التي يتهيأ لها المتناظرون في مجلس النظر ويعدون أنفسهم لها، وقد شاعت هذه المحاججات أو المناظرات في العصر العباسي وعقدت لها المجالس التي تشبه الندوات في الوقت الحاضر.

ومما لا شك فيه أن أسباب قيام المناظرات ترجع إلى علم الكلام الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية والرد على المخالفين، لأن أهم مسألة وقع فيها الغلاف في العصور الإسلامية الأولى مسألة صفات الله، وكلام الله، وخلق القرآن، وإنما سمي بعلم الكلام، لأن منبله كلام صرف في المناظرة على العقاد الدينية[1].

وعلم النظر يبحث في كيفية إيراد الكلام بين المناظرين وموضوعه

---

(١) ضحى الإسلام لأحمد أمين: ج٣، ص٩، ط٢ - القاهرة (١٣٦٠هـ-١٩٤١م).

الأدلة التي يثبت بها المدعي دعواه على الغير والغرض منه التحصيل ملكة طرف المناظرة والقدرة على التناظر لئلا يقع الخبط في البحث الذي يناقشه فيتضح الصواب[١]. وقد عد علم الجدل من فروع علم النظر[٢].

★ **وللمناظرة ثلاثة شروط:**

١ • أن يجمع بين خصمين متضادين أو متباينين في صفاتهما بحيث تظهر خواصها كالربيع، والخريف، والصيف، والشتاء، وغير ذلك.

٢ • أن يأتي كل من الخصمين في نصرته لنفسه وتفنيد مزاعم خصمه بأدلة من شأنها أن ترفع قدره، وتحط من مقام الخصم بحيث يميل بالسماع عنه إليه.

٣ • أن تصاغ المعاني والآراء صوغاً حسناً، وترتب على سياق محكم ليزيد بذلك نشاط السامع وتنمي فيه الرغبة في حلّ المشكل[٣].

وقد نما علم النظر بفضل الحرية الفكرية والدينية التي كان مصدرها الأول الدين الإسلامي وموقفه من أصحاب العقائد الدينية الأخرى وما فيه من روح التسامح في مجاوراتهم بشأن الدين الإسلامي والأديان الأخرى، والاستماع إليهم والرد عليهم والدعوة إلى سيادة روح الود والتسامح وعدم الإكراه في الدين الذي حمل لواءه الإسلام كما في الآية الكريمة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[٤].

---

(١) مفتاح السعادة: ج١، ص٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٤.

(٣) جواهر الأدب: ج١، ص٢٢٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

وكانت مجالس المناظرة تعقد في المدارس والمساجد والربط وحتى في منازل العلماء، وقد أدرك الحكام الأهمية العلمية لعقد مثل هذه المجالس، لذلك نجد السلطان سنجر قد أوكل عقد مجالس المناظرة في المسجد الجامع ببلخ إلى الإمام ظهير الدين، وطلب أن يحضر كافة الفقهاء والعلماء هناك في مواسم المناظرة إجلالاً وتوقيراً لظهير الدين، وأن يقوموا بكل شروط ومستلزمات المساعدة له(١).

وكانت مجالس النظر تعقد في المدرسة العميدية بمرو، فقد ذكر أبو سعد السمعاني في ترجمة أبي القاسم محمد بن أحمد اللارجاني، أنه كان ينوب المناظرة التي في المدرسة العميدية(٢).

ولأهمية المناظرات العلمية والأدبية كان يحضرها السلاطين والوزراء والأمراء ويشهدها معهم علية القوم وجمع من الناس وكانوا يشاركون مشاركة فعلية في المناقشات والمحاورات والمساجلات التي كانت تجري بين المتناظرين إضافة إلى الأسئلة التي كانوا يطرحونها على المتناظرين مما يدّل على أن الحاضرين كانوا يفقهون حوار المتناظرين وكانوا على بينة وبصيرة مما يأخذ به المتناظرون في الحديث عنه فكانوا يزيدوه من نواحيه الحسنة ونواحيه السيئة إيضاحاً وبياناً فيجعلون عيوبه ومحاسنه تظهر جلية للمثقفين المتعلمين وغير المتعلمين من الناس فيروتها بعد أن تتجلى بالمناظرة واضحة بينة.

● نماذج من المناظرات:

حضر الإمام فخر الدين الرازي البكري الهروي الخراساني حلقة

---

(١) عتبة الكتبة: ص٣٦-٣٧.

(٢) الأنساب: الورقة/ ٥٩٤ب.

رضي الدين النيسابوري[١] بمدينة بخاري وناظره في بعض المسائل الخلافية، وكان قد اجتمع الجمع العظيم حتى ليروى أنه كان في حلقته أربعمائة عالم فاضل مثل: ركن الدين العميدي، وركن الدين الطاووسي، ومن كان من طبقاتهم ومن كان دونهم، واستدلّ الفخر الرازي في ذلك المجلس فلم يبق من القوم إلّا من أورد سؤالاً أو سؤالين فأعادها كلها[٢].

وموضوعات المناظرة قد شملت نواحي المعرفة العقلية كلها وتعدتها إلى النواحي الدينية التي تتعلق بالمعتقدات التي تكون مواطنها القلوب والعواطف علاوة على العقول.

وكانت موضوعاتها تتنوع من مسائل فقهية إلى مسائل لغوية من نحو وصرف، وإلى مسائل فلسفية ثم إلى مسائل دينية يكون ميدانها الدين الإسلامي تقابله الأديان الأخرى مرة وتكون بين المسلمين أنفسهم مرة أخرى أو تجري بين فرق المسلمين من أهل السنة، ومن الشيعة ومن المعتزلة وغيرهم وتكون بين المذاهب الإسلامية من أهل السنة مثلاً بين أتباع أبي حنيفة وأتباع الشافعي، وأتباع أحمد بن حنبل، وأصحاب عبدالله بن كرّام، والمالكية. وكانت المناظرات تجري لتقويم بعض الكتب المهمة التي ألفها أعلام من خراسان، فقد عقد الإمام فخر الدين الرازي

---

(١) رضي الدين النيسابوري كان من فقهاء الحنفية، وهو صاحب الطريقة في علم الخلاف المعروفة بالرضوية وهي كتاب في ثلاث مجلدات أخذ عنه علم الخلاف، الركن العراقي، وأبو الفضل الطاووسي وركن الدين العميدي، والركن إمام زاده، ووصفه الإمام فخر الدين الرازي بأنه رجل مستقيم الخاطر بعيد عن الاعوجاج إلّا أنه كان ثقيل الفهم كليل الخاطر محتاجاً إلى الفكر الكثير في تحصيل الكلام القليل.

الجواهر المضية: ج٢، ص٣٧٠، مناظرات فخر الدين الرازي، ص٧.

(٢) آثار البلاء وأخبار العباد: ص٣٧٧.

ثلاث مناظرات بهذا الخصوص، مناظرتين جرتا في مدينة بخاري مع شرف الدين محمد بن مسعود المسعودي، ووصفه الرازي بأنه كان شيخاً مشهوراً بالفلسفة والحذق، وكانت **المناظرة الأولى** بشان كتاب «الملل» و«النحل» للشهرستاني[١]. **والمناظرة الثانية** كانت بشأن كتاب «شفاء العليل» للغزالي[٢].

والمناظرة الثالثة جرت في مدينة طوس في صومعة الإمام أبي حامد الغزالي بشأن كتابه «المستصغى»[٣].

وكان مما شجع العلماء وأهل الرأي على المجاهرة بآرائهم ما كانوا يرونه من ولاة الأمور من رحابة صدورهم ومن حبهم إلى الاستماع إليهم في إقامة أحاديثهم وأعمالهم بل كانوا يثبونهم على هذا التنبيه والتقويم؛ بل تجد الولاة من رجال الدولة لا يجدون أفضل من المناظرة العقلية لترجيح عالم على عالم، وإذا أرادوا اختيار عالم لأمر جعلوا سبيل اختياره المناظرة بينه وبين أقرانه العلماء.

نذكر من ذلك أن قاضي آمل طبرستان أبا المعمر عبد الكريم بن شريح الروياني[٤] الطبري المتوفى سنة ٥٣١هـ، كان فقيهاً مناظراً، فصيح المنطق. ورد نيسابور وأقام بها مدة وسمع من علمائها ثم ورد مرو سنة نيف و٥٢٠هـ طالباً القضاء ببلده من الوزير محمود ابن أبي توبة[٥].

---

(١) مناظرات فخر الدين الرازي: ص٣٩-٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣-٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٥-٤٦.

(٤) الروياني: نسبة إلى رميان وهي بلدة بنواحي طبرستان. الأنساب: ج٦، ص١٩٨.

(٥) الوزير محمود بن أبي توبة أبو القاسم الهروي كان ركناً من أركان الدولة السنجرية ومن وجوه المتصوفين، تفقه بمرو على الإمام أبي المظفر السمعاني، وكان مناظراً فحلاً نظر في علوم الأوائل واشتغل بتحصيل تلك العلوم، وهو مع النظر في أمور =

وحضر مناظرة أبي سعد السمعاني(١) وتكلم بمسألة القتل بالمثقل(٢)، فأكرم الوزير مورده، وفوض إليه القضاء(٣).

وهذه المناظرات كانت طريقاً للشهرة والغلبة، وكان العالم إذا أنس من نفسه طول الباع من العلم عمد إلى عالم مشهور يناظره، وإذا ما قدّر له أن يبرزه في مجلس المناظرة كان ذلك وسيلة إلى شهرته وارتفاع شأنه، فمن المعروف أن بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ، عمد إلى مناظرة أبي بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣هـ. وكان هذا أسن منه وأشهر وقد جرت المناظرة بينهما في سنة ٣٨٢هـ، بمدينة نيسابور، وحضرها وجوه نيسابور، فغلبه بديع الزمان، فأخمله، وكان هذا سبباً في أن يطير صيته ويشتهر(٤).

وقد تؤدي المناظرة إلى نشوب الفتن بين أتباع المتناظرين، فقد نمت فتنة عظيمة بين أتباع الإمام فخر الدين الرازي وبين الكرّامية، وذلك بسبب المناظرة التي جرت بين الإمام فخر الرازي، والقاضي مجد الدين عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة وهو من الكرّامية الهيصمية، وحضرها السلطان غياث الدين، والفقهاء من الكرّامية والحنفية والشافعية بفيروز كوه(٥) سنة ٥٩٥هـ، فتكلم الرازي فاعترض عليه ابن

= الوزارة كان يناظر الخصوم ويظهر كلامه عليهم لدقة نظره، وحسن إيراده، المنتخب من كتاب السياق: الورقة ١٣١ب، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٩٣.

(١) في طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٧٦-١٧٧، قال أبو سعد: حضر يناظرنا.

(٢) يقال وأثقلت المرأة فهي مثقل، ثقل حملها في بطنها: لسان العرب: مادة ثقل ولعل المناظرة كانت تتعلق في هذا الأمر هل يعتبر قتل واحد أم اثنين اي الأم والجنين.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٤٤٥، معجم البلدان: ج٢، ص٨٧٤، طبقات الشافعية الكبرى ج٧، ص١٧٦-١٧٧ منقولة عن التحبير.

(٤) معجم الأدباء: ج٢، ص١٧٣-١٨٣.

(٥) بفيروز كوه: قلعة حصينة بين جبال غورشتان بين هراة وغزنة، معجم البلدان: =

القدوة وطال الكلام فقام السلطان غياث الدين وترك المجلس، فاستطال عليه الفخر وقيل سبه وشتمه وبالغ في أذاه، وابن القدوة لا يزيد على أن يقول: «لا يفعل مولانا إلّا أخذك الله، استغفر الله» فانفضلوا على هذا.

فلّما كان الغد وعظ ابن عم المجد بن القدوة بالجامع فلّما صعد المنبر قال بعد أن حمد الله وصلّى على النبي (ﷺ): لا إله إلّا الله، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أيها الناس أنا لا نقول إلّا ما صحّ عندنا عن رسول الله (ﷺ)، وأمّا علم أرسطاطاليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها، فلأي حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذب عن دين الله وعن سنة نبيه! وبكى وضج الناس، وبكى الكرّامية واستغاثوا وأعانهم من يؤثر بعد الفخر الرازي عن السلطان.

فامتلأ البلد فتنة عظيمة وكادوا يقتتلون فبلغ ذلك السلطان فأرسل جماعة من عنده إلى الناس وسكنهم ووعدهم بإخراج الفخر الرازي من عندهم، وتقدم إليه بالعودة إلى هراة فعاد إليها[١].

وهذا يدل على أن الفخر الرازي كان يقول بآراء أرسطوا وآراء ابن سينا وأن آراءهما كانت منتشرة غير أنها كانت تلقى مقاومة من بعض الفئات الإسلامية، غير أن هذه الآراء كانت تقاوم ليس في خراسان فحسب بل حتى ببغداد في عهد ابن الجوزي، وعبد السلام الجيلي، وفي الأندلس عندما كانت تحرق كتب الفلسفة، ومع ذلك يمكن القول أن ذلك لم يكن يجري في خراسان وبغداد والأندلس في كل العصور بل في فترات من الزمن، وأن الحرية في المناقشات وإبداء الآراء كانت بوجه

= ج٤، ص٢٨٤.

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص٢٦، الكامل في التاريخ: ج١٢، ص١٥١-١٥٢، حوادث سنة ٥٩٥هـ، العسجد المسبوك: ص٢٤٩-٢٥١، حوادث سنة ٥٩٥هـ، الجامع المختصر: ج٩، ص٥.

عام هي السائدة في البلاد الإسلامية، وليس في البلاد النصرانية حيث كانت الكنيسة تقاوم بالحرمان والإحراق كل رأي حرّ.

● **طائفة من كبار العلماء المناظرين باللغة العربية في خراسان:**

١ • **أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر السرخسي الشيرزي** المتوفى سنة ٥٢٩هـ. وكان إماماً مناظراً، مقرئاً، لغوياً، شاعراً، أديباً، وقد وصف بأنه كان كثير المحفوظات، مليح المحاورة، أفنى عمره في طلب العلم ونشره وقد صنف التصانيف في الخلاف كالاعتصام والاعتضاد والأسولة[١]، وغيرها، سكن مرو بخراسان إلى أن مات بها، ويذكر أنه وصل في علم النظر بحيث يضرب به المثل وكان الشهاب الوزير يقول: لو قصد عمر لجرى منه الفقه مكان الدم، وكان خرج إلى العراق ورأى الخصوم وناظرهم وظهر كلامه عليه[٢].

٢ • **أبو القاسم عبدالله بن أبي بكر بن أبي عبدالله النيسابوري** المتوفى سنة ٥٥٢هـ وهو فقيه أصحاب أبي حنيفة في عصره ومناظرهم ومذكرهم[٣].

٣ • **أبو القاسم منصور بن محمد بن محمد بن الطيب، العلوي الفاطمي العمري الهروي** المتوفى سنة ٥٢٧هـ، كان جليل القدر. عظيم المنزلة، وكان فقيهاً مناظراً، وأحد الدهاة

---

(١) يقال سؤال وأسئلة، وسوال وأسولة، والأخير حكاية عن ابن جني، لسان العرب (مادة مسائل).

(٢) معجم البلدان: ج٣، ص٣٥٠، وشيرز من قرى سرخس، ذكر ياقوت أنه كانت بها سوق عامرة وجامع كبير.

(٣) التحبير: الترجمة/٩٨٨، الجواهر المضية: ج٢، ص١٧٠.

الأذكياء، حسن الكلام، مليح المحاورة، قال السبكي: ذكره الحافظ أبو محمد الجرجاني في كتابه وعظمه وقال فيه: رئيس العلماء بهراة وقد مات الجرجاني قبله بقريب من أربعين سنة(١).

٤ • **أبو سعد محمد بن يحيى بن منصور الجنزي** من أهل نيسابور. كان والده من أهل جنزة، قدم نيسابور وصار من مريدي الأستاذ أبي القاسم القشيري، وولد أبو سعد هذا بها، وكان أبو سعد إماماً مفتياً، مناظراً، مفسراً، أصولياً، واعظاً. تفقه على الإمامين أحمد الخوافي، وأبي حامد الغزالي، برع في الفقه والمناظرة وصار أنظر الخراسانيين في عصره، وصنف التصانيف في الخلاف، وتكاثر الفقهاء لديه وتخرجوا عليه، قتل بنيسابور في جامعها الجديد سنة ٥٤٩هـ وقت إغارة الغزّ على نيسابور(٢).

٥ • **أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن أحمد الحفصي السنجي** من أهل مرو. كان إماماً، فاضلاً، مناظراً، مبرزاً، فحلاً، حسن العبارة، فصيح المنطق، وكان يقهر الخصوم في المناظرة(٣).

٦ • **فخر القضاة سيف الدين أبو بكر محمد بن الحسين الأرسابندي** المتوفى سنة ٥١٢هـ. تفقه على أبي منصور السمعاني، وقرأ عليه الأدب، ورحل إلى بخاري في طلب الفقه وصار يضرب به المثل في علم النظر، ورجع إلى مرو، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة(٤).

---

(١) طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٧٦٢-٧٦٣.

(٢) التحبير: الترجمة ٩٠٨، الكامل: ج١١، ص١٨١، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: الورقة ٥٤أ-٥٥ب، النجوم الزاهرة: ج٥، ص٥٣٠.

(٣) الجواهر المضية: ج١، ص٢٧٢.

(٤) الأنساب: ج١، ص١٦٥-١٦٦، تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٣، ص٣١٩-٣٢٠.

٧ • **أبو الفتح ناصر بن سلمان بن ناصر بن محمد بن عمران الأنصاري النيسابوري** المتوفى سنة ٥٥٢هـ. ذكر عدداً من المؤرخين أنه كان إماماً مناظراً، بارعاً في علم الكلام حاز قصب السبق فيه على أقرانه، وصار في عصره أوحد ميدانه، وصنف التصانيف، وترسل من جهة السلطان سنجر إلى الملوك، وكان صاحب أوقاف الممالك(١).

٨ • **أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الآجنقاني**. كان من المناظرين البارزين. تفقه به جماعة من العلماء وتخرجوا عليه(٢).

٩ • **أبو الفتح عثمان بن محمد بن الحسن الطريثيثي النيسابوري** المتوفى سنة ٥٣٥هـ. ورد مرو وسكنها إلى حين وفاته، إمام فاضل، مناظر، أصولي. تفقه على الإمام الموفق الهروي وبرع في الفقه(٣).

١٠ • **أبو محمد عبدالله بن ميمون القاضي المالكاني الكوفني**، المتوفى سنة ٥٥١هـ. كان فقيهاً فاضلاً مبرزاً، له الباع الطويل في المناظرة والجدال ومعرفة تامة بهما(٤).

★ وهناك عدد كبير من المناظرين الخراسانيين لا يسع المجال لذكرهم هنا.

وكانت مجالس المناظرة قائمة بخراسان تارة بين علماء خراسان أنفسهم، وتارة أخرى بين علماء خراسان والعلماء الواردين إليها من

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٣١٧، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٦٥.

(٢) الأنساب: ج١، ص٧٠، معجم البلدان: ج١، ص١٣٧، وأجنقان من قرى سرخس.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٥٣٩.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٣٨، طبقات الشافعية الوسطى: الورقة ٤٩٦.

البلدان الإسلامية الدانية والقاصية، هذا إضافة إلى مجالس المناظرة التي عقدت لعلماء خراسان في البلدان الإسلامية التي رحلوا إليها حيث ناظروا علماءها، وأظهروا فضلهم وتفوقهم عليهم، علاوة على ما امتاز به علماء خراسان من خصبهم العقلي فقد كانوا أهل فصاحة وخطابة ولسن لتمكنهم من علوم العربية، حيث كانت العربية لغة المجالس العلمية تجري بها المناقشات والمساجلات والمحاورات. فكان علماء خراسان أعلاماً في المناظرة والجدل، وقد اقتبس العلماء منهم على المناظرة، وقد تميز المناظر الخراساني ببعض الخصائص والمزايا التي مكنته من إفحام الخصم، وذلك لحسن إيرادهم وقوة حجتهم التي كانت تلزم الخصم وتحرجه ومن ثم تسكته بحيث لا يجد جواباً لدفعها، ويلاحظ أنه كان يلقى الجواب الذي يسحر به سامعيه لفصاحة منطقه وبلاغة أسلوبه العربي، وقيامه بشرح آرائه شرحاً وافياً عندما يرى أن بعض أهل المجلس قد خفى عليهم مقصده ونراه يعرض كل ذلك بعبارة موجزة واضحة يجعلها تخرج مخرج الفكاهة الحلوة التي ترتاح لها النفس ويهش لها القلب. ونرى المناظر الخراساني قد جمع الهدوء والتمهل والجزالة بحيث لا يتحبّس ولا يتلجلج ولا يتنحنح، ولا يرقب لفظاً قد استدعاه من بعد ولا يتلمس التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه، علاوة على سرعة البديهة التي يتسم بها المناظر الخراساني، ومعلوم أن من الناس من لا يستطيع المحاججة إلّا بعد تفكر وتمهل ودراسة وكثيراً ما تجد الكاتب الجيد وتقرأ له وتعجب به أشد الإعجاب ولكنك لا تراه بذاك حين تحاوره وتطلب إجابته على البديهة، لذلك نجد علماء خراسان قد حازوا قصبَ السبق في هذا المضمار من علم النظر والجدل.

• طائفة من العلماء الذين عقدت لهم مجالس المناظرة في خراسان:

❶ **أبو سعيد إسماعيل بن عبد الواحد البوشنجي** المتوفى سنة ٥٣٦هـ. كان فقيهاً مدرساً مناظراً، دخل نيسابور، وحضر مجالس النظر فارتضاه الأئمة والفقهاء(١).

❷ **أبو القاسم يحيى بن علي بن الفضل بن بركة بن فضلان** الملقب جمال الدين الفقيه الشافعي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٥هـ. كانت له معرفة حسنة في الفقه والأصول وكان أوحد في علم الخلاف وصناعة الجدل، يشار إليه في حسن العبارة، وجودة النظر وعذوبة الإيراد.

رحل إلى خراسان وقرأ على محمد بن يحيى وأقام عنده وسمع دروسه، وعلق عنه وتكلم هناك مع الفقهاء وأظهر فضله واشتهر ذكره، وعاد إلى بغداد وقد اقتبس علم المناظرة والأصلين عن أهل خراسان وساد أهل بغداد وتخرج به جماعة من الفقهاء وبنى له فخر الدولة أبو المظفر بن المطلب المدرسة التي في عقد المصطنع ببغداد المعروفة بدار الذهب وجعله مدرسها، وأعاد له الدرس القاضي أبو علي يحيى بن الربيع وانتفع به خلق كثير وعلقوا عنه دروسه وحضروا مناظراته(٢).

❸ **أبو هارون موسى بن عبدالله القحطاني الأغماتي المغربي** المتوفى بعد سنة ٥١٦هـ.

رحل من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق ووصل إلى سمرقند، وتفقه بنيسابور وبخاري. ذكره أبو حفص عمر بن محمد النسفي في كتاب «النقد في ذكر علماء سمرقند» وقال عنه: «.. قدم علينا سنة ست عشرة وخمسمائة

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٤٤.

(٢) الجامع المختصر: ج٩، ص١١-١٣، البداية والنهاية: ج١٣، ص٢، الذيل على الروضتين، ص١٥.

وهو شاب فاضل فقيه مناظر بليغ شاعر محدث محاضر.. فارق بلاده وبقي في بلاد العراق وخراسان وبخاري ثلاث عشرة سنة يقتبس الفقه والنظر والحديث والكلام وبقي عندي أياماً.. ولأجله جمعت كتاباً لقبّته بهذا اللقب «عجالة النخشبي لضيفه المغربي» وفيه قلت:

لَقَدْ أَطْلَعَ الشَّمْسَ مِنْ غَرْبِها   عَلى خَافِقَيْها وأَوْساطِها
فَقُلْنا الْقِيامَةُ قَد أَقبَلَتْ   فَقَدْ جاءَ أَوَّلُ أَشْراطِها

يشير في هذين البتين إلى ما جاء في الحديث الشريف: أنه من أشراط الساعة أن تطلع الشمس من المغرب.

وأنشد موسى الأغماتي لنفسه:

لَعَمْرُ الهوَى إنّي وإنْ شَطَّتْ النوّى   لذو كبد حرّى وذو مَدْمَعٍ سَكْبِ
فانْ كُنْتُ في أَقصى خُراسانَ نازِحاً   فجِسْمي في شرقٍ وَقَلْبي في غربِ[١]

● **حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري**، المتوفى شهيداً سنة ٥٣٦هـ بمعركة قطوان. برع في مذهب الإمام أبي حنيفة، وأخذ يرتفع شأنه شيئاً فشيئاً ففاق الفضلاء في حياة أبيه بخراسان، فقد خاض غمار البحث والنظر، وناظر العلماء وقهر الخصوم، بل حار قصب السبق في علم النظر.

ونقل الذهبي عن ابن السمعاني أنه قال: «.. لقيته بمرو وحضرت مناظرته، وقد حدث عن جماعة من البغداديين، كأبي سعد أحمد بن الطيوري، وأبي طالب بن يوسف وغيرهم»[٢].

---

(١) الأنساب: ج١، ص٣٢٠-٣٢١، الأغماتي: نسبة إلى أغمات: بلدة بأقصى بلاد المغرب قريبة من بحر الظلمة، وبحر الظلمة هو: البحر المحيط الذي يسمى اليوم الأطلسي.

(٢) تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة/ ٢٢١ وما بعدها، الأعلام بتاريخ أهل الإسلام =

● **أبو البركات عبد الصمد بن عبدالله بن أبي الحسن بن أبي سهل العراقي الحصاص** من أهل نيسابور. المتوفى سنة ٥٥٧هـ.

كان فقيهاً صالحاً، عفيفاً جلداً تاجراً. سمع الحديث بنفسه بنيسابور ومرو وامعن في طلب الحديث. سمع منه أبو سعد السمعاني، وقد ناظر في علم الفرائض والحساب، قال أبو سعد: «كنت بمرو مع إسماعيل بن عبد الرحمن العصايدي فدخلنا يوماً على الإمام إبراهيم بن أحمد المرو المروذي، فعقدنا ساعة عنده وعرّفت نفسي عنده»، وقلت له: «أنا قرأت الفرائض والحساب واعرف ذلك العلم فأكرمني، ثم قلت له تسألني مسألة فقال في وقت آخر. فألححت وقلت: لا بد أن تسألني عن مسألة من الفرائض حتى تعرف إنني تعبت في تحصيل ذلك العلم. فسألني: فما أحسنت جوابها فخجلت، فقلت له: يا سيدري كانت لي فائدة في هذه المذاكرة والمساءلة، قال لي الإمام إبراهيم: وما تلك الفائدة؟ قلت: كنت أظن أني أعرف علم الفرائض. وعلمت إني لا أعلمها، فتبسم وأعجبه قولي هذا»[١].

● **أبو عبدالله محمد بن واثق بن علي بن الفضل قاضي القضاة محيي الدين بن فضلان البغدادي** المتوفى سنة ٦٣١هـ.

مدرّس المدرسة النظامية والمستنصرية ببغداد. رحل إلى خراسان في طلب الفقه وناظر علماءها، وكان موصوفاً بحسن المناظرة عارفاً بالمذهب والخلاف والأصول والمنطق[٢].

= لابن قاضي شهبة: م٣ ق٢: الورقة ٢٨٦ب-٢٨٧أ، ملخص تاريخ الإسلام:م٨ الورقة ٢٠أ.

(١) التحبير: الترجمة/ ٤٢٧، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٥٤أ، التدوين في معرفة أخبار قزوين: الورقة/ ٦٩أ.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٠٧-١٠٨.

❼ **أبو إسحق إبراهيم بن محمد الدهستاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ.**

كان قد ورد نيسابور سنة ٤٦٠هـ وتفقه بمدرسة الإمام الصندلي، وصار من المدرسين وكان إمام الحرمين يقبل عليه في مجلس المناظرة، ذكره الهمذاني في الطبقات من أصحاب الصندلي: فقال: «قرأ على أبي الفرائض والحساب..»[(١)].

❽ **أبو إسحق إبراهيم بن علي الفيروزابادي الشيرازي سنة ٤٧٦هـ.**

وكان هذا مدرّس المدرسة النظامية ببغداد، وقد دخل نيسابور سنة ٤٧٥هـ رسولاً من الخليفة المقتدى بأمر الله العباسي إلى السلطان أبي الفتح ملكشاه بن محمد فأكرم مورده وتلقاه الخاص والعام بالقبول، وقابله إمام الحرمين مدرّس نظامية نيسابور بغاية الإكرام، وجرت بينه وبين إمام الحرمين مناظرتان بالمدرسة النظامية بنيسابور وقد نقل تاج الدين السبكي نصهما من خط الشيخ تقي الدين أبي عمرو بن الصلاح في مجموع له[(٢)].

❾ **وقد جرت مناظرة بين الإمام ظهير الدين البيهقي الأنصاري** المتوفى سنة ٥٦٥هـ **وبين الإمام محمد الشهرستاني الخراساني** المتوفى سنة ٥٤٨هـ صاحب كتاب «الملل والنحل» باللغة العربية الفصحى وحضرها جمع غفير من العلماء وقد جمعهم لهذا المجلس الإمام أبو الحسن بن حمويه ومنهم: الإمام أبو منصور العبادي، وموفق الدين أحمد الليثي، وشهاب الدين الواعظ الشنوركاني، وغيرهم من الأفاضل. فجرت المناظرة بينهما في بعض المسائل الفلسفية وكان الكلام عن أقسام التقدمات فقال ظهير الدين البيهقي: هذا المنفصل حقيقي أم غير حقيقي؟

---

(١) الجواهر المضية: ج١، ص٤٧-٤٨.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص٢٠٩.

فانك تقول المتقدم أما بالذات، وأما بالوجود وأما بالطبع وأما بالمكان وأما بالزمان وأما بالشرف فقال: فرق بين التقدم بالذات والتقدم بالوجود، وأخذ يقرر ذلك تقريراً وأنا أقول: أنت تجيب عن مطلب «ما» في غير مواضع النزاع، وتعرض عن مطلب «هل» المركب و«لم» في موضع النزاع، أنا لا أسألك ولا أقول ما الفرق بين المتقدم بالذات والمتقدم بالوجود، ولكني أقول: لم قلت أن أجزاء الأنفصال في حصر التقدمات محصورة وهي منفصلة حقيقة، فطال التكرار، وانقطع بسبب التكرار الكلام».

وكان يصنف تفسيراً ويؤوّل الآيات على قوانين الشريعة والحكمة وغيرها، فقال ظهير الدين البيهقي: هذا عدول عن الصواب، لا يفسر القرآن إلّا بآثار السلف من الصحابة والتابعية، والحكمة بمعزل عن تفسير القرآن وتأويله، خصوصاً ما كتب تأويله، ولا يجمع بين الشريعة والحكمة أحسن مما جمعه الإمام الغزالي (رحمه الله) فامتلأ من ذلك غضباً[١].

● **وناظر الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني الخراساني** المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

في المسائل الفلسفية، وقد تكلم في هذه المسائل في مجلس الأمير السيد أبي القاسم علي ابن جعفر الموسوي[٢]. ناقش فيها الشهرستاني آراء أبي علي بن سينا، الذي وصف بأنه المبرز في علوم الحكمة وعلامة الدهر

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٤٢-١٤٣، تتمة صوان الحكمة: ص١٣٧-١٤٠.

(٢) كان من أكابر خراسان ومن فضلائها الممتازين في النظم والكتابة، وكان السلطان سنجر يجله ويحترمه ويلقبه بكلمة أخ. وقد أشار بمكانته العالية الكثير، فقد مدحه أديب صابر. مقدمة كتاب حدائق السحر في دقائق الشعر، ص٤٩.

في الفلسفة لا يقفوه فيها قاف، ولا يلحقه لاحق، ومن وقف على مضمون كلامه عرف مكنون مرامه.

وقال الشهرستاني في مقدمة كتابه «مصارعة الفلاسفة»[١]:

«.. فأردت أن أصارعه مصارعة الأبطال، وأنازله منازلة الرجال، فاخترت من كلامه في الهيات الشفاء، والنجاة، والإشارات والتعليقات أحسنه.. وشرطت على نفسي ألّا أفاوضه بغير صنعته ولا عليّ أن أعانده على لفظ توافقنا على معناه وحقيقته، فلا أكون متكلماً جدلياً، أو معناداً سوفسطائياً فابتدئ في بيان التناقض في نصوص نصوصه لفظاً ومعنى، وأردفه بكشف مواقع الخطأ في متون براهينه مادة وصورة، فليجلس المجلس العالي.. وليحكم بين المتناظرين المتباروين.. ليعلم أني قد بلغت بن العلم بأطوريه، ولا يستصغر شأني، فالمرء بأصغريه وهذه المصارعة في سبع مسائل من الألهيات من جملة نيف وسبعين مسألة في المنطق والطبيعيات والألهيات حنفته فيها بوتده، ورشقته بمشاقصة، في مهوى حفرته، واركسته لام رأسه في زبيته[٢].. المسألة الأولى في حصر أقسام الوجود، المسألة الثانية في وجود واجب الوجود، المسألة الثالثة في توحيد واجب الوجود، المسألة الرابعة في علم واجب الوجود، المسألة الخامسة في حدوث العالم، المسألة السادسة في حصر المنادي، حولت مع السابعة إلى مسائل مشكلة وشكوك مفصلة»[٣].

---

(١) للكتاب نسخة خطية في مكتبة جامعة كوتا بألمانيا، ومنها نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي/ قسم المخطوطات برقم ٤٧١/م في (٣٩) ورقة.

(٢) زبيته: حفرته والزبية الحفرة في مكان مرتفع. وهي من الأضداد وفي الأصل (ذبيته) بالذال وهو من الناسخ. لسان العرب: مادة زبى.

(٣) مصارعة الفلاسفة: الورقة/ ٢ب-٣ب.

⓫ مناظرة في سبعة عشر مجلساً جرت في مسألة البيع الفاسد بين **الإمام أبي يعقوب يوسف ابن أيوب الهمذاني**، شيخ الصوفية، وصاحب الرباط المشهور به على طرف نهر الرزّيق بمرو **وبين الإمام أبي سعد السمعاني بمرو**(١).

⓬ **مناظرة بين الإمام الفخر الرازي البكري، وبين أصحاب الإمام الغزالي، في صومعة الغزالي بطوس**(٢).

• المناظرات التي عقدها علماء خراسان في البلاد الاسلامية:

★ وقد ناظر جماعة من علماء خراسان علماء بغداد وما وراء النهر وعقدت لهم مجالس للمناظرة في المدارس والمساجد والحلقات العلمية في البلدان التي رحلوا إليها **ولكن أشهر هؤلاء العلماء**:

١ • **أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد النيسابوري**، ويعرف بالأكافّ المتوفى سنة ٥٤٩هـ.

قدم بغدا في توجهه إلى الحج وفي رجوعه منه وتكلم في المسائل الخلافية وارتضى كلامه كل من حضره ورجع إلى نيسابور(٣).

٢ • **برهان الدين أبو الحسن علي بن محمد البلخي الزاهد الحنفي** المتوفى سنة ٥٤٨هـ ذكر ابن عساكر أنه تفقه بما وراء النهر

---

(١) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/٢١٨أ، وردت فيه كنية أبي سعد السمعاني محرفة إلى أبي المظفر، وهذا غير صحيح إذ أن أبا المظفر عبد الرحيم لم يدرك الهمذاني، فأنه توفي قبل أن يولد عبد الرحيم، وإذا كان المراد به أبا المظفر جد أبي سعد السمعاني، فهذا غير صحيح كذلك لأنه لم يعاصر الهمذاني، لأن أبا المظفر الجد توفى سنة ٤٨٩هـ.

(٢) مناظرات الفخر الرازي: ص٤٥-٤٦.

(٣) طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص١١٣-١١٤.

وبغداد، ومكة، وقدم دمشق في سنة ٥١٩هـ، فنزل المدرسة الصادرية بباب البريد ومدرسها يومئذ أبو علي بن مكي الكاساني فعقد له مجلس المناظرة، وجلس للوعظ، فوقع له القبول في قلوب الناس فحسده الكاساني وتعصب عليه الحنابلة لأنه أظهر خلافهم فعزفت نفسه عن المقام بدمشق فمضى إلى مكة وجاور بها وكان إمام الحنفية في المسجد الحرام(١).

٣ • **أبو حامد محمد بن محمد بن إسماعيل الطوسي البروي الفقيه الشافعي** المتوفى سنة ٥٦٧هـ.

كان إليه المنتهى في علم الكلام والبلاغة والجدل، وصنف في الخلاف تعليقةً جيدة وله في الجدل كتاب سماه «المقترح في المصطلح» أكثر الفقهاء المصريون الاشتغال به ومنه أخذ الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد تسمية كتابه في علم الحديث «الاقتراح في معرفة الاصطلاح» وكان أبو حامد هذا حلو العبارة، ذا فصاحة وبراعة، وكانت له حلقة المناظرة بجامع القصر ببغداد، كان يحضر عنده المدرسون(٢).

٤ • **أبو سعد آدم بن أحمد بن أسد الهروي** مدرّس نظامية بلخ المتوفى سنة ٥٣٦هـ.

وقد وصف بأنه كان أديباً فاضلاً عالماً بأصول اللغة صائباً. ورد بغداد حاجاً سنة ٥٢٠هـ واجتمع إليه أهل العلم وقرأوا عليه الحديث والأدب، وجرت بينه وبين أبي منصور موهوب ابن أحمد الجواليقي مدرس الأدب في المدرسة النظامية ببغداد واختص بإمامة الخليفة المقتفى لأمر الله العباسي، وكان لا

---

(١) مرآة الزمان: ج٨ ق١: ص٢٢٠.

(٢) طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٢٦٠-٢٦٣، مرآة الجنان: ج٣، ص٣٨٢.

يقول شيئاً إلّا بعد التحقيق، جرت بينهما منافرة في مذاكرة الأدب فاختلف في شيء وشرقت بينهما القضية إلى أن قال الأسدي للجواليقي أنت لا تحسن أن تنسب نفسك، فأن الجواليقي نسبة إلى الجمع، والنسبة إلى الجمع لا تصح»[١]. وعلق ابن الأنباري على ذلك بقوله: «هذا الذي ذكره نوع من المغالطة، فان لفظ الجمع إذا سمي جازان تنسب إليه بلفظة، كمدائني، ومغافري، وأنماري، وما أشبه ذلك فكذلك ها هنا»[٢].

ورد ياقوت الحموي على ذلك بقوله: وهذا الاعتذار ليس بالقوى لأن الجواليق ليس اسم رجل فيصح ما ذكره، وإنما هو نسبة إلى بائع ذلك، والله أعلم، وإن كان اسم رجل أو قبيلة أو موضع نسب إليه صح ما ذكره[٣].

٥ • **فخر الدين الرازي البكري**. رحل إلى بلاد ما وراء النهر ودخل بخاري وسمرقند، وخجندة وبناكت، ثم رحل إلى غزنة وبلاد الهند، واتفقت له في كل واحدة من هذه البلاد مناظرات ومجادلات مع كل من كان فيها من الأفاضل والأعيان[٤].

★ وقد بلغ عدد مناظراته في هذه البلدان ست عشرة مناظرة دونها في كتابه المعروف بـ«مناظرات» فخر الدين الرازي»[٥].

---

(١) أنباه الرواة: ج١، ص٢٣٦، بغية الوعاة: ص١٧٦، تاريخ الإسلام للذهبي: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢١٩أ، وفيه توفي سنة ٥٣٥هـ؛ معجم الأدباء: ج١٩، ص٢٠٥.

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ص٢٧٣.

(٣) إرشاد الأريب: ج١، ص٣١.

(٤) مناظرات فخر الدين الرازي: ص٢.

(٥) الكتاب مطبوع في دائرة المعارف العثمانية بمدينة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٥هـ.

- **مناظرة الإمام فخر الدين الرازي مع جماعة من علماء ما وراء النهر:**

تدل على عدم الأخذ بعلم النجوم وعلم الأحكام استعملت فيها أقيسة المنطق كما تدل العبارات والمصطلحات فيها على قوة العربية وفهم العلماء لها في تلك الديار دخل الإمام فخر الدين الرازي على شرف الدين محمد بن مسعود المسعودي وكان ذلك سنة ٥٨٢هـ وهي السنة التي حكم فيها المنجمون بوقوع الطوفان الريحي فيها، وعظم خوف أهل العلم من وقوع تلك الواقعة، فلمّا دخل الرازي على المسعودي رأى رضي الدين النيسابوري عنده، وجماعة آخرين من أهل العلم، وكانوا يبحثون في هذه المسألة بجد عظيم وجهد شديد.

فقال الرازي: أن هذه المسألة فرع من فروع علم الأحكام، والفلاسفة أطبقوا على أن ذلك العلم في غاية الضعف، وعلى هذا التقدير فلا موجب لهذا الخوف الشديد، ولا حاجة إلى هذا البحث القوي ولا إلى هذا الاحتراز العظيم، فلمّا سمع الإمام شرف الدين المسعودي هذا الكلام غضب غضباً شديداً، وقال: لم قلتم: أن علم الأحكام علم ضعيف ساقط؟ وما الذيل عليه؟

فقال الإمام فخر الدين الرازي: الذي يدل عليه وجهان: الأول: النقل عن أكابر الحكماء فأن أبا نصر الفارابي وهو رئيس الحكماء على الإطلاق ولهذا لمّا مدحه الشيخ أبو علي ابن سينا قال في حقه: يكاد أن يكون أفضل من كل السلف، وله تصنيف مشهور في أبطال علم الأحكام، وأيضاً الشيخ أبو سهل المسيحي، كان من أفاضل الحكماء وله تصنيف في أبطاله والشيخ أبو علي بن سينا ذكر في كتاب الشفاء وكتاب النجاة فصلاً طويلاً في أبطال علم الأحكام. فهؤلاء أعيان الفلاسفة وأكاب الحكماء وكلهم أطبقوا على القدح في هذه الصناعة، وأهل زماننا هذا وان بلغوا

الدرجات العالية فهم بالنسبة إليهم كالقطرة بالنسبة إلى البحر، والشعلة بالنسبة إلى البدر، فهذا ما يتعلق بالنقل.

وأما ما يتعلق بالعقل فهو أن المؤثر أما الكوكب وأما البرج، وأما الكوكب بشرط حصوله في البرج، والقسمان الأولان يوجبان دوام الأثر بدوام الكوكب أو البرج، والقسم الثالث باطل، لأنه لو كان أثر الكوكب عند حصوله في ذلك البرج بخلاف أثره عند حصوله في البرج الآخر لزم أن يكون هذا البرج مخالفاً بالطبع والماهية لذلك البرج الآخر، إذ لو كان مثلين لكان أثر الكوكب عند كونه في هذا البرج مثلاً لاثره عند كونه في البرج الثاني، ضرورة أن المثلين يجب استواؤهما في جميع اللوازم، ولو كانت طبيعة أحد البرجين مخالفة لطبيعة البرج الآخر لزم أن يكون الفلك مركباً لا بسيطاً، لكن الفلاسفة أقاموا البرهان على أن الفلك يجب أن يكون بسيطاً لا مركباً، فكان هذا القول باطلاً.

فلما سمع المسعودي هذا الكلام قوي غضبه جداً بحيث اختل فهمه ونطقه وقال:

إنك انما أوردت هذا الكلام لأنك تظن أنهم لما قالوا: الحمل برج ناري فهو من النار، ولما قالوا: النور برج أرضي فهو من الأرض وليس الأمر كذلك بل مرادهم أن ذلك البرج يوجب السخونة وهذا يوجب البرودة.

فقال له الرازي: أن العاقل يجب عليه أن يصون فهمه ولسانه عن مثل هذا الكلام أسمعت مني أني قلت أن القوم لما قالوا أن الحمل برج ناري يجب أن يكون جوهرة من النار، وأن النور لما كان برجاً أرضياً وجب أن يكون جوهرة من الأرض، معاذ الله أن أروي عنهم مثل هذا الكلام، إلّا أني قلت: ثبت في صريح العقل أن المثلين يجب استواؤهما في جميع اللوازم، وان اختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات، فلما

اختلف آثار الكوكب الواحد بسبب دخوله في البروج المختلفى لزم القطع باختلاف طبائع تلك البروج فأي تعلق لهذا الكلام الظاهر القوي العقلي التي ذكرته بذلك الكلام الضعيف الفاسد الذي تخيلته؟ وليتني ما دخلت بلاد ما وراء النهر حتى لا أسمع أمثال هذه الكلمات العجيبة. فلما قررت هذا الكلام وعرف الشيخ الرضي النيسابوري قوة هذا السؤال وفساد الجواب الذي ذكره المسعودي، وكان الرضي النيسابوري تلميذاً للشرف المسعودي في الفلسفة، حاول إصلاح كلامه فقال: إنك الزمت على القائلين بعلم الأحكام كون الفلك مركباً من الطبائع المختلفة، وهو لازم عليهم في مواضع كثيرة منها أن الغزالي ألزم عليهم هذا فقال أن النقطتين المتعينتين في الفلك صارتا متعينتين للقطبية دون سائر النقط، فهذا يقتضي كونهما مخالفتين بالماهية لسائر النقط، فهذا يوجب اختلاف أجزار الفلك.

فقال الإمام الرازي: أيها الشيخ الإمام الذي ادعيته أن القول بصحة هذا الكلام يوجب عليهم كون الفلك مركباً لا بسيطاً، وقد أثبت بالدليل هذا المدعى، وما ادعيت أن هذا الإلزام غير وارد عليهم في سائر الصور. فكيف يليق بإستقامة خاطرك إدخال البحث الأجنبي في هذا البحث؟. فقال: نعم، ذلك البحث غير هذا البحث، ألا أن هذا الإلزام وارد عليهم لا محالة.

فقال فخر الدين الرازي: أن سلمت أن القول بصناعة الأحكام يوجب تركيب الفلك خضت في مسألة القطب.

فقال: سلمت أن إلزامك وارد، فما قولك في مسألة القطب؟.

فقال فخر الدين: سؤال الغزالي ليس بشيء، وكلامه في هذا البحث ضعيف جداً فلما سمع المسعودي قولي تغير وقال: لمَ قلت أن هذا السؤال ضعيف؟ والظاهر أنه ليس تحت أديم السماء أحد يقدر على الجواب عنه.

فقال الرازي: أن كان مدار هذا البحث على الشغب، والغضب فالأولى قطعه، وأن كان المقصود منه البحث والنظر فلا يحصل هذا المقصود إلّا بالثبات والسكون.

فقالوا: التزمنا هذا الشرط فبيّن وجه الجواب.

فقال الرازي: أن الحكماء بينوا أن تعيين النقطتين والمنطقة تبع لتعيين حركة الكرة، بقى أن يقال: وما السبب لحصول هذه الحركة؟.

فنقول: أن الفيلسوف قال: العالم ممكن وجوده في الوقت الذي حصل، فأما أن يقال: أنه كان قبل ذلك الوقت ممتنعاً لذاته ثم انقلب ممكناً، وأما أن يقال: أنه كان قبل ذلك الوقت ممكناً لذاته، والأول باطل، وإلّا لزم انقلاب الماهية من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي وأنه محال فبقي القسم الثاني، وهو أنه كان ممكن الوجود قبل ذلك الوقت، فلو اختص ذلك الحدوث بذلك الوقت دون ما قبله وما بعده لزم رجحان الممكن لا المرجح، وهو محال. إذا عرفت هذا فقول: سؤال الغزالي إنما يتوجه لو بيّن أن حركة هذه الفلك على جميع الجهات المختلفة ممكنة فحينئذ يلزم أن تكون حركته على هذه الجهة المعنية رجحاناً للممكن من غير مرجح، لكنه لم يبين أن حركة الفلك على جميع الجهات ممكنة، فلعل جوهر الفلك يقبل هذا النوع من الحركة ولا يقبل سائر الأنواع، ولا يلزم من هذا القول الانتقال من الامتناع إلى الإمكان لأن الفيلسوف يقول: سائر الأنواع من الحركة ممتنعة فبقيت على الامتناع أبداً وهذا النوع ممكن فبقى على الإمكان أثراً بخلاف حدوث العالم فأنه لو كان ممتنعاً لذاته ثمّ انقلب ممكناً لذاته لزم الانتقال من الامتناع إلى الإمكان، وهو محال، فظهر أن المعارضة التي أوردها الغزالي على دليل الفلاسفة غير وارد البتة.

فلّما سمع المسعودي هذا الكلام عظم غضبه، واستولت الرعدة على

أعضائه وقال: أن هذا الذي ذكرته محض الجدل، ودفع السؤال العقلي المحض بالجدل المحض غير معقول عند أهل العقل.

فقال الإمام فخر الرازي: أني أسال العظيم الرحيم أن يعيد عقلي ونفسي من مثل هذه الحكمة المعوجة، وذلك لأن الفيلسوف احتج بحجة على مطوبة، ثم أن المسائل أورد عليه معارضة، فهذه المعارضة إنما تتم إذا بين السائل أن جميع ما ذكره المستدل حاصل في هذا السؤال، فأما إذا لم يقدر عليه صارت تلك المعارضة كلاماً فاسداً واهياً لا يجب الإلتفات إليه.

فلّما سمع المسعودي هذا الكلام عدل إلى جواب آخر فقال: أن الحركات بأسرها متساوية في كونها حركات، فالجسم لمّا كان قابلاً لنوع معين من الحركة وجب كونه قابلاً لسائر الحركات.

فقلت له: أن المتكلم لو ذكر مثل هذا الكلام لتوجه عليه أنواع من الإشكالات فكيف وأنت رجل من الحكماء! أليس من مذهبك أن الحركة مفهوم واحد تحته أنواع أربعة: الحركة في الكم والكيف والوضع والأين، وأن الحركة في الأين قسمان حركة في الوسط كما للهواء والنار، وحركة إلى الوسط كما للماء والأرض وأن الحركة الفلكية الدورية مخالفة للحركة المستقيمة الصاعدة والهابطة، فلّما كان مذهبك أن هذه الحركات أنواع مختلفة بالماهية لم يلزم من كون الجسم قابلاً لصفة كونه قابلاً لمّا يخالف تلكْ الصفة بالماهية لأن الماهيات المختلفة لا يجب استواؤها في جميع اللوازم، فثبتت أنه يلزم من كون الفلك المعين قابلاً لحركة مخصوصة كونه قابلاً لسائر الأنواع.

فلّما سمع المسعودي هذا الكلام قال: لمّا سلمت أن هذه الحركة متساوية في كونها حركة وجب أن يكون امتياز كل نوع منها عن النوع الآخر بفصل مقوم، فما تلك الفصول التي باعتبارها خالف بعضها بعضاً؟.

قلت يا سبحان الله! أن الفيلسوف أقام البرهان على أن حدوث العالم في كل الأوقات ممكن، فاختصاص بعض الأوقات بذلك الحدوث يقتضي رجحان الممكن لا المرجح فقال الغزالي: مثل هذا وارد عليك في القطبين وفي الحركات.

فقال الفيلسوف: هذه المعارضة إنما تتوجه عليّ إذا ثبت بالدليل أن جوهر الفلك المعين قابل لجميع الحركات، فاذكر ذلك الدليل.

ثم أنك قصرت كلام الغزالي فقلت: الدليل عليه أن جميع الحركات متساوية في تمام الماهية.. فقال الفيلسف: هذه المقدمة ممنوعة فما الدليل على صحتها؟.

فثبت أن الغزالي هو المحتاج إلى إقامة الدلالة على أن كل جسم قبل نوعاً معيناً من الحركة فهو قابل لجميع أنواع الحركات.

أما الفيلسوف فأنه يكفيه المطالبة بالدليل. فثبت أن قولك ما الفصل الذي به يمتاز نوع من الحركة عن نوع آخر مطالبة فاسدة وسؤال غير متوجه. بل أنت محتاج إلى إقامة الدليل على حصول الإستواء في تمام الماهية.

ولما انتهى الكلام إلى هذا المقام فهم الرضي النيسابوري كيفية هذا الكلام ثم أخذ في إعادة هذا الكلام على هذا النظم والترتيب قريباً من عشر مرات إلى أن وقف المسعودي عليه ثم أخذ في الثناء والتعظيم، وانقطع الكلام في هذا المقام[1].

وإلى جانب هذه المناظرات مناظرات أخرى في أمور فقهية كمناظرة الإمام فخر الدين الرازي ورضي الدين النيسابوري ببخاري[2] في مسألة

---

(١) مناظرات فخر الدين الرازي: ص٣٢-٣٨.

(٢) المصدر نفسه، المناظرة الأولى: في مسألة البيع: ص٢-٩، والمناظرة الخامسة =

البيع فقد استعملت فيه عبارات ومصطلحات عن البيع بالغبن الفاحش، والتوكيل بهذا البيع، وثمن المثل، ومتى ينعقد البيع، ودفع في الضرر من حصول الغبن والخسران وغير ذلك من المصطلحات التي تتعلق بالمعاملات، وهذه المناظرة طويلة جداً وهي بلغة عربية فصحى تدل على تمكن القوم ببخاري فيما وراء النهر منها وعلى درجة ثقافتهم وعلى الفكر العربي الإسلامي في ذلك العصر.

= عشر أيضاً في مسألة البيع: ص٣٤-٣٨.

الفصل الثاني

مجالس الإملاء والتحديث

قبل أن نتكلم على مجالس الإملاء والتحديث، لا بد لنا أن نبيّن أركان مجلس الإملاء والتحديث والآداب التي تراعى في حضور هذه المجالس.

- **أركان مجالس الإملاء:**

❶ المملي:

وهو المحدث، أو الراوية، الذي يعقد له المجلس، ويستحب أن يكون المملي في حال الإملاء على أكمل هيئة، وأفضل زينة، ويصلح أموره التي تجعله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين. ويقتصد في مشيته إذا قصد المجلس، ويعم بالسلام كافة الحاضرين حتى الصبيان غير البالغين، وإذا وصل إلى المجلس منع من كان جالساً من القيام، **لأن النبي (ﷺ) قال: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظّم بعضهم بعضاً»**.

وينبغي للمملي أن يعين لأصحابه يوم المجلس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم وليستعدوا لحضوره، ويعد بعضهم بعضاً، وإذا عين لهم اليوم ووعدهم بالإملاء فيه فلا ينبغي له إخلاف موعده، وعليه أن يستعمل لطيف الخطاب مع أصحابه، ويحسن خلقه معهم، ومع أهل مجلسه،

ولا يرفع صوته إلّا بقدر ما يسمع للحاضرين، وأن يقعد على المنبر، أو على موضع مرتفع خاصة إذا كثر عدد من يحضر، حتى يبدو للجماعة وجهه ويبلغهم صوته. وإذا روى المملي حديثاً فيه كلام غريب فسرّه، أو معنى غامض بيّنه وأظهره، ولا يجوز أن يفسر إلّا ما عرف معناه، وأما ما لم يعرفه فيلزمه السكوت عنه، فقدْ سئل أبو القاسم زاهر ابن طاهر الشحامي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٣هـ بهمذان، عن معنى حديث فأمسك وقال: أنا محدّث ولست مفسراً[١].

وينبغي على المملي عدم إملال السامع وإضجاره بطول إملائه، ذلك لأن المستمع أسرع ملالة من المتكلم[٢].

٢ المستملي:

وهو الذي يبلّغ عن المملي من بعد في الحلقة. ويستحب أن يقعد المستملي على موضع مرتفع مثل دكة أو كرسي، فإن لم يجد استملى وبلغ الناس قائماً، لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضري، وينبغي أن يكون المستملي جمهوريّ الصوت، وأن يكون أفصح الحاضرين لساناً، وأوضحهم بياناً، وأحسنهم عبارة، وأجودهم أداء، ويستحب للمستملي أن لا يخالف لفظ المملي في التبليغ، خاصة إذا كان الراوي من أهل الدراية والمعرفة بأحكام الرواية، وعليه أن يرفع صوته بما يذكره ويمليه[٣].

★ وإليك بعض من اشتهر بالاستملاء في خراسان في القرن السادس.

١ • أبو عطاء إسماعيل بن الحسن بن إسماعيل الشيباني الهروي

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء: ص٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٥-٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٤-١٠٨.

المستملي المتوفى سنة ٥٤٥هـ[١].

- ٢ أبو جعفر محمد بن عبد الرحيم، المتوفى سنة ٥١٩هـ. فخرج إلى مرو وتفقه بها، وحصل بها الخلاف، وعاد إلى نيسابور، واستملى على قاضي القضاة شيخ الإسلام أبي سعيد محمد بن أحمد بن صاعد في مجالس إملائه[٢].
- ٣ أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري المستملي، المتوفى سنة ٥٣٣هـ[٣].

٣ السامع:

لقد ذكروا في السامع أموراً كثيرة منها: ينبغي لمن أراد سماع الإملاء البكور خوفاً من فوات المجالس بتأخير الحضور، وأن يتعذر على المملي إعادته، وأن يمشي على تؤدة من غير عجلة، وعليه تشمير ثيابه لئلا يعثر بها إذا مشى، أو يعتقل بها إذا قام.

وعليه أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، وأن كان المجلس غاصاً بأهله، فعليه أن لا يتخطى الرقاب، فإذا استدناه المملي حاز له حينئذ تخطي الرقاب، وإن أكرمه المملي بمخدّة فلا يردها وليجلس عليها. ويكره للطالب أن يجلس في صدر المجلس، أو وسط الحلقة، ويستحب لمن كان جالساً في الحلقة أن يوسع للداخل ويتزحزح له عن مكانه، ويكره القعود في موضع من قام من المجلس وهو يريد العود إليه.

وإذا خاطب الطالب المملي، أو راجعه في شيء عظمه في خطابه

---

(١) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/٢٩٥أ.

(٢) الجواهر المضية: ج٢، ص٨٠.

(٣) شذرات الذهب: ج٦، ص١٠٢.

كأن يقول: أيها الأستاذ، أو أيها الحافظ، ويحسن الاستماع والإصغاء عند الإملاء، فمن قول الأديب أبي الفتح النطنزي:

يا طالباً للعلم كَيْ تَحْظَى به دِيناً ودُنْيا حُظْوَةً تُعْلِيه
اسْمَعه ثم احْفَظْه ثم اعمل به لله ثم انْشُرْه في أَهْلِيه

ومما اشترط في السامع أن لا يحضر مجلس الإملاء إلّا مع المحبرة، أما القلم فينبغي أن يكون أصمّ صلباً، فأن هذه الصفة تمنع سرعة الجري، ويتخذ أملس العود مزال العقود، وتوسع فتحته، وتطال جلفته[(١)]، وتحرّف قطته[(٢)].

لا بد أن نشير إلى أن البحث في مجالس الإملاء كان قد تركز في الغالب على رواية أحاديث رسول الله (ﷺ)، ذلك لأن علم الحديث عند المسلمين كان أشرف العلوم بعد الغلم بكتاب الله تعالى، والأحكام مبنية عليهما منبسطة منهما والله تعالى قد شرف نبينا حيث قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[(٣)].

وكان انفع ما يملى في مجالس الإملاء الأحاديث الفقهية التي تفيد في معرفة الأحكام الشرعية من حرام وحلال ما يتعلق بالعبادات والمعاملات الدنيوية، إضافة إلى إيراد أحاديث الترغيب والترهيب.

على أن بعض المجالس كانت تعقد لأجل إملاء المؤلفات من الكتب والأجزاء الحديثية، أو في موضوعات مختلفة. فقد ذكر أن أبا بكر محمد ابن أحمد بن أبي سهل السرخسي المتوفى سنة ٥٠٠هـ قد أملى كتاب «المبسوط» في الفقه وكان في أربعة عشر مجلداً أملاه من خاطره من

---

(١) أي سن قلم القصب.
(٢) أدب الإملاء والاستملاء: ص١٠٨-١٥٨.
(٣) سورة النجم، الآية: ٣، ٤.

غير مطالعة كتاب ولا مراجعة تعليق، وكان محبوساً في جب بسبب كلمة نصح، وكان يملي على تلامذته من الجب وهم على أعلى الجب يكتبون ما يملي عليهم.

ثم أنه أملى كتابه «شرح السير الكبير» في أصول الفقه في جزأين ضخمين أملاهما وهو في الجب فلمّا وصل إلى باب «الشروط» حصل الفرج فأطلق، فخرج إلى فرغانة فانزله الأمير حسن بمنزله فوصل إليه الطلبة فأكمل الإملاء في دهليز الأمير[(١)].

أمر يقضي العجب: رجل في جب يملي بالعربية كتاباً في (١٤) مجلداً فيما وراء النهر في الفقه ويتمه في فرغانة بعد إطلاق سراحه يدل ذلك على انتشار العلوم الإسلامية في تلك المناطق النائية وعلى معرفة تامة باللغة العربية التي يملي بها الكتاب.

وكانت مجالس الإملاء تعقد من أجل إملاء تفسير القرآن، فقد ذكر أن أبا حفص عمر بن عثمان الجنزي الأديب المتوفى سنة ٥٥٥هـ، الذي برع في العلم حتى صار علامة زمانه وشاعت تصانيفه في الآفاق، وشرع في إملاء تفسير القرآن، وقيل لو تم لم يوجد مثله[(٢)].

وكان الإمام أبو بكر السمعاني المتوفى سنة ٥١٠هـ، يفسر القرآن على رسم الإملاء والإستملاء ويذكره في مجلس وعظه، وقد وصل إلى قوله تعالى: . . . ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ . . .[(٣)].

وكانت مجالس الإملاء تعقد من أجل إملاء كتب الأدب أيضاً فأن «أمالي ابن الشجري» الذي يقع في ثماني مجلدات قد أملاه أبو السعادات

(١) الفوائد البهية: ص١٢٩-١٣٠، تاج التراجم: ص٥٢-٥٣.
(٢) طبقات المفسرين: ص٢٧.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٠، سورة المائدة، الآية: ٣.

هبة الله بن علي المتوفى سنة ٥٧٢هـ. في أربعة وثمانين مجلساً، وهو يشتمل على فوائد جمة في فنون الأدب وختمه، بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي وتكلم عليها، وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سنح له، وهو من الكتب الممتعة[١].

ونظراً لأهمية مجالس الإملاء العلمية فقد كانت تعقد في المساجد والمدارس وغيرها من مؤسسات الحركة الفكرية في خراسان، ولا بدّ أن نشير إلى أن العربية كانت لغة مجالس الإملاء والعلم، ولم أقف على خلاف ذلك، أي أنني لم أجد مجلساً واحداً من مجالس الإملاء التي عدت بالمئات ألقي أو أمليّ بالفارسية، وكان يؤم هذه المجالس جمهور كبير من العلماء والفقهاء وأهل العلم، إضافة إلى عامة الناس ممن كان لهم فهم ودراية بعلوم الحديث رجالاً ومتوناً وأسانيد وما يتعلق بعلم الجرح والتعديل، وكان جمهور الحاضرين يفقهون ما يدور في هذه المجالس من موضوعات وكانوا يناقشون المملي فيما يميله ويذكره ويمتحنون صدقة فيما يرويه، وقد بلغ الأمر ببعض الحاضرين أنهم كانوا يظهرون للمملي خطأه في ايراد بعض المعلومات نذكر من ذلك على سبيل المثال أن أبا بكر السمعاني كان يملي في مجلس وعظه أحاديث بأسانيدها فاعترض عليه بعض الحاضرين من المنازعين له بقوله: محمد السمعاني يصعد المنبر ويعد الأسامي ونحن لا نعرف لعله يضعها في الحال، وكتب هذا الكلام في رقعة أعطيت له بعد أن صعد إلى المنبر فنظر فيها فروى حديث من كذب عليّ متعمداً فليتبّوأ مقعده من الناري بنيف وتسعين طريقاً **ثم قال**:

إن لم يكن في هذا البلد أحد يعرف الحديث فنعوذ بالله من المقام ببلد ما فيها من يعرف الحديث، وإن كان فليكتب عشرة أحاديث بأسانيدها

---

(١) وفيات الأعيان: ج٦، ص٤٥، كشف الظنون: ج١، ع١٦٢.

ويترك اسماً أو اسمين من كل أسناد ويخلط الأسانيد بعضها ببعض فأن لم أميّز بينهما واضع كل اسم منهما مكانه فهو كما يدّعيه.

ففعلوا ذلك امتحاناً له فرّد كل اسم إلى موضعه. وطلب القراء الذين يقرأون في مجلسه ذلك اليوم شيئاً فجمع لهم الحاضرون ألف دينار، قال أبو بكر السنجي: «كان ذلك اليوم عيد الأهل السنة»[١].

وذكر أبو سعد السمعاني في ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد المفيد المعروف بزفرة المتوفى سنة ٥٣٤هت من أهل أصبهان.

وكان هذا حريصاً على طلب الحديث لازم مجالسه وما فاته شيخ من شيوخ أصبهان إلّا سمع منه، وانتقده أبو سعد السمعاني وأشار إلى أنه لم يكن يعرف شيئاً ويفهمه أصلاً، وأنه كان يعرف أسماء الكتب والأجزاء من كثرة ما سمع، حتى أن الشهاب محمداً بن أبي الوفاء المديني صاحب أبي سعد السمعاني كان يقرأ جزءاً من حديث أبي عبدالله بن مندة في جامع أصبهان على بعض الشيوخ فقال: «حمزة بن محمد الكتاني. فقال زفرة الكناني[٢]، ورفع صوته فتعجب الحضور في ذلك، والصواب كان معه لكثرة ما سمع، وتعجب الناس من خطأ الشهاب في شيء يرد عليه زفرة مع خلوه من العلم[٣].

وذكر أن أبا عبدالله محمد بن أبي الفرج الكناني المالكي الصقلي المعروف بالزكي المغربي من أهل صقلية.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٥-٩.

(٢) هو حمزة بن محمد بن علي بن العباس أبو القاسم الكناني المصري من حفاظ الحديث. رحل إلى العراق في طلبه، له من الكتب «البطاقة» وهي آمال في الحديث، ولد سنة ٢٧٥هـ، ووفاته سنة ٣٥٧هـ. الرسالة المستطرفة: ص٧٦، الأعلام: ج٢، ص٣١٣.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٦٦٩، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٩٩ب.

وكان هذا آية في النحو واللغة والأدب والفقه، ورد العراق وخرج منها إلى خراسان وجال أقطارها وأقام بها مدة، وجرى بينه وبين جماعة من علماء خراسان محاورات ومناظرات ومخاصمات آلت إلى طعنه فيهم وبسط لسانه بما لا يليق بهم. حضر مرة مجلس إملاء أبي بكر محمد بن منصور السمعاني فأملى المجلس فأخذ عليه الزكي شيئاً وقال: «ليس كما تقول بلْ هو كذا فقال أبو بكر السمعاني: أكتبوا كما قال فهو أعرف به فغيروا تلك الكلمة واكتبوا كما قال أبو بكر، فبعد ساعة قال: يا سيدي أنا سهوت والصواب ما أمليت، فقال: غيروه واجعلوا كما كان ففعلوا، فلمّا فرغ من الإملاء وقام الزكي، قال أبو بكر السمعاني: ظن المغربي إني أنازعه في الكلام حتى يبسط لسانه فيّ كما بسطه في غيري. فسكت حتى عرف الحق ورجع»(١).

● إقامة مجالس الإملاء في خراسان:

لقد ازدانت المؤسسات العلمية والدينية في خراسان في القرن السادس، وما قبله بأحياء مجالس الإملاء والتحديث التي كانت تقام لمشاهير المحدثين من أهل خراسان، والعلماء الواردين على خراسان، ويظهر لنا جلياً طبيعة المهمات العلمية التي اضطلعت بها تلك المؤسسات فأن المدارس لم تكن مقتصرة على القيام بمهمة التدريس حسب بل كانت تعقد فيها مجالس الإملاء سواء للعلماء المدرسين فيها أو لغيرهم من أهل خراسان والواردين عليها كذلك المساجد لم تكن مهماتها مقتصرة على الخدمات الدينية بل كانت تسدي خدمات علمية وثقافية مثل عقد المجالس العلمية، ومنها مجالس الإملاء والتحدث وأن شهرة المسجد كانت متوقفة على إقامة المجالس العلمية فيه، ومما تجدر

---

(١) أنباه الرواة: ج٣، ص٧٣، بغية الوعاة: ص٩٠.

ملاحظته أنه كانت تعقد عدة مجالس في اليوم في المسجد الواحد، ذلك لأن العلماء كانوا يتناوبون على إقامة تلك المجالس، وكان لكل عالم نوبة في وقت محدد لا يخلفه، لذلك نجد بعضهم يملي صباحاً، وبعضهم يملي عصراً، والقسم الآخر كان يملي عشاءاً وهكذا.

● بعض العلماء الذين أقيمت لهم مجالس الإملاء في خراسان في مؤسساتها الدينية والعلمية:

١ **أبو سعيد الحسين بن محمد بن سورة سبط أبي عثمان الصابوني** المتوفى سنة ٥٠٠هـ. أفضل أهل بيته، له قدم راسخة في التذكير والتفسير، وله يد في ترتيب المجالس المرتبة بالنكت والحكايات (الأخبار)، عقد مجلس الإملاء لنفسه في مسجد عقيل، وكان يعقد معه مجلساً يفسر الأحاديث على وجه مقبول ومفيد، وبقي على ذلك إلى أن توفي(١).

٢ **أبو سعيد إسماعيل بن عمرو البحيري** المتوفى سنة ٥٠١هـ.

نشأ مع الأئمة الكبار، وكان يقرأ دائماً «صحيح مسلم» على أبي الحسن عبد الغافر الفارسي، فقرأه أكثر من عشرين مرة، وكان حسن القراءة عارفاً ببعض طرق الحديث، عقد له مجلس الإملاء بعد الصلاة في المدرسة العمادية، ثم في الجامع المنيعي فأملى سنين(٢).

٣ **أبو عبدالله إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي النيسابوري** المتوفى سنة ٥٠٤هـ. عقد له مجلس الإملاء أعصار الأثانين في مسجد عقيل فأملى سنين(٣).

---

(١) السياق: الورقة/ ١١ب-١٢أ، منتخب السياق. الورقة/ ٥٩أ، وفيه وفاته سنة ٥٠٦هـ.

(٢) منتخب السياق: الورقة/ ٤٣ب.

(٣) المصدر نفسه، الورقة/ ٤٤أ، التقييد: الورقة/ ٦١، وفيه وفاته سنة ٥٠٠هـ، وأعصار الأثانين، تعني عصر كل يوم اثنين.

٤ **الإمام شاهفور بن محمد الاسفراييني المتوفى سنة ٥٠٦هـ.**

عقد لنفسه مجلس الإملاء بنيسابور، وأملى في الجامع القديم واستملى عليه نجله أبو المعالي بمشهد من الكبار والأئمة(١).

٥ **وقد أملى أبو بكر محمد بن منصور السمعاني** المتوفى سنة ٥١٠هـ، مئة وأربعين مجلساً في جامع مرو في غاية الحسن والفوائد، وكان يملي في مجلس وعظه إلّا أحاديث بأسانيدها، واتفق أن آخر مجلس أملاه كان افتتاحه بقوله (ﷺ): «أن أمامكم عقبة كئوداً لا يجوزها المثقلون، فأنا أحب أن أتخفف لتلك العقبة»(٢).

وقد وقف ابن الجوزي الواعظ البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، على بعض أماليه فقال: «قد رأيت في إملائه فأنه لم يقصّر فكان عالماً بالحديث، والفقه، والأدب، والوعظ..»(٣).

وقال السبكي: «ووقفت على كثير من إملائه، وهو دال على علو شأنه في الفقه والحديث واللغة»(٤).

٦ **أبو بكر عبد الغفار بن محمد.. الشيروبي الجنابذي**، المتوفى سنة ٥١٠هـ من أهل نيسابور.

حدّث نحو أربعين سنة، وسمع منه كل من دبّ ودرج، ودخل نيسابور وخرج، والحق الأحفاد بالأجداد في أسناد الأصم، ولم ير على جزء من أجزاء المشايخ من السماع، وأسماء المستمعين، ما كان على أجزائه، وعاش في الصلاح والعفاف إلى آخر عمره، عقد له مجلس

(١) السياق: الورقة/ ١٨٣أ.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٥-٩.

(٣) المنتظم: م٩، ص٨٨.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٧.

الإملاء في مدرسة أبي نصر بن أبي الخير، وحضر أبو سعد السمعاني مجلسه، بصحبة والده أبي بكر، ومسموعات أبي سعد في هذا المجلس مثبتة بخط والده فمن جملة ما سمع منه في هذا المجلس: جزء سفيان بن عيينة، بروايته عن الحيري، عن الأصم، عن زكريا بن أسد المروزي عنه، وجزء محمد بن هشام بن ملاس النميري، بروايته عن الصيرفي، عن الأصم عنه، ومن كتاب المسند لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي خمسة أجزاء من ثمانية أجزاء، والجزء الثالث من «المغازي» لابن إسحق، بروايته عن الأصم(١).

٧ أبو القاسم إسحق بن عمر الشجاعي المتوفى سنة ٥٢٠هـ.

عقد له مجلس الإملاء بمسجد الصرافين المعروف بمسجد الأصبهاني بنيسابور مدة إلى أن عجز عن الحضور، وكان من أركان مجلس القضاء بنيسابور، وله الأشعار الكثيرة الرائقة في كل فن، والطريقة المستعملة في الأغاني، والخمريات، ثم الغزليات، والرباعيات المعشقة باللسانين، ثم المقطعات المستحسنة في فضائل الصحابة، وأبواب التوبة، والزهد التي أنشأها لأذناب الأمالي مما جمعه في ديوان وقع في مجلدين(٢).

٨ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، النيسابوري، المتوفى سنة ٥٢٩هـ.

قال أبو سعد في التحبير: فوضت إلينا الخطابة بنيسابور فتولاها إلى حين وفاته(٣). وقد أملى في مسجد عقيل أعصام يوم الأثنين سنين(٤).

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٤٣٤، الأنساب: ج٣، ص٣٣٥.

(٢) منتخب السياق: الورقة/ ١٤٧أ.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٤٨٨.

(٤) منتخب السياق: الورقة/ ١٤٥ب.

٩ أبو عبدالله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي الأزدي، النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٠هـ.

وكان قد خرج حاجاً إلى مكة، وعقد له مجلس الوعظ ببغداد، وعاد إلى نيسابور، وأمّ بمسجد المطرّز، وعقدت له فيه مجالس الإملاء أيام الأحد، فأملى فيه أكثر من ألف مجلس ولم يترك الإملاء إلى حين وفاته، قال عبد الرشيد بن علي الطبري: الفراوي: ألف راوي(١).

١٠ أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي، النيسابوري، المحدّث المستملي، الشروطي المتوفى سنة ٥٣٣هـ.

كان قد أملى بجامع نيسابور ألف مجلس(٢). قال عبد الغافر الفارسي «أملى قريباً من عشرين سنة في الحضيرة المنسوبة إليهم في الجامع، وأقام مراسم ذلك قبل صلاة يوم الجمعة. وقد قرئ عليه الكثير من التصانيف والمتفرقات»(٣).

١١ أبو الفضل محمد بن إسماعيل بن الفضيل الأنصاري الفضيلي المتوفى سنة ٥٣٤هـ.

من وجوه المزكين، وأملى عدة سنين بجامع هراة، قال أبو سعد السمعاني: «ورد مرو وكنت غائباً عنها إلى العراق، وأجاز لي جميع مسموعاته كتاب «الصحيح» لمحمد بن إسماعيل البخاري، وكتاب «علل الحديث ومعرفة الرجال» ليحيى بن معين(٤).

---

(١) المنتظم: م١٠، ص٦٥، وفيات الأعيان: ج٣، ص٤١٨، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٦٨.

(٢) المنتظم: م١٠، ص٨٠، البداية والنهاية: ج١٢، ص٢١٥.

(٣) السياق: الورقة/ ٢١أ-٢١ب.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٧٠٣، الأنساب: الورقة/ ٤٢٩ب، بغية الوعاة: ج١، ص٥٥.

⓬ أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن الفرغولي الدهستاني الجرجاني المتوفى سنة ٥٣٨هـ، نزيل مرو.

كان أديباً، متكلماً، عالماً باللغة العربية، بصيراً بالنحو، صحب الأئمة القشيرية وانتسب إليهم في التصوّف، وكان قد اشتغل بعلم الأوائل، ثم ترك ذلك، وعقد مجلس الإملاء في مسجد رأس سمكة أبي معاذ[١].

⓭ أبو بكر وجيه بن طاهر الشحامي، النيسابوري المتوفى سنة ٥٤١هـ.

كان يملي في الجامع الجديد بنيسابور كل جمعة مكان أخيه زاهر[٢].

⓮ أبو علي الحسن بن مسعود بن الحسن بن الوزير الدمشقي المتوفى سنة ٥٤٣هـ.

وكانت له معرفة بالحديث، والأنساب. سمع ببغداد، وأصبهان، ونيسابور، وبلخ، والهند، واستوطن مرو، وتفقه بها لأبي حنيفة على أبي الفضل الكرماني، وأملى بجامع مرو، **وأنشد لنفسه عندما كان بمرو الشاهجان**[٣]:

أَخلّاني إنْ أصْبَحْتُمُ في دياركُمْ   فاني بَمْروِ الشاهجان غريبُ
أموت اشتياقاً ثم أحيا بذكركُمْ   وبين التراقي والضُلوع لهيبُ
فما عجبٌ موت الغريب صَبَابةً   ولكن بقاهُ في الحياة غريبُ

⓯ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن العصايدي، النيسابوري المتوفى سنة ٥٥٠هـ.

---

(١) الأنساب: الورقة/ ٤٢٤ب، التحبير: / الترجمة/ ٥١٧.
(٢) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢٦٥أ.
(٣) الجريدة/ قسم شعراء الشام: ج١، ص٢٨٤، تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢٧١ب.

كان ذا رأي سديد، ومعرفة ثاقبة بدقائق الأمور، صحب الأكابر والوزراء، وعمر العمر الطويل حتى لزم منزله، واشتغل بعمارة المسجد المنيعي بنيسابور والنظر في مصالحه، أملى بنيسابور مدة. قال أبو سعد: «حضرت مجلس إملائه، وكتبت عنه الكثير بمرو، وبنيسابور»(١).

⓰ **أبو محمد الفضل بن محمد الزيادي** المتوفى سنة ٥٥١هـ.

إمام سرخس في عصره. كتب عنه أبو سعد، وحضر مجلس إملائه في مسجد المربعة(٢).

⓱ **أبو بكر محمد بن محمد الخلمي، ويعرف بدهقان خلم** المتوفى سنة ٥٤٧هـ. كان فقيهاً، مناظراً، حضر أبو سعد مجلس إملائه غداة يوم الجمعة بجامع بلخ، وكتب عنه(٣). علماً بأن أبا سعد السمعاني قد دخل بلخ سنة ٥٤٦هـ(٤).

■ **وهذا ذكراً لعدد آخر من مجالس الإملاء التي عقدت لعدد من العلماء والمحدثين**، غير أن المصادر لم تنص على ذكر مواضعها، ولم تبين فيما إذا كانت قد أمليت بجامع أو مدرسة، **واكتفت بذكر المدن التي عقدت فيها:**

⓵ **أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي المروزي** المتوفى سنة ٥٦٢هـ.

وكانت له مجالس للحديث في مختلف مدن خراسان، فقد حدث بمرو، وهراة، وبلخ، وغيرها فقد ذكر أبو سعد في ترجمة أبي نصر

---

(١) تكملة إكمال الإكمال: الورقة/ ٧٠ب، شذرات الذهب: ج٣، ص١٥٥؛ وفيه تصحفت العصايدي إلى الغضايري.

(٢) الأنساب: ج٦، ص٣٦١.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص١٨١.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٤٥٢، ٨٥٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٧ب.

الغوسناني الهروي، المتوفى سنة ٥٤٩هـ، فقال: «سمع معنا الكثير من مشايخ هراة، وكان يلازم المجالس التي أمليها ويكتبها»(١).

وفي ترجمة أبي الرضا الزوزني، الذي سكن بلخ إلى حين وفاته، قال أبو سعد: «لقيته ببلخ، وكتب عني إملاء»(٢).

وكان له مجالس إملاء خارج خراسان فقد أملى في مدينة سمرقند، فقد ذكر في ترجمة شيخه أبي علي الحسين بن ناصر الكاغذي المعروف بالدهقان، قال: «كان يحضر المجالس التي أمليها بسمرقند»(٣).

وذكر أبو سعد في بعض أماليه فقال: «وودعني عبدالله بن محمد بن غالب الجيلي الفقيه، نزيل الأنبار فبكى وأنشدني (من المتقارب)(٤):

ولـمَـا بَـرَزْنـا لَـتْـودِيـعـهْـم   بـكـوا الْـوُلُـوا وبـكـينـا عـقـيـقـا

أداروا عـلـينـا كـؤوس الـفـراق   وهيهات من سكرها ان نفيقا

تـولَّـوْا فـأتـبـعـتـهـم أدمُـعـي   فصاحوا الغريقَ وصحتُ الحريقا

وقد جمع أبو سعد أماليه فبلغت خمسمائة، ودونها في كتابه المعروف بالأمالي الخمسمائة(٥).

● **الأمير أبو سعد منصور بن محمد بن أحمد.. الشيباني العاصمي الفوشنجي** المتوفى سنة ٥٢٠هـ.

كان من مفاخر خراسان، وممن يضرب به المثل في رقة الطبع وصفاء الخاطر، وحسن النظم والنثر، وأشعاره مشهورة في الآفاق

(١) التحبير: الترجمة/ ٦٦٥.
(٢) المصدر نفسه، ١٠٢٨.
(٣) الأنساب: الورقة/ ٤٧٢.
(٤) وفيات الأعيان: ج١، ص٣٧٩.
(٥) تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٣١٧، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٨٣، طبقات =

مذكورة على ألسنة الرواة. سمع الحديث الكثير وأملى لما طعن في السن وحضر مجالسه الائمة والكبراء[(١)].

❸ **أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري الخطيب** المتوفى سنة ٥٤٦هـ مقدم القشيرية بنيسابور، له معرفة وتميز في علوم القوم، حدّث بالكثير، وانتشرت رواياته وحضر مجلس إملاء جده، وقرئ عليه أجزاء من حدث الخفاف وسمعها وحضر مجالس من أماليه، وحدّث به طرش سنين في أواخر عمره فبعضها كان يحدث من لفظهه، وبعضها كان القارئ يقرأ عليه بصوت رفيع جهوري[(٢)].

❹ **أبو تمام أحمد بن أبي العز العباسي الهاشمي البغدادي المعروف بابن الخصّ**، المتوفى سنة ٥٤٣هـ.

حدّث بخراسان عن ابن المسلمة بجزء «صفة المنافقين» وحضر عليه قراءة هذا الجزء، أبو المظفر عبد الرحيم السمعاني، بقراءة والده، وقال: «هو أول شيخ أحضرت عنده لقراءة الحديث، وهو آخر من حدّث بخراسان عن ابن المسلمة»[(٣)].

❺ **أبو محمد عبد الرحمن بن عبدالله.. الليثي النيهي**، المتوفى سنة ٥٤٨هـ، من أهل مرو الروذ شيخ الشافعية بناحيته، مصيب في الفتاوي، كان يمبلي بكر الجمعات، ويذنب إملاءه بالوعظ النافع المفيد، وتخرج عليه جماعة كثيرة من الفقهاء، قرأ عليه أبو سعد السمعاني بمرو الروذ

= ابن قاضي شهبة: الورقة/٥٧ب، الوافي بالوفيات: قسم ٢ ١٥-١٧: الورقة/٢٥٠ب.

(١) التحبير: الترجمة/ ١٠١٥، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٢٦٦ب.

(٢) منتخب السياق: الورقة/ ١٤١أ، التدوين: الورقة/٦٩ب، الأنساب: الورقة/ ٤٥٣ب، التقييد: الورقة/ ٢٢١ب-٢٢٢أ.

(٣) تاريخ الإسلام: م١٣، ق ٢: الورقة/ ٢٧٥ب.

كتاب «المعجم الصغير» للطبراني، وحضر مجالس إملائه وذلك سنة ٥٤٠هـ ثم ورد مرو وحدّث كتاب «المعجم الصغير»(١).

● **علماء خراسانيون يحدّثون في البلاد الإسلامية وتعقد لهم مجالس التحديث فيها:**

ومن المهمات العلمية التي مارسها علماء خراسان في البلاد الإسلامية التي رحلوا إليها إضافة إلى قيامهم بمهمة التدريس وعقد المجالس العلمية فقد حدّثوا فيها بمسموعاتهم عن علماء خراسان من الكتب والأحاديث والأجزاء وبمؤلفاتهم إضافة إلى مؤلفات غيرهم من علماء خراسان وقرأ عليهم الناس تلك المؤلفات في مجالس الحديث والتي لم تصل إلى تلك البلدان إلّا عن طريقهم وكانت رواية الحديث غاية العلماء الخراسانيين فنجد أبا القاسم زاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٣هـ يرحل في رواية الحديث ونشره مثل ما يرحل الطلاب في جمعه، وكان صبوراً في القراءة عليه حتى أن أبا سعد السمعاني قرأ عليه كتاب «تاريخ نيسابور» للحاكم أبي عبدالله الحافظ في أيام قلائل فقال: «كنت أقرأ من قبل طلوع الشمس إلى الظهر ثم أصلي وأقرأ إلى العصر ثم إلى المغرب وربما ما كان يقوم من موضعه وكان يكرم الغرباء ويعيرهم الأجزاء. وقال: «خرج معي إلى اصبهان لا له شغل إلّا الرواية بها وازدحم عليه الخلق..»(٢).

وقد حظيت مجالس علماء خراسان باهتمام كبير من الناس وشهدها جمهور كبير منهم إضافة إلى الكبراء والوزراء وقرأ عليهم العلماء في تلك

(١) التحبير: الترجمة/٣٤٨، الأنساب: الورقة/ ٥٧٥أ، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٤٨-١٤٩، طبقات ابن قاضي شهبة: الورقة/ ٥٢ب.

(٢) تاريخ الإسلام: م١٣، ق٢: الورقة/١٩أ-١٩ب، المستفاد: الورقة/ ٣٧ب.

المجالس ورووا عنهم مسموعاتهم وهذه طائفة من العلماء الخراسانيين الذين حدّثوا خارج خراسان:

١ • **أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي ثم الهروي الماليني** المتوفى سنة ٥٥٢هـ. حدّث بأصبهان وهمذان ونهاوند وقدم العراق سنة ٥٥٢هـ ومعه أصوله فحدّث بها بجميع مروياته وكان الوزير أبو المظفر بن هبيرة قد استدعاه وسمع عليه صحيح البخاري قراءة عليه وآخرين قرأه عليه ببغداد أبو محمد الأخضر(١).

٢ • **أبو عبيد الرحمن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب الكشميهني الواعظ المروزي** المتوفى سنة ٥٧٨هـ. قدم آخر مرة بغداد سنة ٥٦٠هـ وحدّث بها بكتاب «صحيح مسلم» عن الفراوي فسمع منه الناس بمجلس عون الدين بن هبيرة، وحدّث عنه ابن الجوزي في مشيخته(٢).

٣ • **أبو سعد إسماعيل بن أحمد.. المؤذن النيسابوري** المتوفى سنة ٥٣٢هـ. حدّث ببغداد عن الشيوخ الذين سمع منهم بخاراسان مثل: أبي القاسم القشيري، وأبي بكر أحمد بن منصور بن خلف النيسابوري، وأبي حامد أحمد بن الحسن بن محمد الأزهري، وأبي بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي، وأبي الفضل هبة الله بن عبدالله بن محمد بن المحّب وأبي

---

(١) التقييد: الورقة/ ١٦٨أ، المستفاد: الورقة/ ٤٥أ-٤٥ب، العبر: ج٤، ص١٥١ شذرات الذهب: ج٤، ص١٦٦.

(٢) المختصر المحتاج إليه: ج٢، ص١٢٠-١٢١، الوافي بالوفيات: ج١، ص١٩٥-١٩٦.

محمد عبد المجيد بن عبد الرحمن البحيري، حدّث عنهم ببغداد وغيرها وسمع منه محمد ابن طاهر المقدسي الحافظ، ومن المتأخرين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، وأبو القاسم هبة الله(١).

٤ • **أبو الفتوح محمد بن المطهر بن يعلى بن أميرجه العلوي الهروي** المتوفى سنة ٥٨٤هـ. سافر الكثير وحدّث ببغداد ومكة والمدينة وذلك حينما حجّ سنة ٥٧٩هـ وحدّث ببغداد بكتاب «صحيح مسلم» وكتاب «غريب الحديث» للخطابي بسماعه عن الفراوي(٢).

٥ • **أبو بكر محمد بن علي بن عبدالله بن أبي حنيفة الدستجردي** الفقيه من أهل بلخ. قدم بغداد في سنة ٥٢٣هـ وحدّث بها ببعض كتاب «الأجناس» لأبي العلاء صاعد بن منصور ابن علي الكرماني عنه، سمعه منه أبو عبدالله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي بقراءته عليه(٣).

٦ • **أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري** المتوفى سنة ٥٣٢هـ. سافر مع أخيه أبي نصر عبد الرحيم إلى الحجّ فسمع بمكة ثم ورد بغداد فسمع بن أبي الحسين ابن النقور، كما سمع من أبي نصر الزينبي وغيرهما، وحدّث ببغداد وروى عنه من أهلها عبد الوهاب الأنماطي، والمبارك بن كامل الخفاف وغيرهما، عاد إلى نيسابور وحدّث بها أكثر من عشرين سنة روى عنه من أهلها

---

(١) التقييد: الورقة/ ٦٢أ-٦٢ب.
(٢) المختصر المحتاج إليه: ج١، ص١٤٥، التكملة لوفيات النقلة: ج١، ص١٧٦.
(٣) الجواهر المضية: ج٢، ص٩٤.

المؤيد بن محمد الطوسي وغيره[١].

٧ • **أبو سعد عبد الواحد بن علي الشيخ الأجل أصيل خراسان أبو الحسن علي ابن الإمام أبي عبدالله محمد بن حمويه الحموي النيسابوري الجويني البحير اباذي** المتوفى سنة ٥٨٩هـ.

سمع ببغداد من أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي، وحدّث بمكة وببغداد، ودمشق وسمع منه أبو طاهر الحسن بن أحمد بن أبي طاهر التميمي «مشيخة» وجيه بن طاهر بدمشق في سنة ٥٨٩هـ[٢].

٨ • **أبو المظفر عبد الرحيم عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي.**
احتل أبو المظفر مكانة كبيرة بين علماء عصره وهو الفقيه المحدّث من بيت العلم والفقه والرواية والدراية، وكان محترماً معظماً عند الأكابر، وكان مسند خراسان ومفتي مرو، انتهت إليه رئاسة أصحاب الشافعي ببلده، وكان واسع الرواية، عمّر حتى حدّث بالكثير، روى كتباً كباراً منها: «صحيح البخاري»، و«مسند أبي عوانة»، و«سنن أبي داود» و«جامع أبي عيسى الترمذي» و«تاريخ النسوي» و«مسند الهيثم بن كليب». قدم بغداد وحدّث بها. مات بعد سنة ٦١٧هـ[٣].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٩٢-١٩٣، العبر: ج٤، ص٨٨، طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٦٠٥.

(٢) التكملة لوفيات النقلة: ج١، ص٣٢٨، تكملة إكمال الإكمال: ص٨٠-٨٢.

(٣) مجمع الآداب: ج٤، ص٣، ص٢١١-٢١٢، وفيات الأعيان: ج١، ص٣٨١، تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٣١٦، العبر: ج٥، ص٦٨-٦٩، لسان الميزان: ج١، ص٦، التقييد: الورقة/ ١٥٠ب.

٩ • **أبو الحسن عبيدالله بن محمد ابن الإمام أبي بكر البيهقي المتوفى** سنة ٥٢٣هـ. سمع الكتب من جده ومن أبي يعلى الصابوني وجماعة وحدّث ببغداد[١].

١٠ • **أبو المعالي عبد المنعم بن عبدالله بن محمد بن الفضل الصاعدي الكناني الفراوي**، النيسابوري المحدّث ابن المحدّث من بيت مشهور بالعدالة والرواية. حدّث ببغداد سنة ٥٧٩هـ، وكتب عنه بمكة، والمدينة، روى عنه جماعة منهم: أبو الحسن بن باسويه، وأبو الحسن ابن أبي جعفر، وابن الدبيثي، وأبو عبدالله محمد بن عمر القرطبي، والنقيب محمد بن الحسين بن رواحة[٢].

١١ • **أبو أحمد عبد الباقي بن عبد الجبار الحرضي الصوفي**، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، من أهل هراة. صحب أبا الوقت عبد الأول السجزي من بلده، وسمع منه. سكن بغداد إلى أن مات، وحدّث بها، روى عنه جماعة من أهل بغداد[٣].

١٢ • **أبو الفتوح محمد بن عمروك البكري** المعروف بابن المحبّ النيسابوري، المتوفى سنة ٦١٥هـ. سمع بنيسابور أبا الأسعد هبة الرحمن، وببغداد من أبي عبدالله الحسن بن نصر بن خميس الموصلي، وبالإسكندرية من الحافظ أبي طاهر السلفي، وبمكة من أبي حفص الميانجي. حدّث بمكة وببغداد، ودمشق، ومصر، وجاور بمكة سنين، وأقام بمصر مدة، ثم سافر إلى دمشق وسكنها إلى حين وفاته. قال ابن الصابوني: «رأيته وسمعت منه بدمشق،

---

(١) عيون التواريخ ج٢: الورقة/٧٦أ.

(٢) المختصر المحتاج إليه: ج٥، ص٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٧٦.

ومن ولده، وحفيديه»[١]. وقال ابن الدبيثي: «لم يقدر لي منه سماع، وأجاز لي»[٢].

١٣ • **عبد المعز بن عبدالله بن عبد المعز بن عبد الواسع الأنصاري الهروي** المتوفى سنة ٦٠٥هـ.

حدّث ببغداد سنة ٥٨٧هـ، عن أبي الفتح الكروخي، وحدّث بكتاب «الأربعين» لشيخ الإسلام سماعه من مؤلفه[٣].

١٤ • **أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور.. الصفار**، المتوفى سنة ٥٥٣هـ من أهل نيسابور. إمام فاضل، بارع مبرز، من بيت العلم والحديث، كان يفتي ويناظر. قدم بغداد حاجاً في سنة ٥٤٢هـ، وحدّث بها بكتاب «اليسير في التفسير» لأبي نصر القشيري، وبحكايات الصوفية لابن باكويه، وبغير ذلك من الأجزاء، والقى بها الدروس في المذهب والأصول[٤].

★ **وهناك جماعة كبيرة لا يسع المجال لذكرهم هنا.**

---

(١) تكملة إكمال الإكمال: ص٢٩١-٢٩٢.

(٢) المختصر المحتاج إليه: ج١، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٩٣-٩٤.

(٤) طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٧٠١.

الفصل الثالث

مجالس الوعظ والتذكير

• أهمية مجالس الوعظ والتذكير في خراسان:

قبل أن نتكلم على أهمية مجالس الوعظ والتذكير في خراسان لا بد أن نشير إلى حقيقة مهمة هي أن العربية كانت لغة هذه المجالس التي عقدت لعلماء خراسان سواء أكان ذلك في أمهات مدنها أم في قرّاها النائية المغمورة أم في المجالس التي عقدت لعلماء خراسان في البلاد الإسلامية في القرن السادس الهجري ولم أجد خلاف ذلك إلّا أمثلة نادرة جداً ممن كان يحسن الفارسية إلى جانب العربية، فقد كان الإمام فخر الدين الرازي الهروي البكري الصديقي يعظ باللسانين: العربي والفارسي[١].

وكان الوعاظ الخراسانيون من كبار العلماء أحاطوا بمعارف متنوعة ومارسوا إلى جانب الوعظ والتذكير، الخطابة والإفتاء والمناظرة والتحديث والإملاء، وحذقوا علوم العربية وتبحروا بها فكان لمجالس وعظهم وتذكيرهم في خراسان وخارجها تأثير كبير في نفوس السامعين وذلك لسحر بيانهم وفصاحة لهجتهم، ودقة عباراتهم ورشاقتها وبلاغة أسلوبهم، وحسن إيرادهم، وإجادتهم النظم والنثر إضافة إلى حفظهم

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٨، ص٨٦.

الحكم والأمثال والأشعار ومعرفتهم بالأخبار والتاريخ ووقائع العرب والمسلمين للاستدلال بها، والاستشهاد فيها في أثناء الوعظ، كان يحفظ من الحكايات أي (الأخبار) والأشعار ما لا يحصى كثرة وقيل: «أنه كان يحفظ خمسين ألف (نصف) بيت من الشعر!».

وقد وصف عبد الغافر الفارسي النيسابوري مجلس وعظ الإمام أبي بكر السمعاني المتوفى سنة ٥١٠هـ بجامع مرو فقال: «وطرّز أكمام فضله بمجالس تذكيره الذي تتصدّع صمّ الصّخور عند تحذيره، وتتجمّع أشتات العظام النّخرة عند تبشيره، وتصغي آذان الحفظة لمجاري نكته، وتختطف الملائكة لفاظة إشاراته من شفته، ويخترق حجب الشّداد السّبع صواعد دعواته ويطغى أطباق الحجيم سوابق عبراته[١].

وكان لأبي منصور العبادي المروزي اليد الباسطة في الوعظ والتذكير والعبارة الرائقة الموسيقية، فصار يضرب به المثل في حسن الوعظ وإيراد الكلام فهو حلو العبارة، فيصيح اللهجة، لطيف الإشارة، مليح الاستعارة، شهد له الكل بأنه حاز قصب السبق في هذه الصفة[٢].

وكان لأساليب الوعاظ في إثارة نفوس السامعين في مجالس الوعظ أهمية كبيرة في تهذيب الأخلاق فقد ذكر أن الإمام أبا القاسم عبد الرحيم ابن عبد الكريم القشيري النيسابوري كان يودّب المذنب عند وعظه ويتوب العاصي لمجرد سماع لفظه ويقول: كم من فاسق تاب في مجلسه ودخل في الطاعة، وكم من كافر آب إلى الحق ساعة وعظه، وآمن بالساعة وبمن بعث بين يدي الساعة، وقلما كان يخلو مجلسه عن إسلام جماعة من أهل الذمة[٣].

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٦.

(٢) طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٧٥٣.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٥٩-١٦١.

وكان يحضر مجالس الوعظ والتذكير عدد كبير من الناس حتى ليتعذر إحصاؤهم من ذلك ما ذكر عن الإمام أبي عطية جابر بن عبدالله ابن محمد.. الأنصاري الهروي المعروف بشيخ الإسلام من أولاد الأئمة بهراة كان يعقد مجلس الوعظ في جامع هراة يوم الاثنين في الأشهر الثلاثة، رجب، وشعبان، ورمضان، كان الناس يزدحمون عليه ويحضر مجلسه عالم لا يحصون(١).

وله اليوم مقام كبير في هراة من بلاد الأفغان ومشهده في كازياركان مشهور يزار.

وقيل كان يحضر مجلس وعظ أبي الحسين أرد شير بن منصور العبادي المروزي الخراساني ببغداد من الرجال والنساء ثلاثون ألفاً!!. وكان إذا تكلم العبادي هام الناس على وجوههم وترك الناس المعايش، وحلق أكثر الصبيان شعور رؤوسهم الطويلة ولزموا المساجد والجماعات وبددوا قناني الخمر وكسروا الملاهي(٢).

وكان أبو سعيد محمد بن محمد بن خليفة.. المقرئ الصوفي من أهل نيسابور، قدم مرو وعقد مجلس الوعظ في موضع أبي سعد السمعاني أي في جامع مرو، فأحسن وأبكى الحاضرين(٣).

ونظراً لأهمية مجالس الوعظ والتذكير العلمية فقد شهد هذه المجالس الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والوزراء والعلماء والمحتشمون والكبراء والفقراء والعامة مما يبين بوضوح بأن حضور المجالس العلمية لم يكن مقتصراً على جماعة معينة من الناس بل كان

---

(١) التحبير: الترجمة/٨٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٦٢أ-٦٢ب، تاريخ الإسلام: الورقة/١٠٨أ-١٠٨ب.

(٢) مرآة الجنان: ق١ ج٨، ص٥.

(٣) التحبير: الترجمة/٨٦٤.

حقاً للجميع فكان الغني يجلس إلى جانب الفقير والعامة إلى جانب الخاصة دون محاباة أو تمييز بينهم فكان لهذه المجالس أثر في إزالة الفوارق الاجتماعية بين الناس وخلق روح التواضع، والإقبال على الثقافة.

وكان ولاة الأمر من ملوك وسلاطين وخلفاء وأمراء ووزراء يجلون هؤلاء الوعاظ الأفاضل ويحضرون مجالس وعظهم وينتفعون بمواعظهم. فقد ذكروا أن الإمام فخر الدين الزاري الهروي وعظ يوماً بحضرة السلطان شهاب الدين الغزنوي فاستغاث الرازي في مجلس وعظه مخاطباً السلطان بقوله: «يا سلطان العالم، لا سلطانك يبقى، ولا تلبيس(١) الرازي يبقى، وأن مرّدنا إلى الله»(٢).

إضافة إلى ذلك فإن ولادة الأمر كان يتبركون بزيارة هؤلاء الوعاظ ويشفعون لهم في الأزمات والحروب. فقد شفع السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي عند وقوع حادثة الغز للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد الأكاف من أهل نيسابور، وكان هذا إماماً ورعاً يضرب به المثل في دقيق الورع، وحسن السيرة والديانة والتجنب عن السلطان لئلا يقع تحت أهوائهم والأمور التي تشين العلم وأهله أي من كل ما يسيء العلم من رشوة وغيرها. وكان يعظ وعظاً نافعاً مفيداً(٣).

وكان يعظ الناس من منبره الذي يقول فيه فريد الدين العطار النيسابوري: كأنما هو وراء العرش، ويثني على مواعظه، ويبين أنه كان يعظ السلطان سنجر، وهذا يدل على مكانته عند هذا السلطان(٤). وحينما

---

(١) التيس وتلبس: اختلاط الأمر. لبس عليه الأمر يلبسه لبساً فالتبس إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته، لسان العرب (مادة لبس).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٨، ص٨٦.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٣٥٢.

(٤) مقدمة الدكتور أحمد ناجي القيسي لكتاب عطار نامه: ص١٤٩.

استولى الغزّ على نيسابور وقبضوا عليه في شوال سنة ٥٤٩هـ وأخرجوه ليعاقبوه فشفع فيه السلطان سنجر عند الغزّ حينما كان أسيراً لديهم لا يملك الشفاعة لنفسه فقال: «هذا رجل صالح، لقد كنت أمضي إلى زيارته والتبرك به فلا يمكنني من الدخول عليه فأتركوه لأجلي» فتركوه[١].

وزار السلطان سنجر بن ملكشاه، أبي الفضل محمد بن سعيد بن مسعود بن عبدالله ابن مسعود المسعودي من أهل مرو، وكان واعظاً، حسن الموعظة والنصح، ليّن الجانب متواضعاً، كثير البكاء، سريع الدمعة، ظهر له قبول عند السلطان سنجر ابن ملكشاه حتى كان يزوره في بعض الأوقات ويتبرك به، وتوفي سنة ٥٢٩هـ[٢].

ولا بدّ أن نشير هنا إلى حقيقة مهمة هي أن الوعظ والتذكير كانا حسبة لله تعالى دون أن يتقاضى على ذلك أجوراً أيّ أنه لم يكن للوعاظ معلوم سلطاني كما كان للمدرسين في المدارس، وكان الوعاظ يتعيشون من كدهم نذكر من ذلك أن الإمام أبا بكر عبيدالله بن إبراهيم النسائي التفتازاني، كان إماماً فاضلاً، عالماً بالتفسير والقراءات والمذهب والأصول، حسن الوعظ والتذكير، يتولى الحرث والحصاد بنفسه ويأكل من كده، توفي سنة خمسين وخمسمائة[٣].

وكان الإمام أبو القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري المتوفى سنة ٥١٢هـ، انتقل إلى مدرسة البيهقي ويروى أنه كان يصعد في الليالي إلى المنارة المعروفة في مدرسة البيهقي، ويدعو المسلمين ويعظ الناس

---

(١) الأنساب: ج١، ص٣٣٥-٣٣٦، المنتظم: م١٠، ص٢٥٩، مرآة الزمان: ق١، ج٨، ص٢٢٣-٢٢٤، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٥٢.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٧٧٥٥، الأنساب: الورقة/ ٥٢٩ب، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢١٤أ-٢١٤ب.

(٣) معجم البلدان: ج١، ص٨٥٧، طبقات المفسرين: ص٢٢.

ويذكرهم قيام الليل والتهجد، وكان يواظب على الخيرات على طريق الاحتساب(١).

ووصف بعض الوعاظ بأنهم من المحتشمين مثل: الإمام أبي عمرو عثمان بن منصور بن عبد الكريم الطرازي النظامي. سكن بلخ وحدّث بها وكان جليل القدر واعظاً محتشماً(٢).

وكان أبو منصور محمد بن إسماعيل اليعقوبي الصوفي المتوفى سنة ٥٥٠هـ، من أهل فوشنج، قد انتقل إلى هراة وسكنها وكان يعظ وله تبع من الصوفية ينفق عليهم وإذا حصل له شيء من الدنيا انفقه عليهم ولا يبخل به(٣).

وكان جمهور الحاضرين في مجالس الوعظ والتذكير يناقشون الوعاظ ويستفسرون عمّا استغلق علمه عليهم ويجادلونه في بعض آرائهم زيادة فيص الإيضاح، وكان لإثارة هذه المناقشات والتساؤلات وأجوبة الوعاظ أثر في إطالة مجالس التذكير والحصول على الفائدة العلمية المتوخاة منها، وقد ذكر المؤرخون أن الإمام فخر الدين الرازي الهروي البكري حينما كان يعظ كان يحضر مجلس وعظه أرباب المذاهب والمقالات ويسألونه وهو يجيب عن كل مسألة يسأل عنها بأحسن إجابة، ولذلك رجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرّامية وغيّرهم إلى مذهب أهل السنة(٤).

وحكي عنه أيضاً أنه حينما كان يعظ على المنبر بخوارزم، وكان عوامّ خوارزم كلهم متكلمة يبحثون بحثاً صحيحاً كان يأتي بمسألة مختلفة بين

---

(١) السياق: الورقة ٣٠أ.

(٢) تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة ١٣٠ب.

(٣) التحبير: الترجمة/٦٩٨، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٠٤.

(٤) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٤٩-٢٥٠، مفتاح السعادة: ج٢، ص١٢٢.

المعتزلة وإلّا شاعرة ثم يقررها تقريراً تاماً، ويقول أئمة المعتزلة لا يقدرون على مثل هذا التقرير.

ثم كان يناقشهم فيقول لهم: أما هذا التقرير حسن؟ يقولون نعم. فيقول لهم: اسمعوا إذن البرهان على أبطاله فيبطله بأدلة أقوى منها. ولذلك عزم المعتزلة على ترك الاعتزال لأن الواجب عليهم إتباع الدليل. غير أن مشايخهم قالوا لهم: لا تخالفوا مذهبكم فإن هذا الرجل أعطاه الله في التقرير قوة عجيبة وتغلبه عليكم لقوته لا لضعف مذهبكم(١).

وقد انتقد النور العثماني متكلم أهل بخاري وأصولهم، أهل العراق وخراسان على عدم إيرادهم السؤالات في مجلس الوعظ الذي عقده هناك، ذكر ذلك حينما صعد على المنبر بمدينة بخاري **فقال**:

«أيها الناس ذهبت من هذه المدينة إلى مكة ورجعت منها فما وقع بصري على وجه شخص يستحق أن يسمى إنساناً، ذلك لأنهم كانوا في غاية البعد عن الفهم والإدراك».

وكان قد حضر في ذلك المجلس جمع عظيم من أهل العراق وخراسان وتأذوا من هذا الكلام الذي فيه شيء كثير من الإتهام والنقد، وذهبوا إلى الإمام فخر الدين الرازي الذي كان بمدينة بخاري يومئذ ونقلوا إليه كلام النور العثماني فاجتمع به الإمام فخر الدين الرازي وناظره وسأله:

كيف عرفت أنه لم يكن في تلك البلاد أحد يعرف من هذا العلم شيئاً؟ هل ناطرت مع أحد منهم؟ وهل خضت في شيء من المباحث معهم؟ فقال: لا.

فرد عليه الفخر الرازي فكيف عرفت خلوهم عن هذا العلم؟

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد: ص٣٧٨.

فقال النور العثماني: لأني عقدت مجلس التذكير فلم يورد أحد منهم سؤالاً عن تلك المسائل.

فأجابه الفخر الرازي: هذا الاستدلال في غاية الضعف، وذلك لأن العلماء يستنكفون من إيراد السؤالات في مجالس الوعظ فسكوتهم عن إيراد السؤالات في هذه المجالس لا يدل على عدم علمهم بهذه المباحث[(١)].

وهذا كله يدل على الجو العلمي الذي كان يومئذ بخراسان بخاصة وفي المشرق الإسلامي عامة كما يدل على ذيوع العربية وانتشارها هناك، ويمكنني أن أضيف إلى ذلك أن مجالس الوعظ التي كانت تعقد ببغداد مثلاً في تلك الفترة كان يحضرها جموع غفيرة من الناس وكانوا يوردون فيها السؤالات ويوجهونها إلى الوعاظ بواسطة رقاع تنهال عليهم من كل جانب. فقد شهد ابن جبير بعض هذه المجالس وقدم لنا وصفاً رائعاً لعدد منها من ذلك وصفه لمجلس وعظ رضي الدين القزويني رئيس الشافعية وفقيه المدرسة النظامية، وقد عقد المجلس أثر صلاة العصر من يوم الجمعة قال ابن جبير.. فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة فتوّقوا وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ونغمات محرجة مطربة، ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار. وتصرف في أفانين في العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل، وإيراد حديث رسوله، وتكلم على معانيه، ثم رشقته شابيب المسائل من كل جانب فأجاب ما قصد.. ودفعت إليه عدة رقاع فيها فجمعها جملة في يده، وجعل يجاوب عن كل واحدة منها وينبذ بها إلى أن فرغغ وحان المسائل فنزل وافترق الجمع فكان مجلس علم ووعظ[(٢)].

وهذا أيضاً يدحض ادعاء النور العثماني في اتهامه لأهل العراق.

---

(١) مناظرات فخر الدين الرازي: ص١٤-١٥.

(٢) رحلة ابن جبير: ص٢١٩.

● أماكن الوعظ والتذكير:

تعتبر مجالس الوعظ والتذكير من الوسائل المهمة في نشر الثقافة العربية والعلوم الإسلامية بخراسان في القرن السادس الهجري لأنها كانت مشحونة بالفوائد العلمية، ونظراً لأهمية هذه المجالس فقد أقيمت في المساجد والمدارس والربط والخانات ولم تكن إقامة هذه المجالس مقتصرة على علماء خراسان الذين كانوا بخراسان وحدهم بل كانت تعقد للعلماء الواردين على خراسان من البلاد الإسلامية وكان يحضر هذه المجالس الجمع الغفير من أهل خراسان وقد سمّت لنا المصادر التاريخية بعض المواضع التي عقدت فيها مجالس الوعظ والتذكير في حسن أغفلت ذكر مواضع مجالس أخرى واكتفت بذكر عبارة عقد له مجلس الوعظ والتذكير بنيسابور مثلاً، وإليك ذكراً لبعض المواضع التي عقدت فيها مجالس الوعظ والتذكير بخراسان في القرن السادس الهجري.

١ الوعظ في المساجد:

لقد اسدت المساجد خدمات علمية كبيرة فقد أقيم فيها رسم الخطابة التي تقام عادة بعد صلاة الجمعة، وكانت الخطابة من على منابر المساجد بخراسان وغيرها باللغة العربية وقد أقيمت في المساجد حلقات التدريس لكبار العلماء وحصل كثيرون من الفقهاء العلوم عن طريق التقائهم بالعلماء في داخل المسجد فكان المتعلم والدارس يحصل على العلم والمعرفة عن طريق القراءة والسّماع والكتابة على كبار العلماء ومن ثم يحصل على إجازاتهم العلمية في داخل المسجد يضاف إلى ذلك أن المساجد كانت مكاناً طبيعياً لإقامة مجالس الوعظ والتذكير. ولمّا كان ارتياد المساجد حقاً مباحاً لجميع المسلمين فكان حضور مجالس الوعظ والتذكير كذلك حقاً لجميع المسلمين من العرب والفرس والترك وغيرهم.

■ **وسنذكر بعض المساجد التي أقيمت فيها مجالس الوعظ والتذكير:**

★ **المسجد الجامع بهراة:**

وقد أقام فيه عدد كبير من العلماء مجالس الوعظ والتذكير من أشهرهم:

❶ **أبو الفتوح سعيد بن محمد بن إسماعيل بن سعيد..** اليعقوبي الفوشنجي الواعظ من أهل فوشنج، وكان من بيت العلم والحديث، سكن هراة واشتغل بالحديث وطلبه ونسخ الكثير منه بهراة وبنيسابور، وكان واعظاً كثير المحفوظ، يعظ بجامع هراة[(١)].

وذكر أبو سعد السمعاني إنشاده فقال: أنشدني أبو الفتوح قال: أنشدنا أبو سعد العاصمي قال أنشدنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي لنفسه يخاطب أبا حامد الأسفراييني ببغداد **فقال:**

سلام أيها الشيخُ الأمامُ عليك وقُل مَّن مثلي السلامُ
سلام مثل رائحة الخُزامي إذا ما أصابَها سحراً غمامُ
سلام مثل رائِحة الغوالي[(٢)] إذا ما فُضَّ مِنْ مسكٍ خِتامُ
رحلت إليك من فوشنج أرْجُو بك العزّ الذي لا يستضام[(٣)]

❷ **أبو روح عبد المولى بن عبد الباقي..** الواعظ الأزدي من أهل هراة، المتوفى سنة ٥٣٠هـ كان والده سبط الإمام عبدالله الأنصاري، وكان واعظاً نوبة يعظ فيها بجامع هراة. كتب الإجازة إلى أبي سعد السمعاني بجميع مسموعاته بتحصيل أبي القاسم الدمشقي الحافظ. توفي سنة نيف و٥٣٠هـ[(٤)].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٢٤٤.

(٢) في الأصل الغواني، كذا والصحيح ما أثبتناه لأنه جمع غالية موضع الطيب.

(٣) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١١٤أ.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٤٩٠، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٦٦أ.

★ **الجامع الجديد بنيسابور:**

فيه عقد الإمام أبو المعالي عبد الكريم بن عبدالله.. القشيري النيسابوري الواعظ مجالس وعظه فقد روى المؤرخون أنه كان يعظ عصر الجمعة بالجامع الجديد بنيسابور قبالة الطاق، وكان جلداً كافياً سكن أسفرايين مدة وسمع منه أبو سعد السمعاني بأسفرايينز قتله الروافض بنيسابور سنة ٥٥٦هـ[١].

★ **مسجد عقيل:**

وقد أقيمت فيه مجالس الوعظ والتذكير لعدد من العلماء منهم:

❶ **أبو محمد العباس بن محمد بن أبي منصور بن أبي القاسم العصاري الطوسي الطابراني** الواعظ المعروف بعباسة من أهل الطابران قصبة طوس. كان شيخاً صالحاً سكن نيسابور. كان يعظ في بعض الأوقات بمسجد عقيل، وله جزء في الحديث يعرف بجزء العصاري فيه أحاديث وأشعار وحكايات (أخبار) انتخب من هذا الجزء أبو سعد السمعاني. سمع كتاب «الكشف والبيسان في تفسير القرآن»[٢] لأبي إسحاق الثعالبي وقد وجد أبو سعد السمعاني سماعه في جميع هذا الكتاب وقد تفرد برواية هذا الكتاب بنيسابور وقرئ عليه مرات عدة قال أبو سعد السمعاني: «ولمّا انصرفت في العراق سنة سبع وثلاثين (وخمسمائة) كان جماعة يقرأون عليه فختم الكتاب عليهم عند قبر مصنفه وحضرت الختم وسمعت المجلس الأخير. وقد فقد بنيسابور في وقعة الغزّ سنة ٥٤٩هـ. وقد روى عنه أبو سعد بيتين من الشعر قال: أنشدنا

---

(١) التحبير: الترجمة/٤٤٦، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٥٨أ طبقات الشافعية للأسنوي: ج٢، ص٣١٩.

(٢) كشف الظنون: ج١، ع٤٤٤.

العباس بقراءتي عليه، أنشدنا أبو الحسن المديني إملاءً، **أنشدنا الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي لنفسه:**

إصْبِرْ على مُرِّ القَضَا إنْ كنتَ تعبدُ من قضَى
لا تعترِضْ فيما قَضى واشكرْ لعلّك تُرْتَضى[1]

❷ **أبو شجاع محمد بن عمر ابن عبدالله الأرغياني الراونيري.** فقيه فاضل عارف بالمذهب حافظ له، مناظر، تفقه على الإمامين عمر بن محمد السرخسي، وإبراهيم المرو الروذي، أقام بمرو مدة، ثم انتقل إلى نيسابور، وولي إمامة مسجد عقيل وبقي يعظ الناس فيه[2].

★ **جامع مرو:**

وقد عقد فيه مجالس الوعظ والتذكير عدد من العلماء منهم:

❶ **أبو بكر محمد بن منصور..** السمعاني التميمي المروزي، الفقيه الأديب المحدث الحافظ الواعظ الخطيب المبرزي علم الحديث رجالاً وأسانيد ومتوناً، خلف أباه ببلدته في مجالس التدريس، والنظر والتذكير. واز عليه في الخطابة، والقبول التام بين الخاص والعام.

ونفق سوق تقواه وورعه عند الملوك والأكابر حتى عظموا خدمته، وتبركوا به وبنصحه وكلامه، وذكر أبو سعد السمعاني أن والده قد أملى مئة وأربعين مجلساً في جامع مرو في غاية الحسن والفوائد، لم يسبق إلى مثله. وقال: وكان يملي في مجلس وعظه الأحاديث بأسانيدها[3].

---

(١) التحبير: الترجمة/٥٩٣، معجم شيوخ السمعاني: ١٨٦أ، معجم البلدان: ج٣، ص٤٨٦، طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص١٣٩، كشف الظنون: ج٢، ص٥٨٨، هدية العارفين: ج١، ع٤٣٧، معجم المؤلفين: ج٥، ص٦٤ وفيه له أجزاء في الحديث.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٧ - ص٥-٩.

❷ **أبو المظفر خلف بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي** الملقب بالتاج وكان جليل القدر وقوراً فصيحاً. ورد مرو قبل سنة ٥٣٠هـ وتفقه بها ثم انصرف إلى بلده، واختص بخوارزمشاه أتسز وولده، ثم قدم مرو سنة ٥٦١هـ فقعد مجلس الوعظ بجامع مرو الأعظم في شهر رمضان من هذه السنة وكان أبو سعد السمعاني معتكفاً فيه يومئذ ثم عقد مجلس الوعظ ثانية وحضر أبو سعد السمعاني مجلسه وكان كثير النكت والفوائد. **قال أبو سعد: أنشدنا خلف بن عبد الرحمن من لفظه وحفظه بالجامع على المنبر لبعضهم:**

لَكَ الدَّهْرُ طَوْعاً والأنامُ عبيدُ وَجَدُّكَ عالي المنْكَبَين سَعيدُ

وَعِيدَان شرطُ كلَّ حَوْلٍ وإنَّما لنا كلَّ يومٍ من القائِلَ عيدُ[1]

وكانت مجالس الوعظ قائمة في مساجد بلخ مثل: مسجد سيمكران، ومسجد زركران، وقد فوض السلطان سنجر بن ملكشاه الإشراف على هذين المسجدية للإمام ظهير الدين[2].

❸ **الوعظ في المدرسة العميدية بمرو:**

وعظ فيها أبو القاسم محمد بن أحمد اللارجاني.

وصفه أبو سعد بكونه فقيهاً فاضلاً مناظراً، مدققاً عارفاً، بمذهب أبي حنيفة واعظاً أديباً. قال ابو سعد: كان ينوب المناظرة التي في المدرسة العميدية، وحضرت مجلس وعظه بها يوماً فاستحسنت كلامه في الفقه والتذكير[3].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ١٨٦، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٠٢أ.

(٢) عتبة الكتبة: ص٣٦.

(٣) الأنساب: الورقة ٥٩٤ب، وفي معجم البلدان: ج٢، ص٤٣٠ ذكر كنيته أبو يوسف واللارجاني نسبة إلى لارجان وهي بلدة بين الري وأمل طبرستان.

٣ الوعظ في الخانات:

★ خان البزاز بمرو:

عقد في هذا الخان مجلس الوعظ للإمام أبي شجاع عمر بن محمد ابن عبدالله البسطامي ثم البلخي، المتوفى سنة ٥٦٢هـ. كان أديباً شاعراً مناظراً مفسراً، حاسباً، مليح الإشارة في وعظه، كثير النكت والفوائد. وكان على كبر السن حريصاً على طلب الحديث والعلم، مقتبساً من كل أحد. انتهت إليه مشيخة بلخ. وتفقه عليه جماعة(١).

قدم مرو سنة ٥٢٨هـ، وجلس في خان البزازين للوعظ. قال ابوسعد السمعاني: «فجرى على لسانه أثناء الكلام، قال أبو سليمان الداراني. فقال عمي الإمام أبو القاسم السمعاني (ﷺ): الداراني. فقلت أنا وكنت بين يديه: يقال ذا وهذا فأن آخر الموضع إذا كان الفاً مقصورة فالمنتسب إليه بالخيار بين إثبات النون وإسقاطها كالداراني، والدارائي، والصنعاني والصنعائي. فسكت عمي ولم يقل شيئاً»(٢).

مما تقدم ترى كيف كان يتم النقاش وإلّا بانت في مسائل اللغة العربية حتى في مجالس الوعظ والتذكير هذا يدل على أن العربية كانت أيضاً لغة مجالس الوعظ والتذكير بخراسان، وأن النقاش في علومها يدل على اشتغال الناس فيها.

٤ الوعظ في القرى:

لم تكن إقامة مجالس الوعظ والتذكير مقتصرة على أمهات المدن بخراسان حسب بل كانت مجالس الوعظ والتذكير تعقد في القرى والنواحي والقصبات الصغيرة ذلك لأن الوعاظ كانوا ينتابون تلك

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٤٨-٢٥٠، العبر: ج٤، ص١٧٨-١٧٩.

(٢) الأنساب: ج٥، ص٢٧١.

الجهات النائية المغمورة فيعظون بها وأن حضور الناس في تلك الأماكن هذه المجالس يبين لنا على أنهم كانوا يفقهون ما يدور في هذه المجالس من أمور دينية ومن حكم ومواعظ، وذكر لوقائع الناس وأخبارهم، والاستشهاد بآبيات الشعر للشعراء العرب. وذكر بعض الأحاديث، وبعض آيات القرآن مما يدل على تغلغل اللغة العربية لس في مدن خراسان الكبر فحسب بل حتى في قراها ومحالها وأطرافها النائية.

★ إليك بعض من اشتهر بالوعظ في قرى خراسان مثل خرق، بندكان، وستجرد، كمان، بشيق، القرى الواقعة أسفل نهر الخارقان بمرو، باميين من قرى هراة، وغير ذلك:

١ • **أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الخرقي النيسابوري**، من أهل قرية خرق إحدى قرى مرو.

وهو فقيه فاضل متكلم. رحل إلى نيسابور، وتفقه بها، وأقام بها مدة حتى قرأ الفقه والأصول واشتهر بعلم الكلام ورجع إلى مرو وسكن قريته خزق، وكان يعظ بها وفي القرى الأخرى المجاورة لها. وكتب عنه أبو سعد السمعاني الحديث بقرية خرق. وله تصانيف منها كتاب «التبصرة» في علم الهيئة و«منتهى الإدارك في تقاسيم الأفلاك» وكتاب «الرسالة الشاملة» وأقام على الأفتاء والوعظ إلى أن مات بقريته خرق سنة ٥٣٣هـ(١).

٢ • **أبو محمد عبدالله بن أحمد بن الحسين بن أبي أحمد الخرقي** الواعظ المتوفى سنة ٥٤٨هـ من أهل قرية خرق إحدى قرى

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٦٦٢، الأنساب: ج٥، ص٩٨، معجم البلدان: ج٢، ص٤٢٥، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٧٩، الأعلام: ج٦، ص٢١٠، معجم المؤلفين: ج٨، ص٢٣٨، هدية العارفين: ج٢، ص٨٨.

مرو. تفقه على الموفق الهروي، وكان يعظ في النواحي، وكان حسن السيرة. سمع منه أبو سعد السمعاني أحاديث يسيرة(١).

٣ • **أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله.. النيسابوري الخرقي**، المتوفى سنة ٥٣٣هـ وصفه أبو سعد السمعاني بأنه كان فقيهاً واعظاً، حسن الأخلاق متواضعاً. خرج إلى بخاري متفقهاً وأقام بها مدة ولقي الأئمة وكتب عنهم الأمالي. ولما عاد إلى قريته وكتب عنه أبو سعد السمعاني الحديث بقريته خرق(٢).

٤ • **أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي هاشم الأملي الطبري ثم** الجرجاني من أهل جرجان وصفا من طبرستان ورد حراسان سنة ٥١٧هـ وأقام بنيسابور مدة يتفقه على عمر بن علي السلطان وشدا طرقاً من الأدب من الأديب أحمد الميداني، ثم قدم مرو متفقهاً على أبي القاسم الحفصي وأقام بمرو وصاهر علي البشبقي(٣)، وسكن قرية بشبق(٤) إلى حين وفاته. وكان من أهل العلم، كثير المحفوظ، وكان يتولى الحكومة(٥) والخطابة والوعظ بتلك الناحية. كتب عنه أبو سعد السمعاني الحديث بقريته بشبق وتوفى بها سنة ٥٥١هـ(٦).

---

(١) التحبير: الترجمة/٣٠٨، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٢٨ب.

(٢) التحبير: الترجمة/٣٦٠، الجواهر المضية: ج١٠، ص٣٠٥، الفوائد البهية: ٧٨-٧٩.

(٣) ترجم له أبو سعد السمعاني في التحبير، الترجمة/ ٥٧٠.

(٤) بشبق: قرية من قرى مرو. الأنساب: ج٢، ص٢٤٠، معجم البلدان: ج١، ص٦٢٨.

(٥) المراد بالحكومة هنا الحكم بين الناس والفصل بينهم، أشبه بالقضاء والتحكيم في الخصومات والخلافات أيضاً، كالحكومة بين الإمام علي (ﷺ) ومعاوية بن أبي سفيان اي التحكيم بينهما.

(٦) التحبير: الترجمة/ ٥٨٧، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٨٥أ، طبقات الشافعية =

٥ ● **أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الخطيب الصدقي الفامي** من أهل مرو.

وأبو القاسم شيخ مسن يعظ في القرى. سمع الإمام أبا المظفر السمعاني، وأبا عبدالله الخلوقي(١) سمع منه أبو سعد السمعاني. توفي بقرية بندكان في سنة ٥٣٠هـ(٢).

٦ ● **أبو محمد سعد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد الدستجردي** المتوفى سنة ٥٥٢هـ من أهل دستجرد قرية عند الرمل من نواحي مرو. كان صوفياً فقيهاً صالحاً، وليّ الخطابة والوعظ بقريته ستجرد روى الحديث وسمعه. سمع منه أبو سعد السمعاني(٣).

٧ ● **أبو المظفر أردشير بن أبي بكر بن محمد بن عبد الصمد** الكاتب المروزي. سكن قرية السديور من قرى مرو. كان فقيهاً حلو الكلام واعظاً كثير المحفوظ. تفقه على القاضي السديد محمد بن عبدالله الصائغي واختلف إليه ليكتب عنه الأناشيد. سمع منه أبو سعد السمعاني بجابق(٤) الجراح ينشد للقاضي أبي بكر محمد بن

= الكبرى: ج٧، ص٢٣٨.

(١) الخلوقي: نسبة إلى خلوق أو خلوقة وهو بطن من العرب والمنتسب إليها جماعة من أهل بوزنشاه مرو. الأنساب: ج٥، ص١٨٥، اللباب: ج١، ص٣٨٣.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٣٥٥، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٤١ب، وبندكان إحدى قرى مرو. الأنساب: ج٢، ص٣٣٧، معجم البلدان: ج١، ص٧٤٤.

(٣) الأنساب: ج٥، ص٣٤٦، معجم البلدان: ج٢، ص٥٧٤، اللباب: ج١، ص٤١٨.

(٤) جابق الجراح: انفرد بذكرها: أبو سعد السمعاني في معجم شيوخه: الورقة ٢٦٤ب، وذكر ياقوت في معجم البلدان: ج٢، ص٩١. جابق قرية من قرى طوس ونسب إليها أبو القاسم الدمشقي، محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن أبو عبدالله الطوسي المقرئ من أهل قرية جابق، وسكن دمشق وحدّث بها.

الحسين الأرسابشدي يقول: «لا ملك إلّا بالرجال، ولا رجال إلّا بالمال، ولا مال إلّا بالرغيد، ولا رغيد إلّا بعدل السلطان» توفي بقرية كلختخان[١] سنة ٥٦٠هـ ونقل إلى قرية السدوير ودفن عند مشهد الربيع بن أنس البكري وزار أبو سعد قبره[٢].

٨ • **أبو حفص عمر بن محمد بن علي المروزي الرفاء النشائي**، المتوفى سنة ٥٣٩هـ، من أهل مرو.

وصفه أبو سعد السمعاني بأنه كان فقيهاً صالحاً سديد السيرة، كثير المحفوظ. كان يعظ في القرى التي بأسفل نهر الخارقان[٣]، وكان يعرف القراءات ويقرأ القرآن بالروايات وكان من المختصين بالإمام أبي بكر السمعاني المختلفين إليه والمتلمذين له. سمع منه أبو سعد السمعاني قريباً من عشرين مجلساً من أمالي الدقاق[٤].

٩ • **أبو الفتح محمد بن عبدالله بن أبي سعيد الشيرازي الصوفي الهروي**، المتوفى سنة ٥٤٩هـ كان يسكن قرية بهراة يقال لها نباذان[٥]. وكان شيخاً صالحاً زاهداً، عفيفاً. يعظ ويذكر بقرى

---

(١) في الأنساب: الورقة/ ٤٨٦أ كلختجان قرية من قرى مرو على خمسة فراسخ منها بها الجامع المليح، ويقال بدل الطاف ياء، بلختجان وبالعجمية كلخكان. وفي معجم البلدان: ج٤، ص٢٩٩، وفيه كلختجان.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٩٩٨، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٦٤أ-٢٦٤ب.

(٣) انفرد بذكرها أبو سعد السمعاني في التحبير، ومعجم الشيوخ ولم يذكرها في الأنساب كذلك، لم يذكرها ياقوت في معجم البلدان، ولم تذكر في مراصد الاطلاع.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٥٢٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٧٢أ، الأنساب: الورقة/ ٥٦٠أ-٥٦٠ب، وفيه كان يعظ في الرساتيق.

(٥) في معجم البلدان: ذكرها ياقوت في حالتين: ج٤، ص٧٣٦ بناذان من قرى هراة =

هراة ونواحيها وكان من أصحاب الإمام عبدالله بن محمد الأنصاري ويحفظ كلامه وألفاظه. قال أبو سعد السمعاني: «سمعت منه في النوبتين بهراة وبقرية بناذان، وسمعت منه جزء أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري..»[١].

١٠ • **أبو يعقوب يوسف بن أبي سهل بن أبي سعيد..** البلجاني ثم الكساني الواعظ المتوفى سنة ٥٣٦هـ من أهل قرية كمسان، وبلجان قرية متصلة بكمسان من قرى مرو. كان فقيهاً واعظاً، مليح الوعظ حسن التذكير وكان كلامه في الوعظ حلواً، كثير النكت والإشارة. صحب ابا الحسن البستي مدة وخدمه وأشتهر به، كتب عنه أبو سعد السمعاني بمرو وبقرية كمسان. ومن جملة ما سمع منه: الجزء الأول من المسند للشافعي[٢].

١١ • **أبو الفتح مسعود بن أحمد بن يوسف الخطيب البامنجي** من أهل قصبة بامبيين[٣]. كان فقيهاً جامعاً بين العلوم والفقه والأدب تولى الوعظ والخطابى ببامبين. تفقه بمرو الروذ على أبي محمد الفراء البغوي وغيره، وكان من مشاهير العلماء بقصبة باذغس[٤] هراة،

= وفي: ج٤، ص٨١٧ نوباذان من قرى هراة. سمع بها محمد بن طاهر المقدسي، وأبو سعد السمعاني، وابنه أبو المظفر عبد الرحيم. وفي معجم شيوخ السمعاني: نباذان. وفي الأنساب: الورقة/ ٣٤٤أ، كتب عن أبو سعد بباذان هراة.

(١) التحبير: الترجمة/ ٧٧٤، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢١٨أ، الأنساب: الورقة/ ٣٤٤أ، اللباب: ج٢، ص٣٩، العبر: ج٤، ص١٣٧.

(٢) التحبير: الترجمة/ ١١٢٠، معجم شيوخ السمعاني: الورقة ٢٨٨ب، الأنساب: ج٢، ص٣٠٢، معجم البلدان: ج١، ص٧١٢، اللباب: ج١، ص١٣٩.

(٣) في طبقات الشافعية الكبرى: ج٢، ص٢٩٦، وردت بامئين.

(٤) باذغيس: وهي بليدات وقرى كثيرة ومزارع بنواحي هراة ومرو الروذ. الأنساب: ج٢، ص٢١-٢٢، معجم البلدان: ج١، ص٤٦١.

لقيه ابو سعد السمعاني بها وكتب عنه الحديث. وتوفي بباميين سنة نيف و٥٤٠هـ[(١)].

■ **مجالس الوعظ التي عقدها العلماء بخراسان ولم تسم لنا المصادر المواضع التي عقدت فيها:**

١ • **أبو المجد عبد الباقي بن عامر بن زيد بن الفضل بن إسحق بن إبراهيم بن عبدالله أيوب الحسن الأزدي الأنصاري** المتوفى سنة ٥٢٥هـ. من أهل هراة. سبط الإمام عبدالله الأنصاري، وكان أبو المجد من وجوه أهل التذكير والوعظ، حسن الإيراد والمنطق، آباؤه كانوا من أهل التزكية والعدالة، واستنابه جده في مجالس تذكيره فناب عنه مدة وبقي على ذلك سنين. كتب الإجازة إلى أبي سعد السمعاني[(٢)].

٢ • **أبو المظفر منصور بن محمد بن سعيد بن مسعود المسعودي** المتوفى سنة ٥٥٥هـ من أهل مرو. كان أحد الفضلا المبرزين. قرأ الأدب وبرع فيه، وكان حسن الخط، كثير المحفوظ، مليح الشعر والنثر. يعظ في عشيات الثلاثاء اقتداءً بوالده[(٣)].

٣ • **أبو القاسم علي بن يعلى بن عوض بن محمد بن حمزة.. بن عمر ابن علي بن أبي طالب العمري** المتوفى سنة ٥٢٧هـ من أهل هراة. وكان واعظاً مليح الوعظ، كثير المحفوظ، له بخراسان قبول كثير. قال أبو سعد السمعاني: رأيته وسمعت منه حديثاً واحداً

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٩٧٨، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٥٩أ، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٩٦، طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٧٥٢.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٣٧٨.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٣٠٥، طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٧٧٠.

عن حفظه في مجلس وعظه[(١)].

٤ • **وقد وعظ بمرو الفقيه محمود بن محمد الكَلالي الكلاباذي البخاري** الواعظ من أهل قلعة وكلات على جيجون، وهو من رفاق أبي العلاء الفرضي[(٢)].

٥ • **وكان لأبي سعد السمعاني** مجالس للوعظ في مرو فقد ذكر في ترجمة أبي سعيد محمد ابن خليفة المقرئ الصوفي من أهل نيسابور. قال أبو سعد: «قدم علينا مرو بعد رجوعي من نيسابور وعقد المجلس في موضعي فأحسن وأبكى الحاضرين»[(٣)].

وكان له مجلس وعظ في مدينة بنج ديه، ففي ترجمة أبي سعد أسعد ابن محمد بن أحمد الثابتي من أهل بنج ديه قال أبو سعد: «كان يحضر مجلس وعظي ببنج ديه»[(٤)].

تدل كثرة الوعاظ ومواعظهم الشعرية والنثرية على العناية بجمهور الأئمة، ولئن كانت مجالس الإملاء للعلماء ويحضرها المتعلمون فأن مجالس الوعظ كانت لجمهور العامة مما يدل على فهم العامة للغة العربية نثرها وشعرها ولو أن كثيراً من الأمراء والملوك يحضرون بعض مجالس الوعاظ، فأن الوعظ بصورة عامة يوجه لعامة الناس وليس لطبقة معينة. **وهذه جملة من الوعاظ بخراسان من العرب والمسلمين.**

❶ **أبو رشيد علي بن عثمان..** الهروي الهيصمي الضرير الواعظ، المتوفى سنة ٥٤٤هـ مقدم الكرّامية وإمامهم بهراة، وكان فاضلاً غزير

(١) الأنساب: الورقة/ ٣٩٩أ، اللباب: ج٢، ص١١٥٣، الكامل: ج١١، ص٩.
(٢) المشتبه: ج٢، ص٥٥٦.
(٣) التحبير: الترجمة/ ٨٦٤.
(٤) الأنساب: ج٥، ص٢٧١.

الفضل، كثير المحفوظ، جليل القدر، حسن النظم والنثر، سريع الإنشاد، له تصانيف كثيرة في الأصول والأدب والترسل وغيرها. روى عنه حافظ دمشق ابن عساكر(١).

❷ **أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح.. المؤذن النيسابوري** المتوفى سنة ٥٣٢هـ. وهو شيخ أبي سعد السمعاني، وقد وصفه بكونه إماماً مبرزاً، وكان ذا رأي وعقل وتدبير، وفضل وافر، وعلم غزير. تفقه بنيسابور على أبي المعالي الجويني. وكانت له يد قوية في الوعظ والتذكير. ثم سافر إلى كرمان فوقع مورده موقعاً حسناً من الملك وحظي بالقبول عند الصاحب مكرم بن العلاء وظهر له العز والجاه والثروة وظل عندهم مكرماً مبجلاً إلى حين وفاته(٢).

❸ **أبو سعد عمر بن علي بن سهل الدامغاني المعروف بالسلطان،** المتوفى سنة ٥٤٩هـ. سكن نيسابور، كان إماماً مناظراً، واعظاً مذكراً، أصولياً، لطيف الطبع، رقيق القلب، سريع الدمعة عند الذكر(٣).

❹ **أبو الفتح محمد بن علي الكوفي** المتوفى سنة ٥٥١هـ، نزيل اسفرايين. وصفه ابو سعد بكونه شيخاً فاضلاً جامعاً لأنواع العلوم على كبر سنه من الأدب والنحو والفقه والأصول، وكان مجلس وعظه مشحوناً بأنواع الفوائد(٤).

❺ **أبو منصور محمد بن أسعد..** الطوسي العطاري المعروف بحفدة(٥)،

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥٥٩، المشتبه: ج٢، ص٥٤٦.

(٢) المصدر نفسه/ ١٢، تبيين كذب المفتري، ص٤٤-٤٥.

(٣) المصدر نفسه/ ٥١٢، التدوين في معرفة أخبار قزوين: الورقة/ ٦٠ب.

(٤) المنتخب من كتاب السياق: الورقة/ ٢٠ب.

(٥) في وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٣٩، قال ابن خلكان بهذا الصدد: ولا أعلم لمَ سمي بهذا الاسم يعني (حفدة) مع كثرة كشفي عنه.

المتوفى سنة ٥٧٢هـ. من أهل نيسابور، وأصله من طوس. كان فقيهاً، فاضلاً، وواعظاً فصيحاً، أصولياً[١].

تفقه بطوس على الإمام أبي حامد الغزالي، وبمرو على أبي بكر السمعاني، وبمرو الروذ على الحسين بن مسعود البغوي وحدّث عنه بكتاب «شرح السنة» و«معالم التنزيل». ومن آثاره «أجوبة مسائل» في الفقه والتصوف سأله عنها يوسف بن مقلد الدمشقي[٢].

انتقل إلى العراق ثم الموصل، واجتمع الناس عليه بسبب الوعظ، وكانت مجالسه في الوعظ من أحسن المجالس. وأنشد يوماً على الكرسي من جملة أبياته.

تحيةُ صوبِ المُزن يِقرأُها الرّعد ... على منزِلٍ كانَتْ تَحلُّ به هِندُ
نَأتْ فأعْرناها القلوبَ صبابةً ... وَعارِيةُ العُشَاقِ ليسَ لها رَدُّ[٣]

❻ **أبو سعيد محمد بن محمد بن خليفة**.. المقرئ الصوفي من أهل نيسابور المتوفى سنة ٥٤٩هـ.

كان مقرئاً فقيهاً، واعظاً أصولياً، سمع منه أبو سعد السمعاني بنيسابور، ولمّا رجع من العراق صادفه وهو يملي قال أبو سعد: فاستعرت بعض أصحاب الحديث حزءاً من أماليه، فقرأت عليه أحاديث عالية ونازلة كافة، ما كان يعرف شرط التحديث، وقد علينا مرو بعد رجوعي من نيسابور وعقد المجلس في موضعي، فأحسن وأبكى الحاضرين.

---

(١) التحبير: الترجمة/٦٩٥.

(٢) التدوين في معرفة أخبار قزوين: الورقة/٦٧ب، المنتظم: م١٠، ص٢٧٩، وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٣٨-٢٣٩، مجمع الآداب: ج٤، صق٢، ص٨٩٠-٨٩١.

(٣) مرآة الجنان: ج٣، ص٣٩٧.

وسمعت أبا حامد الغزالي كان يقول: من أراد أن ينظر إلى صورة التصوّف فلينظر إلى أبي سعيد بن خليفة(١).

٧ أبو الفتوح ناصر بن الحسن بن مسعود الغساني السرخسي.

كان واعظاً كثير المحفوظ، جاري اللسان. انتقد أبو سعد السمعاني رغم كونه شيخاً له، وأعاب عليه بأنه كان يقع في أعراض الناس، ويتعصب تعصباً فاحشاً في مجالسه وكلامه، ويشرف في ذلك، ويخالط الناس على حسب مرادهم، ولا يتورع عن شيء مما يعرض عليه.

قتله بعض الأتراك الفلكية لمّا بلغه أنه أساء القول فيه عند السلطان سنجر وذلك سنة ٥٥٥هـ(٢).

٨ أبو نصر محمد بن ناصر بن أحمد بن محمد العياضي السرخسي من أهل سرخس.

كان فقيهاً واعظاً، مليح الوعظ، فصيح العبارة، صاحب قبول عند الخاص والعام، وكان كثير المحفوظ متخلقاً بالأخلاق الحسنة. سمع منه أبو سعد السمعاني بسرخس ودفن في مدرسته سنة ٥٣٢هـ(٣).

٩ أبو بكر مسعود بن أحمد بن نصرالله بن أحمد بن عثمان الخشنامي العتابي من أهل نيسابور، من أولاد المحدثين وكان مشتغلاً بالعلم في أيام شبابه وعقد له مجلس الوعظ بحضور الأئمة ثم اختل حاله في آخر عمره حتى اشتغل بالاكتساب ونسج الثياب العتابية وسمع منه أبو سعد السمعاني كتاب «الأقران» لأبي عبدالله محمد بن يعقوب الشيباني الحافظ المعروف بالأخرم قتل بنيسابور في فتنة الغزّ سنة ٥٤٩هـ(٤).

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٨٦٤.

(٢) المصدر نفسه/١٠٤٦، معجم شيوخ السمعاني: الورقة: ٢٧٢ب.

(٣) المصدر نفسه/٨٩٧.

(٤) المصدر نفسه/٩٧٧، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٢٥٩ب.

١٠ أبو عبد الرحمن أحمد بن الحسن بن أحمد الكاتب من أهل نيسابور. كان فاضلاً عالماً واعظاً مليح الوعظ، حسن اللهجة والعبارة له حظ من العربية والشعر كثير المحفوظ من الكتب صفحة الشعر والنثر، مكثراً من الحديث.

تفرد بالرواية عن جماعة لم يرو عنهم أقرانه من شيوخ الزوايا. قال ابو سعد: ولا نبعد ذلك لأن صالح بن أبي صالح كان يفيد، وهو كان نقاباً بحاثاً عن الشيوخ. **ومن إنشاده:**

يا أحمدُ اقْنَعْ بالذّي أُوتِيتَهُ ... إنْ كُنْتَ لا تَرضى لنَفْسكَ ذُلَّها
ودع التكاثر بالغنى لمعاشرٍ ... اضْحَوْا على جمع الدراهِمُّ ولَّها
وَاعلَمْ بأنَّ الله جَلّ جلالُه ... لم يخلقِ الدُّنيا لأجلِكَ كُلَّها

مات في معاقبة الغزّ ضرباً وقتلاً في شوال سنة ٥٤٩هـ[(١)].

١١ أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن ابن الأشرف البكري المروزي الواعظ.

ذكره أبو سعد في معجم شيوخه وقال: «.. فأني كنت أسمع من صغري أنه ليس صحيح النسب، وهو بكري من أولاد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) والله أعلم بذلك». وكانت ولادته بأبيورد، ورد مرو ولزم الإمام أبا بكر السمعاني، وقرأ عليه شيئاً وتلمذ له وانتسب إليه، وكان واعظاً مليح الوعظ، فصيح اللسان جريء القلب جسوراً، لقي قبولاً تاماً في البلاد التي دخلها من الخواص والكبراء والعوام، وكان حريصاً على سماع الحديث وطلبه وكتابته. وانتقده أبو سعد السمعاني فقال: غير أنه كان مجازفاً في القول ينسب إلى الكذب الفاحش بما يقوله ويحدّث به[(٢)].

---

(١) معجم شيوخ السمعاني: الورقة: ٧أ-٧ب.

(٢) المصدر نفسه، الورقة/ ١٦أ-١٦ب.

- **وعظ علماء خراسان في خارجها:**

لقد انتشر علماء خراسان في أقطار إسلامية كثيرة وأقيمت لهم المجالس العلمية فيها ومما تجدر ملاحظته أن علماء خراسان يركزون على الرحلة إلى بغداد التي كانت ما تزال المنهل الصافي والينبوع الثر للعلوم والآداب تجتذب إليها العلماء من كلّ حدب وصوب فكان لا يشتهر عالم يومئذ ولا يُشار إليه بالبنان إلّا اذا شدّ الرحال إلى بغداد يناظر فقهاءها ويسمع علماءها ويحصل على إجازاتهم بالرواية والتحدث عنهم والدرس والتدريس في مدارسها الكثيرة. وقد أقيمت لعلماء خراسان مجالس الوعظ والتذكير إضافة إلى مجالس المناظرة والتدريس والإملاء والتحديث. وقد عقدت هذه المجالس في مواضع متعددة سمّت لنا المصادر بعضها مثل المدرسة النظامية، وجامع القصر، وجامع المنصور وباب بدر الشريف.

ومن ناحية أخرى أغفلت تسمية المواضع الأخرى التي عقدت فيها هذه المجالس واكتفت بذكر عبارة «عقد له مجلس الوعظ والتذكير ببغداد» وقد أقبل جمهور بغداد على حضور هذه المجالس فكان يحضرها الجمع الغفير، نذكر على سبيل المثال مجلس وعظ الإمام أبي الحسين أردشدين منصور العبادي[1] المروزي من أهل مرو.

عقد له مجلس الوعظ والتذكير في المدرسة النظامية وذلك حينما ورد بغداد سنة ٤٨٦هـ وقيل سنة ٤٨٥هـ وحضر مجلسه الإمام أبو حامد الغزالي الطوسي، وكان الغزالي يحاضره ويذاكره، وقد امتلأ صحن المدرسة النظامية وأروقتها وغرفها وسطوحها بالناس وخرج الجميع إلى

(١) العبادي: نسبة إلى عباد قرية بمرو يقال لها سبع العبادي، الأنساب: الورقة/ ٣٧٩ب.

قراح ظفر[١]، فجلس به[٢].

وحضر الخلفاء والسلاطين مجالس وعظ علماء خراسان، نذكر من ذلك حضور السلطان مسعود السلجوقي مجلس الفقيه الحسن بن أبي بكر النيسابوري سنة ٥٣٨هـ وهو من أصحاب الإمام أبي حنيفة، وكان قد قدم مع السلطان مسعود بغداد، وكانت له معرفة حسنة باللغة العربية وفهم جيد في المناظرة، وحضر ابن الجوزي الواعظ البغدادي مجالسه بجامع القصر وجامع المنصور. وقد جلس في يوم الجمعة العشرين من رجب من تلك السنة في دار السلطان سنجر ببغداد فوعظ وبالغ[٣].

❶ لقد حضرا السلطان مسعود السلجوقي والخليفة المقتفي لأمر الله العباسي مجلس وعظ أبي منصور المظفر بن أردشير العبادي المروزي المتوفى سنة ٥٤٧هـ.

وقد وصف بأنه كان فصيحاً بليغاً، اشتهر بحسن الوعظ، وتصنيف العبارة وتحسينها قدم بغداد رسولاً سنة ٥٤١هـ من قبل السلطان سنجر بن ملكشاه إلى الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي. ووعظ بجامع القصر، والمدرسة النظامية ببغداد وحصل له قبول زائد، وكان عامة أهل بغداد يتركون أشغالهم بحضور مجلسه والتسابق إليه[٤].

وذكر العماد الأصبهاني أنه قد حضر مجلس وعظه وقد وضع له منبر على شاطئ دجلة والسلطان مطل عليه من أعلى مكان والأمير عباس

---

(١) محلة كبيرة وهي في قبلي باب أبرز الظفرية في غربيه، منسوبة إلى ظفر المستنجدي أحد خدام دار الخلافة. معجم البلدان: ج٤، ص٦١.

(٢) مرآة الجنان: ق١، ج٨، ص٥.

(٣) المنتظم: م١٠، ص١٠٦-١٠٧.

(٤) الأنساب: الورقة/ ٣٧٩ب-٣٨٠أ، الكامل: ج١١، ص١١٨، النجوم الزاهرة ج٥، ص٣٠٣.

صاحب الريء جالس في شفارته[١] بدجلة بحيث يسمعه والعبادي يفتن الناس بما يبديه من سحره ويبدعه وقال: «وحضرت مدة مقامي ببغداد جمع مجالسه اكتبها من لفظه، واقبل عليه الإمام المقتفى بأمر الله وقبله ورفعه ويجله وأمره بالجلوس في جامع القصر في موضع يقرب من منظرته ليجلس حيث لا يراه وهو بحضرته»[٢].

وقال العبادي في أول يوم جلوسه ببغداد وقد أكثروا السؤال عن الآراء والمذاهب: «اجتمعوا، واسمعوا، واسكنوا، واسكتوا فأنا العبّادي لا العنادي، وكان أبي قديماً عندكم، وأنا من ذلك البحر قطرة، وما زلت على الفطرة، ولم تلحقني فترة، وكل كلمة مني درّة على الدوام لا على النّدرة»[٣].

إن مجالس الوعظ والتذكير التي عقدت ببغداد لجملة منعلناء خراسان والتي نالت القبول من أهل بغداد وقد عمل وعاظ خراسان الأشعريون على نصرة ذهب الإمام أبي الحسن الأشعري وذم الحنابلة الذين قوِيت شوكتهم ببغداد في هذه الفترة، حتى أن الإمام أبا حامد البروي الطوسي قد بالغ في ذمّ الحنابلة وقال: «لو كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية»[٤].

ولفقت له الحنابلة عدة تهم منها أنه جلس يوماً بالمدرسة النظامية فقال: «قيل لرسول الله (ﷺ) كيف أصبحت؟ قال: أعمى بين عميان وضالاً بين ضلال. فأحضره الوزير ابن صدقة وأحضر الفقهاء فأفتوا بقتله، فاستقر

(١) الشفارة: نوع من الزوارق كانت تستعمل بدجلة على عهد الخلافة العباسية.

(٢) دولة آل سلجوق: ص١٩٦.

(٣) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: ج٤، ق٤، ص٧٢٠-٧٢١.

(٤) مرآة الجزمان: ق١، ج٨، ص٢٩٢.

أن يجدد إسلامه ويتوب ومنع من الجلوس للوعظ، فجلس فرجم، فأمر الخليفة بأن يخرج الاسفراييني من بغداد»[١].

ووصل الخبر إلى بغداد بموته، فقعدوا لعزائه ورثاه ابن الباطوخ البغدادي بقصيدة منها:

أيها الركبُ أبلِغوا - بُلِّغْتمُ - أنَّ سُقمي صدَّني عن سَفَري

وإذا جئْتُم ثنيّاتِ اللوى فَلِجُوا رَبْعَ الحمى في خَطَرٍ

وصِفُوا شوقي إلى سكانِه واذكروا ما عندكمْ من خبر[٢]

❷ **أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري من أهل نيسابور** المتوفى سنة ٥١٤هـ ذكره صاحب السياق عبد الغافر الفارسي فقال فيهك «إمام الأئمة وحبر الأمة وصدر القروم وهو أشبه أولاد أبيه به خلقاً حتى كأنه شق منه شقاً، رباه والده وأحسن تربيته ورقه العربية في صباه زقا حتى برع فيها، وكمل في النظم والنثر فحاز فيهما قصب السبق..»[٣] ولما فرغ من تخصيل الفقه تأهب للخروج ودخل بغداد وعقد مجلس الوعظ والتذكير في المدرسة النظامية ببغداد تارة وفي رباط شيخ الشيوخ تارة أخرى[٤]، ورأى أهل بغداد فضله وكماله وبدا له من القبول عندهم ما لا يعهد مثله لأحد قبله وحضر مجلس وعظه الخواص مثل الإمام أبي إسحق الشيرازي الذي هو فقيه العراق في وقته، واطبقوا على أنهم لم يروا مثله في تبحره، ثم خرج إلى الحج وعاد إلى بغداد ثانية وعقد مجلس الوعظ

---

(١) مرآة الزمان: ق١، ج٨، ص١٢٥.

(٢) الجريدة/ قسم الشام: ج٢، ص٣٤٨، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٣٢٤.

(٣) المنتخب من كتاب السياق: الورقة/ ٩٣ب-٩٩٤أ، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٦٠-١٦١.

(٤) وفيات الأعيان: ج٢، ص٣٧٧.

وأخذ في التعصب للأشاعرة وكانت الفتنة مشرئبة تكاد تضطرم، فعبث إليه نظام الملك يستحضره من بغداد إلى أصبهان فأكرم مورده[١].

وبقى أهل بغداد عطائه إليه وإلى كلامه فمنهم من لم يفطر عن الصوم سنين بعده ومنهم من لم يحضر من بعده مجلس تذكير قط[٢]. على حد قول تاج الدين السبكي.

٣ في سنة ٥٦٩هـ **وعظ الشهاب الطوسي** ببغداد فقال: ابن ملجم لم يكفر بقتل على رضي الله تعالى عنه، فرجموه بالآجر وهاست الشيعة ببغداد فلولا تدخل العلماء لقُتل وحرقوا منبره وهيئوا له للميعاد الآتي قوارير النفط ليحرقوه ولامه نقيب النقباء فأساء الأدب فنفي عن بغداد وذهب إلى مصر وارتفع بها شأنه وعظم[٣].

٤ **الإمام أبو الفتوح[٤] أحمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي** المتوفى سنة ٥٢٠هـ وهو أخو أبي حامد الغزالي الطوسي. تفقه فغلب عليه التصوف والوعظ. اختصر كتاب «الأحياء» الذي صنفه أخوه في مجلد سماه «لباب الأحياء» وصنف أيضاً الذخيرة في علم البيصرة، وغير ذلك. قال ابن النجار في حقه: «من أحسن الناس كلاماً في الوعظ وأرشقهم عبارة، مليح التصرف فيما يورده، حلو الاستشهاد، أظرف أهل زمانه وألطفهم طبعاً». دخل بغداد وعقد مجلس الوعظ والتذكير، وظهر له القبول التام وأزدحم الناس على حضور مجلسه، ودوّن مجالس وعظه صاعد بن فارس اللبّان

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٦١، تاريخ الإسلام: م١٣: الورقة/ ٧٢أ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: الورقة/ ٤٧أ، وفيات الأعيان: ج٢، ص٣٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص١٦١-١٦٢.

(٣) مرآة الجنان: ج٣، ص٣٨٩.

(٤) الكامل: ج١٠، ص٦٤٠، وفيه كتبته ابو الفتح.

بغداد فبلغت ثلاثة وثمانين مجلساً كتبها بخطه في مجلدين[(١)].

وقيل وعظ في دار السلطان محمود الغزنوي فأعطاه ألف دينار، فلّما خرج رأى فرس الوزير في الدهليز بمركبة ذهب وقلائد وطوق ذهب فركبه ومضى وبلغ الوزير ذلك فقال: «لا يتبعه أحد ولا يعاد الفرس»[(٢)].

وقد نال منه أبو الفرج ابن الجوزي الواعظ البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، ورماه بأشياء كثيرة منها روايته في مجلس وعظه الأحاديث التي ليست بصحيحة[(٣)].

وكان له مجلس الوعظ بهمذان. قال السلفي: «حضرت مجلس وعظه بهمذان وكنا في رباط واحد بيننا ألفة وتودد وكان أذكى خلق الله واقدرهم على الكلام فاضلاً في الفقه وغيره»[(٤)].

وممن تلمذ له أبو الفضل محمود بن أحمد بن عبد الرحمن الغزنوي المتوفى سنة ٥٦٣هـ. صحب أبا الفتوح الغزالي وأخذ عنه علم الوعظ، وقدم بغداد سنة ٥٥٧هـ وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر ثم انتقل إلى واسط فسكنها إلى حين وفاته ودفن في مدرسته بمحلة الوراقين[(٥)].

■ **وقد أقيمت مجالس الوعظ والتذكير لعدد من علماء خراسان منهم:**

❶ **أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمذاني** الزاهد المتوفى سنة ٥٣٥هـ. شيخ الصوفية بمرو وصاحب المقامات والكرامات. قدم بغداد في صباه بعد سنة ٤٦٠هـ ولازم الشيخ أبا إسحق الشيرازي وتفقه عليه

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٦٠-٦١، وفيات الأعيان: ج١، ص٩٧-٩٨.

(٢) النجوم الزاهرة: ج٥، ص٢٣٠-٢٣١.

(٣) الكامل: ج١٠، ص٦٤٠.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٦٠-٦٢.

(٥) الجواهر المضية: ج٢، ص١٥٤-١٥٥.

حتى برع في الأصول والمذهب والخلاف ثم زهد في ذلك واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علماً من أعلام الدين يهتدي به الخلق إلى الله. ثم قدم بغداد سنة ٥٠٦هـ. وعقد بها مجلس الوعظ في المدرسة النظامية وصادف لها قبولاً عظيماً من الناس، وذكر الشيخ صافي بن عبدالله الصوفي بقوله: «حضرت مجلس شيخنا يوسف بن أيوب في المدرسة النظامية، وكان قد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف بابن السقا وآذاه وسأله عن مسألة فقال اجلس فأني أجد في كلامك رائحة الكفر ولعلط تموت على غير الإسلام.. فكان كما قال»[(١)].

٢ أبو المعالي محمد بن أحمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي المروزي المتوفى سنة ٥٨٢هـ.

وهو ابن عم أبي سعد السمعاني، ووصف بأنه كان من صدور خراسان ومن أفراد الزمان باللطافة والبيان وفصاحة اللسان، عديم النظير في التذكير. دخل خوارزم مرتين، وكان يقول على المنبر: «احفظ إيمانك حفظ العمامة على رأسك، ولا تكن العمامة أعز عليك من إيمانك» قال هذا محمود الخوارزمي في كتابه «تاريخ خوارزم» ونقله تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى[(٢)]. ثم قدم بغداد وتكلم بها واعظاً وجلس بالمدرسة النظامية يعظ. وببغداد كانت وفاته ودفن في جبانة بنيت له قريبة من قبر معروف الكرخي بالجانب الغربي[(٣)].

---

(١) الكامل: ج١١، ص٨٠، تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/٢١٧أ-٢١٨ب، شذرات الذهب: ج٤، ص١١٠-١١١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٨٧.

(٣) التكملة لوفيات النقلة: م١، ص٧٧-٧٨، المختصر المحتاج إليه: ج٢، ص٢٣٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٨٧.

❸ **أبو الحياة محمد بن عبدالله بن عمر..** الشاه بوري الواعظ من أهل بلخ المتوفى سنة ٥٩٦هـ.

سافر أبو الحياة في طلب العلم وجال في خراسان وما وراء النهر وخوارزم وبغداد والشام ودخل مصر ونزل الإسكندرية وأقام عند السلفي زماناً ثمّ قدم بغداد ثم استوطنها إلى حين وفاته وكان يسكن محلة بالحريم الطاهري، ويعقد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية، وكان فاضلاً، عالماً، مليح الوعظ، حسن الإيراد، حلو الاستشهاد رشيق المعاني، لطيف الألفاظ، فصيح اللهجة، له يد باسطة في تنميق الكلام وتزويقه وله قبول تام من العامة، روى عنه شيخه السلفي وكان يعظمه ويبجله ويعجب بكلامه، **وكتب يومها رقعة إلى الحافظ السلفي وكتب على رأسها:**

«فراش لمعة وفرّاش شمعة». فأعجب السلفي بها وكان يكرّرها.

ومن شعره (دوبيت):

دَعْ عَنْكَ حَديثَ من يُمَّنيك غدا　　واقطَعْ زمنَ الحياةِ عيشاً رغدا
لا ترجُ هوى ولا تُعجّل كَمَدَا　　يوماً تمضّيه لا تراه أبدا[1]

❹ **أبو بكر محمد بن منصور بن عبد الجبار السمعاني** من أهل مرو المتوفى سنة ٥١٠هـ. رحل إلى العراق وورد بغداد في شهر رمضان سنة ٤٩٧هـ، ومنها خرج إلى الحجاز ثم عاد إلى بغداد بعد الفراغ من الحج بعدة أشهر وذلك منتصف شعبان سنة ٤٩٨هـ، فأقام بها مدة يعظ الناس بالمدرسة النظامية ويقرأ عليه الحديث ويحصل الكتب وحصل له نسخة من «تاريخ مدينة السلام بغداد» قراءة على أبي محمد بن عبدالله بن علي

(١) الوافي بالوفيات: ج٣، ص٣٤٣، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: الورقة/٧ب-٨أ، عيون التواريخ: ج٢: الورقة/٦١أ، الجامع المختصر: ج٣، ص٢٥، وفيه كنية أبو عبدالله.

الأنبوسي عن مصنفه وسمع بها الحديث من جماعة منهم: ثابت بن بندار البقال، والمبارك ابن المليوزي وطبقتهما[١].

● **أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني** المتكلم الفيلسوف من أهل خراسان. كان إماماً مقدماً في علم الكلام والنظر برع في الفقه والأصول والكلام. تفقه بنيسابورعلى أحمد الخوافي، وأبي نصر القشيري، وقرأ على الكلام على أبي القاسم الأنصاري، صنف التصانيف المفيدة في علم الكلام.

ذكر أبو سعد السمعاني أنه ورد بغداد في سنة ٥١٠هـ وأقام بها ثلاث سنين وكان يعظ بها وله قبول عند العوام[٢]. وكان له مجلس وعظ في المدرسة النظامية ببغداد، وكان المدرس بها يومئذ أسعد الميهمني وكانت بينهما صحبة سالفة بخوارزم قربه أسعد لذلك وقد انتقده أبو محمد محمود بن محمد.. الخوارزمي صاحب تاريخ خوارزم بقوله: «ولولا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد وكان هو الإمام وكثيراً ما كنا نتعجب من وفور فضله وكمال عقله، وكيف مال إلى شيء لا أصل له واختار أمراً لا دليل عليه لا معقولاً ولا منقولاً، ونعوذ بالله من الخذلان والحرمان عن نور الإيمان وليس ذلك إلّا لأعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة وقد كان بينما محاورات ومفاوضات فكان يالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم. وقد حضرت عدة مجالس

---

(١) الأنساب: الورقة/٣٠٨أ، تاريخ بغداد للبنداري: ج١: الورقة ٧٨ب، وفيات الأعيان: ج٢، ص٣٧٩.

(٢) طبقات الشافعية الكبرة: ج٦، ص١٢٨-١٣٠، الوافي بالوفيات: ج٣، ص٢٧٨-٢٧٩، مرآة الجنان: ج٣، ص٢٨٩، عيون التواريخ: ج١، ص١٠ الورقة/١٦أ-١٦ب، روضات الجنات: ص٦٩٥-٦٩٧ العبر: ج٤، ص١٣٢، شذرات الذهب: ج٤، ص١٤٩.

من وعظه فلم يكن فيها لفظ قال الله، ولا قال رسول الله (صلعم) ولا جواباً عن المسائل الشرعية والله أعلم بحاله»[١]. وذكر أبو سعد أنه سمعه يقول في المذاكرة: «سئلت ببغداد في المجلس عن موسى (ﷺ) فقلت: التفت موسى (ﷺ) يميناً ويساراً، فما رأى من يستأنس به ولا جاراً فانس من جانب الطور ناراً»[٢].

❻ **أبو حامد محمود بن محمد الهروي الطوسي** المتوفى سنة ٥٦٧هـ. ولد بمدينة طوس سنة ٥١٧هـ وتفقه على محمد بن يحيى مدرس نظامية نيسابور وهراة. قدم بغداد سنة ٥٦٧هـ في ولاية المستضيء بأمر الله العباسي، وكان أحد الأئمة المشار إليهم بالتقدم في الفقه والنظر وعلم الكلام والوعظ ووصفه ابن خلكان بأنه كان حلو العبارة ذا فصاحة وبراعة، ودخل بغداد فصادف قبولاً وافر من العام والخاص - تولى التدريس بالمدرسة النظامية وكان يذكر بها كل يوم عدة دروس ويحضر عنده الخلق الكثير وله حلقة المناظرة بجامع القصر ويحضر عنده المدرسون والأعيان. وكان يجلس للوعظ بالمدرسة النظامية ببغداد ومدرسها يومئذ أبو نصر أحمد بن عبدالله الشاشي، **وكانت له رغبة في التدريس بالمدرسة النظامية فكان ينشد في مجلس وعظه بها مشيراً إلى موضع التدريس أبيات المتنبي (من البسيط):**

بكيتُ يا رَبْعُ حتى كِدْتُ ابكيكا ... وجُدْتُ بي وبدمعي في مغَانيكا
فعم صاحباً لقد هيّجت لي شَجَناً ... وارِدُدْ تـحـيـاتـنـا أن ـمـحـيُّـوكـا
بأي حكم زمان صرتَ متخذاً ... ريم الْفَلَا بدلاً من ريمِ أهليكا[٣]

---

(١) معجم البلدان: ج٣، ص٣٤٣-٣٤٤.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) مرآة الزمان: ق١، ج٧، ص٢٩٢، وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٢٥-٢٢٦، مرآة الجنان: ج٣، ص٣٨٢، المختصر المحتاج إليه: ج١، ص١١٦-١١٧.

٧ **أبو الفتح محمد بن محمد بن علي بن إسحق بن خزيمة الخزيمي الفراوي الواعظ البلخي** المتوفى سنة ٥١٤هـ. قدم بغداد سنة ٤٩٩هـ منصرفاً من الحج وعقد بها مجلس الوعظ تارة بجامع القصر وتارة بالمدرسة النظامية، وأملى عدة مجالس استملاها أبو الفضائل ابن الخاضبة وحدث ببغداد أيضاً سنة ٥٠٩هـ وتوفي ببغداد سنة ٥١٤هـ ودفن بالوردية(١).

وممن وعظ بجامع القصر أبو المفاخر الحسن بن ذي النون الشعري النيسابوري المتوفى سنة ٥٤٥هـ. كان فقيهاً ديناً واعظاً. وعظ ببغداد في جامع القصر مدة وأظهر التحنبل وذم الأشاعرة وبالغ وكان السبب في إخراج أبي الفتوح الأسفراييني من بغداد فعال إليه الحنابلة ثم بان بأنه معتزلي يقول بخلق القرآن بعد أن كان يظهر ذم المعتزلة، وخرج من بغداد إلى غزنة فتوفي بقرية ايذاجرد(٢).

وإنّ نظام الدين أبا زيد محمد بن عبد الكريم بن محمد السمعاني قدم بغداد سنة ٦٠٢هـ رسولاً من قبل علاء الدين محمد خوارزمشاه وتلقى بموكب الديوان العزيز فلمّا نزل بباب النوبي الشريف وطلب إليه أن يقبل العتبة فامتنع عن ذلك فأهين وألزم تقبيلهما مكرهاً. وفي يوم الخميس العشرين من ذي القعدة من السنة نفسها سأل نظام الدين أن يؤذن له بالجلوس للوعظ بباب بدر الشريف فأذن له فجلس وحضر الخلق الكثير، وأحسن الكلام وأجاد الوعظ وبالغ في الثناء على البيت الشريف العباسي وأكثر الدعاء للخلافة الشريفة الناصرية(٣).

---

(١) الوافي بالوفيات: ج١، ص١٧٠.

(٢) المنتظم: م١٠، ص١٤٣-١٤٤، تاريخ الإسلام: م١٣، ق٢: الورقة/ ٢٥أ، لسان الميزان: ج٢، ص٢٠٥.

(٣) الجامع المختصر: ج٩، ص١٦٧-١٦٨، المختصر المحتاج إليه: ج١، ص٧٥-٧٦.

■ **ممن وعظ بهم من علماء خراسان ببغداد، ولم تسم لنا المصادر المواضع التي عقد فيها مجالسهم للوعظ والتذكير الوعاظ الآتي ذكرهم:**

١ • **أبو القاسم علي بن يعلى بن عوض الهاشمي العمري الهروي** المتوفى سنة ٥٢٧هـ. كان من مشاهير خراسان وممن جال في بلادها وظهر له القبول التام في الوعظ والتذكير. قدم بغداد ونزل برباط شيخ الشيوخ وصادف من القبول ما لم يكن في حسابه واحيه الخاص والعام وعقدت له عدة مجالس للوعظ في عدة مواضع وكان يحضر مجلسه خلق يجوز الإحصاء[(١)]. وكان يروي في مجالس وعظه الأحاديث بأسانيدها ويظهر السنة فحصل له ببغداد مال وكتب وقبول تام. وقال ابن الجوزي البغدادي: «حملت إليه وأنا صغير السن وحفظني مجلساً في الوعظ فتكلمت بين يديه يوم ودع الناس عند سور بغداد، ثم خرج إلى مرو فتوفي بمرو الروذ في هذه السنة»[(٢)].

٢ • **أبو عبدالله محمد بن الحسن بن تميم الطائي المروزي الواعظ** المتوفى سنة ٥٤٥هـ. ذكره ابن النجار فقال: قدم بغداد ووعظ بها وصادف قبولاً وأملى بها الحديث، وذكر ابن الجوزي أنه قدم بغداد سنة ٥٢٤هـ ووعظ ونصر السنة وكان له سوق حسنة.

وذكر أبو سعد السمعاني أنه حدّث في فروع بعضها بخط يده وبعضها بخط غيره منقولة من أماليه قال: وسألت أبا القاسم يعني ابن عساكر عنه فقال ما رأيت له أصلاً يفرح به[(٣)].

---

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام: الورقة/ ٧٥ب-٧٦أ.

(٢) المنتظم: م١٠، ص٣٢، تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ١٥٧ب، البداية والنهاية: ج١٢، ص٢٠٥.

(٣) لسان الميزان: ج٥، ص١٢٦.

٣ • عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور النيسابوري المتوفى سنة ٥٥٣هـ المعروف بالصفار. سمع منه أبو سعد السمعاني وكتب عنه، وقال: «لما دخل بغداد ازدحم عليه البغداديون وأخذوا عنه»[١].

(١) العبر: ج٤، ص١٣٢، عيون التواريخ: ج١ الورقة/١٦أ-١٦ب، شذرات الذهب: ج٤، ص١٤٩.

الباب الرابع

العلوم النقلية في خراسان

الفصل الأول

علوم القرآن

عكف علماء خراسان في القرن السادس الهجري على دراسة القرآن الكريم وعلومه مثل: القراءات والتفسير، وإعرابه وإعجازه، وبلاغته، وأسباب النزول، وناسخه ومنسوخه، والأحكام التي فيه، ونحو ذلك باعتباره كتاب الله، وأساس العلوم الدينية، ومرجع الأمور الدنيوية، والاجتماعية. وقد أبدى علماء خراسان عناية ملحوظة بدراسة المؤلفات التي وضعت في علوم القرآن من قبل العلماء الذين سبقوهم، وخاصة في علم التفسير الذي يشمل أغلب هذه الفنون والعلوم، لذلك نجد أقدم واشهر التفاسير قد درست في خراسان في القرن السادس الهجري على أيدي علماء خراسان، قراءة، أو كتابة، أو سماعاً، أو إجازة.

● **كتب التفسير التي درست بخراسان في هذا القرن:**

١ ● **تفسير مجاهد بن جبير، المكي المخزومي**، المتوفى سنة ١٠٤هـ، وقيل سنة ١٠٣هـ، وفي رواية ثالثة سنة ١٠٢هـ[1].

٢ ● **تفسير أبي نصر محمد بن السائب الكلبي**، المتوفى سنة ١٤٦هـ،

---

(١) طبقات الشيرازي: ص٤٥، إرشاد الأريب: ج٦، ص٢٤٢-٢٤٣، الكواكب الدرية: ج١، ص١٥٩، كشف الظنون: ج١، ع٤٥٨.

من أهل الكوفة[١].

٣ • **تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي** المتوفى سنة ١٥٠هـ[٢].

٤ • **التفسير، لابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز، الأموي، المكي** المتوفى سنة ١٥٠هـ[٣].

٥ • **تفسير قتادة بن دعامة السدوسي**، وكان هذا أعلم الناس بالقرآن، والفقه، وجالس سعيد بن المسيب، والحسن الأشعري، مات بواسط سنة ١٧٧هـ[٤].

٦ • **التفسير لعبد الرزاق بن همام الصنعاني**، المتوفى سنة ٢١١هـ، شيخ البخاري في الحديث[٥].

٧ • **التفسير لعبد بن حميد الكشي**، المتوفى سنة ٢٤٩هـ، يروي عن عبد الرزاق بن همام[٦].

٨ • **التفسير لبكر بن سهل الدمياطي**، المتوفى سنة ٣٣٠هـ، مولى بني هاشم[٧].

٩ • **تفسير الفقيه الزاهد، أبي الليث السمرقندي**، المتوفى

---

(١) الأنساب: الورقة/ ٤٨٥ب.

(٢) الفهرست: ص٣٣١، تهذيب الأسماء واللغات: ق١، ج٢، ص١١١.

(٣) كشف الظنون: ج١، ع٤٣٧.

(٤) طبقات الشيرازي: ص٧٢، إرشاد الأريب: ج٦، ص٢٠٢-٢٠٣، أنباه الرواة: ج٣، ص٣٥-٣٧، كشف الظنون: ج١، ع٤٥٦.

(٥) كشف الظنون: ج١، ع٤٥٢.

(٦) التقيد: الورقة/١٧٢أ، العبر: ج٦، ص٢٥٤، تهذيب التهذيب: ج٦، ص٤٥٥-٤٥٧، خلاصة تهذيب الكمال: ص٢١، هدية العارفين: ج١، ع٤٣٧.

(٧) الأنساب: ج٥، ص٣٧٧-٢٧٨، ميزان الاعتدال: ج١، ص٣٤٥، غاية النهاية: ج١، ص١٧٨، هدية العارفين: ج١، ع٢٣٤، كشف الظنون: ج١، ع٤٤٧.

سنة ٣٧٣هـ[١].

١٠ • **التفسير المسمى «جامع العلوم» لأبي بكر محمد بن الفضل الرآسي البلخي المفسر**، المعروف بأميرك الرواسي المتوفى سنة ٤٠٥هـ، وقيل ٤٠٦هـ، في تسعة عشر مجلداً[٢].

وقد قرأ هذه التفاسير العشرة بخراسان جماعة منهم: أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد البلخي، المعروف بالشريك المتوفى سنة ٥٣٧هـ، من أهل بلخ[٣].

١١ • **التفسير لأبي القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب الواعظ، المفسر**، المتوفى سنة ٤٠٦هـ.

وقد سمع هذا التفسير علي بن محمد بن الحسن الأبيوردي من أهل نيسابور، وقد كتب الإجازة بجميع مسموعاته إلى أبي سعد السمعاني سنة ٥٠٩هـ[٤].

١٢ • **كتاب «الكشف والبيان في تفسير القرآن» لأبي إسحق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري**، المتوفى سنة ٤٢٧هـ[٥]. وقد تفرد برواية هذا الكتاب بنيسابور أبو محمد العباس بن محمد.. العصاري، الطوسي المتوفى سنة ٥٤٩هـ. سمع بطوس كتاب «الكشف والبيان في تفسير القرآن» من القاضي أبي سعيد محمد بن سعيد بن محمد الفرخزادي،

---

(١) الجواهر المضية: ج٢، ص١٩٦، هدية العارفين: ج٢، ع٤٩٠، كشف الظنون: ج١، ع٤٤١، وفيه أنه قد خرج أحاديث الشيخ قاسم بن قطلو بغا الحنفي المتوفى سنة ٨٧٩هـ.

(٢) الأنساب: ج٦، ص١٨٧، كشف الظنون: ج١، ع٤٣٩.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٨٢٥، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٣٠أ.

(٤) المصدر نفسه/ ٥٦٦، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٨١أ.

(٥) كشف الظنون: ج١، ع٤٤٤، ج٢، ع١٤٩٦.

وقرئ عليه هذا الكتاب مرات عدة[(١)].

وقال أبو سعد السمعاني في ترجمة العصاري: «ولما انصرفت من العراق سنة سبع وثلاثين (وخمسمائة) كان جماعة يقرأون عليه، فختم الكتاب عليه عند قبر مصنفه، وحضرت الختم، وسمعت المجلس الأخير»[(٢)].

وسمع أبو سعد هذا الكتاب أيضاً من أبي محمد بن المنتصر ابن حفص المتولى النوقاني، المتوفى سنة ٥٣٥هـ.

قال أبو سعد: «كتبت عنه بنوقان، ومن جملة ما سمعت منه كتاب التفسير المعروف، بالكشف والبيان الثعلبي بروايته عن الفرخزاذي عنه»[(٣)].

وكانت الرحلة إلى خراسان من أجل سماع هذا التفسير، فقد ذكر أبو سعد في ترجمة صاحب أبي الخيير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني، القزويني، المتوفى سنة ٥٤٠هـ فقال: «وسمع معنا الكتب الكبار، ورحل معي إلى طوس لسماع التفسير للثعالبي»[(٤)].

١٣ • **كتاب فضائل القرآن، لأبي إسحق الثعالبي، من أبي الحسن علي بن الحسين ابن محمد الجبيري النوقاني** المتوفى سنة ٥٣٥هـ[(٥)].

---

(١) التحبير: الترجمة/٥٩٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٨٦أ، معجم البلدان: ج٣، ص٤٨٦، طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص١٣٩.

(٢) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٨٦أ.

(٣) التحبير: الترجمة/٨٩٢، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٤٠٢، طبقات الشافعية للأسنوي: ج٢، ص٤٩٣.

(٤) الأنساب: الورقة/٣٦٣ب.

(٥) التحبير: الترجمة/٥٥٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٧٨ب.

١٤ • **التفاسير الثلاثة للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري** المتوفى سنة ٤٦٨هـ، وهي: البسيط، والوسيط، والوجيز، وتسمى هذه التفاسير بـ«الحاوي لجميع المعاني»(١).

وقد سمع هذه التفاسير الثلاثة بخراسان جماعة منهم: أبو بكر يحيى بن عبد الرحيم.. المقرئ المتوفى سنة ٥٢٢هـ من أهل نيسابور. وقد أجاز جميع مسموعاته ومن جملتها هذه التفاسير الثلاثة، وتفسير النبي (ﷺ) للواحدي أيضاً إلى أبي سعد السمعاني(٢).

١٥ • **كتاب أسباب النزول، للإمام الواحدي**، وهو أشهر ما صنف في هذا الموضوع(٣)، وقد درس جماعة من أهل خراسان هذا الكتاب منهم: أبو العباس عمر بن عبدالله الخطيب الأرغياني، النيسابوري، المتوفى سنة ٥٣٤هـ(٤).

• علم القراءات وأهم القراء الخراسانيين:

وأبدى علماء خراسان عناية ملحوظة بدراسة علم القراءات ومعالجة موضوعاتها، وبرز في هذا القرن عدد من القراء المشهود لهم بالدقة والضبط في هذا الفن، وألفوا في القراءات عدة مؤلفات مهمة **منهم**:

---

(١) كشف الظنون: ج١، ع٤٦٠.

(٢) التحبير: الترجمة/١١٠٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٢٨٣ب، الأنساب: الورقة/٥٠٤ب، هدية العارفين: ج١، ع٦٩٢.

(٣) هدية العارفين: ج١، ع٦٩٢، كشف الظنون: ج١، ع٧٦، وقد اختصره الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢هـ، (===) أسانيده، ولم يزد عليه شيئاً.

(٤) التحبير: الترجمة/٥٠٣، الأنساب: ج٦، ص٥٢-٥٣، معجم البلدان: ج٢، ص٤٧٢.

١ • **أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد ابن الغزال النيسابوري**، المقرئ المتوفى سنة ٥١٦هـ.

كان من وجوه أئمة القراء المشهورين بالعراق وخراسان، وكان عارفاً بوجوه القراءات، واختلاف الروايات مبرزاً في العربية والنحو وبما يتعلق به من العلل. أخذ علم القراءات عن أستاذه أبي نصر الرامشي المقرئ في المدرسة النظامية بنيسابور، وتخرج به، وذكر له عبد الغافر الفارسي وأبو سعد السمعاني، تصانيف مفيدة في النحو والقراءات، وكان يقصد من البلاد، ويستفاد منه. أجاز لأبي سعد جميع مروياته في سنة ٥١٢هـ(١).

٢ • **أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد الطوسي** المقرئ من أهل طوس.

سكن نيسابور في المسجد المطرّز، وكانت له القراءة والختمة والإمامة، وكان عالماً بالقراءات وروايتها، حسن الإقراء، سديد السيرة، تلمذ للمقرئ أبي الحسن ابن الغزال، ثمّ صار يقرئ الناس عليه، وظهر له أولاد وأصحاب(٢).

٣ • **أبو سعيد عثمان بن عمر بن علي**.. الثعالبي الغزنوي المقرئ المتوفى سنة ٥٣٦هـ، من أهل غزنة سكن بلخ. كان أديباً فاضلاً، مقرئاً بارعاً، عارفاً بالنحو. انتفع به الناس، وقرأوا عليه القرآن والأدب وتلمذوا له(٣).

---

(١) السياق: الورقة/ ٧٢أ، التحبير: الترجمة/ ٥٤٦، إرشاد الأريب: ج٥، ص١٠٤ غاية النهاية: ج١، ص٥٢٤، بغية الوعاة، ج١، ص١٤٩.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٥٥١، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٨٧أ.

(٣) المصدر نفسه/ ٥٢٥، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٧٤أ.

٤ • **أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين.**. المقرئ المتوفى سنة ٥٣٩هـ، من أهل مرو. شيخ صالح كثير الخير من أهل القرآن. قرأ القرآن بالروايات على المقرئ الكركانجي، وكان يعلم الصبيان القرآن ويتكسب بعمل الخل[١].

٥ • **أبو عبدالله محمد بن محمد** المقرئ الهروي، المتوفى سنة ٥٤٤هـ.

إمام جامع، ومقرئ فاضل، حسن المعرفة بالقرآن، ختم خلق القرآن عليه[٢].

٦ • **أبو بكر عتيق بن علي بن منصور.**. المقرئ المتوفى سنة ٥٤٥هـ، من أهل مرو.

وصدر القراء بها، كان فاضلاً، عارفاً بالقراءات، والفقه، والأدب، والحساب، ومجاري القمر، صنف التصانيف في علم القراءة والحساب، وانتفع به الناس، وقرأ عليه القرآن[٣].

٧ • **أبو العباس محمد بن الحسن بن إسماعيل الهروي**، المعروف بالموفق.

مقرئ، روى كتاب «الكامل» للهذلي سماعاً من عبد الواحد ابن شيذه، عن المؤلف، سمعه منه جماعة في سنة ٥٧٩هـ[٤].

٨ • **أبو عبدالله أحمد بن أبي عمر الخراساني**، صاحب كتاب «الإيضاح في القراءات العشر» اطلع عليه ابن كثير، وذكر أنه قد أتى فيه

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٦٦١، الأنساب: ج٣، ص٤٥٣، معجم البلدان: ج٢، ص١٧٢.

(٢) المصدر نفسه/ ٤١٣.

(٣) المصدر نفسه/ ٥٩٩، تكملة الإكمال: الورقة/ ١١٥ب.

(٤) غاية النهاية: ج٢، ص١١٥.

بفوائد كثيرة، وكان قد روى القراءات، عن أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالله الفارسي صاحب ابن مهران. مات بعد الخمسمائة[١].

٩ • **الإمام الفخر الرازي**، صاحب ومدرسة هراة المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

وقد ألف كتاب «البرهان في قراءة القرآن»[٢]، وهو يهتم عند تفسيره لآيات القرآن، اهتماماً كبيراً بالقراءات، حتى أن منهجه العقلي لتفسير القرآن مركز على معالجته لماهية القراءات ففي قوله تعالى . . ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ . .[٣]. ذكر الفخر الرازي أن ابن كثير، وأبا عمرو قرأوا: فلا رفث ولا فسوق بالرفع والتنوين، ولا جدال بالنصب. والباقون قرأوا الكل بالنصب.

★ وقبل أن يبين الفخر الرازي الفرق بين القراءتين **عمد إلى ذكر مقدمتين عقليتين ومنطقيتين**:

★ **الأولى**: أن كل شيء له أسم، فجوهر الاسم دليل على جوهر المسمى، وحركات الاسم، وسائر أحواله، دليل على أحوال المسمى، فقولك: «رجل» يفيد الماهية المخوصة، وحركات هذه اللفظة أعني كونها منصوبة ومرفوعة ومجرورة دال على أحوال تلك الماهية وهي المفعولية والفاعلية، والمضافية، وهذا هو الترتيب العقلي حتى يكون الأصل بإزاء الأصل، والصفة بإزاء الصفة. فعلى هذا الأسماء الدالة على الماهيات ينبغي أن يتلفظ بها ساكنة الأواخر.

---

(١) غاية النهاية: ج١، ص٩٣.
(٢) كشف الظنون: ج١، ع٢٤١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

★ **الثانية**: إذا قلت لا رجل بالنصب، فقد نفيت الماهية، وانتفاء الماهية يوجب انتفاء جميع أفراد هذه الماهية إلّا بدليل منفصل. فثبت أن قولك لا رجل بالنصب إدل على عموم النفي من قولك لا رجل، بالرفع والتنوين.

ثم عقب على ذلك بقوله: «إذا عرفت هاتين المقدمتين، فلنرجع إلى الفرق بين القراءتين فنقول: أما الذين قرأوا الثلاثة بانصب فلا إشكال. وأما الذين قرأوا الأولين بالرفع مع التنوين، والثالث بالنصب، فذلك يدل على الاهتمام بنفي الجدال أشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق، ذلك لأن الرفث عبارة عن قضاء شهورة، والجدال مشتمل على ذلك لأن المجادل يشتهي تمشية قوله، والفسوق عبارة عن مخالفة أمر الله، والمجادل لا ينقاد للحق وكثيراً ما يقدم على الإيذاء وإلّا يحاشى المؤدي إلى العداوة والبغضاء، فلما كان الجدال مشتملاً على جميع أنواع القبح، لا جرم خصه الله تعالى في هذه القراءة بمريد من الزجر والمبالغة في النفي»[١].

ونلاحظ أيضاً أن نظرته العقلية والكلامية جعلته لا يكتفي بذكر القراءات، وإنما يرجح قراءة معينة على غيرها ففي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾[٢]. قال الفخر الرازي: الوقف على (فيه) هو المشهور. وعن نافع، وعاصم انهما وقفا على (بلا ريب) ولا بد للواقف أن ينوي خيراً. ونظيره.. قول العرب: لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز، والتقدير لا

(١) تفسير الرازي: ج٥، ص١٧٩-١٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤.

ريب فيه هدى. واعلم أن القراءة الأولى أولى، لأن على القراءة الأولى يكون الكتاب نفسه هدى، وفي الثانية لا يكون الكتاب نفسه هدى بل يكون فيه هدى. والأول أولى لما تكرر في القرآن من أن القرآن نور وهدى(١).

وهكذا تستمر ترجيحاته إما بسبب الخفة في القراءة، أو لغرض بلاغي، أو بسبب الموضع المناسب.

ويرفض الفخر الرازي كل قراءة تفتح باباً للتشكيك، ففي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾..(٢). روى ميمون بن مهران عن ابن عباس أنه قال: في هذه الأصل ووصى ربك فالتصقت إحدى الواوين بالصاد فقرئ «وقضى ربك»، ثم قال: ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط، لأن خلاف قضاء الله ممتنع، هكذا رواه عن الضحاك، وسعيد بن جبير، وهو قراءة علي، وعند الله. وقال الفخر الرازي: واعلم أن هذا القول بعيداً جداً، لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن.

ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن، وذلك يخرجه عن كونه حجة. ولا شك أنه طعن عظيم في الدين(٣).

وكان للفخر الرازي مواقف مشهورة في رد هذه الروايات وإظهار ما فيها من تناقض وركة أو مخالفة للحقائق العلمية والتاريخية. وما دفاع الفخر الرازي هذا إلّا وجه من وجوه المحافظة التي كتبها الله تعالى على نفسه لكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٤).

---

(١) تفسير الرازي: ج٢، ص١٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) تفسير الرازي: ج٢٠، ص١٨٤.

(٤) الرازي مفسراً: ص١٥٦.

وفي دفاعه عن القراءات المتواترة، دخل في مناقشات عنيفة مع النحويين في آرائهم حول قراءات معينة، حيث ردوها ولم يقبلوها. ففي قراءة قوله تعالى . . ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ . . (١). أورد الفخر الرازي عدة قراءات لهذه الآية الكريمة **القراءة الأولى**: قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي (تساءلون) بالتخفيف، والباقون بالتشديد، فمن شدد أراد (تتساءلون) فادغم التاء في السين لاجتماعهما في أنهما من حروف اللسان ومن خفف حذف تاء تتفاعلون لإجتماع حروف متقاربة.

القراءة الثانية: قرأ حمزة وحده (والأرحام) بالجر، وأما الباقون من القراء فكلهم قرأوا (والأرحام) بالنصب.

أما قراءة حكزة فقد ذهب الأكثرون من النحويين إلى أنها فاسدة، وقالوا: لأن هذا يقتضي عطف المظهر على المضمر المجرور، وذلك غير جائر، واحتجوا على عدم جوازه بوجوه: **أولها** قال أبو علي الفارسي: المضمر المجرور بمنزلة الحرف، فوجب أن لا يجوز عطف المظهر عليه، لأن من شروط العطف حصول المشابهة بين المعطوف والمعطوف عليه، فإذا لم تحصل المشابهة ههنا وجب أن لا يجوز العطف.

وثانيها: قول علي بن عيسى: أنهم لم يستحسنوا عطف المظهر على المضمر المرفوع، فلا يجوز أن يقال: أذهب وزيد، وذهبت وزيد بل يقولون: اذهب انت وزيد، وذهبت أنا وزيد قال تعالى: . . ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾ . . (٢).

ورد الفخر الرازي هذه القراءات بقوله: واعلم أن هذه الوجوه ليست

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٢.

وجوهاً قوية في دفع الروايات الواردة في اللغات، وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة، والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه بل رواها عن رسول الله (ﷺ)، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت، وأيضاً فلهذه القراءة وجهان: **أحدهما**: أنهما على تقدير تكرير الجاز كأنه قيل تساءلون وبالأرحام.

وثانيهما: أنه ورد ذلك في الشعر وأنشد سيبويه في ذلك.

فَالَيْوم قَدْ بِتَّ تَهْجُونا وَتَشْتِمنا   فاذْهَبْ فما بِكَ والأَيامِ من عَجَب

وأنشد أيضاً:

نُعَلِّقُ في مثلِ السَّواري سيُوفَنا   وَمَا بَيْنَها والكعبِ غَوطٌ نَفَانِفِ

ثم استطرد قائلاً: والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة، ومجاهد مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن[١].

١٠ • **محمد بن محمود بن أبي بكر الطوسي**، مقرئ ناقل، حفظ كتاب «الغاية» لابن مهران[٢] بطوس، فلما طرقها التتر قصد دمشق

---

(١) تفسير الرازي: ج٩، ص١٦٣-١٦٤.

(٢) هو، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرى، المتوفى سنة ٣٨١هـ، من أهل نيسابور. له كتاب الغاية في القراءات العشر. الأنساب: الورقة/ ٥٤٥ب، كشف الظنون: ج٢، ع١١٨٩. وقد درس هذا الكتاب بخراسان، فإن أبا القاسم زاهد ابن طاهر الشحامي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٣هـ، قد روى كتاب الحروف سماعاً من كتاب الغاية لابن مهران عن أبي سعيد أحمد بن إبراهيم المقرئ، روى الحروف عن المؤيد بن محمد الطوسي، وزينب بنت عبد الرحمن الشعريّة. غاية النهاية ج١، ص٢٨٨.

واجتمع بأئمتها، وذلك في حدود سنة ٦٢٠هـ، وأعاب عليهم كونهم لم يعرفوا سوى الشاطبية وطرقها. ثم اختصر كتاب «الغاية» لابن مهران، على طريق ما انفرد به كل واحد من القراء وسماه «بستان المبتدئ». اطلع عليه الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ، وقال: لا بأس به(١).

● العلماء وتفاسيرهم التي ألفوها في خراسان:

لمّا كان علماء خراسان كما أسلفنا على جانب كبير من المعرفة بقواعد اللغة العربية، وأساليبها البلاغية، وتفهم دقائقها النحوية، ولهم في النقد الذوق الرفيع، إضافة إلى معرفتهم الدقيقة بعلوم القرآن التي أشرنا إليها آنفاً فقد برّز عدد كبير من علماء خراسان بعلم التفسير الذي يشمل علوماً كثيرة، على أن التفسير لم تكن الغاية من تأليفه أن يكون مرجعاً للعلماء دون بقية الناس، فقد كانت التفاسير في الواقع لعامة الناس ليتفهموا القرآن مما يشير إلى أن سواد الأمة في خراسان كانوا على جانب كبير من الثقافة والمعرفة بهذه العلوم وللبرهنة على ذلك **نقدم إليك طائفة من العلماء الذين برزوا في علم التفسير في خراسان في هذا القرن الذي نحن بصدد دراسته وتفاسيرهم التي ألفوها بعد أن ذكرنا التفاسير التي ألفت قبل القرن السادس ودرست في خراسان في هذا القرن:**

❶ **كتاب «معالم التنزيل في تفسير القرآن»(٢)، لأبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي** الملقب يحيى السنة المتوفى سنة ٥١٦هـ. واختصره الشيخ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن محمد الحسيني

---

(١) غاية النهاية: ج٢، ص٣٥٩.

(٢) وفيات الأعيان: ج١، ص٤٠٢، طبقات ابن قاضي شهبة: الورقة ١٤٥أ، طبقات المفسرين: ص١٢.

المتوفى سنة ٨٧٥هـ[١].

❷ كتاب «**الأذهان في تفسير القرآن**»: **لأبي عبدالله محمد بن حموية الجويني** المتوفى سنة ٥٣٠هـ، شيخ الصوفية بخراسان[٢].

❸ كتاب «**تفسير القرآن**»: **لأبي المحاسن مسعود بن علي البيهقي**، الملقب بفخر الزمان، المتوفى سنة ٥٤٤هـ[٣].

❹ كتاب «**إيجاز البيان في معاني القرآن**»: **لمحمود بن أبي الحسين النيسابوري الغزنوي** الملقب ببيان الحق[٤].

❺ كتاب «**مجمع البيان لعلوم القرآن**»[٥]، **في عشر مجلدات: للإمام أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبري، المشهدي، الخراساني**، المتوفى سنة ٥٤٨هـ، فرغ من تأليفه في منتصف ذي القعدة سنة ٥٣٤هـ[٦]. وقال فيه الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي: «أنَّ هذا التفسير يجمع بين حسن الترتيب وجمال التهذيب ودقة التعليل، وقوة الحجة..»[٧] وقد عكف على دراسته العلماء خاصة من الإمامية، فقد

---

(١) كشف الظنون: ج٢، ص١٧٢٦.

(٢) الوافي بالوفيات: ج٣، ص٢٨، شذرات الذهب: ج٤، ص٩٥، معجم المؤلفين: ج٩، ص٢٧٣.

(٣) إرشاد الأريب: ج٧، ص١٥٩، بغية الوعاة: ص٣٩٠، كشف الظنون: ج١، ع٤٤٤.

(٤) كشف الظنون: ج١، ع٢٠٥، ذكر حاجي خليفة أنه يشتمل على أكثر من عشرة آلاف فائدة كما ذكر ذلك في كتابه المسمى «يجمل الغرائب».

(٥) ورد اسمه هكذا في المقدمة: ص١١، وكذلك في كتاب جوامع الجامع: ص٢، وقد طبع بعنوان «مجمع البيان في تفسير القرآن».

(٦) روضات الجنات: ص٤٩٠، وذكر محسن الحسيني العاملي، في مقدمته لهذا التفسير، أنه فرغ من تأليفه في منتصف ذي القعدة سنة ٥٣٦هـ.

(٧) التفسير والمفسرون: ج٢، ص١٤٤.

جاء في كتاب «رياض العلماء» للشيخ ملا عبدالله الأصفهاني قال: «رأيت نسخة من مجمع البيان بخط الشيخ قطب الدين الكيدري، قد قرأها نفسه على نصير الدين الطوسي..»[١].

وقد أوضح الطبرسي الدواعي التي دعت به إلى تأليف هذا التفسير وذلك بقوله: «... وقد خاض العلماء قديماً وحديثاً في علم تفسير القرآن. واجتهدوا في إبراز مكنونه. وإظهار مضمونه. وألفوا فيه كتباً جمة.. إلّا أن أصحابنا.. لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار، ولم يعنوا ببسك المعاني، وكشف الأسرار إلّا ما جمعه الشيخ أبو جعفر محمد الحسن الطوسي من كتاب «التبيان»[٢] فإنه الكتاب الذي يقتبس منه.ز وقد تضمن من المعاني الأسرار البديعة، واختص من الألفاظ اللغة الوسيعة. ولم يقنع بتدوينها دون تبنيها، ولا بتنميقها دون تحقيقها.. غير أنه خلط في أشياء مما ذكره في الإعراب والنحو الغث بالسمين... فلم يقع ذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي. ولم يعل من الخواطر الكريمة المكان العلي. وقد كنت في عهد ريعان الشباب.. شديد التشوق إلى جمع كتاب في التفسير ينتظم أسرار النحو اللطيفة، ولمع اللغة الشريفة، ويفيد موارد القراءات من متوجهاتها. مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها، وتجمع جوامع البيان في المعاني المستنبطة من معادنها.. فحداني على تصميم هذه العزيمة ما رأيت من عناية السيد الأجل.. أبي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني.. فأوجبت على نفسي إجابته إلى مطلوبه وابتدأت بتألف الكتاب..»[٣].

وقد لخص الطبرسي منهجه في هذا التفسير بقوله: «وهو في غاية

(١) مقدمة المحقق لكتاب مجمع البيان: صج.

(٢) الكتاب مطبوع، مطبعة النعمان - النجف الأشرف - (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م).

(٣) مقدمة مجمع البيان: ج١، ص١٠.

التلخيص والتهذيب.. يجمع أنواع هذا العلم وفنونه.. من علم قراءته، وأعرابه، ولغاته، وغوامضه، ومشكلاته، ومعانيه، وجهاته، ونزوله، وأخباره، وقصصه، وآثاره، وحدود أحكامه: حلاله، وحرامه، والكلام على مطاعن المبطلين فيه، وذكر ما ينفرد به أصحابنا.. من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع والمعقول والمسموع. على وجه الاعتدال والاختصار فوق الإيجاز، ودون الإكثار.. على أني قد جمعت في عربيته كلّ غرو لائحة، وفي أعرابه كل حجة واضحة، وفي معانيه كل قول متين، وفي مشكلاته كل برهان مبين، وهو بحمدالله للأديب عمدة، وللنحوي عدة، وللمقرئ بصيرة، وللناس ذخيرة، وللمتكلم حجة، وللمحدث محجة، وللفقيه دلالة، وللواعظ آله»[١].

ولما كان الطبرسي من كبار علماء الإمامية بخراسان، لذلك نراه متأثراً بفقه الإمامية الاثني عشرية وآرائهم الاجتهادية، فهو يستشهد بكثير من الآيات القرآنية على صحة مذهبه، أو يردّ استدلال مخاليفه بآيات قرآنية على مذاهبهم، وهو في استدلاله وردوده قوي إلى حد بعيد، فنراه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾..[٢] يعالج الموضوع معالجة جيدة، ويذهب إلى ما ذهب إليه غيره من علماء الإمامية بأن المسح هو فرض الرجلين في الوضوء، فهو يجادل بكل قوة ويدافع عن رأيه وينصره بأدلة تبين عقلية هذا المفسر وسعة إطلاعه[٣].

---

(١) مجمع البيان: ج١، ص١٠-١١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٣) مجمع البيان: ج٣، ص١٦٣-١٦٦.

❻ **كتاب «الكافي الشافي»: لأبي علي الطبرسي**، وهو عبارة عن تلخيص لكتاب الكشاف للزمخشري ذكر ذلك الطبرسي في مقدمة كتابه جوامع الجامع بقوله: «أما بعد فأني لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بمجمع البيان لعلوم القرآن، ثم عثرت من بعد بكتاب الكشاف لحقائق التنزيل لجار الله العلّامة، واستحلت عن بدايع معانية، وودائع ألفاظه، ومبانيه ما لا يلقى مثله في كتاب مجتمع الأطراف وسميته بالكافي الشافي..»[(١)].

❼ **كتاب «جوامع الجامع»: لأبي علي الطبرسي**، وقد صنف هذا الكتاب تلبية لطلب ولده، وذكر ذلك الطبرسي في مقدمة هذا الكتاب بقوله: «اقترح عليّ.. ولدي أبو نصر الحسن» أن أجرد من الكتابين[(٢)]، كتاباً ثالثاً يكون مجمع بينهما ومحجر عنهما، ويأخذ بأطرافهما ويتصف بأوصافهما.. فأن الكتب الكبار قد يشق على الشادي حملها، ويثقل على الناقل نقلها، فأكثر أبناء الزمان يقصر هممهم على احتمال أعباء العلم الثقيلة.. وأسميته «جوامع الجامع» كتاباً وسيطاً، خفيف الحجم كثير الغنم، لا يصعب حمله، ويسهل حفظه ويكثر معناه..»[(٣)].

وأرى أن هذين التفسيرين أقل أهمية من التفسير الأول الذي ذكرناه، وذلك لأن التفسير الثاني عبارة عن تلخيص لتفسير الزمخشري المعروف بالكشاف، والثاني عبارة عن تلخيص للتفسير الكبير «مجمع البيان».

❽ **كتاب «أسرار التنزيل وأنوار التأويل»: للإمام الفخر الرازي**، فقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه رتبه على أربعة أقسام هي: الأصول،

---

(١) جوامع الجامع: ص٢.

(٢) المراد بهما: مجمع البيان، وكتاب الكافي الشافي للمؤلف.

(٣) جوامع الجامع: ص٢-٣.

والفروع، والأخلاق، والمناجاة، والدعوات، وقيل أنه توفي قبل إتمامه[١].

وأرى أن الإمام الفخر الرازي قد أتمه، ذلك لأنه أشار إليه في كتابه «الأربعين في أصول الدين»[٢].

٩ كتاب «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في علوم البلاغة وبيان أعجاز القرآن الشريف»[٣]: للفخر الرازي.

١٠ التفسير الكبير ويسمى «مفاتيح الغيب»: للفخر الرازي، ذكر الدكتور محسن عبد الحميد أن الفخر الرازي بدأ كتابة تفسيره بعد أن اكتملت أدواته، ونضج عقله، فقد ألّف معظم كتبه قبول البدء بتفسيره، وهو يحيل القارئ إليها في مواطن كثيرة، أو ينقل منها معلومات معينة، فأول تاريخ يواجهنا هو تاريخه لسورة آل عمران، فقد انتهى من تفسيرها في اليوم الأول من ربيع الآخر سنة ٥٩٥هـ، وآخر تاريخ ذكره هو نهاية سورة الأحقاف، وهو يومم الأربعاء العشرون من ذي الحجة سنة ٦٠٣هـ، ولعل أكمل تفسيره في السنوات الثلاث التالية، لأنه توفي سنة ٦٠٦هـ[٤].

ولا يفوتنا أن نذكر أن الإمام الفخر الرازي له تفاسير مفردة لبعض سور القرآن منها: تفسيره لسورة الفاتحة ويسمى «مفاتيح العلوم» في مجلد ضخم[٥]. وتفسيره لسورة الإخلاص[٦]، وتفسيره لسورة البقرة على الوجه العقلي لا النقلي[٧].

---

(١) كشف الظنون: ج١، ع٨٣.

(٢) الأربعين في أصول الدين: ص٩٢، ١١٥، الخ.

(٣) الكتاب مطبوع في القاهرة سنة ١٣١٧هـ.

(٤) الرازي مفسراً: ص٥١-٦٣.

(٥) ينظر الجزء الأول من التفسير الكبير.

(٦) كشف الظنون: ج١، ع٤٤٩.

(٧) تاريخ الحكماء: ص٢٩٣، عيون الأنباء: ج٢، ص٢٩.

ولعل تفاسير هذه السور المفردة التي ذكرناها قد دخلت ضمن تفسيره الكبير.

أن المتأمل في تفسير الفخر الرازي يجد نفسه أمام منهج عقلي واضح المعالم يدل على غزارة العلم ونضج العقل، واتزان الشخصية، وقوة الحجة والبرهان، فهو حريص على أن يجد مرتكزاً عقلياً لكل آية قرآنية.

واتبع الفخر الرازي هذا الاتجاه العقلي الصريح في قواعد الدين كلها مثل: التوحيد، والنبوة، والقضاء، والقدر. فهو يحاول تأييد النقل بقواعد العقل، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ . .[١]، حاول الفخر الرازي أن يثبت أساس تلك القواعد باستدلال إبراهيم على قومه، فالشمس، والقمر من المحدثات، وكل محدث ممكن تغيره وكل ممكن محتاج إلى واج الوجود، فيثبت أن هذه المظاهر الطبيعية ليست إلهاً إذن فالله هو الخالق المدبر اللاق بالعبادة[٢].

ولا يكتفي الفخر الرازي بذلك لا يستنبط القواعد العقلية في أثناء عرضه لتقرير الاستدلالات من الآيات، ففي تفسيره لقوله تعالى: . .﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾[٣]، بنى على هذه الآية خمسة أحكام عقلية وهي:

★ **الحكم الأول:** هذه الآية تدل على أنه تعالى ليس بجسم. إذ لو كان جسماً لكان غائباً عنّا أبداً فكان أفلا أبداً. وأيضاً يمتنع أن يكون تعالى ينزل من العرش إلى السماء تارة ويصعد من السماء إلى العرش أخرى، وإلّا لحصل معنى الأفول.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

(٢) تفسير الرازي: ج١٣، ص٤٦-٥٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

★ **الحكم الثاني**: ويخالف فيه رأي الكرّامية فيقول: هذه الآية تدل على أنه تعالى ليس محلاً للصفات المحدثة كما تقول الكرّامية وإلّا لكان متغيراً وحينئذ يحصل معنى الأفول وذلك محال.

★ **الحكم الثالث**: تدل هذه الآية على أن الدين يجب أن يكون مبنياً على الدليل لا على التقليد، وإلّا لم يكن لهذا الاستدلال فائدة البتة.

★ **الحكم الرابع**: تدل هذه الآية على أن معارف الأنبياء بربهم استدلاليه لا ضرورية وألّا لمّا احتاج إبراهيم إلى الاستدالال.

★ **الحكم الخامس**: تدل هذه الآية على أنه لا طريق إلى تحصيل معرفة الله تعالة إلّا بالنظر والاستدلال في أحوال مخلوقاته، إذ لو أمكن تحصيلها بطريق آخر لما عدل إبراهيم (عليه السلام) إلى هذه الطريقة[١].

والفخر الرازي لم يهمل المسائل المتعلقة بأسباب النزول، والقراءات المختلفة، ولا يمر الفخر الرازي بآية من آيات الأحكام دون أن يذكر اختلاف الفقهاء في استنباط الأحكام العلمية. وقد يسهم المؤلف في الاختلاف فنراه يعارض أو يرجح ما يراه حقاً في اعتقاده وهذا بالإضافة إلى المسائل الاعتقادية التي توسع فيها الفخر الرازي وهي التي يدور عليها علم التفسير[٢].

وهذا نموذجاً من تفسير الفخر الرازي الذي يوضح منهجه العقلي والآراء التي انفرد بها في تفسيره.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[٣]، قال الفخر الرازي: الحكمة في أن الله تعالى ذكر هذه الألفاظ الثلاثة لا أزيد

---

(١) تفسير الرازي: ج١٣، ص٥٥-٥٦.

(٢) فخر الدين الرازي وآراؤه: ص٤٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

فيها ولا أنقص وهو قوله: «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» هي أنه قد ثبت في العلوم العقلية أن الإنسان فيه قوى أربعة: قوة شهوانية بهيمية، وقوة غضبية سبعية وقوة وهمية شيطانية، وقوة عقلية ملكية، والمقصود من جميع هذه العبادات قهر القوى الثلاث أعني الشهوانية، والغضبية، والوهمية. فقوله (فلا رفث) إشارة إلى قهر القوة الشوانية. وقوله (ولا فسوق) إشارة إلى قهر القوة الغضبية التي توجب التمرد والعضب. وقوله (ولا جدال) إشارة إلى قهر القوة الوهمية التي تحمل الإنسان على الجدال في ذات الله، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأسمائه، وهي الباعثة للإنسان على منازعة الناس ومماراتهم، والمخاصمة. معهم في كل شيء، فلما كان منشأ الشر محصوراً في هذه الأمور الثلاثة لا جرم فقال: «فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج» أي فمن قصد معرفة الله، ومحبته، والاطلاع على نور جلاله، والانخراط في سلك الخواص من عباده، فلا يكون في هذه الأمور. وهذه أسرار نفيسه هي المقصد الأقصى من هذه الآيات، فلا ينبغي أن يكون العاقل غافلاً بها[١].

نرى من تفسير الفخر الرازي لهذه الآية كيف على الأحكام الشرعية بالقواعد العقلية، مما يدل على أن من حوله من التلاميذ والمريدين والعلماء المجادلين له ومن الموافقين أو المخالفين في هراة بخراسان أو غيرها كانوا يدركون أمثال هذه المعاني بهذه اللغة العربية البليغة. لقد انتشر تفسير الإمام الفخر الرازي في الآفاق، ذلك لأنه قد أكمل تفسيره على المنبر إملاء[٢]. وأن مجالس الإمام الفخر الرازي بهراة كان يحضرها جمهور كبير من العلماء والفقهاء، إضافة إلى تلامذته، وإذا علمنا أن تلامذته كانوا يربون على ثلاثمائة تلميذ فأذا فرضنا أن نصف هؤلاء

---

(١) تفسير الرازي: ج٥، ص١٨٢-١٨٣.

(٢) الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥.

التلاميذ كانوا يكتبون ما يملي عليهم من التفسير لكان لنا منه مئة وخمسين نسخة انتشرت في مواضع مختلفة من العالم الإسلامي.

لذلك فقد حظي تفسير الفخر الرازي بعناية العلماء فعكفوا على دراسته، فقد ذكر الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، أنه جاء وقت لم يطالع أكثر المتعلمين سواه[(١)].

★ وقد انتسخ هذا التفسير واختصره عدد من العلماء الذين جاءوا بعد الفخر الرازي وتأثروا به ونهجوا نهجه مما يدل على قيمة تفسيره وأهميته، **ويمكن أن نشير بإيجاز إلى بعضهم**:

١ • **عز الدين أبو عبدالله الحسن بن أحمد بن محمود** المعروف بابن القصير الواسطي الواعظ قدم بغداد سنة ٥٩١هـ، وكان حافظاً، واعظاً، كثير المحفوظ من كلّ فن، وكتب الكثير بقلمه الدقيق من ذلك: كتاب مفاتيح الغيب في التفسير للإمام الفخر الرازي، كتبه في مجلدة واحدة[(٢)].

٢ • **مجير الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الحسن الخضري البغدادي الفقيه** كان من أعيان الفقهاء والأدباء، وأكابر العلماء الفضلاء، قدم بغداد سنة ٦٨٠هـ وشرع في كتابة «مفاتيح الغيب» في التفسير للإمام الفخر الرازي[(٣)].

٣ • **برهان الدين محمد بن محمد بن محمد النسفي** المتوفى سنة ٦٨٧هـ، الذي نعت بشيخ الفلسفة ببغداد، وكان عالماً فاضلاً،

---

(١) بيان زغل العلم والطلب: ص١٩.

(٢) مجمع الآداب: ج٤، ص١، ص٥٧-٥٩.

(٣) مجمع الآداب: الترجمة/ ٦٢١، حرف الميم، ص٢٩٩، نشر في مجلة أور ينقل كالج مكزن، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه، الحافظ محمد بن عبد القدوس القاسمي سنة ١٣٥٩هـ.

مفسراً، محدثاً، أصولياً، متكلماً. ألف كتاباً في تلخيص تفسير الإمام الفخر الرازي[١].

٤ • **الحسن بن محمد القمي النيسابوري** المتوفى سنة ٧٠٨هـ. اختصر تفسير الرازي وسماه (غرائب الفرقان) وأشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره بقوله: «ولما كان التفسير الكبير المنسوب إلى الإمام.. الجامع بين المعقول والمنقول.. أفضل المتأخرين.. محمد بن عمر ابن الحسين الخطيب الرازي.. وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى ومن الزوائد والفنون ما لا يخفى فإنه قد بذل مجهوده ونقل[٢] موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين، وأعوز تحصيله على الراغبين، وحاذيت[٣] سياق مرامه، وأوردت حاصل كلامه، وقربت مسالك أقدامه والتقطت عقود نظامه من غير إخلال بشيء من الفوائد، وإهمال ما يعد من اللطائف والعوائد وضمت إليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات..»[٤].

★ وقد أصبح تفسير الإمام الفخر الرازي مصدراً مهماً للتفاسير التي ألفت بعده **نذكر من تلك التفاسير:**

١ • **تفسير الشيخ محمود الألوسي المسمى بـ«روح المعاني»** ألفه في عهد السلطان العثماني محمود، وقدم نسخة منه هدية للسلطان لما أتم تبيضه[٥].

(١) الوافي بالوفيات: ج١، ص١٨٣.
(٢) ونقل: أي نكث ونقض.
(٣) حاذيت: من المحاذاة وهي المقاربة.
(٤) غرائب الفرقان: ج١، ص٣ (طبعة حجر).
(٥) التفسير ورجاله: ص١٤٧.

أن أخذ الألوسي من تفسير الفخر الرازي لا يقتصر على المواضع التي صرح فيها باسم الرازي أور الإمام وإنما ينقل عنه قضايا وأموراً متنوعة دون أن يشير إلى أنه نقلها عنه، فإذا قارنا ما كتبه الإمام الفخر الرازي والألوسي وخاصة في تقرير الآراء المختلفة، وايراد أدلة كل فريق. ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾..[1]، نرى الألوسي يلخص اختلاف الناس في حقيقة الملائكة مما قاله الرازي مفصلاً[2].

٢ • **تفسير البيضاوي**، المتوفى سنة ٦٨٥هـ. وقد اعتمد البيضاوي في دراسة القرآن الكريم لتحرير تفسيره على التفسيرين العظيمين: تفسير الكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للفخر الرازي، فجعل اعتماده في بيان الألفاظ والتراكيب وتحليل المباني لاستخراج مفاهيم المعاني على تفسير الكشاف، واعتمد في إبراز روح الحكمة القرآنية، وعرض نظرياتها من النواحي الفلسفية، وأصول الدين، وأصول الفقه على تفسير الإمام الفخر الرازي[3].

٣ • **تفسير السيد محمد رشيد رضا المعروف بـ«المنار»** وقد تأثر بتفسير الإمام الفخر الرازي تأثراً واضحاً، فقد اعتمده مصدراً مهماً من مصادره، وسبب ذلك أن السيد رشيد كان أبرز مفسر في مدرسة الإمام محمد عبده، وأن استعمال العقل في مسائل الدين، وفهم آيات القرآن الكريم كان ركناً أساسياً من أركان هذه المدرسة[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) تفسير الألوسي: ج١، ص٢٠٠، تفسير الرازي: ج٢، ص١٥٩-١٧٤.

(٣) التفسير ورجاله: ص٩٦-٩٧.

(٤) الرازي مفسراً: ص١٨٢.

فقد اعتمد على تفسير الفخر الرازي بتمثل في نقوله الكثيرة منه والاعتماد عليه في توضيح بعض القضايا، كالفوارق التي ذكرها الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ . .[١]، وبين القول الجاهلي (القتل أنفى للقتل)[٢]، وينقل عنه كذلك استنباطاته من الآيات، ففي تفسير قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ . .[٣].

قال الفخر الرازي: دلت هذه الآية على وجوب النظر والاستدلال على القول بفساد التقليد. لأنه تعالى أمر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوته. وإذا كان لا بدّ من صحة نبوته من الاستجلال فبأن نحتاج في معرفة ذات الله، وصفاته إلى الاستدلال كان أولى. قال السيد محمد رشيد: «الأمر كما قال الرازي، وأكبر مما قال: التقليد منع الاستدلال، والاستدلال واجب التقليد منع من تدبير القرآن للاهتداء به وتدبره واجب، أن الله تعالى هو الذي أمرنا بتدبير كتابه..»[٤].

ثمّ أن صاحب المنار ينتقد الرازي يتمثل ذلك في ردوده الكثيرة عليه واختلافه معه في قضايا مهمة، ففي تفسيره لقوله تعالى: . . ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٥].

يقول الفخر الرازي ما معناه: أن الرسل أرادوا أنه لم يكن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.
(٢) المنار: ص١٣٠-١٣١.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨١.
(٤) المنار: ج٥، ص٢٩٦.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.

لهم من حقيقة حال أمراً مهم إلّا الظن الذي هو ظاهر حالهم لا العلم القطعي الذي يتوقف على معرفة الظاهر والباطن بدليل ما ورد في الحديث من الحكم الظاهر.

وقال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار معلقاً على قول الفخر الرازي: «ونقول أن هذا الرأي ضعيف وأن بنى على اصطلاح أهل الكلام والأصول في تفسير الظن والعلم..»[١].

٤ • **تفسير ابن كثير، وهو الإمام الحافظ أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي** المتوفى سنة ٧٧٤هـ. اعتمد على تفسير الفخر الرازي على الرغم من اختلافهما في منهج التفسير، فمنهج الرازي عقلي، ومنهج ابن كثير نقلي، فسر الأحاديث والآثار مسندة من أصحابها مع الكلام على ما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً[٢]. فهو ينقل عن الرازي مقالات أهل الفرق في مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة أقوال، أحدها أن الاسم هو المسمى، وهو قول أبي عبيد، وسيبويه، والباقلاني، وابن فورك. وقال الرازي وهو محمد بن عمر المعروف بابن خطيب الري في مقدمات تفسيره. قالت الحشوية، والكرّامية، والأشعرية الاسم نفس المسمى، وغير نفس التسمية، وقالت المعتزلة: الاسم غير المسمى ونفس التسمية. والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى، وغير التسمية، ثم نقول: أن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات منقطعة وحروف مؤلفة فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى وأن كان المراد بالاسم ذات المسمى فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات. وهو عبث،

(١) المنار: ج٧، ص٢٤٣.

(٢) كشف الظنون: ج١، ع٥٣٩.

فثبت أن الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث.

ثم شرع يستدل على مغايرة «الاسم للمسمى بأنه قد يكون الاسم موجوداً والمسمى مفقوداً للفظة المعدوم، وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالمترادفة، وقد يكون الاسم واحداً والمسميات متعددة كالمشترك وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى..»(١).

٥ • **وقد اعتمد أبو حيان صاحب تفسير «البحر المحيط» فنقل عن** الرازي أجوبته على مسائل تثار حول بعض الآيات كما ينقل عنه شرحه لبعض الآيات.

وينتقده في بعض الأحيان على إخضاع الآية القرآنية إلى كلام الحكماء. فقد نقل عن الراوي تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾(٢). قال أبو حيان: ذكر أبو عبدالله الرازي هنا كلاماً كثيراً ممزوجاً بما يسمونه حكمة. نعلم قطعاً أن العرب لا تفهم ذلك الذي مرره من ألفاظ القرآن وطوّل في ذلك وضرب أمثلة حسية يوقف عليها تفسيره.

ثم قال في آخر كلامه: فالحاصل أن الموعظة إشارة إلى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة.

والشفاء: إشارة إلى تطهير الأرواح الذميمة وهو الطريقة.

والهدى: إشارة إلى ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة.

---

(١) تفسير ابن كثير: ج١، ص١٨-١٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

والرحمة: إشارة إلى كونها بالغة في الكمال والإشراف إلى حيث تصير تكمل الناقصين وهي النبوة.

فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الألفاظ القرآنية لا يمكن تأخير ما تقدم ذكره ولا تقديم ما تأخره ذكره[(١)].

وقد انتقد تفسير الرازي فريق آخر من العلماء وذكروا أنه قد ملأ نفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب.

وانتقده ابن كثير بقوله: «وكان القدماء يأخذون عليه أنه يقرر الشبهة من الخصوم بعبارات كثيرة، ويجيب عن ذلك بأدنى إشارة»[(٢)].

وذكر ابن حجر العسقلاني: قال: «رأيت في الأكسير في علم التفسير للنجم الطوفي ما ملخصه، ما رأيت في التفاسير أجمع لغالب علم التفسير من القرطبي، ومن تفسير الإمام فخر الدين الرازي إلّا أنه كثير العيوب. فحدثني شرف الدين النصيبي عن شيخه سراج الدين السرمياحي المغربي أنه صنف كتاب «المآخذ» في مجلدين بيّن فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف والبهرج وكان ينقم عليه كثيراً ويقول: يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء.

ولعل سببه أنه كان يستفرغ أقوالاً في تقرير دليل الخصم فإذا

---

(١) تفسير البحر المحيط: ج٥، ص١٧٠.

(٢) البداية والنهاية: ج١٣، ص٥٥.

انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء من القوى..»[١].

على أن أعنف حملة شنت على تفسير الراوي وهي الحملة التي شنها ابن تميمة حيث يقول عنه: «فيه كل شيء إلّا التفسير»[٢]، وقد رد السبكي قول ابن تميمية بقوله: «ما الأمر كذا، إنما فيه مع التفسير كلّ شيء»[٣].

---

(١) لسان الميزان: ج٤، ص٢٤٧-٢٤٨.
(٢) الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٥٤.

الفصل الثاني

علوم الحديث

لقد أسهم علماء خراسان في هذا القرن في دراسة علوم الحديث متوناً وأسانيد، وروايات وإجازات وأمالي، وكان الإهتمام بعلوم الحديث يمثل طابعاً بارزاً في الحياة الفكرية في خراسان قبل القرن السادس وبعده، حيث كانت الرحلة إلى خراسان من البلاد الإسلامية لطلب الحديث وللقاء مشايخ خراسان والسماع منهم والقراءة عليهم، وحضور مجالس إملائهم ومناظراتهم، والحصول على إجازاتهم العلمية بالرواية عنهم، ذلك لأن عدداً كبيراً من مشايخ خراسان كان قد انتهى إليهم الأسناد العالي برواية الكتب والأجزاء المؤلفة في الحديث.

- **الأساليب التي درست بها علوم الحديث:**

❶ السّماع:

وهو ينقسم إلى إملاء وتحديث سواء كان من حفظ أو القراءة من شيء مكتوب كان ذلك يعد أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرية[(١)].

❷ القراءة:

والمراد بها القراءة على الشيخ سواء كنت انت القارئ أو غيرك وأنت

---

(١) الألماع: ص٦٩، تدريب الراوي: ص٢٣٩، علوم الحديث ومصطلحه: ص٨٦.

تسمع، أو قرأت في كتاب، أو من حفظ، وكان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه، أو يمسك أصله ولا خلاف في أنها رواية صحيحة»[١].

ولقد ذهب معظم علماء الحجاز والكوفة إلى التسوية بين السماع والقراءة، وهو مذهب مالك وأصحابه وأشياخه من أهل المدينة وعلمائها، ويحيى بن سعيد القطان، وابن عيينة، والزهري[٢].

وذهب جمهور أهل المشرق وخراسان إلى أن القراءة درجة ثانية وأبو تسميتها سماعاً وسموها عرضاً وأقفوا إطلاق «حدثنا» فيها[٣].

٣ الإجازة:

وهي مأخوذة من جواز الماء الذي تسقاه الماشية والحرث، ويقال: استجزته فأجازني، إذا أسقاك ماء لماشيتك وأرضك. كذا طالب العلم يستجيز العالم علمه فيجيزه فعلى هذا يجوز أن يقال: أجزت فلاناً مسموعاتي، فالعالم مجيز والطالب مستجيز[٤].

والإجازة على سبعة أضرب، وبعضهم جعلها ستة أضرب، والتفصيل فيها ليس من بحثنا ولذلك أوجزناها.

٤ المناولة:

وقد تكون مقرونة بالإجازة، وهي أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه، أو نسخه منه وقد صححه، أو أحاديث من حديثه انتخبها وكتبها بخطه، فيقول للطالب: هذه روايتي فاروها عني ويدفعها إليه، أو يقول خذها

---

(١) الألماع: ص٧٠، تدريب الراوي: ص٢٤٢، علوم الحديث ومصطلحه: ص٩٢.
(٢) الكفاية: ص٢٥٩، الألماع: ص٧١، تدريب الراوي: ص٢٤٥.
(٣) الألماع: ص٧٣، تدريب الراوي: ص٢٤٤.
(٤) الكفاية: ص٣١٢، تدريب الراوي: ص٢٦٦-٢٦٧.

فانسخها وقابل بها ثم اصرفها إليّ، وقد أجزت لك أن تحدّث بها عني، فهذا كله عند مالك وجماعته من العلماء بمنزلة السماع[(١)].

وقال ابن الأثير في جامع الأصول: ومنهم من ذهب إلى أنها أوفى من السماع، والظاهر أن المناولة أحوط في الإجازة، لأنّ أقل درجاتها إنها إجازة مخصوصة محصورة في كتاب بعينه بعلم الشيخ ما فيه يقيناً، أو قريباً من اليقين بخلاف الإجازة. على أن الشيخ يشترط في المناولة والإجازة البراءة من الغلط والتصحيف، والتزام شروط رواية الحديث، فبهذه الشروط يخرج من العهدة وحينئذ يجوز للراوي أن يقول: حدثنا وأخبرنا مناولة وعرضاً، وأنبأنا مطلقاً باطلاع المحدثين[(٢)].

وقد تكون المناولة مجردة من الإجازة، وهو أن يعرض الشيخ كتابه ويناوله للطالب ويأذن له في الحديث عنه ثم يمسكه الشيخ عنده ولا يمكنه منه، فهذه مناولة صحيحة تصح بها الرواية ولكن بعد وقوع كتاب الشيخ للطالب بعينه، أو بانتساخه نسخة منه[(٣)].

★ وقد عمل بها جماعة من المحدثين من أهل خراسان في القرن السادس الهجري **منهم**:

١ • **أبو نصر محمد بن محمد بن أحمد.. الخموشي السرخسي** المتوفى سنة ٥٣١هـ.

فقد كان عنده كتاب «المبتدأ والمبعث» لمحمد بن إسحق بن يسار، وكان أبو بكر السمعاني قد سمع جميع هذا الكتاب منه. قال أبو سعد: «ولما وافيت سرخس أردت أن أقرأ عليه هذا

---

(١) الألماع: ص٧٩، تدريب الراوي: ص٢٧٣، الباعث الحثيث: ص١٢٣، مصطلح الحديث: ص٩٦.

(٢) جامع الأصول: ج١، ص٤٤.

(٣) الألماع: ص٨٢، تدريب الراوي: ص٢٧٣.

الكتاب فمضيت وسألته ذلك فاعتذر وقال: «أني ضعيف وكبرت فالأولى أن تقتصر على المناولة له دون السماع ففعلت وناولني الكتاب»(١).

٢ • **الفقيه عبد الرحمن بن محمد الحاجيان الفنجديهي.**

سمع كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي، من أبي سعيد محمد بن الحسن، من أبي صالح البغوي، عن الجراحي قال الحافظ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الشيرازي الأصل: «أخبرنا بالمسند مناولة وعرضاً بعد أن قرأت عليه من أول الكتاب إلى باب ما جاء في المضمضة والاستنشاق وعرض لها الخوض من الغزّ فنفرنا من ديار مرو الروذ إلى الغور، وذلك سنة تسع وخمسين وخمسمائة»(٢).

٥ الكتابة:

وهو أن يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئاً من حديثه، أو يبدأ الشيء بالكتاب ذلك مفيداً للطالب بحضرته، أو من بلد آخر، وليس في الكتاب، ولا في المشافهة والسؤال اذن ولا طلب للحديث بها عنه(٣).

والكتابة ضربان: مجردة عن الإجازة، ومقرونة بأجزتك ما كتبت لك أو إليك.

أما المجردة عن الإجازة فمنع الرواية بها قوم منهم: القاضي الماوردي، وأبو الحسن القطان(٤).

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٨٥٩.

(٢) التقييد: الورقة/١٣٨

(٣) الألماع: ص٨٣-٨٤.

(٤) تدريب الراوي: ص٢٧٧.

٦ الإعلام:

ويراد به اكتفاء الشيخ بأخبار تلميذه بأن هذا الكتاب أو هذا الحديث من مروياته، من غير أن يصرح بإجازته له في أدائه[(١)].

٧ الوصية:

وهي أن يوصي الشيخ عند موته أو سفره بكتاب يرويه، فجوز بعض السلف روايته عنه، وقال بعضهم هو غلط. والصواب أنه لا يجوز[(٢)].

● أهم كتب الحديث التي درست في خراسان رجالاً ونساءً:

لمّا كان تدوين الحديث قد انتظم بكتب الصحاح والمسانيد والسنن، والأسانيد، وكتب الأربعين. دونت منذ القرون السابقة لهذا القرن، لذلك كان التركيز في هذا القرن على دراسة هذه الكتب ورواية الأحاديث التي فيها وسماعها عن الشيوخ الذين تفردوا بروايتها عن أصحاب الإسناد العالي. ومن ثم حفظها عنهم وروايتها عنهم ضرورية، ذلك لأن الحديث يعتمد على السماع والرواية، ويهتم من حيث الأساس الحفظ بما يفوق كثيراً العناية بكتابته وتدوينه من جهة. ومن جهة أخرى فأن هذه الأمة تمثل الناحية الثقافية والفكرية التي كانت تشغل بال العلماء في خراسان يومئذ ولعل من نافلة القول أن نذكر أن هذه الدراسات كلها كانت بالعربية على أيدي علماء وعالمات من خراسان مدنها وقراها ومحالها.

★ **الجامع الصحيح – المشهور بصحيح البخاري**، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي بالولاء، البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، وهو أول الكتب الستة في الحديث.

---

(١) الألماع: ص١٠٧-١١٥، تدريب الراوي: ص٢٨٠-٢٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٥-١١٦، تدريب الراوي: ص٢٨١.

وقد عكف علماء الحديث على دراسته عن طريق السماع، والقراءة، والكتابة، والإجازة.

- أشهر الأعلام الذين درّسوا هذا الكتاب في خراسان وتفردوا بروايته:

١ • **أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن.. الخطيب الكشميهني المروزي** المتوفى سنة ٥٤٨هـ. شيخ مرو في عصره. سمع منه أبو سعد السمعاني «صحيح البخاري» بروايته عن أبي الخير المروزي الصفار(١)، عن أبي الهيثم الكشميهني(٢)، عن الفربري(٣)، عن البخاري(٤).

---

(١) أبو الخير محمد بن موسى الميهني المروزي الصفار، راوي «صحيح البخاري» عن أبي الهيثم الكشميهني. قال ابن طاهر الكشميهني: سمعت عبدالله بن أحمد السمرقندي يقول: لم يصح لهذا الشيخ أبي الخير سماعاً عن الكشميهني، وقال: رأيت أهل مرو يضحكون إذا قيل أن أبا الخير سمع من أبي الهيثم. توفي سنة ٤٧١هـ. ميزان الاعتدال: ج٤، ص٥٢، العبر: ج٣، ص٢٢٧، لسان الميزان: ج٥، ص٤٠٢.

(٢) أبو الهيثم محمد بن مكي الكشميهني الأديب، اشتهر في الشرق والغرب بروايته كتاب «صحيح البخاري»، لأنه آخر من حدث بهذا الكتاب عالياً بخراسان. توفي بقرية كشميهن إحدى قرى مرو سنة ٤٨٩هـ. الأنساب: الورقة/ ٤٨٤أ.

(٣) الفربري: نسبة إلى فرير بلدة من بلاد خراسان على طريق جيحون مما يلي بخاري، وأبو عبدالله محمد بن يوسف.. الفريري، راوي جامع صحيح البخاري، رحل إليه الناس وحملوا عنه هذا الكتاب، وقد سمع الفربري الكتاب من البخاري في ثلاث سنين أتمه سنة ٢٥٠هـ. توفي سنة ٣٢٠هـ. الأنساب: الورقة/ ٤٢٢أ، معجم البلدان: ج٣، ص٨٦٧، وفيه ضبط فرير بكسر الفاء وقيل قد فتحه بعضهم، التقييد: الورقة/ ٩أ-١٠ب.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٧٨٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٢٤-١٢٥، الجواهر المضية: ج٢، ص٧٦-٧٧، مرآة الجنان: ج٣، ص٢٩١-٢٩٢.

٢ • **أبو عبدالله محمد بن إسماعيل.. الناقدي الساسياني المروزي** المتوفى سنة ٥٤١هـ، من أهل سكة ساسيان بمرو. قرأ عليه أبو سعد السمعاني جميع كتاب جامع صحيح البخاري بروايته عن أبي الخير المروزي الصفار، عن الكشميهني، عن الفربري، عن البخاري(١).

٣ • **أبو الفتح عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذياخي النيسابوري** المتوفى سنة ٥٣٥هـ. حدّث بكتاب «صحيح البخاري» عن أبي سهل الحفصي(٢)، عن عبد المنعم الفراوي، سمع منه أبو سعد السمعاني بنيسابور(٣).

٤ • **أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري** المتوفى سنة ٥٤٦هـ. خطيب أهل نيسابور. حدّث بكتاب صحيح البخاري، بروايته عن أبي سهل الحفصي، حدّث عنه جماعة من أهل نيسابور بهذا الكتاب(٤).

٥ • **زينب بنت عبد الرحمن..** الشعري من أهل نيسابور. توفيت سنة ٦١٥هـ. سمعت صحيح البخاري، عن وجيه بن طاهر الشحامي

---

(١) التحبير: الترجمة/٧٠٦، الأنساب: الورقة/ ٤٨٥ب.

(٢) أبو سهل محمد بن أحمد.. الحفصي الكشميهني المروزي. سمع الجامع الصحيح عن أبي الهيثم محمد بن مكي الكشميهني، وحمله نظام الملك إلى نيسابور، وقرئ عليه الجامع الصحيح في المدرسة النظامية بنيسابور سنة ٤٦٥هـ وسمعه منه أكثر علماء نيسابور وممن حضر قراءة صحيح البخاري على أبي سهل الحفصي في المدرسة النظامية بنيسابور أبو الحسن علي بن أبي نصر بن أحمد الفقيه حافد المصعبي المتوفى سنة ٥١٣هـ. الأنساب: ج٤، ص١٩٦-١٩٧، منتخب السياق: الورقة/ ١١٦أ.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٤٧٩، التقييد: الورقة/ ١٥٨أ، الأنساب: ج٤، ص١٩٧.

(٤) التقييد: الورقة/ ٢٢١ب.

النيسابوري، عن أبي الفتوح الشاذياخي. سمعه منها ابن نقطه المؤرخ البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩هـ بنيسابور عندما رحل إليها[١].

٦ • **أبو الفتح المختار بن عبد الحميد البوشنجي الداودي** المتوفى سنة ٥٣٦هـ. حدّث بكتاب الجامع الصحيح للبخاري، عن أبي الحسن الفوشنجي الداودي[٢]، سمع منه صحيح البخاري أبو روح عبد المعز الهروي بقراءة أبي النصر عبد الرحمن القاضي بهراة سنة ٥٣٠هـ، وحدث عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر مؤرخ دمشق الشهير في معجم شيوخه[٣]، وأجاز لابي سعد السمعاني مسموعاته[٤].

٧ • **أبو المحاسن أسعد بن علي بن الموفق الهروي الحنفي** المتوفى سنة ٥٤٤هـ، سمع صحيح البخاري عن أبي الحسن الفوشنجي الداودي، روى عنه ابن عساكر مؤرخ دمشق، وأبو سعد السمعاني، وأبو الفتح عبد الرحمن الفامي، وآخرون، وروى عنه بالإجازة المؤيد الطوسي، وأبو المظفر عبد الرحيم السمعاني[٥].

* وهناك جماعة كبيرة لا يتسع المجال لذكرهم هنا.

---

(١) التقييد: الورقة/ ٢٣٢ب.

(٢) الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي، وجه مشايخ خراسان المتوفى سنة ٤٦٧هـ. روى عنه صحيح البخاري جماعة. السياق: الورقة/ ٤٢ب. الأنساب: ج٥، ص٢٩٥-٢٩٦، طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص١١٧-١٢٠.

(٣) التقييد: الورقة/ ٢١١ب.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٩٧١.

(٥) تاريخ الإسلام: م١٣ ق٢: الورقة/ ٢٨٧.

★ **الجامع الصحيح - للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري** المتوفى سنة ٢٦١هـ.

ذكر الإمام النووي في أول شرحه أن أبا علي الحسين بن علي النيسابوري شيخ الحاكم قال: «ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم»[(١)].

ظل هذا الكتاب يُدّرس في خراسان قرون طويلة، وكانت الرحلة إلى نيسابور لسماع صحيح مسلم برواية أهل نيسابور. فقد ذكر أبو سعد السمعاني في ترجمة عمه أبي القاسم السمعاني أنه رحل معه إلى نيسابور سنة ٥٢٩هـ. وقال: «كان خروجه بسببي لأني رغبت في الرحلة لسماع صحيح مسلم، فسمع معي صحيح مسلم..»[(٢)].

وقد تفرد جماعة من أهل نيسابور برواية صحيح مسلم بن الحجاج منهم:

- **أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد النيسابوري الفرادي** المحدّث المتوفى سنة ٥٣٠هـ.

كان فقيهاً مناظراً، واعظاً، محدّثاً، مكرماً لأهل العلم خصوصاً الغرباء. سمع صحيح مسلم من أبي الحسين الفارسي، وصار مسند خراسان وتفرد برواية صحيح مسلم، وقيل: أنه أملى ألف مجلس، وما ترك الإملاء إلى حين وفاته، وظل يقرأ عليه صحيح مسلم حتى قبيل وفاته بوقت قصير، **قال أبو سعد السمعاني:**

«واذكر أنّا خرجنا في رمضان سنة ثلاثين وخمسمائة، وحملنا محفه على رقابنا إلى قبر مسلم بن الحجاج بنصراباذ لإتمام الصحيح عند

---

(١) كشف الظنون: ج١، ع ٥٥٥.

(٢) الأنساب: الورقة/٣٠٨ب، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٣١ب، طبقات الشافعية الكبرى: ج٣، ص٦٦.

قبر المصنف»[١].

وقد قرأ عليه صحيح مسلم جماعة من العلماء منهم:

١ • **أبو المحاسن عبد الرزاق بن محمد بن أحمد الطبسي**، المتوفى سنة ٥٣٧هـ، نزيل نيسابور، وكان مفيد الغرباء، حسن القراءة سريعها قرأ صحيح مسلم ثماني عشرة مرة على الفراوي له وللناس[٢].

٢ • **عبد السلام بن عبد الرحمن الأكافي الزاهد النيسابوري.** حدّث بصحيح مسلم بن الحجاج عن أبي عبدالله الفراوي سمع منه في رمضان سنة ٥٣٠هـ[٣]. ولعله سمعه منه بنصراباذ عند قبر مسلم بن الحجاج.

٣ • **ضياء الدين محمد بن الحسين بن ناصر البندنيجي.** قال صاحب البداية: أجاز لي جميع مسموعاته مشافهة بمرو سنة ٥٤٥هـ، ومن مسموعاته صحيح مسلم بن الحجاج، وكان يرويه عن محمد بن الفضل الفراوي بنيسابور سنة ٥٢٥هـ، عن عبد الغافر الفارسي[٤].

٤ • **أبو الفتح منصور بن عبد المنعم بن عبدالله بن محمد بن الفضل الفراوي النيسابوري** المتوفى سنة ٦٠٨هـ، حدّث بالصحيحين. قال ابن نقطه البغدادي: «سمعت عليه صحيح مسلم جميعه، وكان يقول لنا: سمعته مراراً، وكان لنا عدة نسخ نهبت في

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٦.

(٢) التقييد: الورقة/١٤٦أ، تاريخ الإسلام: م١٢ ق٢: الورقة/٢٢٧ب، المنتظم: م١٠، ص٦٦، وفيه قرأ صحيح مسلم على الفراوي سبع عشرة مرة.

(٣) التقيد: الورقة/١٤٧.

(٤) الفوائد البهية: ص١٣٥.

وقعة الغزّ، وما كنا نرضى أن يكتب سماعنا على نسخ الناس..»[١].

٥ • **أبو سعيد عبدالله بن عمر بن أحمد بن منصور الصفار النيسابوري** المتوفى سنة ٦٠٠هـ، حدّث بكتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج عن أبي عبدالله الفراوي[٢].

ودرّس كتاب صحيح مسلم بن الحجاج من قبل جماعة كثيرة من العلماء في خراسان في القرن السادس الهجري لا يتسع المجال لذكرهم في هذه الدراسة.

وكان لمسلم بن الحجاج كتاب آخر في الحديث وهو كتاب «التمييز»[٣] ظل يدرس في خراسان في القرن السادس الهجري جاء ذلك في كتاب التحبير في المعجم الكبير[٤].

★ **الجامع الصحيح - للإمام الحافظ أبي عيسى الترمذي** المتوفى سنة ٢٧٩هـ، وهو ثالث الكتب الستة في الحديث، وقد نقل عن الترمذي أنه قال: صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به. ويقال له السنن أيضاً[٥].

وقد عكف علماء خراسان على دراسة هذا الكتاب وروايته في القرن السادس الهجري منهم:

١ • **أبو بكر عبد الجبار بن يحيى بن سعيد**.. القاضي الأزجاهي المعروف بالحربي[٦] المتوفى سنة ٥٣٣هـ. قرأ الجامع لأبي

---

(١) التقييد: الورقة/ ٢٠٧أ-٢٠٧.

(٢) التقييد: الورقة/ ١٢٩ب-١٣٠أ.

(٣) كشف الظنون: ج١، ع ٤٨٥.

(٤) الترجمة/ ٩٥٥.

(٥) كشف الظنون: ج١، ع٥٥٩.

(٦) الحربي: نسبة إلى أحمد بن حرب الزاهد النيسابوري. الأنساب: ج٤، ص١١٤-١١٥.

عيسى الترمذي، عن أبي سعيد محمد بن علي البغوي[١]، عن الجراحي وأجاز لأبي سعد السمعاني[٢].

٢ • **أبو حامد عبد الرحمن..** الخمقري من أهل بنج ديه. تفرد برواية كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي. عن القاضي أبي سعيد محمد ابن علي البغوي. سمع منه أبو سعد كتاب «العلم» من ذلك الكتاب سنة ٥٤٠هـ. ثم سمع منه كتاب الأربعين المخرجة من كتاب الجامع سنة ٥٥٨هـ ببنج ديه[٣].

٣ • **أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله الحمدوبي** المتوفى سنة ٥٥٩هـ من أهل بنج ديه. سمع جامع أبي عيسى ببغشور من أبي سعد محمد بن علي البغوي. قال أبو سعد السمعاني: سمعت منه ببنج ديه ومن جملة ما سمعت منه كتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي بروايته عن أبي سعيد بن أبي صالح[٤].

٤ • **أبو العلاء صاعد بن سيار..** الهروي الكناني المتوفى سنة ٥٢٠هـ. حدّث بكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي، عن أبي عامر

---

(١) أبو سعيد محمد بن علي بن أبي صالح الدباس البغوي المتوفى سنة ٤٨٨هـ، روى جامع أبي عيسى الترمذي عالياً. روى عنه جماعة كثيرة منهم ابنه أبو عمرو عثمان البغوي. الأنساب: ج٢، ص٢٧٥-٢٧٦، اللباب: ج١، ص١٣٣، العبر: ج٣، ص٣٢٢.

(٢) الأنساب: ج٤، ص١١٤-١١٥، التحبير: الترجمة/٣٨

(٣) التحبير: الترجمة/ ٣٦٥، والخنقري: نسبة إلى القرى الخمس ويقال لها بنج ديه: وهي خمس قرى مجتمعة هي: ايفان، ومرست، ومدو، وكريكان، وبهونة، الأنساب: ج٥، ص١٩٥-١٩٦.

(٤) المصدر نفسه/ ٧٧٨، الأنساب: ج٤، ص٢٤٣.

الأزدي(١). قدم بغداد وحدّث بها وقرأ عليه محدّث بغداد أبو الفضل ابن ناصر كتاب جامع أبي عيسى، وحدّث عنه عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن كليب الحراني(٢).

٥ • **أبو محمد عبد الواسع بن الموفق بن أميرك الهروي.** سمع جامع أبي عيسى الترمذي. من أبي عامر الأزدي، سمعه منه جماعة منهم: أبو روح عبد المعز الهروي، ونصر بن عبد الجامع الفامي(٣).

٦ • **أبو الفتح نصر بن سيار بن يحيى القاضي الهروي** المتوفى سنة ٥٧٢هـ، حدّث بكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي، عن أبي عامر الأزدي، وكان سماعه صحيحاً. حدّث عنه أبو محمد عبد القادر الرهاوي بحران(٤).

★ وهناك جماعة كثيرة بخراسان حدّثوا بهذا الكتاب لا يتسع المجال لذكرهم هنا.

● **كتب المسانيد - التي كان يحدّث بها في خراسان:**

■ **يمكننا أن نشير فيما يأتي إلى بعض المسانيد التي كان علماء خراسان يحدثون بها في القرن السادس الهجري فمنها:**

---

(١) القاضي أبو عامر محمود بن القاسم بن القاضي أبي منصور الهروي الأزدي المهلبي من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي المتوفى سنة ٤٨٧هـ حدّث بكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي. التقييد: الورقة/١٩٩أ-١٩٩ب.

(٢) التقييد: الورقة/ ١١٣أ.

(٣) اليقين: الورقة/ ١٦٩أ.

(٤) المصدر نفسه، الورقة/ ٢١٣ب.

١ مسند أبي يعلى الموصلي:

أحمد بن علي المتوفى سنة ٣٠٧هـ. قال أبو سعد السمعاني: «سمعت اسمعيل بن محمد الحافظ يقول: المسانيد كالأنهار، ومسند أبي يعلى كالبحر يكون مجمع الأنهار»(١). **وحدّث بهذا المسند في خراسان في القرن السادس الهجري جماعة منهم:**

١ • **زاهر بن طاهر الشحامي** من أهل نيسابور المتوفى سنة ٥٣٣هـ(٢).

٢ • **أبو منصور محمد بن حمد بن منصور العطار الطيبي** المتوفى سنة ٥٣٣هـ من أهل أصبهان سمع منه أبو سعد السمعاني أجزاء من مسند أبي يعلى الموصلي(٣).

٢ مسند أبي عوانة:

يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن زيد الأسفراييني النيسابوري المتوفى سنة ٣١٣هـ، وقد حدّث بهذا المسند في خراسان في القرن السادس الهجري أبو البركات عبدالله بن محمد بن الفضل الفراوي المتوفى سنة ٥٤٩هـ، وهو من أهل نيسابور(٤).

وحدّث به أيضاً أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم الأثري الخبوشاني الإستوائي من أهل نيسابور. قال أبو سعد السمعاني في الأنساب: كان قيماً صاحب حديث، طاف في أكناف خراسان وحصل الكثير وعندي كتاب المسند لأبي عوانة الأسفراييني بخطه في مجلدين(٥).

---

(١) تذكرة الحفاظ: ج٢، ص٧٠٧-٧٠٨، كشف الظنون: ج٢، ع ١٦٧٩.

(٢) التقييد: الورقة//٩٦ب.

(٣) التحبير: الترجمة/٧٤٣.

(٤) العبر: ج٤، ص١٣٦-١٣٧، مرآة الجنان: ج٣، ص٢٩٥.

(٥) التقييد: الورقة/٦٤ب.

٣ مسند الدارمي:

أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن السمرقندي المتوفى سنة ٢٥٥هـ وقد حدّث بهذا المسند في هراة أبو المحاسن أسعد بز علي بن الموفق الحنفي الهروي وحدّث أيضاً بكتاب المنتخب من مسند عبد بن حميد، حدّث عنه بهذين المسندين: الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي في معجم شيوخه، وسمع كتاب «المنتخب» لعبد ابن حميد بقراءة الحافظ الحسن بن مسعود ابن الوزير الدمشقي الذي سكن مرو، وأبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن الفامي، وأبو روح عبد المعز الأنصاري الهروي وذلك سنة ٥٢٩هـ[١].

وحدّث أيضاً بكتاب المنتخب من مسند عبد بن حميد: أبو ذر سهل بن محمد بن عبدالله الطائي البوشنجي، عن أبي الوقت السجزي وكان سماعه منه سنة ٥٤٨هـ[٢].

وكان والد أبي الوقت السجزي أبو عبدالله عيسى بن شعيب المتوفى سنة ٥١٢هـ الذي سكن هراة، حمل أبنه أبا الوقت عبد الأول المتوفى سنة ٥٥٣هـ على عاتقه من هراة إلى فوشنج ليسمع من الإمام أبي الحسن الداودي وسمّعه عنه الصحيح، والمسند للدارمي، والمنتخب لعبد بن حميد[٣]. ورحل من هراة إلى أصبهان فحدّث بها وبالكرج وهمذان ثم قدم بغداد سنة ٥٥٢هـ وحدّث بها عن عبد الرحمن بن محمد الداودي وغيره قال ابن شافع في تاريخه: «وكان شيخاً صالحاً الحق الصغار بالكبار، ورأى من رياسة التحديث ما لم ير أحد في أبناء جنسه»[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) التقييد: الورقة/ ١١٠أ.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٦٠٢.

(٤) التقييد: الورقة/ ١٦٨أ-١٦٨

٤ مسند الشافعي:

■ حدّث بهذا المسند في خراسان في القرن السادس الهجري جماعة منهم:

١ • أبو حفص عمر بن منصور الصفار النيسابوري المتوفى سنة ٥٥٣هـ.

قدم بغداد وحدّث بمسند الشافعي عن نصرالله الخشنامي، وحدّث عنه ببغداد بهذا المسند جماعة منهم: يحيى بن الربيع بن سليمان الفقيه، وأبو علي الواسطي وغيرهما(١).

٢ • أبو بكر عبد الغفار بن محمد.. الشيروي النيسابوري المتوفى سنة ٥١٠هـ.

حدّث بمسند الشافعي، سمعه منه أبو سعد السمعاني وأخوه عبد الوهاب سنة ٥٠٩هـ بنيسابور بحضرة والدهما(٢).

وذكر ابن نقطة البغدادي أن آخر من روى عنه بالإجازة ببغداد ذاكر بن كامل بن أبي غالب الخفاف(٣).

وكتب أبو سعد السمعاني شيئاً من سند الإمام الشافعي بساوة(٤)، عن أبي بكر محمد ابن محمد «الخطيب من أهل بساوة»(٥).

---

(١) التقييد: الورقة/ ١٧٤أ.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٤٣٤.

(٣) التقيد: الورقة/ ١٦٢أ.

(٤) مدينة بين الري وهمذان، وبقربها مدينة يقال لها آوه، فساوة سنية شافعية، وآوه أهلها شيعة إمامية، قال ياقوت: وما زالتا معمورتين إلى سنة ٦١٧هـ فجاءها التتر الكفار. خربوها وقتلوا كل من فيها ولم يتركوا أحداً البتة، معجم البلدان: ج٣، ص١٧٩.

(٥) التحبير: الترجمة/ ٨٧٤.

● **كتب السنن:**

■ إن كتب السنن كانت كثيرة ألفها أعلام المحدثين وتدل كثرة التحديث بها في خراسان في هذا القرن على أهميتها وهذا يدل على أن الحديث كان يمثل طابعاً بارزاً في الحركة الفكرية في خراسان في هذا القرن، **وإليك بعض كتب السنن التي كانت متدولة في خراسان في هذا القرن:**

★ **كتاب سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي السيبائي الحافظ** المتوفى سنة ٣٠٣هـ.

وقد حدّث سنن النسائي جماعة منهم: أبو حفص عمر بن عثمان الجنزي المتوفى سنة ٥٥٠هـ عن عبد الرحمن بن أحمد الدوني(١).

★ **كتاب سنن، أبي داود السجستاني الأزدي،** سليمان الأشعث المتوفى سنة ٢٧٥هـ وقد حدّث بهذه السنن جماعة بخراسان **منهم:**

١ ● **أبو حفص عمر بن محمد..** الشيرزي من أهل سرخس المتوفى سنة ٥٥٩هـ(٢).

٢ ● **أبو طالب محمد بن عبد الرحمن الجيزباراني الكنجروذي** المتوفى سنة ٥٤٨هـ. كان يسكن حيرة نيسابور. سمع منه أبو سعد السمعاني كتاب السنن لأبي داود السجتاني(٣).

٣ ● **أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد البلخي** المتوفى سنة ٥٣٧هـ أجاز لأبي سعد السمعاني رواية كتاب السنن لأبي داود السجستاني(٤).

---

(١) التقييد: الورقة/ ١٧٣-١٧٤أ، والدوني: نسبة إلى دون من قرى الدينور.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٥٢١، الأنساب: الورقة/ ٣٤٤ب.

(٣) المصدر نفسه/ ٧٨١.

(٤) المصدر نفسه/ ٥٤١.

★ **كتاب السنن، لأبي الحسن عمر بن علي بن عمر الحافظ الدار القطني البغدادي** المتوفى سنة ٣٨٥هـ.

حدّث بسنن الدار قطني أبو القاسم الفضل بن محمد الأبيوردي العطار من أهل نيسابور حدّث بها عن أبي منصور محمد بن عمر النوقاني وفاته جزآن حدّث بهما عن أبي عثمان الصابوني قراءة عليه، وقد كتب لأبي سعد السمعاني الإجازة برواية كتاب السنن للدار قطني[١].

وسمع منه هذا الكتاب أيضاً أبو سعد بن الصفار عبدالله بن أبي حفص النيسابوري المتوفى سنة ٦٠٠هـ[٢].

★ **كتاب سنن محمد بن أسلم الطوسي** المتوفى سنة ٢٤٢هـ، حدّث بها أبو حامد أحمد ابن عبدالله الفازي من أهل فاز إحدى قرى طوس[٣].

● **كتب الأربعين:**

صنف العلماء في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات واختلفت مقاصدهم في تأليفها وجمعها وترتيبها فمنهم من قصد بها ذكر أحاديث التوحيد وإثبات الصفات، ومنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام. ومنهم من اختار أحاديث المواعظ والرقائق، ومنهم من قصد إخراج ما صحّ سنده وسلم من الطعن وغير ذلك، وسمى كل واحد منهم كتابه الأربعين، لأنها تضمنت أربعين حديثاً[٤].

■ **وهذه بعض كتب الأربعين التي درست بخراسان في القرن السادس الهجري:**

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥٤٤، الجواهر المضية: ج١، ص٣٥٠.

(٢) العبر: ج٤، ص٣١٢-٣١٣، شذرات الذهب: ج٢، ص٣٤٥.

(٣) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٤ب.

(٤) كشف الظنون: ج١، ع٥٢.

أ) **كتاب «الأربعين» للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد السرخسي الفقيه الشافعي** ويعرف بالزاز المتوفى سنة ٤٩٤هـ. وله كتاب في الفقه سماه «الإملاء» اطلع عليه ياقوت الحموي نذكر أنه أكبر من كتاب (الشامل) لابن الصباغ وأن أهل مرو يفضلونه على كتاب الشامل[١]. **وقد حدّث بكتابه الأربعين جماعة منهم:**

- **أبو منصور محمد بن أحمد عبدالله**.. التوثي المروزي المتوفى سنة ٥٣٠هـ. كتب عنه أبو سعد السمعاني أجزاء من كتاب الأربعين للإمام عبد الرحمن السرخسي[٢].

ب) **كتاب الأربعين للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله الضبي النيسابوري** المعروف بابن البيع المتوفى سنة ٤٠٥هـ.

- وقد حدّث بهذا الكتاب جماعة من أهل خراسان في القرن السادس الهجري **منهم:**

١ • **أبو المجد محمود بن عبد الرحمن بن إبراهيم الفارسي الشيرازي** المتوفى سنة ٥٢٥هـ سكن مرو[٣].

٢ • **أبو الفضل أحمد بن إسماعيل.. الجيزباراني العطار الصيدلاني من أهل نيسابور**[٤].

٣ • **أبو حامد أحمد بن عمر بن أحمد بن علي الفنجكردي الطوسي**، المتوفى سنة ٥٣٤هـ، وهو من أهل نيسابور[٥].

---

(١) الأنساب: ج٦، ص٢٣٠، الورقة/ ٢٩٦أ، معجم البلدان: ج٣، ص٧١-٧٢، العبر: ج٣، ص٣٣٩، طبقات ابن قاضي شهبة: الورقة ٤١ب-٤٢.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٦٦٤، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٧٩-٨٠.

(٣) المصدر نفسه/ ٩٥٤.

(٤) المنتخب من معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٦١أ.

(٥) المصدر نفسه، الورقة/ ١٨ب.

ج) **كتاب الأربعين، لأبي القاسم الفضل بن محمد بن أحمد الزجاجي** المعروف بابن أبي حرب الزجاجي.

- حدّث بهذا الكتاب أبو حفص عمر بن علي بن أحمد البختري المتوفى سنة ٥٣٤هـ من أهل طوس[(١)].

د) **كتاب الأربعين، لبريد بن أبي بروة.**

- وقد حدّث بهذا الكتاب بهراة زهير بن محمد بن عبدالله الطائي البوشنجي المتوفى سنة ٦٠٩هـ[(٢)].

هـ) **كتاب الأربعين التي جمعها هبة الله الشيرازي.**

- حدّث بهذا الكتاب أبو بكر عمر بن عبد الرحيم الشاشي الذي سكن مرو في الخانقاه التي على شط الرزيق، المتوفى سنة ٥٢٩هـ[(٣)].

و) **كتاب الأربعين، للحسن بن سفيان بن عامر الشيباني النسوي** محدث خراسان في عصره، توفي بقرية بالوز من قرى نسا سنة ٣٠٣هـ[(٤)]. وقد كتب أبو سعد السمعاني هذا الكتاب بنوقان طوس عن أبي الحسن علي بن ناصر.. النوقاني المتوفى سنة ٥٤٩هـ[(٥)].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥١٠، والبختري: بفتح الباء وسكون الخاء المعجمة، وفتح التاء اسم يشبه النسبة منهم البختري بن عزرة المصري يروى عن عمر (رضي الله عنه) الأنساب: ج٢، ص١٠٨.

(٢) التقييد: الورقة/ ٩٧ب.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٥٠٤.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٣، ص٢٦٣-٢٦٥، العبر: ج٢ص١٢٤-١٢٥.

(٥) التحبير: الترجمة/ ٥٨٢، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٨٤أ-١٨٤ب.

● **كتب حديث أخرى:**

■ **من كتب الحديث التي درّست بخراسان:**

أ) **الموطأ، في الحديث للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني** المتوفى سنة ١٧٩هـ. لقد درّس هذا الكتاب بخراسان في القرن السادس الهجري، وممن سمعه أبو سعد السمعاني. سمعه من أبي محمد هبة الله بن سهل بن عمر البسطامي المعروف بالسيدي من أهل نيسابور المتوفى سنة ٥٣٢هـ. قال فيه أبو سعد السمعاني: «كان عسر الخلق يسر الوجه لا يشتهي الرواية ولا يحب أصحاب الحديث، وكنّا نقرأ عليه بجهد جهيد وبالشفاعات.. سمعت منه الموطأ لمالك بن أنس إلّا كتاب المساقاة والقراض»(١).

- قال ابن نقطة البغدادي أنبأنا عنه أي عن أبي محمد البسطامي بالموطأ سوى ما أستثنى منه المؤيد بن محمد بن علي الطوسي قراءة عليه بنيسابور وأنا أسمع في شعبان سنة ست وستمائة(٢). وجماعة كثيرة من المحدثين حدثوا بكتاب الموطأ بخراسان في هذا القرن لا يتسع المجال لذكرهم.

● **مساهمة علماء خراسان في التأليف في علوم الحديث:**

قبل أن نذكر مساهمة علماء خراسان في التأليف في علوم الحديث في هذا القرن، يجدر بنا أن نورد أمراً هاماً، هو أن التأليف في الحديث في هذا القرن لا يتناسب من حيث الأهمية مع ما ألف فيه في القرون السابقة له، كما أنه لا يتناسب مع كثرة ما أخرجت خراسان من المحدثين،

---

(١) التحبير: الترجمة/١٠٧٨.

(٢) التقييد: الورقة/٢١٩أ-٢١٩ب.

والحفاظ الذين انتشروا ليس في المدن الخراسانية حسب بل حتى في القرى والمحال والسكك النائية حيث لمع فيها محدثون ذاعت شهرتهم في الحديث، إضافة إلى تركيز علماء خراسان في هذا القرن على دراسة علوم الحديث سماعاً وقراءة وكتابة، وحصولهم على الإجازات العلمية برواية الحديث، حتى لنجد أن الرحلة إلى بلاد خراسان لطلب الحديث عن علمائها كانت مستمرة لتفردهم بالرواية ولإسنادهم العالي وشهرتهم بذلك في العالم الإسلامي يومئذ.

ولعلّ أسباب ذلك تعود إلى ما ذكرنا آنفاً من أن الحديث يعتمد بالدرجة الأولى على السماع والرواية والحفظ أكثر من أعتماده على التدوين والكتابة، ولمّا كان الحديث قد دوّن كما شرحنا بكتب صحّاح، ومسانيد، وسنن معتمدة منذ فترة سابقة لهذا القرن، لذلك وجدنا التركيز في القرون التالية على حفظ هذه الكتب ورواية الأحاديث بأسانيدها التي ذكرت فيها، أكثر من الإهتمام في التأليف في الحديث، ليس في خراسان فحسب بل في جميع البلدان الإسلامية. لذلك نجد مؤلفات أهل خراسان في الحديث في هذا القرن عبارة عن شروح على الكتب السابقة، أو مختصرات لها، أو تخريجات منها، ومع ذلك كله يمكننا أن نذكر فيما يأتي أهمها.

● أهم مؤلفات الحديث في خراسان:

١ ● **كتاب «مصابيح السنة» للإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوي**، المتوفى سنة ٥١٦هـ، قيل أن عدد أحاديثه بلغت (٤٧١٩) حديثاً، منها المختص بالبخاري (٣٢٥) حديثاً، ومسلم (٥٧٥) حديثاً، ومنها المتفق عليه (١٠٥١) حديثاً، والباقي من كتب أخرى، وقد ترك ذكر الأسانيد اعتماداً على نقل الأئمة كما قسم أحاديث

كل باب إلى صحاح، وحسان، وعنى بالصحاح ما أخرجه الشيخان، وبالحسان ما أورده أبو داود والترمذي وغيرهما، وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشار إليه وأعرض عن ذكره إن كان منكراً أو موضوعاً. قال النووي في التقريب: وإما تقسيم البغوي إلى حسان وصحاح مريداً بالحاح في الصحيحين، وبالحسان ما في السنن، فليس بصواب، لأن في السنن: الصحيح، والحسن، والضعيف، والمنكر.

وقد ذكر حاجي خليفة جماعة كبيرة من العلماء الذين وضعوا لهذا الكتاب الشروح والتعاليق حتى بعد سنة ١٠٠٩هـ[(١)].

٢ • **كتاب «المفهم في صحيح مسلم» لابي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي**، المتوفى سنة ٥٢٩هـ الخطيب من أهل نيسابور[(٢)].

٣ • **كتاب «مجمع الغرائب في غريب الحديث» لأبي الحسن الفارسي** المتوفى سنة ٥٢٩هـ[(٣)].

٤ • **كتاب «مئة حديث عن مئة شيخ» لأبي سعد إسماعيل بن أحمد المؤذن النيسابوري** المتوفى سنة ٥٣٢هـ، وقد خرّجه له أخوه صالح، فحدّث بها، أجاز لأبي سعد السمعاني[(٤)].

---

(١) كشف الظنون: ج٢، ص١٦٩٨-١٧٠٢.

(٢) التحبير: الترجمة/ ٤٨٨، التقييد: الورقة/ ١٤٣ب، وفيه مختصر لشرح صحيح مسلم، مرآة الجنان: ج٣، ص٢٥٦، وفيه المعجم في شرح مختصر صحيح مسلم، كشف الظنون: ج٢، ع١٠١١.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٧٣، كشف الظنون: ج٢، ع ١٦٠٢.

(٤) التحبير: الترجمة/ ١٢، تبيين كذب المفتري: ص٤٤-٤٥، المنتظم: م١٠، ص٧٤.

٥ • **كتاب «رمح الأرواح» لأبي القاسم أحمد بن منصور السمعاني** المتوفى سنة ٥٣٤هـ[(١)].

٦ • **كتاب «قيد الأوابد» في علوم الحديث، والتفسير، والفقه، واللغة، قيل أنه بلغ أربعمائة مجلد، لأبي عبدالله محمد بن الحسين البنجديه الزاغولي** المتوفى سنة ٥٥٩هـ، من قرية زاغول من قرى بنج ديه من مرو الروذ مدينة بخراسان. تفقه بمرو على أبي بكر السمعاني، والموفق الهروي، وسمع الحديث بنيسابور، وهراة. سمع منه الحديث أبو سعد السمعاني[(٢)].

٧ • **كتاب «الأربعين» المنتخبة من جامع أبي عيسى الترمذي**، انتخبها أبو الفضل الليث ابن احمد المقرئ البغوي المتوفى سنة ٥٤٨هـ وقد سمعه منه أبو سعد السمعاني[(٣)].

٨ • **كتاب «الأربعين» لأبي سعيد محمد بن يحيى النيسابوري** المتوفى سنة ٥٤٩هـ. قال أبو سعد: «خرجت له أربعين حديثاً وقعت لنا بالسماع»[(٤)].

وقد حدّث بهذا الكتاب ببغداد تلميذه أبو المفاخر محمد بن علي النوقاني الفقيه الشافعي، المتوفى سنة ٥٩٢هـ[(٥)].

٩ • **كتاب «الأربعين» وهو من جمع الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي**، المتوفى سنة ٥١٦هـ، وقد حدث بهذا

---

(١) الأنساب: الورقة/٣٠٨ب، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٦٦.

(٢) الأنساب: ج٦، ص٢٣٢-٢٣٣، تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٣٣٧، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٩٦-١٠٠، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص١٥٤.

(٣) التحبير: الترجمة/٦٤٦، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٩٤أ.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٦.

(٥) الوافي بالوفيات: ج٤، ص١٧١.

الكتاب أبو عبدالله محمد بن عمر.. الشاشي الفاشاني، المتوفى سنة ٥٥٦هـ، من أهل فاشان إحدى قرى مرو. سمع منه هذا الكتاب أبو المظفر عبد الرحيم السمعاني[(١)].

وحدّث بكتاب «الأربعين» للبغوي أيضاً أبو عمرو عثمان بن محمد.. الشاشي الفاشاني، المتوفى سنة ٥٥٦هـ. قال ابو سعد: «سمعت منه الأربعين الصغير الذي جمعه الحسن ابن مسعود الفراء..»[(٢)].

١٠ • **كتاب «الأربعين» لأبي المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني** المتوفى سنة ٦١٧هـ[(٣)].

١١ • **جزء أبي بكر وجيه بن طاهر الشحامي**، المتوفى سنة ٥٤١هـ، وقد كتب أبو سعد السمعاني هذا الجزء عن أبي داود سليمان بن علي الأصبهاني الذي سكن نيسابور[(٤)].

١٢ • **جزء المصاري، أبي محمد العباس بن محمد بن أبي منصور الطوسي**، المتوفى سنة ٥٤٩هـ، وفيه أحاديث، وحكايات (أخبار)، وأشعار، انتخبه أبو سعد السمعاني[(٥)].

١٣ • **أجزاء في الحديث خرّجها أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري**، المتوفى سنة ٥٣٣هـ.

سمع أبو سعد السمعاني بنيسابور خمسة أجزاء خرّجها زاهر

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٨١٠.

(٢) المصدر نفسه، ٥٣٦.

(٣) طبقات الشافعية للأسنوي: ج٢، ص٦٢-٦٣.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٢٥٢.

(٥) كشف الظنون: ج١، ع ٥٨٨، هدية العارفين: ج١، ع ٤٣٧.

الشحامي، عن أبي بكر عبد الرحمن ابن عبدالله البجيري الملقاباذي النيسابوري، المتوفى سنة ٥٤٠هـ[١].

مؤلفات أبي سعد السمعاني، وقد بلغت مؤلفاته ثمانية وستون مصنفاً جلّها في علوم الحديث والرجال[٢].

وكان مكثراً من سماع الحديث، وسافر في طلبه وسمع ما لم يسمعه غيره[٣]، قال السبكي: عاد بعد أن دوخ الأرض سفراً - إلى بلده مرو وأقام مشتغلاً بالجمع والتصنيف والتحديث والتدريس في المدرسة العميدية، ونشر العلم إلى أن توفي إماماً من أئمة المسلمين في كثير من العلوم أمسها به الحديث على اختلاف فنونه[٤].

وقال ابن عساكر مؤرخ دمشق في حقه: «هو الآن شيخ خراسان غير مدافع عن صدق ومعرفة، وكثرة سماع لاجزاء وكتب مصنفة، والله يبقيه لنشر السنة ويوفقه لأعمال أهل الجنة»[٥].

★ ومن أشهر مؤلفاته في الحديث:

١ • كتاب «المساواة والمصافحة» في ثلاث عشرة طاقة[٦]. قال

(١) التحبير: الترجمة/ ٣٤٩.

(٢) يراجع الفصل السادس من كتاب تاج الإسلام أبو سعد السمعاني.

(٣) الكامل: ج١٠، ص٣٣٣، المختصر في أخبار البشر: م٢ ج٥ ٢ ٦٠-٦١.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٨٢.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: م٧: الورقة/ ١٦٥ب، التقييد: الورقة/ ٨٠أ-٨٠ب.

(٦) تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٣١٧، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٨٣، الوافي بالوفيات: قسم ٢ ١٥-١٧: الورقة: ٢٥٠ب، كشف الظنون: ج٢، ع ١١٦٦، وفيه لعله كتاب المصافحة.

المعلمي في مقدمة كتاب الأنساب: «إذا كان حديث قد رواه الترمذي مثلاً بسنده، ووقع لأبي سعد مثلاً عالياً بسند من جهة أخرى واستوى عدد رجال السندين إلى النبي (ﷺ) فهي المساواة، وأن زاد سند أبي سعد واحداً فهي المصافحة وقس على ذلك[١].

٢ • كتاب طراز الذهب في أدب الطلب. في مئة وخمسون طاقة[٢].

٣ • أسانيد المسانيد، ثلاث عشر طاقة[٣].

٤ • أفانين البساتين خمس عشر طاقة[٤]. وقد نقل عنه ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان حديثاً في فضائل سمرقند، وسماه الأفانين[٥].

٥ • كتاب «العوالي» من مسموعات الفراوي، في مجلدين، جمعها أبو سعد السمعاني لولده أبي المظفر عبد الرحيم[٦].

وقد وضع أبو سعد ثلاثة معاجم لشيوخه، وكانت كثرة مشايخه تدل على ما اتصف به من السعي الطويل

---

(١) مقدمة كتاب الأنساب: ج١، ص٢٧.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٨٢، طبقات ابن قاضي شهبة: الورقة/ ٥٧ب، المستفاد: الورقة/ ٥٠ب.

(٣) الوافي بالوفيات: قسم ٢: الورقة: ٢٥٠ب.

(٤) تذرة الحفاظ: ج٤، ص١٣١٧، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٨٣، الوافي بالوفيات: قسم ١٥-١٧/ ٢: الورقة ٢٥٠ب، كشف الظنون: ج١، ع ١٣١.

(٥) معجم البلدان: ج٣، ص١٣٦-١٣٧.

(٦) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١ب، وفيات الأعيان: ج٢، ص٣٨١.

الشاق، ولقد كان مكثراً من سماع الحديث. وقال ابن النجار: «سمعت من يذكر أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ، وهذا شيء لم يبلغه أحد من أقرانه مبلغه»(١).

★ وقيل كان عدد شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ(٢). وقد غطى أبو سعد السمعاني تراجم شيوخه في **ثلاثة معاجم ضخمة وهي**:

١ • المعجم الذي خرّجه لولده عبد الرحيم السمعاني في ثمانية عشر جزءاً(٣).

٢ • معجم شيوخه(٤)، الذي قال في مقدمته: «.. وقع لي أن أجمع لنفسي معجماً لشيوخي الذين سمعت منهم حضراً وسفراً، وأن كنت قد جمعت فيه مجموعاً كبيراً.. لأن الله تعالى جده، وتوالى جوده قد كان حفياً بي، ووليأ لي حيث حبب إليّ الحديث وزينه في قلبي... واجتمع عندي من مكتوم الفوائد ومختوم الزوائد، وفقر المسموعات، وبقر المجموعات ما لا أعلمه أجتمع لواحد من أبناء العصر إلّا من شاء الله»(٥).

وقد شرع أبو سعد يجمعه في ضحوة يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة(٦).

---

(١) تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٣١٦.

(٢) اللباب: ج١، ص١٠، أعيان: ج٢، ص٣٧٩.

(٣) معجم شيوخ السمعاني: ٢ب.

(٤) توجد منه نسخة خطية في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٩٢٥٣، وردت بعنوان المنتخب من معجم شيوخ السمعاني في ٢٩٨ ورقة، وهو من مصادرنا المهمة.

(٥) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢ب.

(٦) المصدر نفسه: الورقة/ ٣ب.

٣• التحبير في المعجم الكبير[١].

لقد تضمن هذان الكتابان تراجم طائفة كبيرة من حملة العلم والثقافة في المشرق الإسلامي في القرن السادس الهجري مما كان لهما أثر كبير في ازدهار الحركة الفكرية هناك، وكان من بين حملة العلم الذين ذكروا في هذين الكتابين: المحدثون، والفقهاء، والأدباء والمفسرون، والمناظرون والمتكلمون، والوعاظ، والخطباء، والقضاة، والشهود، والكتاب، والأساتذة، والرؤساء، والأطباء، والصيادلة وغيرهم.

• من معاجم الشيوخ التي صنفت في خراسان:

١• مشيخة الإمام أبي شجاع عمر بن أبي الحسين البسطامي البلخي المتوفى سنة ٥٦٢هـ وقد ذكر هذه المشيخة، رفيقه أبو سعد السمعاني في مقدمة معجم شيوخه بقوله: «...ثم جمع بعد ذلك شيخنا عمر بن أبي الحسين البسطامي.. مشيخة لنفسه جمع فيها شيوخه بسؤالي إياه، وقرأت بعضه عليه ببلخ سنة ست واربعين (وخمسمائة) واتممت عليه الباقي ببخاري سنة تسع واربعين (وخمسمائة)»[٢].

٢• مشيخة أبي روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الهروي

---

(١) كان تحقيق هذا الكتاب موضوع رسالتنا للماجستير: إشراف الأستاذ الدكتور ناجي معروف، وقد حققته عن النسخة الفريدة الناقصة الموجودة بدار الكتب الظاهرية بدمشق، وقد طبع في مجلدين على نفقة رئاسة ديوان الأوقاف في مطبعة الإرشاد - بغداد (١٣٩٥هـ-١٩٦٥م)، وكان من مصادرنا المهمة في هذا الكتاب.

(٢) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢ب.

المتوفى سنة ٦١٨هـ، وهي في جزء، وكان هذا مسند العصر في خراسان[١].

★ وهناك مؤلفات كثيرة وضعت في الحديث وعلومه في خراسان في القرن السادس لا يسع المجال لذكرها هنا.

---

(١) شذرات الذهب: ج٥، ص٨١.

الفصل الثالث

الفقه

حفلت خراسان في القرن السادس الهجري بعدد كبير من الفقهاء من مختلف المذاهب الإسلامية ولا يسعنا إحصاؤهم وتدوينهم هنا لأنهم خلق يطول ذكرهم وان أكثرتهم لتدل دلالة واضحة على عناية القوم في هذا العصر بدراسة الفقه: أصوله، وأقضيته، وأحكامه، وفتاواه لأنه العلم الباحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية. وفائدته حصول العمل به على الوجه المشروع، والغرض منه تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية. ولما كانت الغاية والغرض في العلوم العملية تحصيل الظن دون اليقين بناء على أن أقوى الأدلة الكتاب والسنة، وأنه وأن كان قطعي الثبوت لكن أكثره ظني ولذلك صار محلاً للاجتهاد[1].

- **وقد أسهم علماء خراسان في الدراسات الفقهية وصنفوا فيه مؤلفات قيّمة كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر:**

★ **مؤلفات الإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ.**

❶ **كتاب «المستصفى في أصول الفقه»** قال فيه الغزالي: «قد صنفت

---

(١) كشف الظنون: ج٢، ع١٢٨٠.

في فروع الفقه وأصوله كتباً كثيرة» ثم ساقني تقديره سبحانه وتعالى إلى معاودة التدريس فاقترح عليّ طائفة من محصلي الفقه تصنيفاً في الأصول، أطلق العنان فيه بين الترتيب والتخفيف على وجه يقع في الحجم دون «تهذيب الأصول» وفوق كتاب «المنحول» ورتبناه على مقدمة وأربعة أقطاب «القطب **الأول** في الأحكام، **والثاني** في الأدلة، **والثالث** في طريق الإستثمار **والرابع** في المستثمر»[١].

وظل هذا الكتاب يدرس في خراسان بعد وفاة الغزالي بفترة طويلة، حتى أن الإمام الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، عقد مناظرة مع جماعة من الفقهاء الذين كانوا يدرسون هذا الكتاب في صومعة الغزالي بطوس.

فقال الإمام الفخر الرازي للقوم المجتمعين: «إنكم أفنيتم أعماركم في قراءة كتاب «المستصفى» فكل من قدر على أن يذكر دليلاً من الدلائل التي ذكرها الغزالي من أول كتاب «المستصفى» إلى آخره ويقرره عندي بعين تقريره من غير أن يضم إليه كلاماً آخر أجنبياً عن ذلك الكلام، أعطيه مئة دينار.

فجاء في الغد رجل من أذكيائهم يقال له أمير شرف شاه، وتكلم في مسألة الصلاة في الجار المغصوبة، لظنه أن كلام الغزالي فيها قوي.

فقال الإمام الفخر الرازي له: أن كلام الغزالي في هذه المسألة في غاية الضعف، وذلك لأنه قال: جهة كونها صلاة مغايرة لجهة كونها غصباً، ولما تغايرت الجهتان، لم يبعد أن يتفرع على كل واحد من هاتين الجهتين ما يليق بها. وهذا الجواب ضعيف جداً، لأن الصلاة ماهية مركبة من القيام والقعود والركوع، والسجود، وهذه الأشياء حركات وسكنات، والحركة عبارة عن الحصول في الحيز بعد أن كان

---

(١) كشف الظنون: ج٢، ع١٦٧٣.

في حيز آخر، والسكون عبارة عن الحصول في الخير الواحد أكثر من زمان واحد، فالحصول في الحيز جزء ماهية الحركة والسكون وهما جزآن من ماهية الصلاة.

إذا عرفت هذا فنقول: أن اعتبرنا الصلاة في الأرض المغصوبة جزء ماهيتها الحصول في الأرض المغصوبة، ولا شك أن هذا الحصول محرم فكان أجزاء ماهية الصلاة في الأرض المغصوبة محرمة، وعلى هذا التقرير فالغصب المحرم هنا جزء من ماهية الصلاة، فيمتنع تعلق الأمر بهذه الصلاة، لأمر بالصلاة، لأن الأمر بالصلاة المعنية يوجب الأمر بجميع أجزائها فلمّا دلّلنا على أن أحد أجزائها شغل ذلك الحيز، ودلّلنا على أن شغل ذلك الحيز منهى عنه لزم حينئذ توارد الأمر والنهي على الشيء الواحد بالاعتبار الواحد وأنه محال.

فثبت أن الذي تخيله الغزالي من الفرق بين الجهتين في هذه الصلاة كلام غير صحيح، ولما قرر الإمام الفخر الرازي هذا الكلام، انقطع الأمير شرف شاه. وقال: «ظننت أني إذا قررت هذه المسألة عندك أخذت المئة الموعودة، والآن ظهر لي أن آخذ تلك المئة غرض لا يصاب ودعاء لا يستجاب»[(١)].

❷ **كتاب «البسيط» في الفروع.**

❸ **كتاب «الوسيط» في الفروع**، وقد شرحه تلميذه محمد بن يحيى النيسابوري المتوفى سنة ٥٤٨هـ وسماه «المحيط في شرح الوسيط» في ستة عشر مجلداً، ووقفه بالمدرسة الصلاحية في جوار تربة الشافعي[(٢)].

❹ **كتاب «الوجيز» في الفروع**، أخذه من البسيط والوسيط، وزاد فيه

---

(١) مناظرات فخر الدينزي: ص٤٥-٤٦.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٥-٢٧، كشف الظنون: ج٢، ع ٢٠٠٨.

أموراً وهو عمدة في مذهب الشافعي، وقد اعتنى به الأئمة فشرحه الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وشرحه أبو الفتوح أسعد بن محمود العجلي، صنف كتاباً في شرح مشكلات الوجيز والوسيط تكلم في المواضيع المشكلة منها ونقل من الكتب المبسوطة عليهما. وشرحه الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣هـ، شرحاً كبيراً سماه «فتح العزيز على كتاب الوجيز»[(١)].

٥ **كتاب «التهذيب في الفروع»** للإمام الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ. وهو تأليف محرر، مهذب، مجرد عن الأدلة غالباً، لخصه من تعليق شيخه القاضي الحسين وزاد فيه ونقص.

ثم لخصه الشخ الإمام الحسين بن محمد المروزي الهروي الشافعي وسماه «لباب التهذيب» مع اشتماله على مزيد التنقيح، والترتيب[(٢)].

٦ **كتاب «الأصول في الفقه»**[(٣)] للإمام فخر الدين أبي بكر الأرسابندي المروزي المتوفى سنة ٥١٢هـ من أهل قرية أرسانيد من قرى مرو، وكان حنفي المذهب.

٧ **كتاب «شرح الجامع الكبير»**[(٤)] في الفروع، لأبي بكر الأرسابندي.

٨ **التعليقة على كتاب «الحاوي»** للماوردي في الفروع[(٥)]، لأبي سعيد عثمان بن علي ابن شراف العجلي المرستي، المتوفى سنة ٥٢٦هـ من أهل بنج ديه.

---

(١) كشف الظنون: ج٢، ع٢٠٠٢-٢٠٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ع١٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ع٥٦٩.

(٤) هدية العارفين: ج٢، ع ٨٣، كشف الظنون: ج١، ع١١١.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ع ٦٥٣، وكتاب الحاوي الكبير في الفروع، للقاضي أبي الحسن علي ابن محمد الماوردي البصري الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠هـ.

⑨ **كتاب الفتاوي**، لابي نصر محمد بن عبدالله الأرغياني النيسابوري الشافعي المتوفى سنة ٥٢٨هـ وقد وهم ابن خلكان فنسبها إلى أبي الفتح سهل بن أحمد الأرغياني، وهو في مجلدين، وتعرف أيضاً بفتاوي النهاية، لأن مؤلفه جرده منها، ويغبر عنها بفتاوي الأرغياني تارة، وهي أحكام مجردة[١].

⑩ **كتاب «المستدرك» في فروع الشافعية**، لأبي سعد إسماعيل بن عبد الواحد البوشنجي المتوفى سنة ٥٣٦هـ، نزيل هراة، وقد وقف عليه الرافعي القزويني المتوفى سنة ٦٢٣هـ، ونقل عنه في مواضع[٢].

⑪ **كتاب «الفروق في فروع الحنفية»**، لأبي المظفر أسعد بن محمد الكرابيسي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٩هـ[٣].

⑫ **كتاب «الطهارة»** لأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن علي ابن عطاء المرو الروذي المتوفى سنة ٥٣٦هـ، قال أبو سعد في الأنساب كان: «مصيباً في الفتاوي، علقت عليه في الفقه كتاب «الطهارة»، ولم يتفق لي الإتمام عليه لأمر عرض، ومانع وقع...»[٤]. ولأبي الفضل عبد الرحمن بن محمد بن أميروية الكرماني، المتوفى سنة ٥٤٣هـ، **نزيل مرو عدة مؤلفات في الفقه منها:**

⑬ **كتاب «التجريد في الفقه»**[٥]، وشرح كتاب التجريد تلميذه شمس الأئمة عبد الغفار بن لقمان الكردري الحنفي المتوفى سنة ٥٦٢هـ، وسماه

---

(١) طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٦٧، كشف الظنون: ج٢، ع١٢٢٠.

(٢) شذرات الذهب: ج٤، ص١١٢، كشف الظنون: ج٢، ع١٦٧٣.

(٣) كشف الظنون: ج٢، ع١٢٥٧.

(٤) الأنساب: الورقة/ ٤٣٠ب.

(٥) الفوائد البهية: ص٧٨، كشف الظنون: ج١، ع٣٤٥، وفيه اسمه «التجريد الركني في الفروع».

«المفيد والمزيد»(١).

⓮ **كتاب «الإيضاح»**(٢) في الفروع، وهو عبارة عن شرح لكتاب التجريد في ثلاث مجلدات.

⓯ **كتاب «شرح الجامع الكبير»**(٣).

⓰ **كتاب «الفتاوي»**(٤).

⓱ **كتاب «الإشارات»**(٥)، هذا وأن ابا الفضل الكرماني، المروزي، قد انتهت إليه رئاسة مذهب أبي حنيفة في الرأي بخراسان كان مولده بكرمان سنة ٤٥٧هـ. قدم مرو وتفقه على فخر القضاة محمد بن الحسين الأرسابندي. وارتفع حاله لاشتغاله بالعلم ونشره، وتكاثر الفقهاء لديه، وتزاحم الطلبة عليه، إلى أن سلم له التقدم بمرو وصار مقبولاً عند الخاص والعام وانتشرت تصانيفه بخراسان والعراق، وكان يقرأ عليه التفسير والحديث في شهر رمضان وممن تفقه عليه: عبد الغافر بن لقمان الكردري، وأبو الفتح محمد بن يوسف السمرقندي، وبدر الدين عمر بن عبد الكريم الورسكي البخاري، وغيرهم(٦).

⓲ **كتاب «الأنصاف في مسائل الخلاف»**(٧) للإمام أبي سعيد محمد بن يحيى النيسابوري المتوفى سنة ٥٤٩هـ مدرّس نظامية نيسابور وهراة.

---

(١) كشف الظنون: ج١، ع٣٤٥-٣٤٦.

(٢) الفوائد البهية: ص٧٨، كشف الظنون: ج١، ع٢١١.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٨، كشف الظنون: ج٢، ع١١١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٨.

(٥) كشف الظنون: ج١، ع٩٦.

(٦) التحبير: الترجمة/٣٥٩، الأنساب: الورقة/٤٨٠أ، الجواهر المضية: ج١، ص٣٠٤، الفوائد البهية: ص٧٨.

(٧) كشف الظنون: ج١، ع١٨٢، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٦، وفيه ذكر له =

⓳ **كتاب «التنقيح» في أصول الفقه**، لأبي المحاسن مسعود بن علي البيهقي المتوفى سنة ٥٥٤هـ[١].

⓴ **كتاب «التوابع واللوامع» في الأصول**، لابي المحاسن مسعود بن علي البيهقي المتوفى سنة ٥٥٤هـ[٢].

㉑ **كتاب «أجوبة مسائل في الفقه والتصوف»** لأبي منصور محمد بن أسعد بن محمد العطاري الطوسي، المتوفى سنة ٥٧٣هـ، وهذه المسائل سأله عنها يوسف بن مقلد الدمشقي[٣].

㉒ **كتاب «الهادي في الفروع»** مختصر نافع لقطب الدين أبي المعالي مسعود بن محمد النيسابوري، المتوفى سنة ٥٧٨هـ، شرحه أبو القاسم هبة الله بن عبدالله القفطي المتوفى سنة ٦٩٧هـ[٤].

★ وصنّف الإمام الفخر الرازي نزيل هراة مؤلفات قيّمة في علم الكلام منها:

㉓ **كتاب «أبطال القياس»**[٥] وقد ذكره الفخر الرازي في كتابه «المعالم في أصول الفقه» في كلامه على تضعيف حجج القياس بالعبارة التالية: «ولنا كتاب مفرد في مسألة القياس فمن أراد الاستقصاء في

= تعليقه في الخلافيات.

(١) إرشاد الأريب: ج٧، ص١٥٩، بغية الوعاة: ص٣٩٠، كشف الظنون: ج١، ع٤٨١ وفيه ورد اسمه «التلقيح في الأصول».

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص١٥ تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٣، ص٤٠١، كشف الظنون: ج١، ع٥٠٣.

(٣) معجم المؤلفين: ج٩، ص٥٠.

(٤) كشف الظنون: ج٣، ع٢٠٢٦.

(٥) تاريخ الحكماء: ص٢٩٣، ذكر أنه لم يتم، عيون الأنباء: ج٢، ص٢٩، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥.

القياس رجع إليه»[١].

㉔ **كتاب «أحكام الأحكام»**[٢].

㉕ **كتاب «شرح الوجيز للغزالي في الفقه»**[٣].

㉖ **كتاب «المحصول في أصول الفقه»**[٤]، وقد أشار إليه الفخر الرازي في كتبه مثل: التفسير[٥]، وكتاب الأربعين[٦]، وذكر الصفدي، أنه يقع في مجلدين[٧]. ولكتاب «المحصول» نسخ خطية في عدة مكتبات[٨].

㉗ **كتاب «المعالم في أصول الفقه»**[٩] قال فيه الفخر الرازي وهو

---

(١) المعالم في أصول الفقه: الورقة/١١٩أ، نقلاً عن كتاب فخر الدين الرازي وآراؤه: ص٩٩.

(٢) تاريخ الحكماء: ص٢٩٣، عيون الأنباء: ج٢، ص٣٠، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥.

(٣) تاريخ الحكماء: ص٢٩٣، عيون الأنباء: ج٢، ص٢٩.

(٤) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٤٩، عيون الأنباء: ج٢، ص٢٩، تاريخ الحكماء: ص٢٩٢، وفيه ورد اسمه المحصول في علم الأصول، البداية والنهاية: ج١٣، ص٥٥.

(٥) تفسير الرازي: ج٢، ص١٩٦، جاء فيه اسمه «المحصول في الأصول»، ج٢٩، ص٢٨١.

(٦) الأربعين: ص٢٤٩، ٤٠٠ جاء فيه اسمه المحصول في الأصول.

(٧) الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥.

(٨) للكتاب نسخة خطية في (مكتبة الأحمدية في حلب برقم ٤١٦) وفي مصر في (مكتبة سوهاج ١٩ اصول الفقه، لكنها ناقصة) وفي إستانبول في (مكتبة أحمد الثالث ١٢٥١)، وفي (مكتبة عاطف برقم ٧١٥). وفي مكتبات غيرها.

(٩) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٤٩، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥، البداية والنهاية: ج١٣، ص٥٥.

آخر كتاب أصولي له: «أن القرآن وافٍ ببيان جميع الأحكام التي لا نهاية لها فلو أن الفقهاء اقتصروا عليه لخفت المؤنة، وسهل الطريق، **إلّا أنهم ذكروا مسألتين:**

★ **إحداهما:** تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد.

★ **وثانيهما:** تخصيصه بالقياس. ولأجل هاتين المسألتين عظم الخبط، وكثرت المذاهب، وانشعبت الأقوال وقبت من أن تصير غير متناهية. والمختار عندنا: أنه يجوز تخصيص القرآن بخبر الواحد بشرط أن يكون سليماً من المطاعن كلها[١].

ولكتاب المعالم، نسخ خطية متعددة في مكتبات العالم[٢].

٧٨ **كتاب «منتخب المحصول» في أصول الفقه**، أورد حاجي خليفة في كشف الظنون[٣]، قول الرازي فيه: هذا مختصر انتخبته من كتابي «المحصول» ورتبته على مقدمة وفصول.

ونجد السبكي ينسب هذا الكتاب إلى أحد تلامذة الفخر الرازي[٤]. وللكتاب نسخ خطية في مكتبات العالم[٥].

---

(١) المعالم في أصول الفقه: ص١٢١-١٢٢، نقلاً عن كتاب فخر الدين الرازي وآراؤه: ص٤٤.

(٢) للكتب نسخة خطية في مصر في (مكتبة الأزهر برقم ١١٧) وفي إستانبول في (مكتبة جار الله برقم ٢/١٦٢) وفي مكتبة أحمد الثالث برقم ١٣٠١) وفي مكتبة ليبزيج برقم ٨٥٥).

(٣) كشف الظنون: ج٢، ع١٦١٦.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٥، ص٣٩ (الحسينية).

(٥) منها نسخة خطية في (مكتبة الظاهرية بدمشق برقم ف١٥) وفي إستانبول في (مكتبة فاتح برقم ١٤٦٤).

٢٩ **كتاب «البراهين البهائية»**(١)، ألفه بالفارسية للأمير بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود حاكم باميان سنة ٦٠٢هـ، تحدث فيه عن سبعين ومئة مسألة فرعية في الفقه خالف فيها الأحناف، مناصراً المذهب الشافعي.

وقد طلب الأمير صرغتمش الناصري المصري من السراج عمر بن إسحق الغزنوي الهندي قاضي القضاة بمصر المتوفى سنى ٧٧٣هـ أن يترجم «الطريقة البهائية» للفخر الرازي إلى العربية مع ذكر حجج تنقض حجج الأصل آثاراً كانت أم أنصاراً. فألف كتاب «الغزّة المنيفة» في مناصرة أبي حنيفة في تلك المسائل(٢).

هذا ولا يفوتنا أن نذكر أن آراء الفخر الرازي الفقهية مثبوتة في مؤلفاته الأخرى مثل: التفسير، وكتبه الأصولية. ومن آرائه الفقهية في المغالاة في المهر. قال في تفسيره لقوله تعالى: . . ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

قالوا: الآية تدل على جواز المغالاة في المهر، روى أن عمر (رضي الله عنه) قال على المنبر: ألّا لا تغلو في مهور نسائكم، فقامت إمرأة فقالت: يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنع وتلت هذه الآية، فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر، ورجع عن كراهة المغالاة.

قال الفخر الرازي: وعندي أن الآية لا دلالة فيهاعلى جواز المغالاة لأنه قوله (وأتيتم إحداهن قنطاراً) لا يدل على جواز إيتاء القنطار كما أن

---

(١) تاريخ الحكماء: ص٩٢٣، عيون الأنباء: ج٢، ص٣٠، هدية العارفين: ج٢، ص١٠٧.

(٢) الغرة المنيفة: مقدمة الشيخ محمد زاهد بن الحسين الكوثري، ص١٠، مطبعة السعادة بمصر (١٣٧٠هـ-١٩٥٠م).

قوله (لو كان فيهما آلهة إلّا اللهُ لَفَسَدَنا) لا يدل على حصول الآلهة، والحاصل أنه لا يلزم من جعل الشيء شرطاً لشيء آخر كون ذلك الشرط في نفسه جائز الوقوع.

وقال (ﷺ): (من قتل له قتيلاً فأهله بين خيرتين ولم يلزم منه جواز القتل وقد يقول الرجل: لو كان الآله جسماً لكان محدثاً، وهذا حق، ولا يلزم منه قولنا الآله جسم حق)(١).

وقد اختلف الأئمة والفقهاء في قوته في الفقه والأصول فخصمه شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: كان ضعيفاً في الفقه(٢).

أما أصحابه الشافعية فيقولون: أنه من الفقهاء المعدودين المشهود لهم بالتقدم والسبق(٣).

(١) تفسير الرازي: ج١٠، ص١٣.

(٢) فتاوى ابن تيمية: ج٥، ص١٠٧ (رسالة التسعينية وكتاب بغية المرتاد) - المطبعة العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى: ص٣٩ (الحسينية).

الفصل الرابع

علوم العربية

يبدو للباحث أن علماء خراسان في القرن السادس الهجري قد بذلوا عناية فائقة بعلوم العربية، ذلك لأن العربية في خراسان كانت لغة التدريس، والخطابة، والوعظ، والتذكير، والإملاء والتحديث، والمناظرات بين العلماء، إضافة إلى كونها لغة التصنيف في جميع العلوم النقلية والعقلية، لذلك نجد الاهتمام بدراسة أصول اللغة والنحو والبلاغة، والأدب شعراً ونثراً، أمراً طبيعياً. وكان من نتائج هذا الاهتمام أن حفلت خراسان في هذا القرن بطائفة من فحول الشعراء، والكتاب والنحاة واللغويين الذين ذاعت شهرتهم في الآفاق الإسلامية ووضعوا في علوم العربية المصنفات القيّمة.

■ **ونشير فيما يأتي إلى أهم فنون العربية التي درست بخراسان.**

● **الشعر العربي في خراسان:**

كانت عناية أهل خراسان بالشعر العربي كبيرة فلا نستغرب إذا عدّ التحديث بالشعر رواية، وأن كان الشاعر لا يحدّث إلّا بشعره، فقد انتشر الشعر العربي عن طريق السماع، والقراءة، والكتابة، والإجازة وهي نفس الأساليب التي درّست بها علوم الحديث مما يدل على أنه كان للشعر أهمية كأهمية الحديث، **والأمثلة لدينا كثيرة تبين كيف درس الأدباء الشعر في خراسان منهم:**

١ أبو الفتح محمد بن علي بن إبراهيم النطنزي الأديب.

وصفه أبو سعد بأنه أفضل من بخراسان والعراق في اللغة والأدب والقيام بصنعة الشعر قدم مرو سنة ٥٢١هـ. قال أبو سعد: قرأت عليه طرفاً صالحاً من الأدب، واستفدت منه وغرفت من بحره، ثم لقيته بهمذان، ثم قدم علينا بغداد غير مرة في مدة مقامي بها، وما لقيته إلّا وكتبت عنه واقتبست منه، **انشدني أبو الفتح لنفسه وكتب لي بخطه**(١):

ان تـرانـي غَـريـبَ بُـعـدِ رياشٍ فَجَمالُ السُّيوفش حين تُشَامُ
واختصار الخُصورِ في البيضِ (سقمُ)(٢) وكـذا صِـحَّـةُ الـجـفـون الـسَّـقـامُ

٢ الأديب أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الفنجكردي النيسابوري المتوفى سنة ٥١٣هـ. ذكره عبد الغافر الفارسي في السياق(٣)، ووصفه بالاستاذ البارع، صاحب النظم والنثر قرأ أصول اللغة على أبي يوسف يعقوب بن أحمد الأديب، وغيره، وأحكمها وتخرج فيها، قال أبو سعد: «كتب اليّ الإجازة بجميع مسموعاته ومقولاته سنة تسع وخمسمائة»(٤).

من شعر قوله:

ولّـى الشَّبابُ بـحسْنـهِ وبـهـائـهِ وأتـى الـمشيبُ بنَوْره وضيـائِه
الـشَّـيبُ نـور لـلـفـتـى لـكـنَّـه نُـورٌ مـهـيـبٌ مُـؤْذنٌ بـفـنـائِـه
فانْهَجْ بذكرِ الله وارْضَ بحكمِه لا روح لـلـفـقـراء دون لـقـائِـه

---

(١) الأنساب: الورقة/ ٥٦٤آ، والنطنزي: نسبة إلى نطنزة بلدة بنواحي أصبهان.

(٢) في الأصل سقطت كلمة (سقم) وفهمناها من القافية.

(٣) الورقة/ ٧١أ-٧١ب.

(٤) التحبير: الترجمة/ ٥٤٥.

وله:

الحكمُ لله ما للعبدِ مُنْقَلَبُ ... إلّا إليه ولا عن حُكمه هَرَبُ
المرءُ ما عاشَ في الدنيا أخو محنٍ ... تصيبه الحادثاتُ السودُ والنوبُ
فإن يساعِدْه في اثنائها فرجٍ ... تَسارعت نحوه في إثره كُرَبُ
حتى إذا مَلَّ من دنياه فاجأه ... في أرضِهِ كان أو في غيرها العَطَبُ[1]

❸ **أبو المحاسن مسعود بن غانم..** الأديب الغانمي الجراحي المتوفى سنة ٥٥٣هـ، من أهل هراة. كان سريع النظم كثيره. قال أبو سعد في الأنساب[2]: «كتبت عنه من أشعاره الشيء الكثير».

❹ **الأمير أبو سعد منصور بن محمد..** الشيباني العصمي الفوشنجي المتوفى سنة ٥٢٠هـ ذكر أبو سعد أنه كان من مفاخر خراسان، وممن يضرب به المثل في رقة الطبع، وصفاء الخاطر، وحسن النظم والنثر، وأشعاره مشهورة في الآفاق، مذكورة على ألسنة الرواة. أجاز لأبي سعد السمعاني، وذكر في الإجازة ما يؤثر عنه من منظوم في الكلام، ومنصور، وتأليف[3].

❺ **أبو الحسن علي بن محمد الجويني النيسابوري** المتوفى سنة ٥٤٤هـ. كان شيخاً، حافظاً للأدب والشعر، وأخبار الناس. خدم الأكابر وصحبهم. وكان له شعر حسن. قال أبو سعد: سمعت منه قبل خروجي إلى العراق، فلما رجعت منه كان قد خرج إلى الجبل وخلا في صومعة له في سفح الجبل بقرية يقال لها زندرزن. مضيت إليه، وكتبت عنه، إقطاعاً من

---

(١) إرشاد الأريب: ج٥، ص١٠٣-١٠٤.

(٢) الأنساب: الورقة/٤٠٦أ.

(٣) التحبير: الترجمة/١٠١٥، معجم شيوخ السمعني: الورقة/٢٦٦ب.

شعر أستاذه يعقوب الأديب رواها عنه»[١].

● **الأديب أبو يعقوب يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخويي** المتوفى سنة ٥٤٩هـ. أديب فاضل، وفقيه بارع، رقيق الطبع، مليح الشعر. قال أبو سعد: «كتب لي أجزاء من مجموعاته، وشعره، وسمعتها منه، وكان قد سكن بنوقان طاس»[٢].

■ **وقد درّس أهل خراسان الأدب وأصول اللغة العربية على جماعة من الأدباء الذين اشتهروا في خراسان في القرن السادس الهجري منهم:**

١ ● **أبو رشاد أحمد بن محمد بن القاسم الأخسيكثي**، الملقب بذي الفضائل، المتوفى سن ٥٣٠هـ. كان هو وأخوه ذو المناقب[٣]، أديبين غير مدافعين، قدما مرو وسكناها إلى أن ماتا، وكان ذو الفضائل هذا شاعراً، أديباً، بارعاً، مصنفاً، كاتباً، مترسلاً، في ديوان السلاطين، له الباع الطويل في النحو واللغة، واليد الباسطة في النظم والنثر. أخذ عنه أكثر فضلاء خراسان، وقرأوا عليه الأدب وتلمذوا له. وكانت له ردود على جماعة من قدماء الفضلاء ومشاعرات ومناظرات مع الفحول والأكابر. قال ابو سعد: «سمعت منه كتاب «الأداب والمواعظ» للقاضي أبي سعيد الخليل بن أحمد السجزي الحافظ..» له تصانيف كثيرة: كتاب

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٥٧٥، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٨٣أ.

(٢) التحبير: الترجمة/ ١١١٤، الأنساب: ج٥، ص٢٣٦، معجم البلدان: ج٢ص٥٠٢، والخويي نسبة إلى خوي إحدى بلاد أذربيجان.

(٣) هو أبو الوفاء محمد بن محمد، كان إماماً في اللغة متقناً/ حسن الشعر متينه، صنف التصانيف وكانت له يد باسطة في التواريخ ومعرفتها. قال أبو سعد: لقيته غير مرة، ولم يتفق لي السماع منه، توفي سنة نيف وعشرين وخمسمائة. الأنساب: ج١، ص١٣٢-١٣٣.

«في قولهم كذب عليك كذا» وكتاب «زوائد في شرح سقط الزند» وله ديوان شعر «اطلع عليه ياقوت الحموي فقال: **قرأت في ديوان شعره بخطه انشدت لأبي العلاء:**

هَفَتْ الحنيفَةُ والنَّصارى ما اهتَدَتْ   وَمَجُوسُ حَارَتْ واليهودُ مُضَلَّلَه[١]
اثنانِ أهلُ الأرضِ ذُو عقلٍ بلا   دين وآخرُ دَيِّنٌ لا عَقْلَ لَهُ

فقلت مجيباً له:

الدّين آخذه وتاركه   لم يخف رشدهما وغيّهما
رجلان أهل الأرض قلت فقل   يا شيخ سوء أنت أيّهما[٢]

٢ • **الأديب أبو المعالي يوسف بن محمد الفقيهي الصابري**، المتوفى سنة ٥٣٤هـ، من أهل مرو. كان أديباً فاضلاً، متقناً، شاعراً، سريع النظم، مترسلاً، حسن النثر، أكثر أولاد الأكابر من الأئمة والمحتشمين بمرو كانوا تلامذته، **قرأوا عليه الأدب وتخرجوا عليه منهم:**

أبو سعد السمعاني حيث قال: «قرأت عليه الكثير من كتب اللغة، وشعره، وشعر غيره، وكتبت عنه إملاء ومذاكرة من الحكايات والأشعار»[٣]، وقال في معجم شيوخه: **أنشدني**

---

(١) لزوم ما لا يلزم: ج٢، ص١٧٥ وفيه: ويهود حارث والمجوس مضلله

(٢) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٩أ، الأنساب: ج١، ص١٣٣، وفيهما وفاته سنة ٥٣٠هـ كما أثبتناها، معجم البلدان: ج١، ص١٦٢، بغية الوعاة: ص١٦٢، تاج التراجم في طبقات الحنفية: ص١٦، ورد فيها وفاته سنة ٥٢٨هـ، والأخسيكثي: نسبة إلى اخسيكث من بلاد فرغانة.

(٣) التحبير: الترجمة/ ١١١٧، الأنساب: الورقة/ ٣٤٦ب، وفيه كان حسن الشعر بالعربية والعجمية، والصابري: نسبة إلى صابر سكة بمرو معروفة من محلة سلمة بأعلى البلد.

مؤدبي أبو المعالي الفقيهي لنفسه من لفظه في مرثية أخي أبي المظفر عبد الوهاب:

ظَفَر الرَّدى بأبي المُظَفر عاجلا وغدا به غصن الفضائل ذابلا
فمَضَى وغَادَرَ كُلَّ فضلٍ مُهملا والدَّمع عن مُقل الأَئِمة هاملا
ما كان أسرعُ في الترابِ نُزوله هَلْ يجعل القمر الترابَ منازلا
قد كان نجماً لم يتمَّ طلوعُه في عالم العَلْيا فأسى آفلا
مُسْتَصْغَراً سِناً ولكنْ قَدْ حوى فضل الكهول وكان قرماً فاصلا[(١)]

• ٣ الأديب أبو محمد عبد اللطيف بن عبد الرشيد الهروي، المتوفى سنة ٥٤٦هـ. كان فقيهاً، أديباً، له سمت وسكون، وكان أكابر هراة يختلفون إليه، ويتعلمون منه اللغة، والأدب، وكان له شعر على طريقة الفقهاء سهل المأخذ. قال أبو سعد: «سمعت منه بهراة في النوبة الأولى شيئاً يسيراً، ثم قدم علينا بلخ سنة ست وأربعين»[(٢)].

• ٤ أبو حفص عمر بن علي.. الشيخي الطوركي البلخي المعروف بأديب، المتوفى سنة ٥٤٨هـ شيخ من أهل بلخ كان يسكن سكة طورك. قرأ عليه جماعة الأدب ببلخ[(٣)].

• ٥ أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أبي الفضل من الصباغ الأديب السرخسي من أهل سرخس أديب فاضل مشهور في بلده، تلمذ له جماعة من أولاد الأكابر[(٤)].

---

(١) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٢٨٧ب-٢٨٨أ.
(٢) التحبير: الترجمة/٢٥٤، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٥٩أ.
(٣) المصدر نفسه/٥١٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٧٠أ.
(٤) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٨أ.

٦ • **أبو الفتح محمد بن إسماعيل بن عبدالله**.. الأديب المروزي الصدقي، المتوفى سنة ٥٥٧هـ، من أهل مرو من سكة صدقة ابن الفضل.

كان أديباً فاضلاً، عارفاً بأصول اللغة، حافظ لها، رزق من التلاميذ ما لا يوصف، وصار أكثر أولاد المحتشمين تلامذته. قال أبو سعد: «قرأ عليه الأدب والدي وعماي، وعمر العمر الطويل، وانتشرت عنه الرواية»(١).

٧ • **أبو الفضائل محمد بن الحسن**.. المعيني الريوندي النجكشي، النيسابوري الأديب، المتوفى سنة ٥٣٧هـ. شيخ عارف بالأدب واللغة، وكان يحفظ أصولها ويقرأ الناس عليه أصول اللغة(٢).

★ وقد صنّف أدباء خراسان مؤلفات أدبية قيّمة في فنون الأدب العربي، غدت مؤلفاتهم من مراجع الدراسة في البلدان الإسلامية، ينقل عنها تراجم الأدباء المسلمون.

• الأدباء الذين صنّفوا في الأدب العربي بخراسان:

❶ **الأديب أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري** الميداني المتوفى سنة ٥١٨هـ. كان شيخ العربية بنيسابور، أتقن فن العربية خصوصاً اللغة، وأمثال العرب، والنحو وله فيها التصانيف المفيدة. ذكره أبو الحسن البيهقي في كتابه «وشاح الدمية» فقال: «الإمام أستاذنا، صدر الأفاضل، أبو الفضل الميداني، صدر الأدباء، وقدوة الفضلاء، قدّ صاحب الفضل في ايام نفد زاده،

---

(١) معجم البلدان: ج٣ص٣٧٦، المشتبه: ج٢، ص٤١٠.

(٢) التحبير: الترجمة/٧٢٨، معجم البلدان: ج٣، ص٨٥٢، نكت الهميان: ص٢٤٨، والفجكشي: نسبة إلى فجكش، قرية جويج الزيوند من أرباع نواحي نيسابور.

وفني عتاده، وعدته، وبطلت اهبته، فقوّم سناء العلوم بعدما غيرتها الأيام بصروفها، ووضع أنامل الأفاضل على خطوطها وحروفها، ولم يخلق الله تعالى فاضلاً في عهده إلّا وهو في مائدة آدابه ضيف، وله بين بابه وداره شتاء وصيف، وما على من عام لجج البحر الخضم، واستنزف الدر ظلم رحيف، وكان هذا الإمام يأكل من كسب يده...»[١].

★ ومن شعره قوله من (البحر الطويل)[٢]:

تَنَفَّس صُبْحُ الشَّيب في ليلِ عارِضِي فَقُلتُ عَسَاه يكتفي بعِذارِ
فَلما فشا عاتَبْتُه فأجابني أيا هَلْ تَرى صُبْحاً بغيرِ نهارِ

★ ومن شعره أيضاً من (البحر السريع)[٣]:

يا كاذباً أصبحَ في كذبِهِ أعجوبةً أيمة أعجوبَه
وناطقاً ينطق في لفظةٍ واحدةٍ سبعين أكذوبَه
شَبَّهك الناس بعرقُوبهم[٤] لمَّا رأوْا أخْذَكَ أسْلوبَه
فَقُلْتُ كلّا إنّه كاذبٌ عرقوبُ لا يبلغُ عرقوبَه

قرأ أصول اللغة وأحكمها ثم أخذ في التصنيف فأحسن كل الإحسان فيما جمعه وصنفه، وأربى على ما تقدم بالترتيب والتحقيق

---

(١) إرشاد الأريب: ج٢، ص١٠٩، أنباه الرواة: ج١، ص١٢٢-١٢٣.

(٢) وفيات الأعيان: ج١، ص١٣٠-١٣١، تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة/ ٩٧ب ٩٨أ.

(٣) تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة/ ٩٨أ.

(٤) وعرقوب هو الذي يضرب به المثل في الخلف فقالوا: مواعيد عرقوب أخاه بيثر قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلّا الأباطل

ديوان كعب بن زهير: ص٨، سيرة ابن هشام: ج٤، ص١٥٢.

واستترك على بعض من زلّ قلمه من المصنفين وأصلح مواضع الغلط. ومن مصنفاته الأدبية:

١ • كتاب «مجمع الأمثال»، وقد صنفه بإشارة من الشيخ العميد الأجل.. أبي علي محمد بن أرسلان[١].

وذكر الميداني في مقدمة كتابه الرائعة قوله: «.. وجعلت الكتاب على نظام حروف المعجم في أوائلها ليسهل طريق الطلب على متناولها، وذكرت في كل مثل من اللغة والإعراب ما يفتح الغلق من القصص والأسباب ما يوضح الغرض ويسيغ الشّرق مما جمعه عبيد بن شريّة، وعطاء بن مصعب، والشرقي بن القطامي، وغيرهم... وسميت الكتاب «مجمع الأمثال» لاحتوائه على عظيم ما ورد منها، وهو ستة آلاف ونيف، والله أعلم بما بقي منها، فان أنفاس الناس لا يأتي عليها الحصر، ولا تنفد حتى ينفد العصر..»[٢].

ويحكى أن الزمخشري بعدما ألف كتابه «المستقصى في الأمثال» وقع له كتاب «مجمع الأمثال» للميداني، فأطال النظر فيه وأعجبه جداً، ويقال أنه ندم على تأليفه «المستقصى» لأنه دوّن مجمع الأمثال في حسن التأليف، والوضع، وبسط العبارة، وكثرة الفرائد...»[٣].

---

(١) مقدمة كتاب مجمع الأمثال: ص٧، ومحمد بن أرسلان هذا كان صاحب بلاغة وفصاحة مليح الخط، حسن النظم والنثر. وكان ممن تقدم وحظي عند السلطان سنجر بن ملكشاه وارتفعت درجته حتى ترشح للوزارة، وكان منزله مجمع العلماء والفقهاء. قتل في مرو في وقعة الخوازمشاهية سنة ٥٣٦هـ. التحبير: الترجمة/ ٧٠٩، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٠٦ب.

(٢) مقدمة كتاب مجمع الأمثال: ص١٢-٩.

(٣) كشف الظنون: ج٢، ع١٥٩٨.

وقد اختصر كتاب «مجمع الأمثال» أحد تلاميذ الميداني، وهو شهاب الدين محمد بن أحمد القضاعي الخويي[(١)].

٢ • **كتاب «السامي في الأسامي»**[(٢)]، وصفه ابن خلكان بأنه جيد في بابه[(٣)]. وقال فيه الخوانساري: «أنه بديع النسق والأعمال الجيدة في باب، قلّ ما يوجد من غير مصادر اللغة العربية اسم عربي لم يعرف فيه بالفارسية القديمة على أحسن اتقان وامتن تباين،.. وقد بالغ في وصف هذا الكتاب كثير من أصحابنا في إجازاتهم واعتنوا بالنقل عنه في مواقع الحاجة كثيراً وناهيك به معيناً لأرباب الكتابة، والشعر، ونقاد الكلام من النظم والنثر. وقد كتب بعضهم في كشف رموز هذا الكتاب ووصف غموضه وسماه بالإنابة عند عندنا نسخة..»[(٤)]. **وفي كتاب السامي في الأسامي يقول محمد المرساني**[(٥)]:

هذا الكتابُ الذي سَمَّاهُ بالسامي دُرجَ من الدرِ بلّ كثر من السام
ما صَنَفّت مثله في فِنّه أبداً خواطُر النّاس من حامٍ ومن سام
فيه قلائدُ ياقوتٍ مفصلةً لكلِّ اروعَ ماضِي العزم بِسَّام
فكعبُ احمدَ مولاي الإمام سمَا فوق السماكينِ من تصنيفِ السّامي

٣ • **كتاب «منية الراضي في رسائل القاضي»**[(٦)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكتاب مطبوع، نشرة الدكتور محمد موسى هنداوي.

(٣) وفيات الأعيان: ج٤، ص١٣٠-١٣١.

(٤) روضات الجنات: ص٨٠.

(٥) إرشاد الأريب: ج٢، ص١٠٨.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٨، تاريخ الإسلام: م١٣ق١: الورقة/٩٧ب، أنباه الرواى: ج١، ص١٢٤.

❷ **ابنه، الأجيب أبو سعد سعيد بن أحمد الميداني، النيسابوري،** المتوفى سنة ٥٣٩هـ. شيخ أديب فاضل، عالم، كثير المحفوظ، عارف بالأدب واللغة. سمع بنيسابور أباه أبا الفضل الأديب، وغيره. صنف كتاب «الأسمى في الأسماء»[(١)].

ذكره البيهقي في الوشاح، فقال في وصفه: «من حطّ الرّحال (عنده) يوماً للتخصيل والتعليم فلا شك أنه يخيّم في فضاء التبجيل والتعظيم، ولا يبقى صفر الراحة من المال، معطّل الباحة من حسن الحال، وهذا الإمام تأدّب بآداب أبيه اللائحة واجتهد في سلوك سبله الواضحة، حتى تحقق فيه قول القائل: «ما أشبه الليلة بالبارحة»[(٢)].

❸ **أبو الحسن علي بن القاسم السنجاني، الخراساني.** الأديب الشاعر، له كتاب «مختصر العين» قال فيه القفطي: «محله من الأدباء محل العين من الإنسان، والإنسان من العين، وقد سهّل طريقة اللغة على طالبيها وادنى قطوفها من متناولها باختصاره، ولا تكاد ترى حجور المتأدبين منه خالية لا بل تراها أبداً به حالية». وله شعر الزهاد، **وقد جرى فيه على سمت العباد ونسج فيه على منوال أولى الاجتهاد فمنه قوله:**

خليليّ قوما فاحْمِلا لي رسالةً ... وقولا لدنيانا التي تتصنعُ
عرفناكِ يا خدّاعَة الخلْق فاغرُبي ... ألسنا نرى ما تصنعين ونسمعُ
فلا تتحلّي للعيون بزينة ... فانّا متى ما تُسفِري نتقنعُ

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٢٣٧، وفيات الأعيان: ج١، ص١٣١، المشتبه: ج٢، ص٦٢٢، شذرات الذهب: ج٤، ص٥٨، كشف الظنون: ج١، ع٩٠، ورد فيه اسمه «الأسامي الأسما» وذكر أنه أخذه من كتاب أبيه السامي في الأسالي.

(٢) أنباه الرواة: ج٢، ص٥١-٥٢، وقد أورد له قصيدة قالها في الإمام فخر الدين عبد العزيز الكوفي.

نغطي بثوب اليأس منك عيوننا ... إذا لاح يوما من مخازيك مطمعُ
وهل أنت إلّا مُتعةً مستعارةً ... وهل طاب يوماً بالعوارى تمتعُ
رَتعنا وجُلْنا في مراعيك كلّها ... فلم يَهِننا مما رعيناه مرتعُ
وأنت خلوبٌ كالغمامة كُلَّما ... رجاها مرَجى الغيث ظَلَّت تقشّعُ
طلوعٌ قبوُع كالمغازِلة التي ... تطلَّعُ أحيانا وحينا تقبّعُ

وقال القفطي معلقاً على هذه الأبيات بقوله: «وهذا لعمري كلام لودعى به الصخر لأجاب ولو قرع به سمع عفريت لتاب»[١].

● **الأديب محمود بن أبي المعالي تاج الدين الحواري اللغوي.** الشاعر من أهل نيسابور أخذ الأدب عن سعيد بن أبي الفضل الميداني، وبرع في اللغة النثر الفائق والشعر الرائق، وكان واحد نيسابور علماً، وفضلاً، وأدباً، صنف كتاب «ضالة الأديب في الجمع بين الصحاح والتهذيب»[٢]، أخذ فيه على الجوهري في عدة مواضه. ذكر ياقوت الحموي أنه كان حياً سنة ٥٨٠هـ[٣].

● **أبو المحاسن مسعود بن علي بن أحمد بن العباس الصوافي البيهقي** الأديب المتوفى سنة ٥٤٤هـ.

قال البيهقي في الوشاج: فخر الزمان وأوحد الأقران ومن لا ينظر الأدب إلّا بعينه، ولا يسمع الشعر إلّا بأذنه صنف «شرح الحماسة»[٤]، وكتاب

---

(١) أنباه الرواة: ج٢، ص٣٠٢-٣٠٣، وفيه ضبط السنجاني بفتح السين، معجم البلدان: ج٢، ص٤٨٦، وفيه ضبط سنجنان، بفتح أوله وقد يكسر، وسكون ثانيه.

(٢) كشف الظنون: ج٢، ص١٠٨٥.

(٣) إرشاد الأريب: ج٧، ص١٥١-١٥٢.

(٤) كشف الظنون: ج١، ع٦٩١، والحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائ جمع فيه أشعار العرب، ورتب على عشرة أبواب، وسبب جمعه أنه قصد عبدالله بن طاهر =

«التذكرة» في أربع مجلدات كتاب «أعلاق[١] الملوين وأخلاق الأخوين» وكتاب «نفثة المصدور»، وديوان أشعاره في مجلد ومن شعره قوله:

تَكَلَّفَ المجدُ أقوامٌ وقد سَئِموا منه وإنَّكَ مشغوفٌ به كَلِفُ
كأنّكَ الدُّرَّةُ الزهراءُ في صدفٍ والناسُ حولك طُرًّا ذلك الصَّدَفُ[٢]

● أدباء خراسان الذين ذاع صيتهم مع ذكر نماذج من أشعارهم:

١ فخر الإسلام أبو غالب محمد بن عمر بن أبي بكر الحازمي الهروي الأديب.

ذكره العماد الأصبهاني في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر فقال: ورد فخر الزمان محمد بن عمر بن أبي بكر الحازمي أصبهان في شهور سنة تسع وأربعين وخمسمائة فسألته عن شعراء هراة فأعراني مجموعاً كتبت فيه أشعارهم وأنشد فيها لهم وذكر أن القاضي تاج الدين يحيى بن صاعد كان صاحب بديهة. وقال: أنشجني في زرقة العين – وذكر أبياتاً – قال: **وأنشدني فخر الإسلام لنفسه في المعنى:**

ولما التَقَى اليَاقوتُ والدُّر والسَبَجْ من الخدِّ والأسنانِ والصدغِ ذي العِوَجِ

= وهو بخراسان، فمدحه وأجازه، وعاد يريد العراق، فلمّا دخل همذان اغتنمه أبو الوفاء ابن سلمه فانزله وأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغّم أبا تمام ذلك وسر أبا الوفاء، فاحضر له خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها الحماسة، فبقى كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون به.

(١) العلق: بالكسر النفيس من كل شيء جمعه اعلاق، والملوان الليل والنهار، وكشف الظنون: ج١، ع١٢٥.

(٢) إرشاد الأريب: ج٧، ص١٥٩، تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٣، ص٤٠١، بغية الوعاة: ص٣٩٠.

أتـاحَ لـهـا الـبـاري زُمُرُّدَ عـيـنـهـا فَتَّم به عِقْد المَلَاحةِ في (الغنج)(١)

● **علي بن عبدالله بن محمد بن الهيصم الهروي الإمام صدر الإسلام.**

ذكره أبو الحسن البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥هـ في كتاب الوشاح فقال: «قد بلغ من العلوم أطوريه فلا فضل إلّا وههو منسوب إليه، ورست بالفصاحة قواعده، واشتد بالزهادة ساعده. وقد اختلفت مدة مديدة إليه، وقرآت ما شئت من دقائق العلوم عليه. ووجدته حالاً عقود المشكلات، فاتق رتوق المعضلات ولعمري أنه (ﷺ) كشف عن العلوم نقابها. ورقع عن الحقائق حجابها فلم يكن في عصره فاضل إلّا وقد اغترف من بحاره واقتبس من أنواره **وله ديوان شعر ومن منظومه قوله**:

ضـحـك الـربـيعُ بعبرةِ الأنداءِ ومن الـعـجائبُ ضاحكٌ ببكاء
خَرجـت لـه نـحـو الـشتاءِ كتيبةً ذَعَرْت مـواكبـه عـن الـصـحـراء
ركـبـت فـوارسـه الـهـواء فـجـردت سيفاً جلى جيشَ الدجى بضياء
رقَّ الـربـيعُ لـهـا فـأرسـل نـحـوهـا بـشـرى بـغـيـم فـي نـسـيـج هـواء
والـغـصـن قـرّط أذنـه بـدراهـمٍ مـضـروبـةٍ مـن فـضـةٍ بـيـضـاء
والـروض ألـبـس حـلـةً مـوشـيـة أحـسـن بـهـا مـن صـنـعـة الأنـداء
قـضـبـان نبل أخرجـت ذهـبـاً لـنـا أعـجـب بـهـا من صـيـرف مـعـطـاء
وشـقـائـقُ الـنّـعـمانِ تـشْـبـه صـارخـاً مـتـظـلـمـاً مـتـشـحـطـاً بـدمـاء
والـزعـفـران كـأنّـمـا فُـرِشَـتْ بـه ديـبـاجـةُ نُـسِـجَـتْ مـن الـقـمـراء
سـاءلـتـهـا هـلا بـرزتِ لـنـاظـرٍ صـبـس كـئـيـبٍ هـائـمـش بـكّـاء
فـأبـتْ وآلـتْ لا يـحـلُّ نـقـابـهـا إلّا مـجـيُـر الـدولـة الـغـرّاء(٢)

---

(١) تلخيص مجمع الأداب: ج٤، ص٣، ص٣٥٦-٣٥٧.

(٢) إرشاد الأريب: ج٥، ص٢٢٣-٢٢٥.

٣ أبو القاسم إسحق بن عمر بن عبد العزيز الجميلي المتوفى سنة ٥٢٠هـ المعروف بشرف الأفاضل.

شيخ مشهور فاضل لطيف الشعر، حسن النظم لقي الأكابر وخدم الصدور وكان من أركان مجلس القضاء، وكان جميل المعاشرة طريف الصحبة، محبوب المحاورة والمحاضرة مقبولاً عند الخاص والعام، له الأسعار الرائقة في غاية الرقة والعذوبة، وله حظ وافر من الشعر وكان يذنب أماليه **فمن جملتها:**

هَلْ الدَّهرُ يوماً بليلى يجودُ وأيامُنا باللّوى هَلْ تَعودُ
عهودَ تَقَضَّتْ وعيشٌ مضى بنفسي والله تلك العهودُ
الأقل لسكّانِ دارِ الحبيبِ هنيئاً لكُم في الجنانِ الخلودُ(١)

٤ أبو نصر أحمد بن محمد الهروي الأديب من أهل هراة.

كان إماماً في زمنه مبرزاً في علم العربية مقدماً عند أهل بلده بالفضل والمعرفة.

قال أبو نصر عبد الرحمن بن عثمان الفامي الهروي: **أنشدنا أبو نصر أحمد بن محمد الحداد الأديب لنفسه:**

أيا آبْن العُلى والمجدِ لا بل أبوهما وَحَسبُهما فخراً بهذا ولا فخرُ
فقُل لصروفِ الدهر ما شئتِ فافْعَلي فمن عندك السُّؤى ومن عندي الصبرُ(٢)

---

(١) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٥١ب-٥٢أ، التحبير: الترجمة/ ٥٠، المشتبه: ج١، ص١٧٦.
(٢) أنباه الرواة: ج١، ص١٣٤.

● **علاء الدين أبو الفضل عبدالله بن علي بن شرفشاه الطوسي الفقيه الأديب.**

كان فقيهاً أديباً يعرف بسبط نظام الملك الطوسي مدح الإمام رشيد الدين الخالدي(١) بأشعار كثيرة **ومن شعره فيه قوله**:

إمامَ الورى ركنَ العلا مفخرَ الدهر علا ذروة العليا علامةَ العصر
سمِّي رسول الله سيِّد قومه مُسماك فوق الاسم أُيِّدْتَ بالنظر
حويتَ التّقى والعلم جداً كما حوى أبوك إمام المشرقيّن أبو بكر
وجدُّك إبراهيم حاز مراتباً تقاصر في إدراكها طُلَّب الفخر

وعلق ابن الفوطي على هذه الأبيات بقوله: وهي قصيدة طويلة كتبتها في «شعراء العصر»(٢) ليمر لهذا الأديب تاريخ وفاة وابن الفوطي عدّه من شعراء العصر علماً أنه عاش في القرن السابع والثامن؟

● **محمد بن موسى البلخي النحوي الشاعر.**

يقال أخرجت بلخ أربعة من الأفراد أبا القاسم الكعبي في علم الكلام، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف، وسهل بن الحسن في الشعر الفارسي، ومحمد بن موسى الحدادي في العربية والشعر العربي، وكان الحدادي يكتب للحسين بن علي وشعره سائر مدوّن أكثره **أمثال وحكم منه**:

يَسُرُّني من حَسَدِ الناسِ لي أنّي فيهم غيرُ محرومِ
وأنَّني من كرمٍ لابسٌ وأنَّني عارٍ من اللومِ

---

(١) هو الإمام الحافظ المحدث رشيد الدين أبي الفضائل محمد بن أحمد بن إبراهيم الخالدي تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٣، ص١٤٤.

(٢) تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٢، ص١٠٢٣.

★ وقال:

إنْ كـنـتُ أشـكـو مـا يـسـر ... قُ عن الشكاية في القريضِ
فـالـفـيـلَ يـضـجـر وهـو أعـ ... ظـم مـا رأيت من البـعوضِ

★ وقال:

ما بال فرقةِ شملِنا لا تُجْمعُ ... وإلى متى يَصلُ الزمانُ ويقطعُ
كم خلفت تلك الركابُ وراءَها ... من منزلٍ فيه لنا مُسْتَمتَعُ
فالوردُ يلطم خَدَّه لمصابِنا ... وعيونُ نرجِسِه علينا تدمعُ[1]

❼ **أبو بكر محمد بن منصور السمعاني المروزي المتوفى سنة ٥١٠هـ.**

كان إذا جرى لوالده شيء يتعلق بالأدب أو اللغة وإذا سئل عن ذلك يقول: «سلوا ابني محمداً فإنه أعرف باللغة مني»[2].

كان أبو بكر السمعاني حظياً من العربية والأدب نظماً ونثراً بأعلى المراتب[3].

وكان له شعر كثير، ويحكى أنه غسل قبل موته جميع المسودات التي فيها شعره فلم يوجد إلّا ما كان على ظهور الدفاتر من الأجزاء[4]. وإن الذي ينسب إليه هو ما كان محفوظاً عنه[5].

★ **ومن مليح شعره قوله:**

أقْلى النهار إذا أضاءَ صباحُه ... وأظَلُّ أنتظرُ الظلام الدامسا

---

(١) إرشاد الأريب: ج٧، ص١١١-١١٢.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٧، ص٥-٦.

(٤) الأنساب: الورقة/٣٠٨أ، المنتظم: م٩، ص١٨٨، مرآة الجنان: ج٣، ص٢٠٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٨.

(٥) طبقات ابن قاضي شهبة: الورقة/٤٨ب، شذرات الذهب: ج٤، ص٣٠.

فالصبح يشَمتُ بي فيُقبِل ضاحكاً والليلُ يرثى لي فيُدبرُ عابسا[(١)]

★ **وله أيضاً[(٢)]:**

وظَبني فوق طرْفٍ[(٣)] ظلَّ يَرْمي بسهم اللحظ قلب الصَّبِّ طَرْفُه[(٤)]
يؤثر طَرفُه[(٥)] في القلب ما لا يؤثِّر في الحصن والترب طِرْفَه

وله ما أورده ولده أبو سعد في ترجمة أبي حامد أحمد بن عبدالله بن أحمد.. الفازي المعروف بالأوحد من أهل فاز إحدى قرى طوس بخراسان

نزلْنا بُقعْةً تدعى بفاز فكان ألذَّ من نَيْلِ المَفَازِ
وقِسْتُ إلى ثراها كلَّ أرضٍ فكانت كالحقيقة في المجازِ[(٦)]

★ **وقد أثنى عليه الشيخ الحافظ أبو طاهر السلفي بقوله:**

هو المزنيُّ إبّان الفتاوى وفي علمِ الحديث الترمذيُّ
وجاحظ عصره في النثر صدقا وفي وقت التشاعر بُحْتُريُّ
وفي النحو الخليلُ بلا خلافٍ وفي حفظ اللغاتِ الاصمعيُّ[(٧)]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص٩.

(٣) الحصان العتيق الكريم.

(٤) المراد هنا العين، وهو اسم جامع للبصر.

(٥) المراد به بصره.

(٦) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٤ب-١٥أ، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٩ ذكره السبكي أنه نقله عن التحبير، ومن المفيد أن نذكر أن تراجم من اسمه أحمد قد سقطت من كتاب التحبير نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق الفريدة.

(٧) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٩، وقد عقب السبكي على عجز البيت الثاني «وفي وقت التشاعر بحتري» بقوله: وددت لو قال: «وفي الشعر الأديب البحتري» وسلم من لفظ التشاعر ومن تنكير البحتري.

وحينما التقى الإمام أبو بكر السمعاني بالقاضي الأديب يحيى بن صاعد بن سيار الهروي الكناني المتوفى سنة ٥١٥هـ، وكان هذا كما ذكر عبد الغافر الفارسي، كبيراً من كبار أئمة العصر وفضلائهم له النظم والنثر الفائق في الطبقة الأولى[١].

ذكر السلفي أنهما التقيا بنيسابور وذلك حينما قدم القاضي يحيى بن صاعد بن سيار الهروي الكناني نيسابور وكان أبو بكر السمعاني التميمي بها، فدخل عليه زائراً، **فاطرق يحيى بن صاعد رأسه ساعة ثم رفعه وأنشد يقول**[٢]:

قُلْ لِلإمام بن الإمام محمدِ بـ ... ـن مظفر بن محمد السَّمْعاني
عشِقَتْكَ عينيْ مُذْ رأتْكَ وكان من ... قبلِ اللقاء يُحبُّك السَّمْعانِ[٣]

★ **فأجاب أبو بكر على البديهة:**

حَيِيتُ بيحيى إذ رُزِقتُ لقاءَه ... ونِلْتُ به جَدًّا لأمرِي مُساعِدا
فلا زال يحيى واسمُه فَالُ عمره ... وكاسم أبيه نجمُه دام صاعدا[٤]

⑧ أبو المعالي محمد بن أحمد بن منصور بن محمد السمعاني التميمي الخراساني المتوفى سنة ٥٨٢هـ.

ابن عم أبي سعد، شاب رفيع الشأن من صدور خراسان ومن أفراد الزمان باللطافة والبيان وفصاحة اللسان، عديم النظير. في التذكير. **ومن شعره قوله:**

---

(١) المنتخب من كتاب السياق: الورقة/١٤٣أ.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٠.

(٣) علق السبكي على ذلك بقوله: والد أبي بكر اسمه منصور وكنيته أبو المظفر، فحذف القاضي يحيى لفظ الأب لمكان الوزن.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٠.

وقفتْ وَقْفةً بباب الطّاقِ قَيْنَةٌ من مُخدَّراتِ العراقِ
بنتُ عشرٍ وأربع وثلاثٍ هي حَتْففُ المتيّمِ المشتاقِ
قلتُ من أنت يا خلوب فقالت أنا من لُطْف صنعة الخلّاقِ
لا تَعَرَّضْ لنا فهذا بنان قد خضبناه من دمِ العُشّاقِ

وكانت وفاته ببغداد سنة ٥٨٢هـ ودفن بتربة بنيت له قريبة من قبر معروف الكرخي(١).

٩ أبو الرضا المؤيد بن الحسن بن عيسى الزوزني المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

كان فقيهاً مناظراً عالماً بالأدب واللغة. تفقه على الإمام أبي بكر السمعاني وطاف معه نيسابور ثم سكن بلخ. قال أبو سعد: «لقيته ببلخ وكتبت عنه بها وكتب عني إملاء»(٢).

١٠ أبو عبدالله محمد بن الحسن بن تميم بن الحسن.. الطائي المعروف بابن أبي غسان المتوفى سنة ٥٤٥هـ من أهل زوزن.

كان أحد الأفاضل المشهورين بخراسان، لطيف الطبع رقيق الشعر، كثير المحفوظ قال أبو سعد: «لقيته أولاً بنيسابور سنة ثلاثية ولم يتفق له السماع منه، ثم كتبت عنه سنة أربع وأربعين»(٣).

---

(١) التكملة لوفيات النقلة: م١، ص٧٧-٧٨، المختصر المحتاج إليه، ج٢، ص٢٣٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٨٧.

(٢) التحبير: الترجمة/١٠٢٨، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٢٩٦ب، والزوزني: نسبة إلى زوزن بلدة كبيرة حسنة بين هراة ونيسابور، قال بعض الكبراء: زوزن هي البصرة الصغرى لكثرة فضلائها وعلمائها، وقيل إن إمارتها تعدل إمارة مدينة كبيرة بخراسان. الأنساب: ج٦، ص٤٣٢.

(٣) التحبير: الترجمة/٧١٦، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٢٠٨آ.

⓫ **أبو بكر عتيق بن عبد العزيز بن عبد الكريم..** الخاخسري السمرقندي ثم النيسابوري الأديب من أهل نيسابور المتوفى في حدود سنة ٥٦٠هـ، كان والده من خاخسر إحدى قرى سمرقند سكن نيسابور وولد عتيق بها، وكان أديباً فاضلاً حسن الشعر مليح النظم، كان يحفظ الكتب التي في أصول اللغة العربية. قال أبو سعد: سمعت أبا بكر السمرقندي يقول: سمعت أبا بكر الشيرازي ينشد لبعضهم:

أشكو إلى الله ظُلْمَ شَبْبي أَشُقُّ منه عليه جَيْبي(١)
غَيَّر مِنّي جَميلُ وجهي أظْهَرَ مِنّي جميع عَيْبي(٢)

- **النثر والكتابة في خراسان:**

برّز أدباء خراسان في فن النثر والكتابة ونالوا بذلك مكانة أدبية رفيعة لعلو كعبهم في كتابة الرسائل الديوانية، فاسندت لهم مناصب مثل إنشاء الرسائل في ديوان السلطان، ومن ثم القيام بمهمة الترسل بين السلطان وملوك الأطراف.

■ **طائفة من الكتّاب الخراسانيين الذين اشتهروا في خراسان في القرن السادس الهجري:**

❶ **أبو الحسن علي بن نصر بن محمد بن عبد الصمد الفندروجي الأسفراييني النيسابوري** الكاتب المتوفى سنة ٥٥٥هـ.

ذكر مترجموه أنه كانت له معرفة تامة باللغة والأدب والخط والبلاغة، وله شعر مليح رائق وله يد باسطة في الكتابة والرسائل. ورد

---

(١) في الأصل: اشق منه عليّ ولا يستقيم فيه المعنى.
(٢) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٨٦ب-١٨٧أ.
التحبير: الترجمة، ٥٩٧.

بغداد سنة ٥٢٨هـ وأقام بها مدة واقتبس منه فضلاؤها، ورجع إلى خراسان وصار كاتباً في ديوان السلطان، يكتب الكتب باللسانين، وينظم الشعر، وكان قد اختص بالوزير طاهر ابن فخر الملوك وقال أبو سعد: «لقيته بأسفراين وكتبت عنه في المذاكرة شيئاً كثيراً من الطرف والملمح له ولغيره»(١).

★ **ومن شعره:**

تحية مزَن يتحف الروضَ سحرةً بصوب الحيا في كل يوم عليكم
فجسمي معي لكن قلبي أكرموا بلطفكم مثواه فهو لديكم

★ **قال السمعاني: أنشدني الفندروجي لنفسه:**

سقى الله في أرض أسفرائين عصبتي فما تنتهي العلياء إلّا اليهمُ
وجربت كلَّ الناسِ بعد فراقِهم فما زدت إلّا فرطُ ضمنٍ عليهمُ

★ **قال السمعاني أيضاً: وأنشدني لنفسه ببلخ إملاء ونقلته من خطه:**

قد قصَّ اجنحة الوفاءِ وطار مَن وَكرِ الوداد المحضِ والإخلاصِ
والحرُّ شَبَك الجَفاء وحالهُ في اسر حادثةٍ رجاء خلاصِ(٢)

❷ **أبو القاسم عبد الكريم بن الحسن بن يحيى..** الكاتب التميمي، النيسابوري، المتوفى سنة ٥٥٣هـ.

كان شيخاً عالماً باللغة والأدب، وله شعر رائق، حسن المباني، وهو من بيت العلم والفضل، روى عنه أبو سعد بيتين من الشعر، قال: أنشدنا الرئيس أبو القاسم ابن الكاتب لنفسه بنيسابور وكتب لي بخطه:

---

(١) التحبير: الترجمة/٥٨٣، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٨٤ب، طبقات ابن قاضي شهبة: الورقة/ ٢٢٥أ-٢٢٥ب.

(٢) إرشاد الأريب: ج٥، ص٤٣٣.

سئمت تكاليفَ هذا الزمانِ　　إلى كم أقاسي وحتى متى
فهل إيابٌ لوصل مضى　　وهل من ذهابٍ لهجراتي[١]

❸ أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخشّاب الثعلبي الكاتب المتوفى سنة ٥٤٠هـ، نزيل مرو.

كان أحد المشهورين بالبراغة والبلاغة، والترسل، وحسن الخط، وله شعر رائق[٢].

❹ قطب الدين أبو الحسن محمد بن الحسين بن الحسن الكيذري البيهقي.

الأديب الشاعر له نثر بديع، فقد كتب على ظهر كتاب «الفائق»[٣] **للزمخشري ما يأتي:**

قرأ عليّ السيد الأجل، الأكمل، الأفضل، قراءة مثله، في نور أدبه، وكمال فضله، مبعثراً خزائن كلمة عن نفائس حكمه، مجتنباً زواهر أغراضه عن أزاهير رياضه، كاشفاً عن ساق التشمير، حاسراً عن ذراع التنقير، الله (ﷻ) المسؤول أن يبلغه غاية طلبه، ونهاية أمنيته، وهذا خط أضعف النفوس، المبتلى ببؤس الزمن العبوس، والدهر الضروس، محمد ابن الحسين بن الحسن الكيذري البيهقي، كتبه في جمادي الأولى سنة عشر وستمائة[٤].

---

(١) التحبير: الترجمة/٤٤٢، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٢٠٦ب.

(٢) الأنساب: ج٥، ص١٢٩-١٣١، لسان الميزان: ج٥، ص٣٥٩.

(٣) كتاب الفائق في غريب الحديث للزمخشري اتمه سنة ٥١٦هـ. كشف الظنون: ج٢ ع١٢١٧.

(٤) تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ص٤، ص٦٩١-٦٩٢، والكيذري: نسبة إلى كيذر من قرى بيهق. المشتبه: ج٢، ص٥٥٤، ولم يذكر أبو سعد هذه النسبة في كتاب الأنساب، ولم يذكرها ياقوت في معجم البلدان.

٥ قطب الدين أبو الرضا عبد الرشيد بن مسعود بن محمد البيهقي، المهدي، الكاتب. كان من الكتاب الأفراد المعروفين بالأدب ومعرفة لغات العرب، وكان يحفظ ألفاظ عبد الرحمن بن جماد، ويتكلم عليها، ويستشهد بالآيات والأخبار، والأبيات. وله رسائل في الفنون[(١)].

● البلاغة والنحو والصرف:

لقد بلغت الدراسات اللغوية من بلاغة، ونحو، وصرف في خراسان في القرن السادس الهجري شأوا بعيداً، على يد طائفة من علماء اللغة والنحو الذين برزوا في هذه الحقبة ودرس عليهم من أهل خراسان اللغة وأصولها، وأحكامها، وعلم الاشتقاق، **ووضعوا المؤلفات القيّمة في النحو والصرف.**

■ من أهم المؤلفات النحوية التي صنفها علماء خراسان:

١ مؤلفات الإمام أبي الفضل الميداني المتوفى سنة ٥١٨هـ.

وكان هذا مبرزاً في علم النحو، وذلك لأنه قد اختص بصحبة الإمام علي بن أحمد بن عبد الواحد المفسر، وتعلّم منه النحو، وكتب عن الإمام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي النحوي، القادم على نيسابور عند منصرفة من غزنة ٤٧٠هـ[(٢)]، **وللميداني مؤلفات جليلة في اللغة والنحو منها:**

١ ● كتاب «الأنموذج في النحو»[(٣)].

٢ ● كتاب «النحو الميداني»[(٤)].

---

(١) تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٤، ص٦٦١.

(٢) أنباء الرواة: ج١، ص١٢١.

(٣) (٤) إرشاد الأريب: ج٢، ص١٠٨، أنباء الرواة: ج١، ص١٢٤، تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة/٩٧ب.

٣ • كتاب «**شرح المفضليات**»[١] أي أسماء التفضيل[٢].

٤ • كتاب «**نزهة الطرف في علم الصرف**»[٣]، رتبه على عشرة أبواب. الأول في مقدمة التصريف، الثاني في أبنية الأسماء، الثالث في أبنية الأفعال، الرابع في ألقاب الأنواع، الخامس في أبنية المصادر، السادس في الفاعل، في الحذف والزيادة، الثامن في القلب والإبدال، التاسع في أحكام الهمزة، العاشر في حل العقد[٤].

٥ • كتاب «**الهادي للشادي**» في النحو[٥]، وقيل كتاب «الهادي في الحروف والأدوات»[٦]. وذكره الخوانساري باسم «الهادي للشادي في مداليل الأدوات وطرق استعمالاتها». وفيه أبواب متفرقة من العربية، وفوائد نادرة جمة مع صغر حجمه، وأن المحققين من أرباب الأدب ينقلون عنه في كتبهم كثيراً.

وقد شرحه عبد الوهاب بن إبراهيم الخزرجي الزنجاني، صاحب كتاب «متن التصريف» المشهور بتصريف الغري، وقد فرغ من شرحه المذكور ببغداد سنة ٦٥٤هـ[٧].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كشف الظنون: ج٢ ع١٠٤٣

(٣) إرشاد الأريب: ج٢، ص١٠٨، أنباء الرواة: ج١، ص١٢٤، تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة/٩٧ب، بغية الوعاة: ص١٥٥، روضات الجنات: ص٨٠.

(٤) كشف الظنون: ج٢، ع١٩٤٣.

(٥) إرشاد الأريب: ج٢، ص١٠٨.

(٦) أنباء الرواة: ج١، ص١٢٢، تاريخ الإسلام: م١٣ ق١: الورقة/٩٧ب.

(٧) روضات الجنات: ص٨٠.

٢ مؤلفات أبي جعفر أحمد بن علي البيهقي المعروف ببوجعفرك المتوفى سنة ٥٤٤هـ. كان هذا إماماً في القراءة، والتفسير، والنحو. له تلامذة وأصحاب تخرّجوا به، **وله مصنفات مشهورة في اللغة والنحو منها:**

١ • **كتاب «تاج المصادر»** في اللغة، جمع فيه مصادر القرآن، ومصادر الأحاديث، وجرّدها عن الأمثال والأشعار، وأتبعها بالأفعال التي تكثر في دواوين العرب.

٢ • **كتاب «ينابيع اللغة»**[(١)].

٣ مؤلفات الفخر الرازي صاحب مدرسة هواة، المتوفى سنة ٦٠٦هـ.

وكان قد برز في علم النحو، فذكر ابن خلكان، أنه له مؤاخذات جيدة على النحاة[(٢)]، وله كتاب «المحرر في النحو»[(٣)]. ولعل من المفيد أن نذكر، أن كتابه «التفسير» حافل بمباحث النحو ونقد النحويين. ومن مؤاخذاته للنحويين، اتفاقهم على أن كلمة «ربّ» مختصة بالدخول على الفعل الماضي، كما يقال: ربما قصدني عبدالله، ولا يكاد يستعمل المستقبل بعدها، وقال بعضهم: ليس الأمر كذلك **والدليل عليه قول الشاعر:**

ربما ذكره النفوس من الأمر

ورد على ذلك الإمام الفخر الرازي بقوله: وهذا الاستدلال ضعيف لأنا بينا أن كلمة (ربّ) في هذا البيت داخلة على الاسم، وكلامنا في أنها إذا دخلت على الفعل وجب كون الفعل ماضياً، فأين أحدهما من الآخر.

---

(١) طبقات المفسرين: ص٤، بغية الوعاة: ص١٥٠، كشف الظنون: ج١ ع٢٦٩، ج٢ ع٢٠٥٢.

(٢) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٤٩.

(٣) الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥.

إلّا أنني أقول قول هؤلاء الأدباء. أنه لا يجوز دخول هذه الكلمة على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي، وإنما الرجوع فيه إلى النقل والاستعمال، ولو أنهم وجدوا بيتاً مشتملاً على هذا الاستعمال لقالوا أنه جائز صحيح، وكلام الله أقوى وأجل وأشرف. فلم لم يتمسكوا بوروده في هذه الآية على جوازه وصحته؟ ثم نقول: إنّ الأدباء أجابوا على هذا السؤال من وجهين:

★ **الأول**: قالوا أن المترقب في أخبار الله بمنولة الماضي المقطوع به في تحققه، فكأنه قيل: ربما ودوا.

★ **الوجه الثاني**: إن كلمة (ما) في قوله: «ربما يود الذين كفروا» قال الزجاج: ومن زعم أن الآية على إضمار كان وتقديره «ربما يود الذين كفروا» فقد خرج بذلك عن قول سيبويه..[(١)].

■ **فيما يأتي طائفة من نحاة خراسان:**

١ • **الإمام أبو بكر محمد بن علي الخرفي من أخل سرخس** المتوفى سنة ٥٤٧هـ.

كان فقيهاً فاضلاً، ديّناً مرجوعاً إليه في الفتاوى، وكان عالماً بالنحو والأدب.

تفقد على محمد بن حمد السانواجردي، ثم على أبي محمد الزيادي[(٢)].

٢ • **أبو نصر محمد بن محمد الكوفي** الأديب النحوي من أهل مرو.

شيخ فاضل متقن، مفيد. أنفق عمره في الاستفادة والإفادة

---

(١) تفسير الرازي: ج١٩، ص١٥٣.

(٢) الأنساب: ج٥، ص١٢٣، بغية الوعاة: ص١٢٥، والخزفي: نسبة إلى بيع الأواني الخزفية.

والتعلّم والتعليم وانتفع به جماعة كثيرة وتخرّجوا عليه. مات في معاقبة الغزّ سنة ٥٤٨هـ[(١)].

٣ • **أبو مطيع عبد السلام بن إسماعيل النحوي اللغوي الخراساني.**

ذكره القفطي وقال: كان في المئة السادسة، صاحب اللغة والنحو والإعراب، وله شعر كشعر النحاة[(٢)].

٤ • **أبو المعالي إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم النظامي السرخسي** المتوفى سنة ٥٦٠هـ كان عارفاً باللغة والنحو، كثير المحفوظ[(٣)].

٥ • **محمد بن إسماعيل بن الفضيل الفضيلي الهروي** المتوفى سنة ٥٣٧هـ.

كان عالماً باللغة، روى عنه الناس. قال السيوطي: نقلته من خط الشيخ تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم النحوي[(٤)].

٦ • **معين الدين أبو رشيد محمد بن المحسن بن الهادي البيهقي الأديب.**

كان أديباً فاضلاً، حافظاً للغات العرب وعلم الاشتقاق، ذكر ابن الفوطي أنه نقل من خطه قوله: بلغ الغلام أشد، إذا بلغ ثماني عشرة سنة وقال غيره الأشد ثلاث وثلاثون، وقيل ست وثلاثون، وقيل أربعون والقول الأول ثماني عشرة سنة قاله ابن عباس[(٥)].

---

(١) أنباه الرواة: ج٣، ص١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٥.

(٣) معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٣٥أ.

(٤) بغية الوعاة: ص٢٢.

(٥) تلخيص مجمع الآداب: حرف الميم، ص٦٩١ وفي القرآن الكريم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾. [سورة الأحقاف، الآية: ١٥].

● **في علم البلاغة وضعت عدة مؤلفات لأهل خراسان منها:**

★ شروح أو مختصرات لكتب قديمة مشهورة في هذا العلم مثل نهج البلاغة، ومنها كتاب جديدة في بابها، ولكنها لم تصل إلينا. **ونذكر من كتب البلاغة:**

١ • **كتاب «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز»**(١) للإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ وهو عبارة عن اختصار لكتابي «دلائل البلاغة» و«أسرار البلاغة»(٢) لعبد القاهر الجرجاني. نقد فيه الجرجاني في مواضع(٣). وزاد على المادة الأصلية ملاحظات مهمة، وأصبح هذا الكتاب مرجعاً مفيداً في علم البلاغة. **قال فيه طاش كبري زادة:**

إنه من الكتب المعروفة «بعلم البيان»(٤). وقد أشار إليه الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير وسمّاه «دلائل الإعجاز»(٥).

٢ • **كتاب «شرح نهج البلاغة»**(٦).

٣ • **كتاب «حدائق الحقائق في فسر أفصح الخلائق»**(٧)، لقطب الدين

---

(١) الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥، كشف الظنون: ج٢ ع ١٩٨٦.

(٢) كشف الظنون: ج١ ع ٨٣ وفيه أسرار البلاغة في المعاني والبيان للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٤هـ.

(٣) نهاية الإيجاز: ص٤٤، ٥١، ٨٢، ١٢٦، الخ.

(٤) مفتاح السعادة: ج١، ص١٦٢.

(٥) تفسير الرازي: ج٢، ص١٣٤، وقد طبع كتاب «دلائل الإعجاز» في القاهرة - مطبعة الآداب - سنة ١٣١٧هـ.

(٦) عيون الأنباء: ج٢، ص٢٩، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥، وفيهما الكتاب لم يتم.

(٧) المشتبه: ج٢، ص٥٥٤، روضات الجنات: ج١، ص٦٠٤، وذكر الدكتور المرحوم =

أبي الحسن محمد ابن الحسين الكيذري البيهقي الأديب، وهو شرح لكتاب نهج البلاغة.

وقد وضع الإمام علي بن عبدالله بن الهيصم الهروي في علم البلاغة عدة مصنفات منها: مفتاح البلاغة، وكتاب البسملة، وكتاب «البسملة»، وكتاب «نهج الرشاد»، وكتاب «عقود الجواهر» وكتاب «لطائف النكت» وكتاب «تصفية القلوب»(١).

● النظم والنثر باللسانين العربي والفارسي:

لقد حاولت هنا أن أشير إلى كل ما كتاب بالفارسية نظماً ونثراً بخراسان غير أنني لم أعثر إلّا على معلومات في غاية القلة تدل على أن بعض الأدباء نظموا باللسانين، وذلك يؤكد أن العربية كانت هي اللغة المتقدمة في خراسان الغالبة على علمائها وأدبائها والمصنفين فيها.

■ **فمن برعوا في حذف اللغة العربية والفارسية في النظم والنثر منهم:**

❶ **أبو سعد خالد بن الربيع بن أحمد بن أبي الفضل..** بن طلحة المالكي الكاتب الطوراني، الهروي كان من أفاضل خراسان نظماً ونثراً، وخطاً، وكتاب، وكان سريع النظم باللسانين، حسن الشعر، رقيق الطبع. قال أبو سعد: كان بيني وبينه اختلاط وامتزاج جاوز الحد، وكانت كتبه تصل إليّ على الدوام، وأجوبتي ترجع إليه. واتفق أنه طلب

= الدكتور مصطفى جواد، أن لهذا الكتاب نسخة خطية في خزانة إبراهيم عاكف، الألوسي ببغداد في (٢٦٨) ورقة، وتاريخ نسخها سنة ٧٢٤هـ، وجاء في آخرها وقع الفراغ من تصنيفه في أواخر شهر رمضان المبارك سنة ٥٧٦هـ، يراجع تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٤، ص٦٩١ هامش (٣).

(١) إرشاد الأريب: ج٥، ص٢٣٣.

مني كتاب «التنبيه في الفقه» للشيخ أبي إسحق الشيرازي (رحمه الله)، فوقف التماطل في إرساله، فكتب إليّ:

يا مَن قَدْ اعتَذّرَ الزَّمان بفضلِهِ عن كلِّ نَذْلٍ كالزَّمانِ سفيهِ
غلبت عليَّ من الجهالة زورةٌ أرْسِلْ إليَّ صحيفةَ التنبيهِ

وقال أبو سعد أيضاً: أنشدنا أبو سعد خالد بن الربيع المالكي إملاء، أنشدني أبو الفتح محمد بن علي إملاء.

قالوا تَنَفَّسَ صبحَ ليلك[1] فانتبه عن نومِ غَيِّكَ أن ليلكَ ذاهبُ
فحسِبْتُ أعوامي فَقُلْتُ صدَقْتُمُ صبحٌ كمَا قلتم ولكنْ كاذبُ[2]

٢ أبو بكرعبد الواسع بن عبد الجامع بن عمر بن الربيع الجبلي البرزبيني الهروي المتوفى سنة ٥٤٥هـ.

كان من مشاهير الفضلاء بخراسان، وكان لطيف الطبع، رقيق الشعر باللسانين، حسن النظام والنثر، ذكره ابن الفوطي وقال: ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب «المذيل» وقال: كان من الشعراء المتقدمين في الأشعار الفارسية ولما حصل له الحذق في اللغة الفارسية اهتم بتحصيل اللغة العربية، ونظام الأشعار، وتحبير الرسائل المنقحة، وكان أعجمية الزمان ونادرة الدوران وأنشد له:

ألا إنّني عَلَّلتُ نفسي بَعدكُم بقومٍ فلمْ يَسْكُن فؤادي إليهم
وكنت أحبُّ العالمين لأجلِكُم فلمّا بَعِدْتُم فالسلامُ عليهم[3]

---

(١) في الأصل (ليل صبحك) والصواب ما أثبتناه، في القرآن الكريم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التكوير، الآية: ١٧-١٨].

(٢) التحبير: الترجمة/ ١٨٠، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٠١، معجم البلدان: ج٣، ص٥٥٧، والطوراني: نسبة إلى طوران إحدى قرى هراة.

(٣) التحبير: الترجمة/ ٤٧٦، الأنساب: ج٣، ص١٩١، معجم شيوخ السمعاني: =

٣ **أبو منصور محمد بن منصور السمعاني التميمي، المروزي،** المتوفى سنة ٥٣٣هـ.

ابن عم أبي سعد، كان شاباً، عالماً باللغة والنظام والنثر، رقيق الطبع، سريع النظم باللسانين العربي والفارسي. قال أبو أسعد: كتبت عنه من شعره وشعر غيره في المذاكرة(١).

٤ **فخر الدين مباركشاه بن الحسين المروروذي،** المتوفى سنة ٦٠٢هـ.

كان شاعراً فصيحاً، حسن الشعر بالعربية والفارسية، وكانت له منزلة عظيمة عند غياث الدين صاحب غزنة، وكانت له دار ضيافة فيها كتب وشطرنج فالعلماء يطالعون الكتب، والجهال يلعبون الشطرنج(٢).

٥ **عمر الخيام، أبو الفتح عمر بن إبراهيم النيسابوري،** المتوفى سنة ٥٣٠هـ.

كان حكيماً عارفاً بجميع أنواع الحكمة سيما الرياضيات، وتقوم شهرة الخيام على رباعياته التي ألّفها باللغة الفارسية، والتي يقال: أنه نظمها ليفرّج بها عن نفسه بعد طول البحث في مسائل النجوم، أو التدقيق في أبحاث الطب، أو التحقيق في غوامض الحكمة، ولقد كان يسجل الفكرة الكبيرة في تلك الرباعيات التي كان لها جمال، ولطف، وتأثير، وروعة، وتحتوي أغلبها عبارات قصيرة ذات معان كبيرة(٣).

= الورقة/١٦٣أ، تلخيص مجمع الآداب: ج٤ ق٤٦٤.

(١) التحبير: الترجمة/٧٢٥، الأنساب: الورقة/٣٠٨ ب، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/٢٠٩أ.

(٢) العسجد المسبوك: ص١٥٥، الجامع المختصر: ج٩، ص١٨٧-١٨٨.

(٣) تاريخ الأدب الفارسي: ص٨٧-٨٩.

وهذا لا يعني أن الإمام عمر الخيام كان يجهل العربية، بل كان ضليعاً بالعربية، خبيراً بمعرفة دقائقها، فقيل أنه دخل يوماً على شهاب الإسلام الوزير، وهو عبد الرزاق ابن الفقيه الأجل أبي القسم عبدالله بن أخي نظام الملك، وكان عنده إمام القرّاء أبو الحسن ابن الغزال، وكانا يتكلمان في إختلاف القراءة في آية فقال شهاب الإسلام: على الخبير سقطنا. فسأل الإمام عمر عن ذلك، فذكر وجوه اختلاف القرّاء، وعلّل كل واحد، وذكر الشواذ وعللها، وفضل وجهاً واحداً على سائر الوجوه، فقال إمام القرّاء أبو حسن ابن الغزال: كثر الله في العلماء مثلك، اجعلني من أدمة أهلك وارض عني. فإنني ما ظننت أن واحداً من القرّاء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلاً عن واحد من الحكماء[(١)].

وذكر الخوانساري أن له أشعار حسنة بالعربية والفارسية[(٢)].

● ٦ **أوحد الدين محمد الأنوري النيسابوري**، المتوفى سنة ٥٨٥هـ. وقيل سنة ٥٧٨هـ ذكره القزويني[(٣)] وقال: شعره بالفارسية في غاية الحسن، ألطف من الماء، وشعره بالعجمية كشعر أبي العتاهية بالعربية.

● ٧ **حميد الدين، أبو بكر بن عمر بن محمود** المتوفى سنة ٥٥٩هـ.

من قضاة بلح. له كتاب «المقامات» وهو أول كتاب معروف بالنثر الفارسي المسجوع، وكان غرض المؤلف منه أن يناظر مقامات الحريوي، وبديع الزمان الهمذاني، وهو مكوّن من ثلاث وعشرون مقامة، وهي في المطالب الأدبية، والأبحاث، والمناظرات، والألغاز. وكانت وجهة المؤلّف الأصلية، هي الإبداع في فن المقالة بالفارسية. وقد مدحه

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٢٠.

(٢) روضات الجنات: ص٤٧٨.

(٣) آثار البلاد وأخبار العباد: ص٣٦١.

مشاهير عصره في أشعارهم كالأنوري[١].

● ٨ **الأديب شهاب الدين**، صابر كان من ترمذ، ارتبطه السلطان سنجر في ديوانه، ويقال أنّه في الحرب التي وقعت بين سنجر وآتسر الخوارزمي أرسله سنجر ليستطلع وجهة عدوّه في الحرب.

وللشاعر قصائد لطيفة كما أنّ له مهارة في اللغة العربية، وقرأ شعراً عربياً كثيراً واشتهر بين شعراء تلك اللغة، وله غزل رقيق فاق به بعض معاصريه، وجرت بينه وبين شعراء عصره معارضات أمثال: رشيد الدين الوطواط، والخاقاني، والعروضي، والسنائي، والأنوري. ويقال أنّ أتسز لمّا علم بأمر صابر أغرقه في جيحون سنة ٥٤٦هـ[٢].

---

(١) تاريخ الأدب الفارسي: ص١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١١١.

الفصل الخامس

علم التاريخ والجغرافية والأنساب

● **كتب التاريخ المحلية التي وضعت بخراسان في القرن السادس الهجري:**

لقد أبدى المؤرّخون في خراسان في القرن السادس الهجري عناية كبيرة بوضع التواريخ المحلية لأمهات مدن خراسان مثل: **نيسابور، مرو، هراة، بلخ، نسا، وأبيورد**. وغيرها من المدن والقرى. في الوقت نفسه لم نجد للمؤرخين في تلك الحقبة اهتماماً كبيراً بوضع المؤلفات في التاريخ العام، أو التاريخ السياسي المرتب على السنين مثل كتاب «تاريخ الأمم والملوك» لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٥هـ، أو كتاب «الكامل في تاريخ» لابن الاثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ ونحو ذلك.

كما يلاحظ أن للمؤرّخين الخراسانيين في هذا القرن عناية خاصة بوضع المؤلّفات التي تتضمن تراجم الأعلام، من المحدّثين والحفاظ والمفسرين والقرّاء والأدباء والحكماء والأطباء والصيادلة ونحوهم. وقد وضعت على أساليب متنوعة منها ما كان على أساس الوفيات ومنها على أساس الطبقات أو على ترتيب المعاجم والمشيخات وقد كان لهذه المؤلفات أهمية كبيرة بحيث أصبحت مراجع للمؤرّخين المسلمين فيما بعد فعكفوا ينقلون عنها في مؤلفاتهم وإذا ما تصفحنا الكتب التالية على سبيل المثال لا الحصر لوجدنا النقول عن مؤلفات أهل خراسان قد كونت

المادة الأساسية لهذه الكتب التي نذكر منها: تاريخ مدينة دمشق. لابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٣١هـ، ومعجم شيوخه، وذيل تاريخ مدينة السلام بغداد للحافظ أبي عبدالله المعروف بابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧هـ، وكتاب «التاريخ المجدّد لمدينة السلام بغداد» لمؤرّخ بغداد ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣هـ، والخريدة لعماد الدين الأصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧هـ، وطبقات الشافعية الكبرى، والوسطى لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ، وتاريخ الإسلام للحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ وفي مؤلفاته الأخرى، وكتاب الوافي بالوفيات للصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ، وتلخيص مجمع الألقاب لابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ وغير ذلك من الكتب.

■ **أهم وأشهر المؤلفات التي وضعت في التواريخ المحلية:**

❶ **كتاب «السياق لتاريخ نيسابور»**[(١)]، أو هو «صلة تاريخ نيسابور»[(٢)] ويسمّى أيضاً تاريخ نيسابور[(٣)]. لأبي الحسين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي النيسابوري المتوفى سنة ٥٢٩هـ، قال الإمام أبو الحسين عبد الغافر الفارسي في دواعي تأليف هذا الكتاب: «أما بعد فقد أشار عليّ بعض الأعزّة من الأخوان في طائفة من الأصحاب والخلاّن ممن وجب عليّ الإصغاء إلى إشارتهم والإذعان لما يطلبونه في محاورتهم ومشاورتهم أن أقصد إلى جمع كتاب يشتمل على ذكر المشايخ من علماء نيسابور وأئمتهم ورواة الحديث منهم الذين ولدوا بها ونشأوا

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٤٨٨، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ١٦٥أ، طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٥٥٣-٥٥٤.

(٢) معجم البلدان: ج١، ص١٤٦ (صادر - بيروت).

(٣) التقييد: الورقة/ ١٤٣ب، العبر: ج٤، ص٧٩، مرآة الجنان: ج٣، ص٢٥٩، تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ص٩١٩.

فيها، والذين قدّموها واجتازوا بها من الطارئين أو سكنوها وحدّثوا بها على رسم التاريخ اقتفاء لما ذكره الحاكم الإمام أبو عبدالله محمد بن عبدالله البيع، إمام أهل الحديث في عصره..»[١]. وذكر إبراهيم الصريفيني أن عبد الغافر الفارسي قد فرغ من تصنيف السياق لتاريخ نيسابور في أواخر ذي القعدة سنة عشر وخمسمائة[٢].

وكان قد ذيل به على تاريخ نيسابور للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله البيع النيسابور الضبي المتوفى سنة ٤٠٥هـ الذي قال فيه تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ: «وهو التاريخ الذي لم ترعيني تاريخاً أجل منه، وهو عندي سيد الكتب الموضوعة للبلاد فأكثر من يذكره من أشياخه أو أشياخ أشياخه[٣].

ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألّفت في تاريخ نيسابور[٤].

وقد أصبح تاريخ نيسابور للحاكم مصدراً مهماً للمحدثيم والمؤرّخين ينقلون منه تراجم المحدّثين الذين ورد ذكرهم فيه وقد درس هذا الكتاب في خراسان في القرن السادس الهجري فكان أبو الفضل بن الفلكي الهمذاني يقول: كان كتاب تاريخ النيسابور بين الذي صنّفه الحاكم أبو عبدالله بن البيع أحد ما رحلت إلى نيسابور بسببه..»[٥].

وسمع أبو سعد السمعاني الجزء الأول منه، حينما رحل إلى نيسابور سمعه من أبي عبد الرحمن محمد بن إسماعيل بن عمر الصيرفي المؤدّب

(١) المنتخب من كتاب السياق: الورقة/ ١.
(٢) المصدر نفسه، الورقة/ ١٤٥أ. ب.
(٣) كشف الظنون: ج١ ع٣٠٨.
(٤) معجم البلدان: ج٤، ص٥٠٧.
(٥) الأنساب: ج٢، ص٤٠١.

النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٣هـ[١]. كما قرأ أبو سعد هذا الجزء من تاريخ نيسابور على أبي القاسم منصور بن محمد بن أحمد.. الصاعدي المتوفى سنة ٥٥٢هـ[٢].

وقال السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ «كتاب نيسابور للحاكم، والذيل لعبد الغافر كلاهما عندي الأول في ست مجلدات والثاني في واحد ضخم»[٣].

❷ **كتاب «تاريخ مرو»**[٤]، لأبي أسعد السمعاني، ويسمى تاريخ المراوزة[٥]، وكان يزيد على عشرين مجلداً[٦]، وقيل أنه كتب منه ثلاثمائة طاقة[٧]. جاء ذكره في ترجمة أبي بكر محمد بن شجاع اللفتواني

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٧٠٢، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٠٥أ.

(٢) المصدر نفسه/ ١٠١٥، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٦٦ب.

(٣) ولم يبق من الكتابين إلّا شيء يسير، وقد نشره Riechard N. Frye بالأوفست سنة ٩٦٥ أم ما تبقى من تاريخ نيسابور للحاكم بالفارسية وبعضه بالعربية، وما بقي من كتاب السياق لعبد الغافر الفارسي، وأضاف إليها المنتخب من كتاب السياق الذي انتخبه إبراهيم بن محمد الأزهر الصريفيني وهو أوسعها ويعتبر هذا الكتاب بأقسامه الثلاثة من مصادرنا المهمة في هذا الكتاب.

(٤) اللباب: ج١، ص١٠، الكامل: ج١١، ص٣٣٣، وفيات الأعيان: ج٢، ص٣٧٩، المختصر في أخبار البشر، م٢ ج٥، ص٦٠-٦١، مرآة الجنان: ج٢، ص٣٧٩، الوافي بالوفيات: قسم الثاني ١٥-١٧: الورقة/ ٢٥٠ب، الإعلان بالتوبيخ: ص٢٧٦، كشف الظنون: ج١ ع٢٠٣، هدية العارفين: ج١ ع٦٠٩.

(٥) المستفاد: الورقة/ ٥٠ب.

(٦) مرآة الجنان: ج٣، ص٣٧١-٣٧٢، وفيات الأعيان: ج٢، ص٣٨٠، اللباب: ج١، ص١٠، الإعلان بالتوبيخ: ص٢٧٦.

(٧) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٨٣، الوافي بالوفيات: قسم ٢ ١٥-١٧ الورقة/ ٢٥٠ب والطاقة نصف كراس الذهبي: الإعلام: ج٤، ص١٧٩ في الحاشية.

الحافظ المتوفى سنة ٥٣٣هـ، ولفتوان إحدى قرى أصبهان. قال أبو سعد: واستفدت منه، وأكثرت عنه، وكتب لي أجزاء بخطه عن شيوخه ومن حديث المراوزة قال: حتّى يُورد عني في «تاريخ مرو» والله يرحمه ويشكر سعيه[١].

وأرى أنّ أبا سعد قد شرع في تصنبف هذا الكتاب قبل سنة ٥٣٣هـ، ذلك لأن وفاة أبي بكر اللفتواني كانت سنة ٥٣٣هـ.

وقد وقف ياقوت الحموي على تاريخ مرو وقرأه بخط أبي سعد السمعاني[٢]، وأورد عنه نقولاً كثيرة في مؤلفاته، منها ما أورده في «إرشاد الأريب» في ترجمة أبي سليمان الخطابي، قال ياقوت: ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب مرو، قال: سئل أبو سليمان عن اسمه فقال: اسمي حميد، ولكن الناس كتبوه أحمد فتركته عليه[٣].

وفي ترجمة أبي عمر محمد بن أحمد بن سليمان النوقاني قال ياقوت: ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب تاريخ مرو فقال: دخل خراسان، وكتب بهراة، ومرو، وبلخ، وما وراء النهر، وسمع الكثير من الشيوخ[٤].

وذكر ياقوت كذلك نقلاً عن كتاب تاريخ مرو في كتابه «معجم البلدان في مادة اللين وهي قرية بمرو منها محمد بن نصر بن الحسين المزني الليني. قال ياقوت: ذكره أبو سعد في التاريخ»[٥].

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٧٥٩؛ معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢١٥أ-٢١٥ب.

(٢) معجم البلدان: ج١، ص٧٦١.

(٣) إرشاد الأريب: ج٢، ص٨١-٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٥) معجم البلدان: ج٤، ص٣٧٥.

وقال ياقوت في كلامه على بوقان: كذا ضبطه أبو سعد في تاريخ مرو الذي قرأته بخطّه وقد ذكر في موضعه[١].

كما وقف الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ ونقل عنه في كتابه «نكت الهميان» وذلك في ترجمه أبي الخير المروزي. قال الصفدي: قال السمعاني في كتاب مرو: كان من أصحاب الرأي فصار من أصحاب الحديث لصحبته الإمام أبي بكر القفال[٢].

غير أن تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ لم يقف على كتاب تاريخ مرة لأبي سعد السمعاني فقد ذكر في ترجمة أبي بكر الصيدلاني قول السبكي: لم أطلع على ترجمته بعد شدة الكشف وكثرة الفحص، وإن تكن له ترجمة فما أراها إلّا في تاريخ مرو للإمام أبي سعد السمعاني لم أقف عليه[٣].

وجاء في حاشية كتاب «الإعلان بالتوبيخ» أن السبكي لم يستطع العثورعلى هذا الكتاب في مصر والشام، ذلك كتب إلى بغداد يسأل فيما إذا كان الكتاب موجوداً فيها[٤].

وفي الطبقات الوسطى ويذكر لنا السبكي كتاب «تاريخ مرو» بقوله: ولكنه لم يكمل فيما يغلب على ظني[٥].

وهذا يدل على تضارب أقوال السبكي بشأم هذا الكتاب، فقد صرّح مرّة بأنه لم يقف عليه فكيف يظنّ أنّه لم يكمل؟

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٧٦١.

(٢) نكت الهميان: ص٢٥٨.

(٣) طبقات الشافعية الوسطى: الورقة/ ٨٧٢.

(٤) المصدر نفسه، الورقة/ ٥٧٢.

(٥) الإعلان بالتوبيخ، ص٢٧٦ في الحاشية.

إنّ المادة المنقولة عن «تاريخ مرو» تبيّن لنا أنّ الكتاب يضمّ تراجم لعلماء المراوزة أو العلماء الذين وردوا مرو أو اجتازوا بها أو سكنوها، أيّ أنّه جعله على غرار كتاب «تاريخ نيسابور» للحاكم أو تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي إلّا أننا نجهل الطريقة أو الأسلوب الذي رتبه هذا الكتاب.

❸ **كتاب «تاريخ مرو»**، لأبي محمد عبد الجبار.. الثابتي الخرقي المتوفى سنة ٥٥٢هـ من أهل قرية خرق إحدى قرى مرو، وكان هذا قد تفقه على أبي بكر السمعاني ولازمه، وقرأ المذهب على الشيخ إبراهيم بن أحمد المرو الروذي، ثم اشتغل بالحساب والمقدرات وجاوزها إلى الفلسفة وغيرها. قال أبو أسعد: جمع تاريخا مرو، غير مسند، ذكر فيه أحوال الأئمة والمحدثين والعلماء استحسنته..[(١)].

❹ **كتاب «تاريخ بلخ»**، لأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن داود المستملي البلخي ذكره ابن النجار مؤرخ بغداد في كتابه «التاريخ المجدد لمدينة السلام» وأخذ عنه ذلك في ترجمة أبي العباس الفضل بن عكرمة بن طارق السرخسي[(٢)].

وذكره ابن النجار أيضاً باسم «طبقات البلخيين» من جمع أبي إسحق المستملي البلخي[(٣)]. ولئن اعتبرته من مؤلفات القرن السادس الهجري، فلأنّه ترجم لأحد المعاصرين له وهو محمد بن المطهرين بن محمد بن ميزان الدهاسي قال في تاريخ بلخ: له علم في الأدب والنّحو والقرآن

---

(١) التحبير: الترجمة/ ٣٨٠، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٤٦ب، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٣٣١-٣٣٢، كشف الظنون: ج١، ع٣٠٣، معجم المؤلفين: ج٥، ص٨٠.

(٢) التاريخ المجدد لمدينة السلام: الورقة/ ٨٢ب.

(٣) المصدر نفسه، الورقة/١٤٣ب-١٤٤أ.

والتّعبير، شيخ زاهد صموت، لقيته سنة سبع وعشرين وخمسمائة[١].

● كتاب **«تاريخ هراة»**، لأبي نصر عبد الرحمن بن عبد الجبّار بن عثمان المعدل الهروي المتوفى سنة ٥٤٦هـ.

كان حافظاً أديباً، بلقب ثقة الدين. روى عنه الحافظ ابن عساكر، وأبو روح الهروي، وأبو سعد السمعاني وقال فيه: حافظ فاضل، مقدم المحدثين بهراة، له معرفة بالحديث والأدب، وكثير الصدقة، دائم الذكر، كتب عني «الذيل» في ثماني مجلدات، وقرأها عليّ[٢].

ووصف الحافظ الذهبي «تاريخ هراة» بأنّه تاريخ صغير[٣]. وانتقده في موضع آخر، بأنّه غير مستوعب[٤].

من ذلك يتبيّن لنا أنّ الحافظ شمس الدين الذهبي قد وقف على هذا الكتاب.

كما وقف مؤرّخ بغداد ابن الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣هـ، وأورد عنه في كتابه «تلخيص مجمع الآداب» في معجم الألقاب نقولا[٥].

● كتاب **«تاريخ هراة»**، لأبي روح عيسى الهروي المتوفى سنة ٥٤٤هـ[٦].

● **كتاب تاريخ نسا[٧] وأبيورد[٨]**، جمعه الأديب لأبو المظفر محمد

---

(١) بغية الهواة: ج١، ص٢٤٧.

(٢) (٣) تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٣٠٩، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٥٠-١٥١، كشف الظنون: ج١، ع٣٠٩.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٥٠.

(٥) تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٢، ص٩٣٤-٩٣٥، ٩٣٧، ١١٣٣-١١٣٤ الخ...

(٦) كشف الظنون: ج١، ع ٣٠٩.

(٧) نسا: بلدة مشهورة بخراسان والنسبة إليها نسائي، ونسوي، الأنساب: الورقة/٥٥٩أ.

(٨) أبيورد: مدينة بخراسان بين سرخس ونسا، وينسب إليهما الأديب أبو المظفر =

ابن أحمد الأبيوردي المتوفى سنة ٥٠٧هـ[١]. وقد ذكر الأبيوردي في كتابه «نهزة الحفاظ» أنّه عزم على أن يضع تاريخاً لابيورد، ونسا، وكوفن[٢]، وجيران[٣] وغيرها من أمهات القرى بتلك النواحي[٤].

٨ **تاريخ بيهق**، للإمام ظهير الدين البيهقي المعروف بابن فندق الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ. وقد ألّفه بالفارسية والكتاب المطبوع.

ولم يكتب مؤرّخو خراسان موضع تواريخ لأمهات مدن خراسان فحسب بل تعدّت ذلك إلى أنّهم اهتمّوا بوضع تواريخ للمدن الإسلامية الأخرى مثل بغداد، حيث كانت تجتذب إليها العلماء من كل حدب وصوب فقد وضع أبو يعد السمعاني مؤلفاً مهماً وهو كتاب «ذيل تاريخ بغداد» في خمسة عشر مجلداً[٥]. وقيل: عشر مجلدات[٦]، وقيل أيضاً: أربعمائة طاقة[٧]. وقد ذيل به على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. وهو

= الأبيوردي المعاوي المتوفى سنة ٥٠٧هـ، معجم البلدان: ج١، ص١١١.

(١) الأنساب: الورقة/ ٥٥٩أ، معجم البلدان: ج، ٥ ص٢٨٢، أنباه الرواة: ج٣، ص٤٩، تاريخ الإسلام: الورقة/ ٣٤أ، كشف الظنون: ج١، ع٣٠٨.

(٢) كوفن بليدة صغيرة على ستة فراسخ من أبيورد بخراسان، الأنساب: الورقة/ ٤٩٠أ.

(٣) جيران: وهي قرية من أصبهان الأنساب: ج٣، ص٤٥٤، معجم البلدان: ج٢، ص١٩٧، وذكر جيران بكسر الجيم جزيرة في البحر بين البصرة وسيران. ج٢، ص١٩٨ وربما جيران من قرى خراسان.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ج٤، ص٤٣.

(٥) مرآة الجنان: ج٣، ص٣٧١-٣٧٢، وفيات الأعيان: ج١، ص٣٧٩، روضات الجنات: ص٤٢٧، كشف الظنون: ج١، ع٢٨٨، هدية العارفين: ج١، ع٦١٩.

(٦) الإعلان بالتوبيخ: ص٢٥٤.

(٧) تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٣١٧، طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٨٢، الوافي بالوفيات قسم ٢، ١٥-١٧: الورقة/ ٢٥٠ب، البداية والنهاية: ج١٢، ص١٧٥، طبقات ابن قاضي شهبة: الورقة/ ٥٧ب، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: الورقة/ ٥٠ب.

من الكتب المهمة جداً وله شأن كبير، فقلّما يخلو مصدر من مصادر التراجم إلّا أخذ ما شاء. وقد ألّف أبو سعد هذا الكتاب - كما ذكر ابن عساكر الدمشقي - بعد أن عاد من الشام إلى بغداد حيث ذيل تاريخ الخطيب وسّعه بها وعاد إلى خراسان[١]. وقال السبكي: ووقفت على الذين وعندي منه نسختان..[٢].

ويغلب على الظن أنّ أبا سعد قد سار فيه على نهج الخطيب البغدادي، فذكر تراجم العلماء البغداديين بعد وفاة الخطيب إلى عصره، لذلك نراه قد تضمّن تراجم مشايخ أبي سعد السمعاني البغداديين، وكذلك تراجم من ورد بغداد أو اجتاز بها أو سكنها من العلماء. وقد امتدح كتاب «الذيل» غير واحد من المؤرخين والعلماء نذكر منهم: ابن الأثير حيث قال: أتى فيه بكل فضيلة وأبان عن كل نكتة جليلة، وهو نحو خمسة عشر مجلّداً[٣]. وقال العماد الأصبهاني بحق هذا الكتاب في ترجمة أبي المحسن والد أبي الحصين: ذكره السمعاني في تاريخه المؤلف بين مشتريه ومريخه وكتابه الدّال على وفور آدابه..[٤].

وحصّل نسخة من هذا الكتاب الحافظ الكبير أبو شجاع عمر بن محمد البسطامي البلخي المتوفى سنة ٥٦٢هـ.

وكتب أبياتاً من الشعر يمتدح بها كتاب «الذيل» ذكرها أبو سعد[٥].

وقد وعظ ابن الجوزي الواعظ البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: م٧: الورقة/ ١٦٥أ، التقييد: الورقة/ ١٠٦أ، اللباب: ج١، ص١٠.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٢٩.

(٣) اللباب: ج١، ص١٠.

(٤) الجريدة: قسم الشام: ج٢، ص٦٧.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى: ج٧، ص٢٠٠.

من كتاب «الذيل» وادّعى بأنّ شجاع بن فارس الذهلي المتوفى سنة ٥٠٧هـ كان قد كتب من التذيل شيئاً، وكتب أبو الفضل بن خيرون وفيات المشايخ فجمع هو ذلك وتلقف من أشياخنا كعبد الوهاب ومحمد بن ناصر، ومن بقي من الأشياء ما يصلح أنَ يذكر من زمن الخطيب إلى زمانه[١].

ونجد ابن الجوزي قد ناقض ما ادّعاه سابقاً وذلك حينما قال في ترجمة شجاع بن فارس الذهلي: شرع في تتمة تاريخ بغداد، ثمّ غسل ذلك قبل موته بعد أن أرّخ بعد الخطيب..[٢].

وقد ردّ المؤرّخ الكبير شمس الدبن الذهبي على افتراء ابن الجوزي، واتصف أبا سعد فقال مخاطباً ابن الجوزي: يا أبا الفرج لا تنه عن خلق وتأتي مثله، فإنّ عليك في هذا الفصل مؤاخذات عديدة منها: أن أبا سعد لم يقل شيئاً في تجريحه وتعديله وإنما قال إنّه يتكلّم في أعراض الناس، ومن جرح وعدل لم يسم في عرف أهل الحديث أنّه يتكلم في أعراض الناس. بل قال ما يجب عليه، والرجل قال في ابن ناصر عبارتك تغنيك التي سرقتها منه وضيعته بها بل وعامة في كتابك المنتظم من سنة نيف وستين وأربعمائة إلى وقتنا هذا من التراجم إنّما أُخذته من ذيل الرجل ثم أنت تتهاجم عليه وتتباجح[٣].

ومن جملة انتقادات ابن الجوزي لكتاب الذيل قوله: لو أن متتبعاً يتتبع ما في كتابه من الأغاليط، والأنساب المختلطة ووفاة قوم هم في الأحياء لأخرج أشياء كثيرة غير أن الزمن أشرف من أن يضع في مثل هذا[٤].

---

(١) المنتظم: م١٠، ص٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه، م٩، ص١٧٦.

(٣) ملخّص تاريخ الإسلام: م٨، الورقة/١٨أ.

(٤) المنتظم: م١٠، ص٢٢٥.

ولا يمكن أن نقبل فقد ابن الجوزي هذا، لأنه لا يقوم على براهين علمية، وذلك لأن أبا سعد السمعاني كان عالماً في الأنساب برع فيها وقد اعترف له بذلك كل من قرأ كتابه «الأنساب» بأنه لم يجاره في هذا الفن أحد فيما ذهب إليه لا قبله ولا بعده[١].

والنقول الوارد عن كتاب الذيل أكبر دليل يدحض ادّعاء ابن الجوزي. ولو كان كما ادّعاه ابن الجوزي لما نقل عنه ثقات المؤرّخين في كتبهم، بل كان اعتمادهم الأساسي على كتاب الذيل لأنه المصدر الرئيس للفترة التي تلت عهد الخطيب.

وأول من ذيل على ذيل تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني، هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر البغدادي القطيعي الأزّجي المتوفى سنة ٦٣٤هـ. قال ابن رجب: «جمع تاريخاً في خمسة أسفار، ذيل به على تاريخ أبي سعد ابن السمعاني سمّاه «درة الأكيل في تتمة التذييل» رأيت أكثره بخطه، وقد نقلت عنه في هذا الكتاب كثيراً، وفيه فوائد جمّة، مع أوهام وأغلاط»[٢].

ثم ذيل على تاريخ بغداد المؤرّخ الحافظ أبو عبدالله محمد بن أبي المعالي الفقيه الشافعي الواسطي المعروف بابن الدبيثي[٣] المتوفى سنة ٦٣٧هـ باسم «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد» في ثلاث مجلّدات[٤].

---

(١) مقدّمة اللباب: ج١، ص٤-٥.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة: ج٢، ص٢١٢.

(٣) الدبيثي: نسبة إلى دبيثا: من قرى النهروان في العراق، معجم البلدان: ص٢، ص٥٤٧.

(٤) في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد نسخة مصوّرة برقم (١٢٣٧) وقد طبع المجلد الأول منه وحققه الدكتور بشار عواد معروف في مطبعة دار السلام بغداد ١٩٧٤.

وقد جمع ابن النجار، ذيل أبي سعد السمعاني، وذيل ابن الدبيثي، وسمّاه «التاريخ المجدّد لمدينة السلام»[١].

ومن الأبحاث المتصلة بالدراسات التاريخية «علم الأنساب» فقد برع جماعة من أهل خراسان كان المنتهى إليهم في معرفة أنساب العرب، ولعل أشهر من صنف في هذا العلم بخراسان في القرن السادس هو الإمام أبو سعد السمعاني الذي صنف كتابه الشهير «الأنساب»[٢] في ثماني مجلدات. وقد شرع أبو سعد يجمعه في مدينة سمرقند سنة ٥٥٠هـ[٣].

وقد أثنى عدد كبير من المؤرّخين على هذا الكتاب، فقد قال ابن الأثير في حقه: «لو قال قائل: إنّ هذا تصنيف لم يسبق إليه لكان صادقاً، ولو زعم أنه قد استقصى الأنساب لكان بالحق ناطقاً.

وقد جمع فيه الأنساب إلى القبائل والبطون كالقرشي، والهاشمي، وإلى الآباء والأجداد كالسليماني والعاصي، وإلى المذاهب في الفروع والأصول كالشافعي، والحنبلي، والأشعري، والشيعي، والمعتزلي وإلى الأمكنة كالبغدادي، والموصلي، وإلى الصناعات كالخياط والكيّال، والقصاب، والبقال، وذكر أيضاً الصفات والعيوب كالطويل والقصير، والأعمش، والضرير، والألقاب كجزرة، وكيلجة. فجاء الكتاب في غاية الملاحة ونهاية الجودة والفصاحة، وقد أتى مصنّفه بما عجز عنه الأوائل،

---

(١) في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب - جامعة بغداد، نسخة مصوّرة في مجلّدين برقم (١٢٣٩).

(٢) وقد طبع منه ستة أجزاء وصل به محققه إلى نهاية حرف الزاي، وهو من مصادرنا المهمة في هذا الكتاب ولكتاب الأنساب عدة نسخ خطية في مكتبات العالم ذكرناها في كتابنا تاج الإسلام أبو سعد وكتابه التحبير: ص٢٦٥-٢٦٧.

(٣) الأنساب ج١، ص٤.

ولا يدركه الأواخر، فإنه أجاد ترتيبه وتصنيفه وأحسن جمعه وتأليفه..»[١].

ثم أن ابن الأثير اختصره رواد فيه أشياء واستدرك على ما فاته وسمّاه «اللباب في تهذيب الأنساب»[٢].

وذكر ياقوت الحموي تصانيف مفيدة في الأنساب للسيد النسّابة إسماعيل بن الحسين بن محمد بن الحسين.. الحسيني العلوي المروزي، وقد اجتمع به ياقوت الحموي بمرو في سنة ٦١٤هـ، ووصفه بأنه أعلم الناس يقيناً بالأنساب، ومن مؤلّفاته كتاب «غنية الطالب في نسب آل أبي طالب» مجلّد، وكتاب «الموجز في النسب» مجلّد لطيف، كتاب «الفخري» صنّفه للإمام الفخر الرازي، كتاب «زبدة الطالبية» مجلّد لطيف، كتاب «خلاصة العترة النبوية في أنساب الموسوية». وكتاب «المثلث في النسب» وقد شجّر عدة كتاب منها: كتاب أبي الغنائم الدمشقي، وكتاب من اتصل عقبه بأبي الحسن محمد بن القاسم التميمي الأصبهاني، وكتاب «المعارف» للسيد أبي طالب الزنجاني الموسوي، وكتاب «الطبقات» للفقيه زكريا بن أحمد البزاز النيسابوري، وكتاب نسب الشافعي خاصة[٣].

---

(١) مقدّمة كتاب اللباب: ج١، ص٤-٥.

(٢) الكتاب طبع في القاهرة سنة (١٣٥٦-١٣٥٧هـ) في ثلاثة أجزاء.

(٣) معجم الأدباء: ج٦، ص١٤٥-١٤٦.

الباب الخامس

العلوم العقلية والعلمية في خراسان
وأثرها في الحركة الفكرية

الفصل الأول

العلوم العقلية

تدخل الدراسات العقلية والعلمية ضمن إطار ما اصطلح عليه (بعلوم الأوائل) وتشمل دراسة الفلسفة والمنطق والكلام والعلوم البحتة والتطبيقية مثل: الرياضيات (الحساب، الهندسة، والجبر) والفلك والنجوم، والطب والصيدلة، والكيمياء، وفي هذه الأبحاث العقلية والعلمية، والأبحاث التي شرحناها سابقاً من علوم القرآن، والحديث، والفقه، واللغة، تتجلّى فروع الحركة الفكرية في خراسان في هذا القرن.

★ **فيما يلي موجز لهذه العلوم العقلية في تلك الديار.**

١ الفلسفة:

مرّ مفهوم الفلسفة بكثير من التبديل والتغيير، وكانت موضوعاتها تميل إلى الاتساع والضيق تبعاً لاتساع مدارك الإنسان، وتطوّر مفاهيمه للحياة. فقد كانت الفلسفة عند أرسطو تعني كل بحث يراد به الوصول إلى الحقيقة[1].

والفلسفة عند الغزالي ستة أقسام هي: رياضية، منطقية، طبيعية، إلهية، سياسية، وخلقية[2].

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية: ص١١٨.

(٢) المنقذ من الضلال: ٩٦-١٠٧.

إنّ علماء الحديث فقد حملوا على الفلسفة وما يتعلّق بها وسمّوها بـ(العلوم المهجورة)، أو العلوم غير الشرعية، وليس في خراسان وحدها ولكن في العالم الإسلامي بوجه عام. ذلك لعدم إيمان أهل الحديث بالفلسفة، وإن كانوا يتدارسونها، يتبيّن ذلك من أقوال المحدثين نذكر منهم: أبا سعد السمعاني، الذي يعتبر محدث خراسان في القرن السادس الهجري قوله في بعض مشايخه الذين عنوا بالفلسفة منهم:

١ • **أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد عبدالله الأديب الأكاف** المتوفى سنة ٥٣٠هـ من أهل مرو.

قال أبو سعد: «مؤدّبي، وأول من قرأت عليه شيئاً من الأدب، وكان يعرف الفلسفة والعلوم المهجورة»[١].

٢ • **أبو علي محمد بن علي بن أحمد بن الحارثان** من أهل سرخس المتوفى سنة ٥٤٥هـ. كان فاضلاً عالماً باللغة والأدب والنحو.

قال أبو سعد: «سمعت أنه كان يرى رأي الأوائل ويقرأ الفلسفة والعلوم المهجورة»[٢].

٣ • **أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن إبراهيم الهاني**، المتوفى سنة ٥٢٧هـ من أهل مرو الروذ. كان شيخاً فاضلاً، حسناً.

قال أبو سعد: «كان يتهم بالنظر في العلوم غير الشرعية..»[٣]. وهذا لا يعني أن الفلاسفة والحكماء في خراسان في هذا القرن غير مقدرين أو أنهم في عزلة عن المجتمع، بل كان ينظر إليهم نظرة احترام وتقدير، ومن مظاهر احترام الأمة

---

(١) الأنساب: ج١، ص٣٣٦.

(٢) التحبير: الترجمة، ٨١١.

(٣) المصدر نفسه، ٣٦.

للفلاسفة الصلاة عليهم عند الوفاة، فحين توفي الفيلسوف قطب الزمان محمد بن أبي طاهر الطبسي المروزي سنة ٥٣٩هـ، صلّى عليه الإمام الأجل محمد الزيادي بسرخس مع سائر الأئمة[١].

هذا ولا ننسى أن خراسان في هذا القرن قد ورثت تراثاً فلسفياً قيّماً متمثّلاً في فلسفة الفارابي وابن سينا، لذلك نجد مؤلّفاتهما الفلسفية والمنطقية متداولة في خراسان في هذا القرن..

وأن كثيراً من أئمة المسلمين من علماء الكلام نظروا في الفلسفة وألّفوا فيها الكتب وممن نظر في الفلسفة الإمام أبو حامد الغزالي، وأبو الفتح الشهرستاني، الذي ألّف كتابه «مصارعة الفلاسفة» دوّن فيه مناظراته في المسائل الفلسفية التي ناقش فيها آراء ابن سينا[٢]، كما ألّف فيها الإمام الفخر الرازي نزيل هراة.

كما ألّفت الكتب التي تناولت تراجم الفلاسفة والحكماء الذين عاشوا في هذه الحقبة، ومن أبرز هذه المؤلّفات كتاب «تاريخ حكماء الإسلام» وكتاب «تتمة صوان الحكمة» وكلاهما للإمام ظهير الدين البيهقي الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ.

ولقد برزت طائفة من الفلاسفة والحكماء في خراسان في هذا القرن ممن خاضوا في المسائل الفلسفية والكلامية والمنطقية في مجالس المناظرة، أو في المؤلّفات التي دوّنوها، إضافة إلى أنهم دوّنوا الحكم والفوائد الفلسفية وجميع ذلك كان باللغة العربية مما يدل على أن العلوم العقلية والنقلية كانت تدوّن باللغة العربية، وذلك كلّه يشير إلى أن الحركة الفكرية في خراسان، كانت العربية من أهم أسسها وأبرز مظاهرها.

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٢٨، تتمة صوان الحكمة: ص١٢٢-١٢٣.

(٢) يراجع: الفصل الأول من الباب الثالث، ص١٧١.

■ **وهذه جملة من فلاسفة خراسان وحكمائها ممن عاشوا في القرن السادس، مع ذكر بعض آرائهم الفلسفية والمنطقية، إضافة إلى مؤلّفاتهم في الفلسفة:**

❶ **الأديب الفيلسوف أبو العباس اللوكزي المروزي** المتوفى سنة ٥٠١هـ. كان عالماً بأجزاء علوم الحكمة دقيقها وجليلها، وقد كفّ بصره في شيخوخته، وكان من أرباب البيوتات العلمية بكورة مرو بخراسان، ولقد تخرج عليه عدد كبير من التلاميذ ممن نال مرتبة علمية كبيرة. وعنه انتشرت علوم الحكمة بخراسان، وصنّف كتباً كثيراً منها: كتاب «بيان الحق بضمان الصدق» إضافة إلى الرسائل والتعليقات والمختصرات، كما كان له ديوان شعر.

★ **ومن حكمه وآرائه الفلسفية قوله[1]:**

العلم يعلي الهمة، ويفيد المحاسن، ويبسط اللسان.

جنّب كرامتك الأدنياء والسفلة.

لا تنتفع بمشورة من لا تجربة له.

❷ **الفيلسوف قطب الزمان محمد بن أبي طاهر الطبسي المروزي** المتوفى سنة ٥٣٩هـ، وهو من تلامذة الأديب أبي العباس المذكور آنفاً، وأبوه كان من حكماء مرو، كان حكيماً كاملاً في أجزاء علوم الحكمة، صاحب خاطر وقاد.

ارتبطه الوزير نصير الدين محمود بن المظفر بن عبد العزيز بن أبي توبة. ومن حكمه: الناس محبوسون في سجن يخرج منهم واحد بعد واحد

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٢٦-١٢٧، تتمة صوان الحكمة: ص١٢٠-١٢١، الأنساب: الورقة/٤٩٦أ. واللوكري: بضم اللام، وفتح الكاف، نسبة إلى لوكر قرية كبيرة على نهر مرو قرب بنج ديه.

بلا تعيّن ويهلك، فإذا أخرج واحد والآخر لا يدري أن النوبة تنتهي إليه أو إلى غيره، كان من الغفلة اشتغاله بعمارة السجن[١].

٣ الفيلسوف الأوحد أبو الفتح بن أبي سعيد الفندروجي النيسابوري. كان من تلاميذ قطب الزمان، انتهى في الحكمة إلى غاية لم ير واحد في تلك الأدوار مثله، وكان حسن الأخلاق والشمائل، وله تصانيف في الآثار العلوية وكتاب في تفاضل الحيوانات، تزهّد في آخر عمره واعتكف في مدرسة شيخ المشايخ يوسف الهمذاني، ولعل المراد بهذه المدرسة رباط شيخ المشايخ يوسف الهمذاني بمرو على طرق نهر الرزيق.

★ ومن آرائه الفلسفية قوله:

اجعل نفسك كالمفارقة حتى لا تؤذيك مفارقتها.

الصبر على مقاساة ما تكرهه أيسر وأهون من دفع ما تكرهه.

من طلب لذة عقلية فليس له أن يطلب لذة حسية.

تمنحه عنها، كي لا يكون كمن باع الذهب بالخرف[٢].

٤ الحكيم الإمام أبو الحسن الأبريسمي. كان إمام الجامع القديم بنيسابور، وكان كدوداً في تحصيل الحكمة، مستفيداً طول عمره حافظاً للقرآن، عالماً بوجوه قراءته.

قصد غزنة وحمل معه محمّداً ومحموداً ابنيه، فحسده حكماء غزنة، وقالوا للسلطان مسعود ابن إبراهيم، يجب أن يجعل هذا الفقيه في سلك القرّاء، فكان يحضر صباح كل يوم دار السلطان لقراءة القرآن حتى قضى نحبه.

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٢٨، تتمة صوان الحمة: ص١٢٢-١٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٩-١٣٠.

وكتاب من غزنة إلى بعض أصدقائه بنيسابور، لو قنعنا بما رزقنا الله تعالى بنيسابور لما قاسينا الغربة والحرمان، فإن من لم يقنع بما عنده لم يرزق إلّا الحرمان.

وابنه محمود كان طبيباً مقبولاً وعارفاً بالهندسة، وصار في دولة السلطان الأعظم من أحظى الحكماء والأطباء لديه وأعزّهم عليه(١).

● **الإمام أبو المعالي مجديد بن أبي نصر بن محمد الرشيدي النيسابوري** المتوفى سنة ٥٣٨هـ. من أولاد الخليفة هرون الرشيد. كان فاضلاً، كلامه في الأفهاء كالزلال عند الأوام، إذا خاض في الأدب فقل عرا الأدباء لكنة الأرتاج، وإن تفوّه بعلوم الحكمة انقطع غيره عن الحجاج، وحصر عن الجواب وتعقد في الخطاب.

كان ملجأ الأفاضل وملاذهم في مدة عمره.

★ **من فوائده الحكمية ما كتبه إلى ظهير الدين البيهقي قوله:**

لا شيء من لذات الدنيا إلّا ويورث (خزنا).

أذكر ما أنت صائر إليه حق ذكره.

نحن في يوم من الغرور ولا نثق بغده.

الزهادة في اللذات الناقصة مفتاح الرغبة (في السعادة الكبرى)

من الأخلاق السيّئة مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه

لا تصادقن شريراً فإنّ شرّه يتبعك وإن قطعته أصابك شرّه(٢).

● **الإمام محمد الحارثان السرخسي**. طاف وساح ومسح أكثر الأقاليم بأقدامه طلباً للحكمة البالغة، وكان في الأدب تلو الجوهري،

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٨.

وابن فارس. وقد جرى بينه وبين الإمام ظهير الدين البيهقي المتوفى سنة ٥٦٥هـ كلام في أنه يجب أن يتقدّم على التصديق تصوران أو ثلاث تصوّرات، وقد ذكر ذلك البيهقي في كتابه «شرح النجاة».

★ ومن آرائه وفوائده قوله:

الملك الحق القيوم أول فكر العارفين وآخره.

لا سفر أحسن من سفر العقل في الملكوت الأعلى(١).

⑦ الحكيم علي المنادلي النيسابوري. كان حكيماً حسن الرواء والبهجة، عالماً بدقائق علوم الحكمة، وجلس خلال ديار الهندسة والمعقولات وأتى على طريفها وتليدها.

★ وقد وقف الإمام ظهير الدين البيهقي على رسالة له إلى الإمام الرشيدي قال فيها:

هذا زمان فقدنا فيه ما كان يوحشنا فقده ووجدنا فيه ما يضرّنا وجوده.

ثمرة العلوم حلوة، والنفقة فيها مستخلفة.

الرأي الصائب أعم منفعة وأقل عند نازلة مضرّة ونقصانا.

ما أصبت من الدنيا شيئاً إلّا احتاج ذلك الشيء إلى شيء آخر.

فصاحب الدنيا أبداً فقير محتاج(٢).

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٦٥، تتمة صوان الحكمة: ص١٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٧، تتمة صوان الحكمة: ص١٤٤-١٤٥.

❷ المنطق:

وقد ظهر الميل إلى دراسة المنطق واستخدامه في الجدل والمناقشات معاً. لذلك نجد الاهتمام بدراسة كتب المنطق كبيراً في خراسان في القرن السادس الهجري، فكانت مثلاً كتب الفارابي، وابن سينا في المنطق متداولة في خراسان في هذه الحقبة.

★ فقد ذكر ظهير الدين البيعي الأنصاري المتوفى سنة ٥٦٥هـ مؤلفات الفارابي بقوله:

له تصانيف كثيرة أكثرها موجودة بالشام، وما يوجد منها بخراسان «المختصر الأوسط» في المنطق و«المختصر الموجز» وكتاب «البرهان» و«جوامع كتب المنطق»، وآراء المدينة الفاضلة، والتعليقات، وشرح كتب أرسطو، وشرح أوقليدس في الموسيقى، أربع مجلدات، وكتاب «النفس»[(١)].

كما أنّ مؤلفات ابن سينا في المنطق كانت متداولة أيضاً بخراسان، حتى أن الفيلسوف زين الدين عمر بن سهلان الساوي الذي ارتحل إلى نيسابور، كان يبيع النسخة من كتاب «الشفاء» بخطّه بمئة دينار. وكان هذا يرتفق من النسخ[(٢)].

وكان لعلماء خراسان فضل كبير في تطوير دراسة المنطق ونظروا إليه من حيث أنّه فن برأسه، لا من حيث أنه آلة علوم. وذكر ابن خلدون أنّ أوّل من فعل ذلك فخر الدين الرازي. ومن بعده تلميذه أفضل الدين الخونجي وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد[(٣)]. ذلك لأن الإمام فخر الدين

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٢، تتمة صوان الحكمة: ص١٢٧-١٢٩.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ص٤٩٢.

الرازي قد صنّف في المنطق كتباً قيّمة كانت تدرس فيما وراء النهر فقد ذكر الرازي في مناظرته مع الفريد الغيلاني في سمرقند، وقد وصفه الرازي بكونه رجلاً مستقيم الخاطر، حسن القريحة، إلّا أنّه كان قليل الحاصل، وكان بعيداً عن النظر ورسوم الجدل وقال الرازي: سمعت أن الناس يقرأون عليه تصانيفي كالملخص، وشرح الإشارات، والمباحث المشرقيّة[١].

● **من مؤلفات الإمام فخر الدين الرازي في المنطق:**

١ كتاب الآيات البينات:

وقد أشار ابن أبي أصيبعة الخزرجي إلى أن للإمام فخر الدين الرازي كتابين بهذا الاسم أحدهما صغير والآخر كبير وذلك بقوله: ولشمس الدين الخسروشاهي تتمة الآيات البيّنات لابن خطيب الري وكان قد وصل فيها إلى الشكل الثاني، وهذه الآيات البيّنات غير النسخة الصغيرة التي هي على عشرة أبواب.

٢ كتاب أجوبة مسائل المسعودي:

ذكره نصير الدين الطوسي في شرحه على الإشارات والتنبيهات، لابن سينا[٢].

---

(١) عيون الأنباء: ج٢، ص١٧٤، كشف الظنون: ج١، ص٢٠٤، وذكر حاجي خليفة أنّ النسخة الصغيرة من كتاب الآيات البينات للرازي هي التي لخّصها الخسروشاهي. وذكر الزركان أن كتاب الآيات البينات (الصغير) نسخة ملحقة بمخطوطة «الملخّص في الحكمة والمنطق» المصورة بدون عنوان، وقد تيقن من أنّها هي الآيات البينات بعد أن عارضها بشرحها الموجود في دار الكتب المصرية (منطق ٩٨).

(٢) شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا: تأليف الطوسي: قسم ٢، ص٣٢٩، طبعه دار المعارف بمصر.

❸ أقسام اللذات:

ذكره ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» وقال: ذكر قول الإمام فخر الدين الرازي في آخر كتبه أقسام اللذات الذي صنّفه في آخر عمره، وهو كتاب مفيد[(١)].

غير أنّ براون يرى أنّ آخر كتاب ألّفه الرازي كان «المطالب العالية» في الرابع من شهر رجب ٦٠٥هـ، وإنّ كتاب أقسام اللذات ألّفه في هراة سنة ٦٠٤هـ[(٢)].

★ **والكتاب مقسّم إلى ثلاثة أقسام هي:**

١ • اللذات الحسيّة.

٢ • اللذات الخيالية **(وهي لذّة الرئاسة والجاه).**

٣ • اللذات العقلية، الحاصلة بسبب الإحاطة بحقائق الأشياء[(٣)].

❹ كتاب شرح الإشارات والتنبيهات لابن سينا:

وقد ألّف الرازي هذا الشرح قبل سنة ٥٨٢هـ وذلك لأنّ الناس كانوا يقرأونه بسمرقند على الفريد الغيلاني في حدود هذا التاريخ[(٤)].

ووصف حاجي خليفة هذا الشرح بأنّه شرح يقال وأقول طعن فيه بنقض أو معارضة وبالغ في الردّ على صاحبه ولذلك سمّى بعض الظرفاء شرحه جرحاً[(٥)].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم: ١٢٠، طبع في مدينة أمر نسري الهند.

(٢) تاريخ الأدب في إيران: ص٦١٥.

(٣) وهذا وصف للنسخة الخطيّة لهذا الكتاب في مكتبة برلين برقم (٥٤٤٢٧) كما ذكره الزركان في كتابه: فخر الدين الرازي: ص٧٩.

(٤) مناظرات فخر الدين الرازي: ص٣٩.

(٥) كشف الظنون: ج١، ع٩٤.

وقد ألّف نصير الدين الطوسي شرحاً للإشارات، ردّ فيه على الرازي وسمّاه مشكلات الإشارات فرغ من تأليفه سنة ٦٤٤هـ.

ثم جاء قطب الدين الرازي فصنّف كتاب «المحاكمات» للموازنة بين شرحي الرازي والطوسي فرغ منه سنة ٦٥٥هـ[١].

٥ كتاب لباب الإشارات:

وهو تهذيب وتلخيص لكتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا ألّفه الفخر الرازي سنة ٥٩٧هـ وذلك بالتماس بعض السادات ورتّب على ترتيبه في المنطقيات والطبيعيات، والإلهيات[٢]، وقد أشار إليه الفخر الرازي في تفسيره الكبير[٣].

٦ كتاب شرح عيون الحكمة لابن سينا:

ذكر الرازي أنّ تلميذه الحكيم محمد بن رضوان منوجهر ملك شروان سأله أن يفسر مشكلات هذا الكتاب، وهو على ثلاثة أقسام: منطق، طبيعي، وآلهي[٤].

ويبدو أنّه من الكتب المتأخّرة فقد قال الرازي في مقدمته: أنّ له كتباً ألّفها منذ حوالي ثلاثين سنة[٥].

٧ كتاب الملخص في الحكمة والمنطق:

وقد ألّف الفخر الرازي هذا الكتاب قبل سنة ٥٨٢هـ، وذلك لأن الناس بسمرقند كانوا يقرأونه على الفريد الغيلاني في حدود هذا

---

(١) المصدر السابق، ج١، ع٩٤-٩٥.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ع٩٤.
(٣) التفسير: ج٣١، ص١٧٨.
(٤) كشف الظنون: ج٢، ع ١٢٨٦.
(٥) شرح عيون الحكمة: الورقة/٣ب، عن فخر الدين الرازي للزركان: ص٨٢.

التاريخ[١]، ولهذا الكتاب عدّة نسخ خطيّة[٢].

❽ **كتاب مباحث الحدود في المنطق[٣].**

❾ **كتاب المنطق الكبير وهو من الكتب المبسوطة فيه[٤].**

وقد ذكر الرازي أنّه عندما ألّف كتابه الملخص لم يكن قد انتهى من تأليف كتاب المنطق الكبير[٥].

❸ الكلام والمتكلّمون:

لقد اختلف العلماء في تعريف مدلول علم الكلام فقد عرّفه الفارابي بأنّه: ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الأقوال والأفعال المحدودة التي صرّح بها واضع الملّة، ونزيف كل ما خالفها بالأقاويل[٦].

وعزى أبو سعد السمعاني تسمية هذا العلم بالكلام: لأن أول خلاف وقع في كلام الله مخلوق هو أم غير مخلوق، فتكلم الناس فيه فسميّ هذا النوع من العلم الكلام[٧].

أمّا العضد الإيجي فقد عرف الكلام في كتابه «المواقف» بقوله:

---

(١) مناظرات فخر الدين الرازي: ص٣٩.

(٢) ذكر الدكتور محمد صالح الزركان، أنّه وجد في فهرس ليدن (١٥١٠) ما يأتي: «وجدنا في نسخة نقلت عن نسخة الأصل أنّه حرّر المصنف (ﷺ) كتاب الملخص في خامس شوّال سنة ٥٧٩هـ يوم الجمعة» مناظرات فخر الدين الرازي: ص٩٠.

(٣) عيون الأنباء: ج٢، ص٣٠، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٦.

(٤) كشف الظنون: ج٢، ع١٨٦٤.

(٥) الملخص الورقة/١٦أ، ٣٠ب، ٤٥أ. نقلاً عن فخر الدين الرازي، ص٩١.

(٦) إحصاء العلوم: ص١٠٧-١٠٨.

(٧) الأنساب: الورقة/٥٠٦أ.

الكلام علم يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها[١].

وتشمل موضوعات علم الكلام على: وجود الله، وصفاته، وأفعاله، والنبوة، والقضاء، والقدر، والثواب، والعقاب، والمعاد، والإمامة.

وهذه الموضوعات تسمّى عند علماء الكلام بـ«المقاصد»، وثمّ موضوعات أخرى تسمّى بـ«اللواحق» كمسألة الجوهر الفرد[٢].

ولا بد لنا من الإشارة إلى أنّ علم الكلام العقلي عند أهل السنّة كان قد ابتدأ بالأشعري ثمّ نما على أثر ذلك عند الماتريدي والباقلاني، وانتهى في بداية القرن السادس الهجري بالإمام الغزالي الطوسي أعظم علماء الدين أهمّية في الإسلام[٣]. وقد ابتدأ الغزالي بعلم الكلام فحصّله وعقّله، وطالع كتب المحققين منهم وصنف فيه الكتب العديدة[٤].

لقد كان العمل الضخم الذي أنجزه الغزالي لتأسيس علم الكلام الإسلامي على مذهب أهل السنّة مدعاة لتشبيه بحق يحمل توماس الإكويني بالنسبة إلى العقائد المسيحيّة بل هناك من المؤلفين من يجعله في مرتبة أعلى وأرفع من توماس الإكويني بانبن حكمهم على التقويم الكلي للنتائج الإيجابية التي يمكن تحصيلها من كل منهما[٥].

ولا بدّ من الإشارة أيضاً إلى أنّ موضوعات علم الكلام بأسرها من المباحث الداخلة في نطاق الفلسفة، وأنّ الفلسفة أشمل وأعم، ولكن هل

---

(١) المواقف: ج١، ص٣٤-٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٩، المقاصد: ج١، ص٩-١٢.

(٣) العلم عند العرب: ص١٨٦.

(٤) المنقذ من الضلال: ص٧٨.

(٥) العلم عند العرب: ص١٨٠.

هذا يعني أنّ علم الكلام جزء من الفلسفة الإسلامية؟ أم هو الفلسفة الإسلامية؟

ويجيب على هذا التساؤل عدد من العلماء الأجانب الذين بحثوا الموضوع وخرجوا بآراء مختلفة. فإنّ هورتن يجيب على ذلك بنعم ويقول: إنّ الإسلامية أصبحت تشمل ما يسمّى بفلسفة أو حكمة علاوة على مباحث علم الكلام(١).

أمّا أرنست رينان، فقد نفى أن تدخل في الفلسفة الإسلامية إلّا أعمال المتكلمين، لأن علم الكلام في نظره هو الذي يمثّل الحركة الفلسفية الحقيقية في الإسلام(٢).

ونعلّق على هذين القولين بأنّ الفلسفة وإن شابهة علم الكلام في بعض موضوعاتها فإنها تختلف عنه في نقطة جوهرية، ذلك أنّ الفيلسوف يبدأ من عقله، فإذا وجد العقائد الدينيّة تعارض ما وصل إليه تفكيره حاول التأويل. بينما المتكلم يبدأ من عقائد دينية مبنيّة على نصوص فهو يحاول أن يؤيّدها بالحجج العقلية وأن يدفع عنها كل شبهة واعتراض ولا يلجأ إلى التأويل إلّا عند تعارض النصوص. ولهذا كان المتكلّمون يفصلون بين الكلام والفلسفة بأنّ الكلام يجري على قوانين الإسلام(٣). ولـمّا كان علم الكلام قد اشترك مع جزء من الفلسفة فكان بديهياً أن يحتك المتكلمون بالفلاسفة، وإن يتولّد هذا الاحتكاك نزاع نظراً لاختلاف الرأي والمنهج ويلاحظ أن أساطين علم الكلام في خراسان في هذا القرن مثل: الغزالي، والشهرستاني، والفخر الرازي، قاموا بإدخال

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: ص٢٦.

(٢) ابن رشد والرشدية: ص١١٦، تأليف أرنست رينان: ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٧م، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: ص١٦.

(٣) التعريفات: ص١٦٢.

بعض الآراء الفلسفية في كتبهم للرد عليها، ولم يقتصروا على إدخال المسائل الإلهية بل أدخلوا أيضاً بعض المسائل الطبيعية.

والإمام الغزالي يقول: لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدّة تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها. ولكن لما لم يكن ذلك من مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلمة ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق[١]. ولما كانت الاتجاهات الغالبة على الإمام الغزالي تقريباً هي الاتجاهات الصوفيّة، وهي التي توصّل عنده في الحقيقة إلى اليقين الديني، ونرى الغزالي قد ردّ على الفلاسفة أي الذين اتبعوا تعاليم أرسطاطاليس ومدرسته، ومن نحل على أرسطاطاليس من خلال جدل الغزالي مع ابن رشد في كتابه «تهافت الفلاسفة»[٢] وفي كتابه «مقاصد الفلاسفة» وكذلك كتابه «المنقذ من الضلال» الذي وضع في موازنة مع اعترافات القديس أوغسطين[٣].

ويرى ابن خلدون أنّ الإمام الفخر الرازي هو رائد المتأخرين في إغراق كتب التوحيد بالفلسفة وذلك بقوله: ثمّ خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بموضوع الإلهيّات ومسائل الطبيعيّات فصارت كأنّها فنّ واحد، ثمّ غيّروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيّات وإلهيّات وخلطوها فنًّا واحداً، قدموا الأمور العامة، ثمّ اتبعوه بالجسمانيات وتوابعها، ثمّ بالروحانيّات وتوابعها إلى آخر العلم، كما فعله الإمام أيمن الخطيب (أي الفخر الرازي) في المباحث المشرقيّة

---

(١) المنقذ من الضلال: ص٨٣-٨٤.

(٢) نشر الكتاب من قبل الأب بويج (M. Bougges)

(٣) العلم عند العرب: ص١٨٦.

وجميع من بعده من علماء الكلام، وصارعلم الكلام مختلطاً بمسائل الحكمة وكتبه محشوّة بها[١].

وذكر ماكس هورتن، أنّ علم الكلام قد استخدم في تأسيس قواعده ومقدماته وفي تطوّره وارتقائه الفلسفة الأرسطاليّة كمرشد يسير على منهج قويم، وكان ذلك خصوصاً منذ الفخر الرازي[٢].

إنّ هذا الحكم قد بنيَ على كتاب أو كتابين وهما: «المباحث المشرقيّة»، وكتاب «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين».

ولو عرف أنّ كتاب «المباحث المشرقيّة» كتاب فلسفي، وإن في المحصل ما فيه أثر للفلسفة أرسطالية. وإنّ الفخر الرازي قد ألّف كتباً كلاميّة لا تعتمد على الفلسفة الأرسطيّة وليس فيها من أقوال الفلاسفة إلّا مقدار مقبول مثل: كتاب «الأربعين»، وكتاب «نهاية العقول» وإنّ آخر كتاب ألّفه الفخر الرازي كان فيه مجانباً لأرسطو مائلاً إلى حدّ ما إلى أفلاطون[٣]. إنّ مبدأ إدماج الفلسفة بعلم الكلام خاصّة عند المتأخرين له مؤيدوه ومعارضوه وحجّة المؤيدين أنّ هذه الطريقة مفيدة في تقويم دعائم العقيدة ولتوسيع الفكر فقد قال التفتازاني: ولمّا كان من المباحث الحكيمة ما لا يقدح في العقائد الدينيّة، ولم يناسب غير الكلام من العلوم الإسلامية خلطها المتأخرون بمسائل الكلام إضافة للحقائق، وإفادة لمن عسى أن يستعان به في التقصّي عن المضايق[٤].

---

(١) مقدمه ابن خلدون: ص٤٩٥.

(٢) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: ص١٦٦.

(٣) فخر الدين الرازي: وآراؤه: ص٦١٤.

(٤) المقاصد: ج١، ص١١.

وحجّة المعارضين تكمن في أنّ مسائل الكلام قد التبست بمسائل الفلسفة، عند المتأخرين بحيث لا يتميّز أحد الفنيّن عن الآخر، ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم[(١)].

● **أبرز علماء الكلام ممّن كان لهم أثر في الحركة الفكرية في خراسان:**

❶ **أبو القاسم سليمان بن عمران الأنصاري النيسابوري** المتوفى سنة ٥١٢هـ. صاحب إمام الحرمين، وكان بارعاً في الأصول والتفسير، وهو من كبار المصنفين في علم الكلام، شرح كتاب الإرشاد في علم الكلام لشيخه أبي المعالي الجويني[(٢)].

❷ **نجم الدين أبو محمد عبدالله بن نصر بن عبد العزيز المزيدي اللغوي**، المتوفى سنة ٥٤١هـ.

أقام ببغداد مدّة وانتقل إلى مرو، وتوفي بها، ومن تصانيفه شرح كتاب الإرشاد للسمرقندي في علم الكلام[(٣)].

❸ **أبو الفضل محمد بن علي بن عبد الرحمن الأخري الأديب الدهستاني** المعروف بخزيمة المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

كان أديباً متكلماً على أصول المعتزلة مائلاً إليهم، وكان مشتغلاً طول عمره بالاستفادة والإفادة دائم النظر في الكتب من الحديث والتفسير والأصول[(٤)].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ص٤٦٦.

(٢) تاريخ الإسلام: الورقة/٥٧ب، عيون التواريخ: ج٢: الورقة/٣١أ.

(٣) هدية العارفين: ج١، ص٤٥٥.

(٤) التحبير: الترجمة/٨١٦، معجم البلدان: ج١، ص٥٩، والآخري: نسبة إلى آخر وهي قصبة دهستان بين جرجان وبلاد خراسان.

● **أبو الفتح عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الخراساني المتوفى سنة ٥٤٨هـ.**

كان إماماً مبرزاً، مقدماً، في علم الكلام والنظر، بارعاً في الفقه والأصول والكلام.

تفقّه على أحمد الخوافي، وأخذ الأصول والكلام عن أستاذه أبي النصر ابن الأستاذ أبي القاسم القشيري، ثمّ قرأ علم الكلام أيضاً على الأستاذ أبي القاسم الأنصاري(١).

ومن أظهر مؤلفاته كتاب «الملل والنحل» الذي يقول فيه السبكي: هو عندي خير كتاب صنّف في هذا الباب، ومصنّف ابن حزم، وإن كان أبسط منه إلّا أنّه مبدّد ليس له نظام ثمّ فيه من الحط على أئمة السنة ونسبة الأشعاره إلى ما هم بريؤن منه ما يكثر تعداده، ثمّ ابن حزم نفسه لا يدري علم الكلام حقّ الدارية على طريق أهله(٢).

غير أنّ للإمام الفخر الرازي رأياً آخر، انتقص فيه من شأن هذا الكتاب وأهمّيته وذلك حينما كان يناظر فيما وراء النهر الإمام المسعودي، وكان هذا قد حصل على هذا الكتاب مع جملة كتب نفيسة قد اشتراها، فلمّا ذكر كتاب الملل والنحل، للشهرستاني قال الإمام الفخر الرازي: نعم إنّه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه إلّا أنّه غير معتمد عليه لأنّه نقل المذاهب الإسلاميّة من الكتاب المسمّى «الفرق بين الفرق» من تصانلف الأستاذ أبي منصور البغدادي كان شديد التعصّب على المخالفين، ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه، ثمّ إنّ الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الإسلامية من ذلك الكتاب، فلهذا السبب وقع الخلل في نقل هذه المذاهب.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص١٢٨، وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٠٣-٤٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٨-١٣٠.

وأمّا حكايات أحوال الفلاسفة فالكتاب الوافي به هو الكتاب المسمّى بـ«صيوان الحكمة» والشهرستاني ينقل شيئاً قليلاً منها، وأمّا أديان العرب فمنقول من كتاب أديان العرب للجاحظ وهو من خواص كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني[١].

ومن مؤلفاته في علم الكلام، كتاب: «تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام في الكلام»[٢]، وكتاب «نهاية الأقدام في علم الكلام»[٣].

وقد اعتبره ألفرد جيوم، من حيث أصالته وقوّة حجّته آخر المفكرين العظام من الأشعريين قبل ابن رشد[٤].

وقد انتقد الشهرستاني من قبل بعض أئمة الحديث من الأشعرية وذلك بسبب ميله إلى الفلسفة منهم: أبو سعد السمعاني الذي قال في ترجمته: كان إماماً فاضلاً متكلماً، أصولياً، عارفاً بالأدب والعلوم المهجورة وهو مهتمّ بالالحاد والميل إليهم غال في التشيّع، سكن بلاد خراسان، وأقام بها مدّة..[٥].

وانتقده أيضاً أبو أحمد محمود بن محمد بن عبّاس أرسلان في «تاريخ خوارزم» فيما نقله ياقوت عنه في كتابه «معجم البلدان» قال:

---

(١) مناظرات فخر الدين الرازي: ص٢٥.
(٢) كشف الظنون: ج١، ع٤٧٢.
(٣) حرّره وصحّحه ألفرد جيوم، طبع في أكسفورد سنة ١٩٣٤م.
(٤) العلم عند العرب: ص٣٣٤.
(٥) التحبير: الترجمة/ ٧٩١، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٢٢أ، لسان الميزان: ج٥، ص٢٦٣-٢٦٤، وفيه اقتبس قول نسبه لأبي سعد السمعاني في معجم شيوخه قوله: «كان متهماً بالميل إلى أهل البدع يعني الإسماعيلية والدعوة إلى ضلالتهم..».
ولا أدري من أين جاء بهذا الكلام فإنّ كتاب التحبير، ومعجم شيوخ السمعاني لا شيء فيهما من ذلك، ويقع لي أنّ هذا دس على أبي سعد السمعاني.

لولا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام، وكثيراً ما كنّا نتعجّب من وفور فضله وكمال عقله، وكيف مال إلى شيء لا أصل له واختار أمراً لا دليل عليه لا معقولاً ولا منقولاً نعوذ بالله من الخذلان والحرمان عن نور الإيمان، وليس ذلك إلّا لأعرضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة[١].

● الإمام فخر الدين الرازي البكري نزيل هراة المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

كان الإمام فخر الدين الرازي من أشهر علماء الكلام في خراسان في القرن السادس، أخذ علم الكلام عن والده ضياء الدين عمر المعروف بخطيب الري، عن جماعة تنتهي إلى الشيخ أبي علي الجبائي[٢]، وكذلك درس علم الكلام والحكمة بمراغة على مجد الدين الجيلي، وكان هذا من أفضال العلماء في زمانه، وله تصانيف جليلة في العلوم الفلسفية[٣].

وكان الفخر الرازي قد اهتم في تحصيل علم الكلام لاعتقاده أنه من أشرف العلوم وأكملها، يعني بمعرفة الله، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، وأسمائه. فأسمع لقوله: وأنا قد نقلت أنواعاً من العلوم النقلية والعقلية، فلم يحصل لي بسبب شيء من العلوم مع أنواع السعادات في الدين والدنيا مثل ما حصل بسبب خدمة هذا العلم[٤].

ولمّا كان الإمام الفخر الرازي صاحب طريقة واضحة في علم

---

(١) معجم البلدان: ج٣، ص٣٤٣.

(٢) وفيات الأعيان: ج٤، ص٤٥٢، وأبو علي الجبائي أحد أئمة المعتزلة، وكان إماماً في علم الكلام، وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري. توفي سنة ٣٠٣هـ. وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٦٧-٢٧٩.

(٣) عيون الأنباء: ج٢، ص٢٤.

(٤) تفسير الرازي: ج١٣، ص٨٠.

الكلام، لأنه كان يدرّس علم الكلام في مدرسته بهراة كما ذكرنا ذلك آنفاً، لذلك نراه قد دخل في خصومات ومناقشات كلامية عنيفة مع خصومه من الكرّامية في مدينة هراة، وكادت المناظرة الكلامية التي عقدها في فيروزكوه سنة ٥٩٥هـ، مع الكرّامية، تؤدي إلى فتنة كبيرة.

كما أنه دخل في خصومات كلامية مع المعتزلة خاصة في خوازم، أدّت إلى خروجه من خوارزم إلى كا وراء النهر، فجرى له هناك ما جرى له بخوارزم فاضطر إلى تركها إلى الري[١]. كما أنه ناقش آراء المعتزلة وردّ عليهم في مؤلفاته وبخاصة في تفسيره الكبير، وحتى في مجالس وعظه بخوارزم.

وللإمام الفخر الرازي مؤلفات قيّمة في علم الكلام بلغت نحو اثنين وعشرين كتاباً، إضافة إلى أنّه قد ألّف كتباً مشتركة في علم الكلام والفلسفة معاً جلها باللغة العربية.

★ ومن أبرز مؤلفاته في علم الكلام:

١ • كتاب «أساس التقديس» ويسمّى أيضاً «تأسيس التقديس».

ألّفه للملك العادل سيف الدين الأيوبي المتوفى سنة ٦١٥هـ، أرسله إليه هدية من خراسان[٢].

وذكر ابن تيمية أن التأويلات التي ذكرها الفخر الرازي في أساس التقديس، هي عين التأويلات التي ذكرها بشر المريسي[٣].

---

(١) يرجع الى الفصل الثالث من الباب الثالث: ص٢٢١.

(٢) كشف الظنون: ج١، ع٣٣٣، المطبعة الشرقيّة القاهرة ١٣٢٣هـ.

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى - العقيدة الحموية: ج١، ص٤٢٦، ثم إن ابن تيمية ردّ على كتاب أساس التقديس، ولهذا الردّ مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق. يراجع تعليق الشيخ زاهد الكوثري على كتاب التبصير في الدين للأسفراييني، ص١٣٩، في الحاشية.

٢ • كتاب «الأربعين في أصول الدين».

ألّفه لوالده محمد ورتيبه على أربعين مسألة من مسائل علم الكلام[١].

٣ • كتاب «الإشارة في علم الكلام».

ولم يشر إليه المؤرخون عدا الصفدي الذي سمّاه «الإشارات»[٢] وذكر الأستاذ محمد صالح الزركان[٣]، أن هذا الكتاب يمثّل مرحلة مهمّة من مراحل تفكير الرازي، إذا الظاهر أنه ألّفه مبتدأ حياته العلمية لأن تابعيته للأشعري ظاهرة فيه مثل قوله:

«والصحيح ما ذهب إليه شيخنا أبو الحسن (رضي الله عنه)».

٤ • كتاب «البيان والبرهان في الردّ على أهل الزيغ والطغيان»[٤].

وقد أشار إليه الفخر الرازي في كتابه «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»[٥].

٥ • كتاب «تحصيل الحق في الكلام»[٦].

---

(١) الكتاب مطبوع في حيدر آباد - ١٣٥٣هـ.

(٢) الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥.

(٣) فخر الدين الرازي وآراؤه: ص٦٩، وذكر أن لهذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة كوبر يلي في إستانبول برقم ٢/٥١٩.

(٤) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٤٩، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥، كشف الظنون: ج١، ع٢٦٢.

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص١٩١، نقلاً عن كتاب فخر الدين الرازي: ص٦٩.

(٦) الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥، وفيه ورد اسمه تحصيل الحق، طبقات الشافعية الكبرى: ج٨، ص٨٧، كشف الظنون: ج١، ع٣٥٩.

ذكره طاش كبري زادة باسم «تحصيل الحق في تفصيل الفرق»[١] وذكر ابن خلكان أن الإمام الفخر الرازي قد أشار في كتابه «تحصيل الحق» أسماء أساتذته[٢].

٦ • **كتاب «الجبر والقدر والقضاء والقدر»[٣]. وقد أشار إليه الفخر الرازي في تفسيره الكبير[٤].**

٧ • **كتاب «الخمسين في أصول الدين».**

ألّف هذا الكتاب بعد سنة ٥٧٥هـ، لأنّه ذكر في نهايته أن الإمام في ذلك الوقت هو الناصر ابن المستضيء، وهو الذي تولّى الخلافة سنة ٥٧٥هـ، ومات سنة ٦٢٢هـ[٥].

٨ • **كتاب «المحصول في علم الكلام».**

ذكره الفخر الرازي في كتابه «المحصول في أصول الفقه» في أثناء كلامه عن عصمة الأنبياء قوله: «وقد سبقت هذه المسألة في علم الكلام من هذا الكتاب»[٦].

ولعلّ الإمام الفخر الرازي قد ألّف المحصول على كتابين: الأول في علم الكلام، والثاني في علم أصول الفقه، فضاع الأول ولم يشتهر[٧].

---

(١) مفتاح السعادة: ج١، ع٤٤٦.
(٢) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٥٢.
(٣) تاريخ الحكماء: ص٢٩٣، عيون الأنباء: ج٢، ص٢٩.
(٤) التفسير الكبير: ج١٣، ص١٢٢.
(٥) كتاب الخمسين في أصول الدين: ص٣٨٦، طبع ضمن مجموعة المطبعة العلمية، مصر سنة ١٣٢٨هـ.
(٦) المحصول في أصول الفقه: الورقة/١٠٨ب، نقلاً عن كتاب فخر الدين الرازي: ص٧٤.
(٧) فخر الدين الرازي وآراؤه: ص٧٤.

٩ • وألّف الإمام الرازي كتباً عدّة في موضوعات علم الكلام مثل:

الجوهر ألفرد[١]، وحدوث العالم[٢]، الخلق والبعث[٣]، عصمة الأنبياء[٤].

ممّا تقدم نجد أن علم الكلام من العلوم المعروفة في خراسان في القرن السادس الهجري، وأنه يمثل جانباً مهماً من الحركة الفكرية بخراسان. وكان للمتكلمين الخراسانيين أثر كبير في هذه الحركة سواء كان ذلك في مجادلاتهم ومناقشاتهم أم في كتبهم التي وضعوها في هذا العلم، ولو طبعت هذه المؤلفات لألقت ضوءاً ساطعاً على تلك الحركة الفكرية التي تمثّل جوانب مهمّة من الحضارة العربية والثقافية الإسلامية في تلك الربوع.

(١) عيون الأنباء: ج٢، ص٣٠، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٥.
(٢) تاريخ الحكماء: ص٢٩٣، وفيه اسمه رسالة الحدوث، عيون الأنباء: ج٢، ص٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٩٣، الوافي بالوفيات: ج٤ ص٢٥٥.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٩٣، الوافي بالوفيات: ج٤ ص٢٥٥، كشف الظنون: ج٢، ع١١٤١.

الفصل الثاني

العلوم التطبيقيّة

❶ الرياضيات:

لقد بلغت الأبحاث والدراسات في علوم الرياضيات المتمثّلة في الحساب والجبر والهندسة شأوا بعيداً في خراسان وقد خاض غمار البحث في هذه العلوم عدد كبير الى علماء خراسان في هذه الحقبة ووضعوا في هذه العلوم المؤلفات القيّمة وجلها بالعربية[1].

❶ ولعلّ أبرز عالم اشتهر به في علوم الرياضيّات في خراسان في هذا القرن، هو أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٠هـ.

فقد صنّف مؤلفات قيّمة في الجبر والمقابلة، والفلك، والهندسة، وقد درس بديهات هندسة أقليدس ونظرياتها العامّة[2]. ويعتبر كتابه في «الجبر والمقابة» من أهمّ النتاج الرياضي في الإسلام حيث كان يرتّب الصور المختلفة للمعادلات ذات الدرجة الثانية وللثالثة ترتيباً منظّماً طبقاً لعدد الحدود التي تشتمل عليها المعادلات، وقد بذل مجهوداً كبيراً

---

(١) ينظر التحبير: الترجمة/٥٥٩، ٦٢٤، ٧٣٨، تاريخ حكماء الإسلام: ص١٣٩، ١٥٦، تتمّة صوان الحكمة: ص١٣٥، ١٥٣، تلخيص مجمع الآداب: ج٤، ق٣، ص٣٦٦-٣٦٧.

(٢) تراث العرب العلمي: ص٣٢٢.

في حل المعادلات[١].

ومن مؤلفات الخيام العربية في الرياضيّات كتاب «شرح ما يشكل من مصادرات إقليدس في الجبر والمقابلة» ولا يزال المخطوط العربي لهذا الكتاب باقياً في مكتبة لندن[٢].

وقد انتقد كاجوري (Cajori) عمر الخيام بقوله: أن عمر الخيام كان لا يعتقد أنه بالإمكان حل المعادلات الدرجة الثالثة بطريقة جبرية، وكذلك معادلات الدرجة الرابعة بواسطة الهندسة، ولا شك أن الخيام مخطئ في اعتقاده، فلقد تمكّن علماء القرن الخامس عشر للميلاد من حل معادلة الدرجة الثالثة جبرياً، أما معادلة الدرجة الرابعة فقد سبق وحل أبو الوفاء البوزجاني المعادلتين[٣].

وقد ردّ قدري حافظ طوقان على ذلك بقوله: ولا ندري ما الذي حمل كاجوري على هذا القول، بينما نجد في مؤلّفات الخيام المعادلة الآتية وهي من الدرجة الرابعة $(١٠٠ - س^{٢})\ (١٠ + س)^{٢} = ٨١٠٠$[٤].

---

(١) العلم عند العرب: ص٢٢٢-٢٢٣، وقد ترجم العالم الإنكليزي (W. Epcke) كتاب الخيام في الجبر والمقابلة، ونشره في باريس ١٨٥١م، وترجمه الأستاذ داود القصير إلى الإنكليزية ونشره سنة ١٩٣١م.

(٢) تراث العرب العلمي: ص٣٢٨.

(٣) A History of Mathematies by Cajori. P. 1. 7. تراث العرب العلمي: ص٣٢٣، والبوزجاني هو، أبو الوفاء محمد بن محمد بن يحيى الحاسب المتوفى سنة ٣٨٨هـ، ولد في بوزجان وهي بلدة صغيرة واقعة بين هراة ونيسابور سنة ٣٢٨هـ، وكان أحد الأئمة المعدودون في الفلك والرياضيات، وله فيهما مؤلفات قيّمة وقد اعترف له أكثر علماء الغرب بأنه من أشهر الذين برعوا في الهندسة. وقد حل هندسيًّا المعادلتين: $س^{٤} = حـ$، $س^{٤} + حـ\ س^{٣} = ب$، تاريخ حكماء الإسلام: ص٨٤-٨٥، وفيات الأعيان: ج٢، ص٨١، تراث العرب العلمي: ص١٩٧-٢٠٥.

(٤) تراث العرب العلمي: ص٣٢٣.

ثم أن بيل (Ball) ذكر أن الخيام حل المعادلات التكعيبية هندسياً(١).

وذكر سمث (Smith) العالم الإنكليزي، أن الخيام من أوائل الذين حاولوا تقسيم المعادلات إلى أقسام متنوعة، واعتبر المعادلات ذات الدرجة الأولى والثانية والثالثة، إما بسيطة وإما مركّبة.

فالبسيطة تكون على ستة أشكال. والمعادلات المركبة قد تكون من أربعة حدود(٢).

وقد بحث الأقدمون بصورة بسيطة في نظرية ذات الحدّين، وهي التي بواسطتها يمكن رفع أي مقدار جبري إلى أي قوة معلومة أسسها عدد صحيح موجب «فأقليدس» فك مقداراً جبرياً ذا حدّين أسسها اثنان. اما كيفية إيجاد مفكوك أي مقدار جبري ذي حدين مرفوع إلى قوة أسسها أكثر من اثنين، فلم تظهر إلّا في جبر عمر الخيام مع أنه لم يعط القانون لذلك، لكنه يقول: إنه تمكن من إيجاد مفكوك المقدار الجبري ذي الحدين حينما تكون قوته مرفوعة إلى الأس ٢، ٢، ٤، ٥، ٦، أو أكثر بوساطة قانون كشفة هو(٣).

ويرجح قدري حافظ طوقان أن الخيام وجد قانوناً لفك أي مقدار جبري ذي حدّين أسسه أي عدد موجب صحيح، أو أن هذا القانون لم يصل بعد إلى أيدي العلماء، ولعله في أحد كتبه المفقودة(٤).

❷ الفيلسوف محمد بن أحمد المعموري البيهقي:

صنّف كتاباً في دقائق المخروطات ما سبقه به أحد، وكان الإمام عمر

---

(١) A short account of the History of Mathematies by Ball. P. 157.

(٢) تراث العرب العلمي: ص٣٢٤-٣٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٢٧.

الخيام يعترف بتبريزه ومتانته في تلك العلوم. ثم ارتحل إلى أصبهان بسبب الرصد الذي أمره بعمله ملكشاه السلجوقي، فبقي فيها إلى زمن السلطان محمد بن ملكشاه[(١)].

❷ الفلك:

اهتم علماء خراسان في القرن السادس بعلم الفلك وما يتعلّق به من حساب ومجاري النجوم والشمس والقمر، ومعرفة الطوالع وتيسيرها، ثم عمل التقاويم والاهتمام بالرصد وما يتعلّق بذلك.

لقد اشتغل بعلم النجوم جماعة كبيرة من علماء خراسان في هذا القرن[(٢)]، **وأبرز من عنى بالفلك من علماء خراسان في هذه الفترة هم:**

❶ **الفيلسوف بهاء الدين أبو بكر، محمد بن أحمد بن الحسين بن أبي بشر الخرقي النيسابوري** المتوفى سنة ٥٣٣هـ، من أهل قرية خرق إحدى قرى مرو[(٣)].

وهو فقيه فاضل متكلّم رحل إلى نيسابور وتفقه بها وأقام مدة بها، ثم رجع إلى مرو، وسكن خرق، وأصبح من حكماء مرو. حمله خوارزمشاه إلى خوارزم للاستفادة منه.

وكان الخرقي، فلكياً ورياضياً وجغرافياً، وقد كتب مؤلفاته في علم الهيئة والفلك والمقولات باللغة العربية، ولعل أشهر مصنفاته كتاب

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٦٣-١٦٥، تتمة صوان الحكمة: ص١٦٢-١٦٤.

(٢) التحبير: الترجمة/٥٢٦، ٩٠١، ١٠١٩، الجواهر المضية: ج٢، ص١٤٩-١٥٠.

(٣) في تاريخ حكماء الإسلام: ص١٥٥، كنيته أبو محمد، التحبير: الترجمة/٦٦٢، الأنساب: ج٥، ص٩٨، معجم البلدان: ج٢، ص٤٢٥، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/١٩٨ب طبقات الشافعية الكبرى: ج٦، ص٧٩، طبقات الشافعية للأسنوي: ج١، ص٤٨٣.

«منتهى الإدراك»، «في تقسم الأفلاك». اعتمد في بعض أقسامه على نظريات ابن الهيثم الفلكية، **والكتاب مرتب على ثلاث مقالات:**

★ **المقاولة الأولى:** في بيان تركيب الأفلاك وحركاتها، وهذا الفصل حمّل سارتون (Sarton) على القول: أن كتاب منتهى الإدراك هو من أحسن الكتب التي تبحث في الأفلاك(١).

★ **المقالة الثانية:** في هيئة الأرض وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام: مسكونة، وغير مسكونة. بحث في البخار الخمسة، وذكر أن القول في اختلاف الطالع والمطالع يرجع إلى الأوضاع الجغرافية.

★ **المقالة الثالثة:** في ذكر التواريخ وتقسيمها وأدوار القرانات وعودتها(٢).

وذكر الخرقي في كتابه هذا أن جماعة من المتأخرين مثل: أبي جعفر الخازن، وابن الهيثم، وغيرهما بينوا تركيب الأفلاك على حسب ما تصوّره بالدوائر، وبالغ في هذا البيان غير أنه اعترض على كثير مما هو من علم الهيئة فجمعت كتاباً مشتملاً على أكثر ما يحتاج إليه(٣). وله كتاب «التبصرة في الهيئة» ذكر حاجي خليفة أنه لخّصه من كتابه «منتهى الإدراك» ألّفه لأبي الحسين علي بن نصير الدين الوزير، وذكر فيه أنه اقتدى بابن الهيثم في تقسيم الأفلاك بالأكر المجسمة دون الاقتصار على الدوائر المتوهمة كما هو دأب أكثر المتقدّمين.

وقسمه قسمين: قسم في الأفلاك، وقسم في الأرض، وذكر في أول اثنين وعشرين باباً، وفي الثاني أربعة عشر باباً.

---

(١) Introduction of the History of Science Vol. P 2. 4. تراث العرب العلمي: ص٣٢٩.

(٢) كشف الظنون: ج٤، ع١٨٥٢-١٨٥٣، تراث العرب العلمي: ص٣٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ع ١٨٥٣.

وشرح هذا الكتاب أحمد بن عثمان بن صبيح المتوفى سنة ٧٤١هـ[١]، وقد ترجم ويدمان (Wiedman) مقدّمات كتابي «منتهى الإدراك» وكتاب «التبصرة في الهيئة»[٢].

وله كتاب «الرسالة الشاملة» في الحساب وكتاب «الرسالة المغربية»[٣].

ومن فوائد ما كتبه إلى بعض تلامذته ووقف عليها ظهير الدين البيهقي قوله: إنّ الرياضيات تسمّى التعاليم الأربعة، وإنما كانت أربعة لأن موضوعاتها «الكمية» وهي إما أن تكون متصلة أو منفصلة، والمتصلة متحركة، أو غير متحركة، والمتحركة هي الهيئة، وغير المتحركة هي الهندسة، والمنفصلة إما أن تكون لها نسبة تأليفية وهي الموسيقى، أو لا تكون وهي الإعداد.

وقال: كمال النفس إدراك المعقولات، وجمال النفس الهندسة (والهيئة والعدد والموسيقى) والهندسة صقال النفس المهذبة كصقال السيف، وصداؤها تناول اللذات الحيوانية[٤].

● **عمر الخيام النيسابوري** المتوفى سنة ٥٣٠هـ:

كان قد برع في الفلك ويقال أنه بلغ في ذلك درجة قل من وصل إليها من علماء عصره، حتى أن السلطان ملك شاه دعاه سنة ٤٦٧هـ، وطلب منه مساعدته في تعديل التقويم السنوي[٥].

---

(١) كشف الظنون: ج١، ع ٣٣٨-٣٣٩، هدية العارفين: ج٢، ص٨٨.
(٢) تراث العرب العلمي: ص٣٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٧٠.
(٤) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٥٥، تتمة صوان الحكمة: ص١٥٣-١٥٤.
(٥) تراث العرب العلمي: ص٣٢٧.

وقد بنى له نظام الملك وزير السلطان ملكشاه جلال الدين السلجوقي مرصداً في مدينة مرو وكلّفه بالشروع في إصلاح التقويم بمساعدة جماعة تتألّف من ثمانية آخرين من الفلكيين، ونجح عمر الخيام في التقويم نجاحاً كان موضع إعجاب مولاه ملكشاه وتقديره.

وقال العالم الإنكليزي جيبون: إنّ تقويم الخيام كان أدق من التقويم الجريجوري وتشير بعض المصادر إلى أن هذا التقويم أدق من التقويم الجريجوري الذي يؤدّي إلى خطأ مقداره يوم في كل ٣٣٣٠ سنة بينما الخطأ الذي ينجم من تقويم الخيام هو يوم في كل ٥٠٠٠ سنة(١).

وللخيام كتب فلكية منها: كتابه «التاريخ الجلالي» تكريماً للسلطان ملكشاه. وكتاب «زيج ملكشاه»(٢).

٣ الفيلسوف علي بن شاهيك القصاري الضرير البيهقي:

أصابه الجدري وهو ابن تسع سنين فعمي، تعلّم قراءة القرآن وحفظه، ثم حفظ أصول الأدب وفروعه، وبالغ في تحصيل النحو وعللّه، ثم اشتغل في تحصيل الحكمة بلا مرشد ولا أستاذ، وكان يقرأ عليه واحد فصلاً من المنطق وهو يحفظه ويكرّره ويتفكّر فيه حتى يقف على حقائقه، فحصّل المنطق والطبيعي والآلهي، ثم اشتعل في تحصيل الرياضيّات، ويقرأ واحد عليه شكلاً، وهو يحفظه ويتخيله حتى يحصل له المقصود ثم اشتغل بعد ذلك بالأعمال النجومية فكان يستخرج الطالع ويحسبه ويحفظه حتى يكتب المقصود واحد من المتصلين به.

واستخرج تقاويم الكواكب وطوالع السنين وهو يهدي التقاويم التي جاد خاطره بحسابها واستخراجها إلى الأركان.

---

(١) المصدر السابق، ص٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٧، كشف الظنون: ج٢، ع ٩٧٢، وفيه «زيج ملكشاه».

وقال فيه ظهير الدين البيهقي: ولعمري أنه من عجائب الزمان ومن لم يره لا يقبل خبره[(١)].

● الحكيم أبو الفتح عبد الرحمن الخازن:

كان غلاماً مجبوباً رومياً لعلي الخازن المروزي حصّل علوم الهندسة وكمل فيها والمعقولات ما وافقت طبعه مع جهده في تحصيلها وهو الذي صنف الزيج الفلكي المحنون وجميع ما فيه من الأوساط والتعديلات، وفيه بحث في تقويم عطارد[(٢)]. وفيه حسب مواقع النجوم (٥٠٩-٥١٠هـ/ ١١١٥-١١١٦م)، وجمع أرصاد أخرى في غاية الدقّة بقيت مرجعاً للفلكيين مدّة طويلة[(٣)]. ومن أعماله الفلكيّة المهمّة تحديد معرض مدينة مرو[(٤)].

وألّف كتاباً في علم الفلك النظري، كما سجّل كثيراً من ملاحظات الرصد، ووصف عدداً من الآلات الفلكيّة في مؤلفاته: كتاب «الآلات العجيبة الرصديّة».

ولا يوجد شيء من كتب الخازن الفلكيّة اليوم منشوراً أو مترجماً[(٥)].

ومن مؤلفات التي صنّفت بخراسان في علم الفلك في هذه الفترة: «رسالة في الهيئة» للإمام الفخر الرازي، وقد أحال إليها في تفسيره الكبير[(٦)].

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٧١، تتمّة صوان الحكمة ص١٧١-١٧٢، تراث العرب: العلمي: ص٣٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦١-١٦٢.

(٣) تراث العرب العلمي: ص٣١٤.

(٤) العلم عند العرب: ص٣٠٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٢١٧.

(٦) تفسير الرازي: ج٢٦، ص١١٩، ولهذه الرسالة نسخة خطيّة في المكتبة الظاهرية =

❸ علم الميكانيكا (الحيل):

■ اشتغل بهذه الأبحاث جماعة من علماء خراسان منهم:

❶ الحكيم أبو الفتح عبد الخازن المروزي:

نشأ بمدينة مرو أشهر مدن خراسان ودرس فيها وعلى علمائها نبغَ ولمع في سماء البحث والابتكار بعلوم الطبيعة ولا سيّما بحوث الميكانيكا فبلغ الذروة وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب. والتحق بالمدرسة النظامية بمرو، فأقامه السلطان سنجر خازناً لمكتبته وطلب إليه وضع كتاب «ميزان الحكمة» فأنجزه عام ٥١٥هـ[١].

وقال فيه أولدميلي: أنه من أهم الكتب العربية في فن الحيل (الميكانيكا) وموازنة السوائل (الهيدروستاتيكا) وعلم الطبيعة بوجه عام. ويشتمل على نظرية النقل ومقاييس الثقل النوعي والكثافة الروافع وتطبيقات للميزان[٢].

وقال فيه سارتون (Sarton) أنّه من أجل الكتب التي تبحث في هذه الموضوعات وأروع ما أنتجته القريحة في القرون الوسطى[٣].

والذي يطلع على بعض مواد هذا الكتاب تتجلى له عبقرية الخازن وبدائع ثمرات التفكير الإسلامي والعربي.

= (بدمشق - عام ٤٢٨هـ) وهي موضحة بالأشكال، فخر الدين الرازي وآراؤه: ص١٠٥.

(١) الكتاب مطبوع باللغة العربية - حققّه وعلّق عليه فؤاد جميعان - القاهرة ١٩٤٧م يراجع مقدمة هذا الكتاب ص١٦-١٧، مجلة المجمع العلمي العراقي: م٢٨، ص١٩١، مقال الأستاذ شريف يوسف، الصناعات الدقيقة وعلم الحيل (الميكانيك عند العرب).

(٢) العلم عند العرب: ص٣٠٥.

(٣) تراث العرب العلمي: ص٣١٥.

وكان يعتقد أن توريشللي بحث في وزن الهواء وكثافته والضغط الذي يحدثه، وأنّه لم يسبق في ذلك.

والواقع في هذا فقد ثبت أن «ميزان الحكمة» أن من بين المواد التي تناولها البحث مادة الهواء ووزنه ولم يقف الأمر عند هذا بل أشار إلى أن للهواء وزناً وقوة رائعة كالسوائل، وإن وزن الجسم المفعور في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي وإن مدار ما ينقصه من الوزن يتبع كثافة الهواء.

ولا شكّ في أن هذه البحوث هي من الأسس التي بنى عليها العلماء الأوروبيون فيما بعد يعض الاختراعات المهمّة مثل: البارومتر، ومفرغات الهواء، والمضخات المستعلمة لرفع المياه ونحوها.

ولسنا هنا ننتقص من قدر تورشيللي، وباسكال، وبويل وغيرهم من العلماء الذين تقدموا بعلم الأيدروستاتيكا خطى واسعة، ولكن ما نريد إقراره هو: أنّ الخازن قد ساهم في وضع بعض مباحث علم الطبيعة، وإن له فضلاً في هذا كما لغيره من الذين أتوا بعده وقد توسعوا في هذه الأسس ووضعوها في شكل يمكن معه استغلالها والاستفادة منها.

وبحث الخازن في الكثافة وكيفية إيجادها للأجسام الصلبة والسائلة واعتمد في ذلك على كتابات البيروني وتجاربه فيها، وعلى آلات متعددة، وموازين مختلفة استعملها لهذا الغرض.

واخترع الخازن ميزاناً لوزن الأجسام في الهواء والماء، وكان لهذا الميزان خمس كفات تتحرك إحداها على ذراع مدرّج، ويقول بلتن: إن الخازن استعمل الأيرومتر (Areometer) لقياس الكثافات وتقدير حرارة السوائل.

ويتجلى من كتاب ميزان الحكمة أيضاً أن الخازن قال بقوّة جاذبة على جميع جزيئات الأجسام وإن هذه القوة هي التي تبيّن صفة الأجسام وهذه - كما لا يخفى - نظرية ملمة ومفيدة في التحليل الكيميائي، وهي

مفتاح لعديد من خفايا الطبيعة، وكذلك أوضح الخازن أن الأجسام تتجه في سقوطها إلى الأرض وقال أن ذلك ناتج عن قوّة تجذب هذه الأجسام في اتجاه مركز الأرض.

وأجاد في بحوث مراكز الأثقال، وفي شروح بعض الآلات البسيطة وكيفيّة الانتفاع بها، وقد أحاط بدقائق المبادئ التي عليها يقوم اتزان الميزان والقبان واستقرار الاتزان إحاطة مكنته من اختراع ميزان من نوع غريب لوزن الأجسام في الهواء كما مرّ بنا سابقاً.

ومن كتاب ميزان الحكمة يتبين كذلك أنّ العرب فهموا فصل الشرقة وسببها، ووضع الماء في الأنابيب الشعرية لها فتحة واحدة، كما تتجلّى الدقة التي وصل في صنع الموازين لقياس كثافة الأجسام وبواسطتها عرفوا الأحجار الكريمة وميزوها عن أشباهها وملوناتها[(١)].

❷ أبو حاتم المظفر بن إسماعيل الأسفراري:

نشأ في مدينة أسفرار من نواحي سجستان من جهة هراة. وكان معاصراً للفيلسوف عمر الخيام وجرت بينهما مناظرات والغالب على المظفر علوم الهيئة وعلم الأثقال والحيل، وله تصانيف وأبحاث كثيرة في الرياضيّات وفي الكثافة النوعيّة، وهو الذي عمل ميزان (أرخميدس) المقياس الذي يعرف به الغش والعيار، وصرف من عمره في ذلك مدّة، فخاف خازن السلطان الأعظم، ويقال له سعادة الخادم، وظهوره خيانته في الخزانة بسبب هذا الميزان فكسّره وفتّت أجزاءه، ولما سمع الحكيم المظفر بهذا مرض ومات أسفاً[(٢)].

---

(١) المصدر السابق، ص٣١٣-٣١٨.

(٢) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٢٥، تتمّة صوان الحكمة: ص١١٩، تراث العرب العلمي: ص٣٢١.

★ ومن حكمه قوله:

نسبة اللذة الجسمية إلى اللذة العقلية كنسبة المتنسم إلى المتطعم.

★ وقوله:

علم المهندس سبب للبناء فالمهندس بعلمه هو الأصل ويتلون الباني ثم الأجير، فبأمر المهندس الباني، والباني الأجير، والأجير يتصرّف في الماء والطيف[١].

٤ الطب والصيدلة:

أمّا الطب فقد حظي باهتمام عدد غير قليل من علماء خراسان الذين تدارسوه وأسهموا تقدم صناعته في القرن السادس، عن طريق المعالجات التي قدموها للمرضى، وكان بعض أطباء خراسان أكثر معالجاتهم تؤول إلى تقليل الطعام وتلطيفه، وربما ينهى المريض عن الدواء الغذائي فضلاً عن الغذاء[٢].

وقد مارسوا المعالجات أما في الدكان، أو ما يطلق عليه اسم الصيدلية، خاصة إذا كان صاحبها ممّن يمارس الطب أو يبيع العقاقير. فكان فريد الدين العطار النيسابوري المتوفي سنة ٦٠٧هـ يمارس الطب ويستقبل مرضاه في صيدليته فيفحصهم، ويشخّص أمراضهم، ويقدّ لهم ما يحتاجونه من الأدوية وعلاج، وقد صرح هو بذلك حيث قال: وكان في الصيدلية خمسمائة شخص يعرضون عليّ نبضهم كل يوم[٣].

وليس من شك في أن العطار قد بالغ كثيراً في ذكر هذا الرقم الكبير من المراجعين، فليس باستطاعة أي طبيب مهما كان متمكناً من الطب،

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٦، تتمّة صوان الحكمة: ص١٥٥.

(٣) عطار نامة: مقدمة الدكتور أحمد ناجي القيسي: ص١٠٦.

سريعاً في الفحص، وتشخيص الأمراض أن يستقبل مثل هذا العدد من المرضى.

ثم أين له الوقت لتحضير الأدوية؟ وما بالك إذا سمعته يصرّح أنّه كان يؤلف بعض كتبه في الصيدلية بجانب عمله اليومي الذي كان يكتسب منه، فهو يقول: إن كتاب «المصيبة» غمّ الدنيا، والكتاب «الآلهي» وهو الأسرار الطاهرة قد بدأتهما كليهما في الصيدلية[١].

وكان أبو علي الحسن بن علي.. القطان المروزي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، كما ذكر ياقوت الحموي، له دكان يقصد فيه للتطبب ويؤذي الناس ويشتمهم إذا سئل عن شيء من المداواة[٢].

ومن الأطباء من كان يزور مرضاه في بيوتهم، فكان نجيب الدين أبو بكر النيسابوري يعالج مرضاه في بيوتهم فقد قال أبو الفتوح الطغرائي: كل مريض مرّ بهذا الفاضل على باب داره فضلاً عن معالجة فقد فاز بالشفاء[٣].

وكان فريد الدين النيسابوري العطار يزور مرضاه في بيوتهم ويعالجهم حيث هم هناك. وفي كتابه «أسرار نامة» نجد دليلاً على ذلك حيث ذكر حكاية عن استدعائه لمداواة شيخ هرم، ثري، بخيل، قد بلغ في هذه الصفات الثلاث أقصاها، أنه يروي لنا قصّته ويصف لنا نهايته المفجعة قبل أن يجرّب فيه طبه[٤].

وقد أسهم علماء خراسان في تقدم الطب بواسطة المؤلفات الطبية

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بغية الوعاة: ج١ ص٥١٣.

(٣) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٣٩، تتمّة صوان الحكمة: ص١٥٧.

(٤) عطار نامة: مقدمة الدكتور أحمد ناجي القيسي: ص١٠٨-١١٠.

القيّمة التي صنفوها مبسوطة منها ومختصرة، أو شرح وبيان لكتب طبية قديمة.

غير أن تأليف الكتب الطبيّة غير محمود إلّا الطبيب، على رأي الحكيم المتطبب أبي سعيد محمد بن علي النيسابوري(١).

ولا يفوتنا أن نذكر أن بين خراسان في هذا القرن وبين العالم الإسلامي صلات وتبادل خبرات طبية خاصة مع بغداد.

فنذكر على سبيل المثال، مؤلفات ابن الحسن الطبيب البغدادي التي كانت متداولة في خراسان في هذا القرن، وذلك بفضل تلميذه عبد الوهاب النيسابوري، الذي حمل تصانيفه إلى خراسان، وذكر ظهير الدين البيهقي الأنصاري أن تصنيفه في «التشريح» و«المغني في الطب» يدلان على كماله في صنعته(٢).

ولا يفوتنا أن نذكر أن الإمام ظهير الدين البيهقي الأنصاري كان قد اشتغل بالطب والرياضيّات(٣)، كما أن السلطان سنجر لمّا عرف بضعف مزاجه أحضر الطبيب البغدادي أبا الحسن بن صاعد ابن التلميذ المتوفى سنة ٥٥٩هـ، إلى مجلس السلطان وقال مخاطباً السلطان: أنا في حماك، وكتب نسخة(٤) حب فيها مثقال من «السيمونيا»(٥) ومثقال ونصف من «الزبد» ومثقال من «أيارج لوغاذيا» ومثقال ونصف من شحم الحنظل ومثقال من الزنجبيل ومثقال ونصف من «أيارج فيقرا»(٦) ونصف مثقال

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٦٩-١٧٠، تتمّة صوان الحكمة: ص١٦٩-١٧٠.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٦، تتمّة صوان الحكمة: ص١١٣-١١٤.
(٣) العلم عند العرب: ص٣٢٨.
(٤) اعتقد أن المراد بها وصفة طبيّة.
(٥) البقول سيمونيا C. Seammonia معجم أسماء النبات: ص٥٦.
(٦) وردت هاتان الكلمتان أيارج فيقرا في عيون الأنباء: ج١، ص١٦٠، في ترجمة =

من «الريوند» الصيني ومثقال من الجاوشير والسكبينج[١] فقال بديع الزمان الطبيب: السلطان يشرب شربة من الترنجبين مع فلوس «الخيارشنبر» ويجد منه الإسهال عشرين نوبة فلو تناول هذا الحب من يحبس طبيعته من الأطباء، فخاف السلطان من تناوله وبقيت النسخة في أيدي الأطباء بخراسان[٢].

وكانت الرحلة إلى خراسان من أجل دراسة علم الطب على أيدي أطباء خراسان الماهرين نذكر من ذلك أن الإمام قطب الدين إبراهيم بن علي بن محمد السلمي، وكان أصله مغربياً انتقل إلى مصر، وأقام بها مدة ثم رحل إلى بلاد خراسان واشتغل على فخر الدين الرازي واشتهر هناك وكان من أجل تلامذته وأميزهم وله من الكتب الطبية «شرح الكليات»[٣] من كتاب القانون للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا.

وذكر ابن أبي أصيبعة أنه وجده في كتابه هذا يفضل المسيحي[٤] أعلم بصناعة الطب من الشيخ أبي علي، فإن مشايخنا كانوا يرجحونه على جميع عظيم ممن هم أفضل من أبي علي في هذا الفن وقال أيضاً وعبارة المسيحي أوضح وأبين مما قاله الشيخ وغرضه في كتبه تقييد العبارة من غير فائدة.

= عبدوس، وكذلك وردت في تاريخ الحكماء: ص٢٥١ في ترجمة عبدوس أيضاً.

(١) نوع من العقاقير وفي معجم أسماء النبات تفسيره مخرج الريح.

(٢) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٤٤-١٤٥.

(٣) كشف الظنون: ج٢، ع ١٣١٢.

(٤) هو أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني، ارتبطه خوارزمشاه مأمون بن محمد مولده بجرجان، وقد نشأ وتعلم ببغداد، له تصانيف كثيرة ومفيدة في الطب، صنف كتاباً لطيفاً في التعبير لخزانة خوارزمشاه مأمون بن محمد، تاريخ حكماء الإسلام: ص٩٥-٩٦.

وقال في تفضيل ابن الخطيب على الشيخ الرئيس: فهذا مما تدخل من كلام الإمامين العظيمين الإمام المتقدم والإمام المتأخر عنه زمان، الراجح عليه علماً، وعملاً، واعتقاداً، ومذهباً.

قتل القطب المصري بنيسابور وذلك عندما استولى التتر على بلاد خراسان سنة ٦١٨هـ، وقتلوا أهلها فكان من جملة القتلى بنيسابور(١).

● **طائفة من الأطباء اللامعين الذين كانوا بخراسان:**

❶ **الحكيم أبو سعيد محمد بن علي المتطيب** المتوفى سنة ٥٣٦هـ.

كان بيهقي المنشأ، نيسابوري المولد، زجى أيامه ببلخ. **ومن قوله في بعض تصانيفه:**

إن أكثر التصانيف في الصناعات الطبيّة مبسوطة ومختصرة، فلكل جامع نظم وترتيب مفرد وكل مجموع لا يخلو عن فوائد غريبة ونكت عجيبة ولكل واحد غرض صحيح ليس لسواه. صنف كتاباً في «البواسير» قال في مقدمته: من ساعده حسن وفطرة؛ وذكاء فطنة، ورغبة في اقتناء الفضائل، واقتباس الفوائد، وابتلى ببعض الأمراض المزمنة وطالت معالجته إياها، واتصلت التجارب بما عنده من فتاويهم، وكان له معرفة بأحوال مزاجه الأصلي والعارضي الغريب، وطباع الأغذية التي يتناولها علم ثم ظفر بتصنيف جامع خاص بمداواة علته أمكنه أن يشتغل ببعض تدبير مزاجه والاحتراز أن تزيد عارضته، مع أنه لا يأمن الخطأ والذلل، فإن لم تكن الصناعة له ملكة، فقلما يتيسر له التصرف فيها.

ثم قال: من العلل ما لا يمكن الاستغناء فيها عن الطبيب الحاضر المراقب، لظهور العلاقات الدّالة على ما تحتاج الطبيعة إليه من معاونته

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص٣٠.

ومعالجته والمبادرة إلى تدبير ما يحدث بالمريض ساعة فساعة، وأما العلل الحادة فتأليف كتاب فيها غير محمود إلّا للطبيب وذكر الإمام ظهير الدين البهيقي أن له أشعاراً كثيرة فصحية ذكر طرفاً منها في تصنيفه المعنون «بدرة الوشاح» أي تتمة وشاح دمية القصر[١].

❷ الأعربهاء الدين محمد بن محمود بن يوسف:

كان مقدم الأطباء بخراسان، وكان السلطان الأعظم سنجر قد أعلى ذكره وفاز بقربه وكرامته وخلقه. وكان قد عالج السلطان مراراً بعدم اشتدّت علّته وضعفت قوّته وذكر ظهير الدين البيهقي، أنه كان له شأن عجيب في المعالجة، وتجربة لطيفة، وكان كم أحسن الناس وجهاً[٢].

❸ نجيب الدين أبو بكر الطبيب النيسابوري:

قال فيه أبو الفتوح علي بن فضل الله الطغرائي: كل مريض مرّ هذا الفاضل على باب داره عن معالجته فقد فاز بالشفاء. وقال الحكيم أبو الخير في كتاب «امتحان الأطباء» أنه يجب أن يكون الطبيب حسن القد، صحيح الأعضاء متناسبة في مقاديرها، حسنة في شكلها، قويّة في وضعها، معتدل المزاج، ناعم الكفّ، وإن تكون الفرج بين أصابعه واسعة، ولونه مائلاً إلى البياض، مشرب الخمرة، معندل الشعر في الكثرة والقلّة والبساطة والجعودة، أشهل العينين، يخالط نظره دائماً سرور وفرح، وفيه بمشاشة وطلاقة، فأمّا في نفسه فإن يكون ذكياً ذكوراً، جيد التصور، قوي الحدس والتخمين صبوراً علي التعب والنصب في درك الحق من الأمور، كتوماً محتملاً ما يسمعه من المرضى.

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٦٩-١٧٠، تتمّة صوان الحكمة: ١٦٩-١٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٨، تتمّة صوان الحكمة: ص١٥٦.

وعلّق ظهير الدين البيهقي الأنصاري بعد ذكر هذه الأوصاف بقوله: وهذه الأوصاف موجودة في الأعز بهاء الدين، ونجيب الدين أبي بكر أبقاها الله تعالى[١]. يتبيّن من ذلك أنهما كانا معاصرين لظهير الدين البيهقي المتوفى سنة (٥٦٥هـ-١١٦٩م).

❹ السيد أبو إبراهيم إسماعيل بن الحسن بن محمد الجرجاني الطبيب العلوي:

ذكر أبو سعد أنّه من أهل جرجان، سكن خوارزم وأقام بها ثم آخر عمره انتقل عنها إلى مرو وتوفي بها. كان أوحد زمانه في الطب له فيه التصانيف الحسان السائرة باللسانين العربي والفارسي، وكان حسن الأخلاق رقيقاً مكرماً طلق المحيا، ذكره محمود بن محمد ابن عباس في تاريخه فقال: السيد الإمام أقام بخوارزم مدّة طويلة، وكان حسن الخلق، حلو المنطق، طيب الملاقاة، شفيقاً على الناس كافّة فيه مساهلة ورخاوة في باب الدين تجاوز الله عنه، خرج من خوارزم سنة ثلاثين وخمسمائة. وقلت عند خروجه: لماذا تخرج عن الولاية وتترك أحباءك؟ فقال لي أنما أخرج للموت فإن نفسي لا تسمح أن أموت هاهناً. وكان كما قال فقد توفي بمرو سنة أحدى وثلاثين وخمسمائة[٢].

وقال ظهير الدين البيهقي فيه: أحيا الطب وسائر العلوم بتصانيفه اللطيفة، ورأيته بسرخس في شهور سنة أحدى وثلاثين وخمسمائة، وقد بلغ من العلم أطوريه[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٨، تتمّة صوان الحكمة: ص١٥٧.

(٢) التحبير: الترجمة/ ١٨، معجم شيوخ السمعاني: الورقة/ ٤١ب.

(٣) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٧٢، ومعنى عبارة: بلغ في العلم أطوريه. أي حديه أوله وآخره أو غاية وأمنية العلم وأمنية نفسه.

ومن مؤلفاته الطبيّة باللغة العربية: «الطب الملوكي» وكتاب «تدبير يوم وليلة» وكتاب «التذكرة الأشرفية في الصناعة الطبيّة» وكتاب «الأجوبة الطبيّة» وكتاب «المباحث العلائية»[(١)]. ومن مؤلفاته الفارسية: كتاب «ذخيرة خوارزمشاه» ذكر أولد ميلي في كتابه العلم عند العرب، أنّ كتاب ذخيرة خوارزمشاه يحتوي على (٩) كتب (٧٥ باباً و١٠٧ فصول) ألّفه للشاه قطب الدين محمد الذي حكم من سنة ٤٩٠-٥٢١هـ) وألّف هذا الطبيب للوزير العزيز (١١٢٧-١١٥٦م) وهو الشاه الذي حكم بعد قطب الدين كتاب «أغراض الطب» وهو أصغر حجماً، وذكر أنّ لكتاب الذخيرة ترجمة عبريّة[(٢)].

وذكر الدكتور رضا زادة شفيق في كتابه تاريخ الأدب الفارسي[(٣)]، **كتاب ذخيرة خوارزمشاه:**

هو كتاب مفصل مفيد في الأدوية والسموم، والأمراض المختلفة، وتشخيصها، ويتركب من عشرة كتب، ولكل كتاب عدّة فصل وأبواب.

وقال: ظهير الدين البيهقي، سارت تصانيفه الركبان، وهي كتب مباركة. وسمعت من أثق به أنّه كان لطيف المعاشرة، حسن الأخلاق، كريماً في ذاته، **ومن فوائده رسالة له أوردتها بتمامها وختمت بها الكتاب وهي:**

مالي أراك يا أخي أيّدك الله وإيايّ بتوفيقه، شديد السكون إلى هذه الدنيا الزائلة والدار الفانية، كثير الميل إلى تربية الجسد المظلم الكثيف الذي هو أجمع مركب، وأخبث مسكن للنفس، سهل الانقياد لقوتيك الغضبية والشهوانية اللتين تجرك أحداها إلى السبعية، والأخرى إلى

---

(١) الإعلام: ج١، ص٣٠٨، معجم المؤلفين: ج٢، ص٢٦٤.

(٢) العلم عند العرب: ص٢٢٣.

(٣) ص١٢٤، ترجمة محمد موسى هنداوي.

البهيمية، صعب المقادة، عسر الإجابة لقوتك العاقلة التي تؤدي بك إلى جنّة المأوى، وترقيك الدرجة العليا، لعلّك قد انخدعت بل اغتررت بمباشرة هذه اللذات التي محلها في الحقيقة آلام وأي آلام..(١).

● **الحكيم علي بن محمد الحجازي** المتوفى سنة ٥٤٦هـ:

المقيم ببيهق، كان طبيباً وقوراً فيه آداب الأطباء مجموعة، وكان عارفاً بظواهر المعقولات، وله رسائل في الطب والمعالجات. وقد صنّف باسم السلطان سنجر كتاباً في مفاخر الأتراك وصنّف باسم الملك العادل العالم خوارزمشاه أتس بن محمد كتاباً في الحكمة. وكان من تلامذة الإمام عمر الخيام(٢).

● **ثقة الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم السرخسي الطبيب:**

من أهل سرخس انتهت إليه رئاسة هذه الصناعة في تلك المدينة الخراسانية ولمّا اجتاز الإمام فخر الدين الرازي سرخس سنة ٥٨٠هـ نزل عليه فأكرمه وقام بحقّه مدّة مقامه بسرخس وهو في طريقه إلى بلاد ما وراء النهر قاصداً بني مازة. ولمّا أكرمه هذا الطبيب أراد أن يفيده ممّا لديه، فأقدم على حلّ «مشكلات القانون» لابن سينا، وشرح المستغلق من الفاضه، ووسمه باسمه، وذكره في مقدّمته ووصفه وأثنى عليه وقال: فرتبته وجعلته باسم الشيخ الإمام الحكيم المحقق ثقة الدين شرف الإسلام سيد الحكماء والأطباء عبد الرحمن بن عبد الكريم السرخسي حرس الله أيامه فإنّه بعد أن تجلى بالعلم الكثير والفضل الغزير، والطريقة الفاضلة الرضية، والسنة السنية، كثر إحسانه إليّ وأنعامه عليّ، وطال انجذاب خاطره إلى ما يتعلّق بصلاح حالي، فأردت أن

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٧٢-١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٩، تتمّة صوان الحكمة: ص١٣٤.

أكنب هذا الكتاب باسمه لأغراض ثلاثة: الأول: أن كثيراً من هذه المباحث تلخصت بمجاورته وتهذيب بمناقشته... والثاني: ليكون قضاء البعض حقوقه، والثالث: لوثوقي بقوّته في هذا العلم وأصوله لا سيّما على أبواب هذا الكتاب وفصوله، فعرفت أنّه الذي يعرف قدر ما استخرجه من النكت العلمية والغرائب الحكمية التي لا توجد في شيء في المصنفات التي للقدماء والمتأخرين ولم يشتمل عليها كتاب أحد من السالفين والسابقين(١).

٧ أبو علي الحسن بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان المروزي البخاري الأصل:

كان من تلامذة الأديب أبي العباس اللوكري، وكان طبيباً حكيماً، مهندساً، أديباً، له طبع في الشعر، وله تصانيف منها رسائل في الطب، وأكثر معالجاته يؤول إلى تقليل الطعام وتلطيفه، وربما ينهى المريض عن الدواء الغذائي فضلاً عن الغذاء.

ومن فوائده: أما لفضائل النفساية الحكمة، وظئرها المزاج المعتدل، وأبوها الاستعداد الكامل، وابنها السعادة العظمى(٢).

قتل في وقعة الغزّ لما تغلبوا على مرو سنة ٥٤٨هـ(٣).

٨ الحكيم أبو القاسم عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن أبي صادق المتطبب النيسابوري:

قال في الحكمة وأجزائها مرتبة عظيمة خصوصاً في الطب، وتصانيفه في شرح مسائل حنين بن إسحق، وفصول: قراط علق مضنة

---

(١) تاريخ الحكماء للقفطي: ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) تاريخ حكماء الإسلام: ص١٥٦، تتمّة صوان الحكمة: ص١٥٥.

(٣) بغية الوعاة: ج١، ص٥١٣.

الحكماء والأطباء، وهو الملقّب ببقراط[١] الثاني وكان قد انتقل في آخر عمره إلى بعض متنزهات نيسابور وهي قرية انبروذ ستانة[٢] ولزم مكانه واختار الانزواء. وقد دخل عليه الإمام ظهير الدين البيهقي يوماً زائراً، فوجد بين يديه أطباقاً من الفواكه الصيفيّة. فقال له الحكيم أبو القاسم: قم وطف في ذلك الباغ[٣] فإني أرى لا فرق بين أطباق الفواكه التي بين يدي، فإن الفواكه تضرني فقنعت منها بالرائحة وتطيب الهواء، كما قنعت من اللخالخ[٤] بذلك، فكما أنك لا تشتهي تناول اللخالخ فكذلك أنا لا أشتهي تناول تلك الفواكه، وأرحت نفسي من تناولها ودفع مضارها فإن المضرة ربما تنتهي إلى حد لا يدفع.

وكان حسن المعالجة، فأصاب عميد خراسان محمد ين منصور قولنج أعيا دواؤه كل طبيب، فبعث إليه عميد خراسان مركوبه وغلماته وكلفة المسير إليه، فلمّا همّ الحكيم أبو القاسم بالمسير إلى نيسابور آذاه الحر وكان بين تلك القرية وبين نيسابور اثنا عشر فرسخاً. فقال لمن معه من تلامذته: نجا عيد خراسان وهلكت. وكان الأمر كما قال، فلما وافى نيسابور وعالج عميد خراسان صح العميد، ومرض أبو القاسم وسقطت قوّته وقضى نحبه.

وكان قبل ذلك قد بعث إليه السلطان غزنة وهو السلطان الكريم

---

(١) بقراط: أول من دوّن علم الطب وهو حكيم مشهور، سيد الطبيعيين في عصره معني ببعض علوم الفلسفة، له في الطب تصانيف شريفة، وكان في زمن أردشير من ملوك فارس، يسكن حمص من مدن الشام، كان الإسكندر قبل بنحو مئة سنة. ثمّ ظهر من بعده جالينيوس. مفتاح السعادة: ج١ ص٢٦٦.

(٢) لم يذكرها ياقوت في معجم البلدان.

(٣) الباغ: كلمة فارسية معناها الحديقة أو البستان.

(٤) اللخلخة: طيب وقد لخلخة إذا تطيب به.

إبراهيم، مالاً عظيماً مع المحفة والمراكب ودعاه إلى حضرته. **فأجاب وقال:**

السلطان يطلبني لعلمي فأنفق عليّ ماله لأنفق عليه علمي، وهذا بيع وشراء والعلم لا يشتري ولا يباع، وما بي حاجة إلى قبول تلك الأموال وأفاضه علمي على أهل بلدتي أولى، فأنا أدعو للسلطان بالخير، وأربح نفسي من رقّ المنة.

ومن قوله: الطبيب الحقيقي من عالج بالفضائل نفسه، ورأى مضرته في الرذائل، ثمّ يهبط بعد ذلا إلى معالجة الأجسام فمن لا يهبط من معالجة النفس إلى معالجة الجسد فهو أسفل السافلين[(١)].

٩ **الإمام فخر الدين الرازي صاحب مدرسة هراة.** المتوفى سنة ٦٠٦هـ:

كان الرازي طبيباً مشهوراً في عصره، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها[(٢)]، وتآليفه في التشريح لها قيمتها في العالم الإسلامي أعدّة قرون تلت وفاته. فقد قال طاش كبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨هـ وكتب التشريح أكثر من أن تحصى، ولا أنفع من تصنيف ابن سينا، والإمام الرازي[(٣)]. وكان قد نبغ في الطب قبل ذيوع صيته أي في مقتبل عمره، حيث أقدم على حل مشكلات كتاب القانون في الطب لابن سينا في حدود سنة ٥٨٠هـ حينما قدم للطبيب السرخسي عبد الرحمن بن الكريم. كما بينا ذلك آنفاً.

---

(١) تاريخ حكماء الإسلام: ص١١٤-١١٦.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص٢٣.

(٣) مفتاح السعادة: ج١، ص٢٨٤-٢٨٥، وقد أورد حاجي خليفة في كشف الظنون نص قول طاش كيري زادة: ج١، ع ٤٠٩

ولم يعرف اسم أستاذه في هذه الصناعة، ولعله تتلمذ على الطبيب الثري الذي زوج ابنة من ابنتيه، ثم واصل الدرس والتجارب في هذه الصناعة[(١)].

★ **ومن مؤلفاته الطبيّة نذكر:**

١ • **كتاب «التشريح من الرأس إلى الحلق».** وأشار إليه الإمام الفخر الرازي في كتابه «شرح عيون الحكمة»[(٢)]، وقال عنه المؤرخون أنّه لم يتم[(٣)].

٢ • **كتاب «الأشربة»**[(٤)].

٣ • **كتاب «شرح القانون لابن سينا»**[(٥)]. ولهذا الشرح اسمان آخران هما «شرح كليات القانون» و«حل شكوك القانون» ومن هذا الكتاب عدّة نسخ خطيّة في مكتبات العالم[(٦)].

وقد أحال الإمام الفخر الرازي إلى هذا الشرح في كتابه «المباحث المشرقيّة»[(٧)].

ردّ عليه موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة

---

(١) فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية: ص٥١.

(٢) شرح عيون الحكمة: الورقة/ ١٩١ أ، عن كتاب فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية: ص١٠٥.

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص٣٠، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠، هدية العارقين: ج٢، ص١٠٨.

(٥) وفيات الأعيان: ج٤، ص٢٤٩، مرآة الجنان: ج٤، ص٨، تاريخ الحكماء: ص٢٩٣ وذكر أنه لم يتم.

(٦) ذكر محمد صالح الزركان، أن لهذا الكتاب عدّة نسخ خطيّة منها: في مكتبة الظاهرية بدمشق (ظ١٧-١٨-١٩، و٣١٤٢ عام)، وفي مكتبة باريس (٢٩٣٦، ٢٩٣٧)، وفي مكتبة بودليان (١/ ٥٢٥، ٧٠٨) وفي مكتبة جوتا (١٤٦٦) وفي مكتبة أبا صوفيا (٤٨٥٠).

(٧) المباحث المشرقية: ج٢، ص١٦٠.

(٦٢٩هـ-١٢٣١م) في كتابه «الردّ على ابن الخطيب» في شرحه بعض كليات القانون وقد ألّف كتابه هذا لعم ابن أبي أصيبعة رشيد الدين علي بن خليفة وأرسله إليه وكان تأليفه لذلك بحلب قبل توجهه إلى بلاد الروم[١].

٤ • **كتاب «النبض»**[٢].

٥ • **كتاب «الطب الكبير» أو «الجامع الكبير»**[٣]. وقد أحال إليه الإمام فخر الدين الرازي في كتبه مثل: «التفسير الكبير»[٤]، وكتاب «الأربعين»[٥]، وكتاب «المباحث المشرقيّة»[٦] وغير ذلك.

★ **وقد وقفَ عليه الصفدي وكتب عليه هذه الأبيات يمتدح فيها الإمام الرازي:**

قد كنتَ يا ابن خطيبٍ إليَّ مُعجزةً ... بذهنكَ المُشرق الخالي من الكَدَرِ

دَخَلْتَ في كلِّ عِلم للأنامِ وقَدْ ... حَرَّرْته بدقيقِ الفِكْرِ والنَظَرِ

إذا انْتَصَرَت لرأي أو لمسألةٍ ... تَرَجَّحَتْ لأولي الألبابِ والفِكَرِ

وكلُّ علمٍ لكَ الفضلُ المبينُ به ... فأنْتَ حقاً جَمالُ الكَتْبِ والسِيَرِ[٧]

٦ • **كتاب «مسائل في الطب»**[٨].

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص٢١٢، كشف الظنون: ج٢، ع ١٣١٢.

(٢) تاريخ الحكماء ص٢٩٣، الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩٢.

(٤) التفسير: ج٢٥، ص٧٥، في تفسيره قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة النحل الآية: ٧٠].

(٥) الأربعين: ص١٣٣.

(٦) المباحث المشرقية: ج١، ص٣١١.

(٧) الوافي بالوفيات: ج٤، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٨) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص٣٠.

⓾ نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي السمرقندي:

طبيب فاضل بارع له كتب جليلة وتصانيف مشهورة، قتل مع جماعة من الناس الذين قتلوا بمدينة هراة لما دخلها آلتتر وكان معاصراً لفخر الدين الرازي، وله من الكتب الطبيّة كتاب «أغذية المرضى» وقسّمه على حسب ما يحتاج إليه في التغذية لكل واحد من سائر الأمراض. وكتاب «الأسباب والعلاقات» جمعه لنفسه، ونقله عن القانون لأبي علي بن سينا، ومن المعالجات البقراطية، وكامل الصناعة، وكتاب «الأقراباذين الكبير»[(١)]. وكتاب «الأقرباذين الصغير»[(٢)].

وهناك جماعة أخرى من الأطباء الخراسانيين لا يتّسع المجال لذكرهم ممن عاشوا في هذا القرن ورد ذكرهم في المراجع العربية المختلفة[(٣)].

● الصيدلة:

ولا يفوتنا ونحن نبحث عن الطب في خراسان في القرن السادس الهجري أن ننوه بالصيدلة هناك خاصة وان عمل الصيدلاني يعتبر متمماً لعمل الطبيب ولا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر. وقد يكون الطبيب صيدلاني في نفس الوقت وقد يطلق على الصيدلاني لقب العطار. وتطلق كلمة العطار باللغة الفارسية على بائع العطور وبائع الأدوية معاً.

---

(١) أقراباذين: وهو لفظ يوناني معناه التركيب أي تراكيب الأدوية المصنوعة وقوانينها، وصنّفوا فيه قديماً وحديثاً. كشف الظنون: ج١، ع ١٣٦.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ج٢، ص٣٠.

(٣) ينظر تراجمهم في المصادر التالية: التحبير: الترجمة، ٤٣، ٥٧٩، ٩٢٢، ١١١٣، تاريخ حكماء الإسلام: ص٣٩، تتمّة صوان الحكمة: ص٢٣-٢٥، تلخيص مجمع الآداب: ج٣، ق٢، ص٩٤٨، ج٤، ق٣، ص٤٦٧-٤٦٨، الخ.

وقد تطوّر مدلول كلمة العطار في العصور الإسلامية من بائع العطور والدواء إلى بائع الكيمياوي، فالمتطبب، وكانت فعاليّته تشمل الطب وبيع الدواء، وكان عليه أن يعرف العقاقير المختلفة والمعالجة والأشربة والعطور، ويميز الجيد منها من الرديء المغشوش، ويعرف ما تغيّر منها بسرعة ويفسد وما لا يتغيّر ويعرف كيفيّة المحافظة عليها وكيفيّة خلطها وتحضيرها(١). كما وضعت في العقاقير عدّة مؤلفات نذكر منها مؤلفات ظهير الدين البيهقي الأنصاري التي ذكرها ياقوت الحموي منها: كتاب «أطعمة المرضى» وكتاب «المعالجات الاعتبارية» وكتاب «السموم» وكتاب «أساس الأدوية وخواصها ومنافعها» وهو المعنون «بتفاسير العقاقير»(٢).

● **أهمّ من اشتغل بالصيدلة في خراسان:**

❶ **فريد الدين أبو حامد محمد العطار النيسابوري:**

وقد اشتغل بهذه الحرفة بعد وفاة أبيه وكان الفقير والغني مستفيدين من أشربته وأدويته الهنية. ويقول مؤلف مجالس العشاق: كان له دكّان مملؤ بالأشربة والأمتعة الطبيّة.

★ **وقد صرّح هو بعمله هذا في كتابه منطق الطير قال:**

ولو أني عطار وبائع للترياق. عندي كبد محترقة كما هي عند بائع الـ(الناك).

وكان العطار النيسابوري يمارس الطب ويستقبل مرضاه في صيدلية كما ذكرنا آنفاً ويقول هدايت: وكانت كل صيدليّات نيسابور متعلقة

(١) عطار نامه: ص١٠٥.

(٢) مقدمة تاريخ حكماء الإسلام: ص٤.

بالشيخ فهو إذن في رأيه كان محتكراً بيع الأدوية في كل بلدة[١].

٢ أبو نصر الجاجرمي الطبيب:

وكان طبيباً حاذقاً له معرفة حسنة بعمل المعاجين والربوبات ومعرفة الحشائش والصيدلة[٢].

٣ أبو بكر محمد بن الحسن ين أبي بكر بن فطيمة الصيدلاني الطبيب المتوفى سنة ٥٣٠هـ من أهل مرو:

ذكره أبو سعد السمعاني في جملة شيوخه فقال: كان شيخاً مستوراً يقصد في العطارين يعالج الناس، ويتعيش به، لأنه كان قليل ذات اليد فقيراً[٣].

٤ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن محمد:

العطار الصيدلاني المتوفى سنة ٥٢٠هـ من أهل نيسابور[٤].

٥ أبو الفتح أسعد بن محمد بن إسماعبل بن أبي القاسم البيع الصيدلاني من أهل بلخ:

كان شيخاً لأبي سعد السمعاني[٥].

(١) عطار نامه: ص١٠٤-١٠٦.
(٢) تلخيص مجمّع الآداب في معجم الألقاب: ج٤، ق٤، ص٧٠٥-٧٠٦.
(٣) التحبير: الترجمة/ ٧٢٦.
(٤) المصدر نفسه، الترجمة/ ١١.
(٥) المصدر نفسه، الترجمة/ ٤٥.

المصادر والمراجع

● **القرآن الكريم:**

● **المخطوطات:**

■ **ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ)**

□ **عيون التواريخ**، نسخة جامعة كمبرج، وعنها نسخة مصوّرة بالفوتسات في مكتبة المجمع العلمي العراقي/ قسم المخطوطات برقم ٥١-٥٤/م

■ **ابن عساكر: الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٢٧هـ)**

□ **تاريخ مدينة دمشق**، نسخة مكتبة أحمد الثالث - إستانبول (برقم ٢٨٨٧/ ٧)، ومنها نسخة مصوّرة في مكتبة الأوقاف العامّة ببغداد.

■ **ابن قاضي شهبة: تقي الدين، أبو بكر بن شهاب الدين (ت ٨٥١هـ)**

□ **طبقات الشافعيّة**، نسخة في مكتبة الدراسات العليا في كليّة الآداب - جامعة بغداد - برقم (١٤٩٠).

□ **الأعلام بتاريخ أهل الإسلام**، نسخة مصوّرة الفوتسات في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم ٣٨٨/م مصوّرة عن نسخة خزانة الأستاذ خير الدين الزركلي.

■ **ابن النجار: محب الدين، أبو عبدالله محمد بن محمد البغدادي (ت ٦٤٣هـ)**

□ **التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من**

علماء الأنام، نسخة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب - جامعة بغداد برقم (١٢٣٩) تقع في مجلّدين.

■ **ابن نقطة: أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (ت ٦٢٩هـ)**

□ **التقييد لمعرفة رواة السنين والمسانيد**، نسخة المكتبة الأزهرية برقم (١٣٧).

□ **تكملة الإكمال**، نسخة المتحف البريطاني برقم (٤٥٨٦)، ومنها رقيقة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد برقم (م.خ٦٢,-٦٣).

■ **البغدادي: أبو الفتح علي بن محمد بن الفتح الأصبهاني (ت ٦٣٩هـ)**

□ **تاريخ بغداد**، الجزء الأول، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس، ومنها نسخة مصورة بالفوتستات في مكتبة الدراسات العليا في كليّة الآداب - بجامعة بغداد - برقم (١٢٣٧).

■ **الحلبي: أحمد بن محمد بن علي**

□ **ملخص تاريخ الإسلام للذهبي** (ت ٧٤٨هـ)، نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم ٥٨٩٢.

■ **المياطي: أحمد بن عبدالله (ت ٧٤٩هـ)**

□ **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد**، نسخة مصوّرة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد، برقم (٢٥م.خ).

■ **الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٧١هـ)**

□ **تاريخ الإسلام**، نسخة الدكتور بشار عواد معروف الملفقة من عدّة نسخ، المجلد الثالث عشر في قسمين، والمجلد السابع عشر في قسمين أيضاً.

■ **السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ)**

□ **طبقات الشافعية الوسطى**، نسخة مكتبة رضا رامبور برقم ٣٧١٠، ومنها نسخة مصوّرة في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية.

■ **السمعاني: تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ)**

□ **الأنساب**، نسخة المتحف البريطاني برقم (٢٥٥ و٢٣) نشرها المستشرق مرجليوت بالزنوغراف في ليدن ١٩١٢م.

□ **معجم الشيوخ**، نسخة مكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٥٣، ومنها نسخة مصورة في معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية برقم (١٦٤).

■ **الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)**

□ **مصارعة الفلاسفة**، نسخة المجمع العلمي العراقي برقم ٤٧١/م، المصورة عن نسخة جامعة كوتا - بألمانيا.

■ **الصريفيني: إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت ٦٢٢هـ)**

□ **المنتخب من كتاب السياق**، نشر صورته بالأوفست سنة ١٩٦٥م (Riechard N. Frey) مع قسم من تاريخ نيسابور للحاكم أبي عبدالله النيسابوري، وقسم من كتاب السياق، لعبد الغافر الفارسي النيسابوري.

■ **الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)**

□ **الوافي بالوفيات**، نسخة مصوّرة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد برقم (٩٢٠ ص.ف.و).

■ **القزويني: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (ت ٦٢٣هـ)**

□ **التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين**، نسخة مصوّرة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم ٣٥.

● **المطبوعات:**

■ **ابن الأثير: عز الدين بن أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزوي (ت ٦٣٠هـ)**

□ **الكامل في التاريخ**، دار صادر بيروت للطباعة والنشر (١٣٨٥-١٣٨٦هـ/ ١٩٦٥-١٩٦٦م).

□ **اللباب في تهذيب الأنساب**، مكتبة القدسي القاهرة (١٣٥٦-١٣٥٧هـ).

■ **ابن الأثير: أبو السعادات مبارك بن الأثير الجزوي (ت ٦٠٦هـ)**

□ **جامع الأصول من أحاديث الرسول (ﷺ)**، القاهرة - مطبعة السنة المحمدية ١٩٤٩م.

■ **ابن أبي أصيبعة : أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونمر السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ)**

□ **عيون الأنباء في طبقات الأولياء**، ط ١، المطبعة الوهبية (١٢٩٩هـ-١٨٨٢م).

■ **ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)**

□ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتاب المصرية، القاهرة (١٣٤٨-١٣٧٥هـ/ ١٩٢٩-١٩٦٥م).

■ **ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي**

□ **رحلة ابن جبير**، ط٢، ليدن - مطبعة بريل سنة ١٩٠٧م.

■ **ابن جماعة (٦٣٩-٧٣٢هـ)**

□ **تذكرة السامع والمتكلّم في آداب العالم والمتعلّم**، طبع ضمن كتاب آداب للمتعلّمين، ورسائل أخرى في التربية الإسلامية، ط٢ - بيروت (١٣٨٦هـ-١٩٦٧م).

■ **ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)**

□ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آبار الدكن، الهند (١٣٥٧-١٣٥٩هـ)، المجلد ٥-١٠.

■ **ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني المصري (ت ٨٥٢هـ)**

□ **تهذيب التهذيب**، ص١، دائرة المعارف بالهند - حيدر آباد الدكن، ١٣٢٧هـ.

□ **لسان الميزان**، ط١، دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، ١٣٢٩هـ.

■ **ابن حوقل: أبو القاسم النصيبي**

□ **صورة الأرض**، ط٢ - ليدن - مطبعة بريل ١٩٣٩م.

■ ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ).

□ **مقدمة ابن خلدون**، وهو مقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، بيروت، المكتبة الأدبية ١٨٨١م، طبع بالأوفست مكتبة المثنى.

■ ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)

□ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مطبعة السعادة مصر (١٣٦٧هـ-١٨٤٨م).

■ ابن الدبيثي: أبو عبدالله محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ)

□ **ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد**، المجلد الأول، حققه وعلّق عليه الدكتور بشار عواد معروف، مطبعة دار السلام - بغداد - ١٩٧٤م.

□ **المختصر المحتاج إليه**، انتقاء محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، مطبعة المعارف - بغداد (١٣٧١هـ-١٩٥١م) الجزء الأول والثاني، والجزء الثالث طبع في مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٧م.

■ ابن رجب: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشقي الحلبي (ت ٧٩٥هـ)

□ **الذيل على طبقات الحنابلة**، تصحيح محمد بن حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية مصر (١٣٧٢هـ-١٩٦٢م).

■ ابن زهير: كعب بن زهير

□ **ديوان كعب بن زهير**، صنعه الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسن بن عبدالله السكّري، القاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٩هـ-١٩٦٠م).

■ ابن الساعي: تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ)

□ **الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد (١٣٥٣هـ-١٩٣٤م)، الجزء التاسع.

■ ابن شداد: عز الدين بن أبي عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ)

□ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء الأول القسم الأول، عني بنشره وتحقيقه دومينيك سورديل - دمشق ١٩٥٣م.

■ ابن الصابوني: جمال الدين أبو حامد محمد بن علي المحمودي (ت ٦٨٠هـ)

□ تكملة إكمال الأكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، حققه الدكتور مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي (١٣٧٧هـ-١٩٧٥م).

■ ابن العبري: غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي

□ تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت ١٨٩٠م.

■ ابن العربي: محيي الدين أبو عبدالله محمد بن علي الطائي

□ رسالة إلى الإمام الرازي، ط١ مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م)، ضمن كتاب رسائل ابن العربي.

■ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت ٥٧١هـ)

□ تبيين كتاب المفتري مما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، عنى بنشره القدسي، مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧هـ.

■ ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ)

□ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، نشر مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٠هـ.

■ ابن عنين: شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر (٦٣٠هـ)

□ ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، بيروت - دار صادر ١٩٥٩م.

■ ابن فضلان: أحمد بن العباس بن حماد (كان حيًّا سنة ٣٠٩هـ)

□ رسالة ابن فضلان، تحقيق الدكتور سامي الدهان المطبعة الهاشمية بدمشق ١٩٦٠م.

■ ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ)

□ **تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، الجزء الرابع، يقع في أربعة أقسام، طبعة وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي السورية، الجزء الخامس، نشر في مجلة أورينتك كولج مكزن في لاهور، تحقيق الشيخ عبد القدوس.

■ ابن قاضي شهبة: الإمام تقي الدين الأسدي الشافعي (ت ٨٥١هـ)

□ **طبقات النحاة واللغويين**، تحقيق الدكتور محسن غيافر، مطبعة النعمان - النجف الأشرف ١٩٧٤م.

■ ابن قطلوبغا: زين الدين أبو العدل قاسم (ت ٨٧٩هـ)

□ **تاج التراجم في طبقات الحنفية**، مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٢م.

■ ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)

□ **البداية والنهاية**، ط ١، مطبعة السعادة بمصر، ١٤ جزء.

□ **تفسير القرآن**، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي - القاهرة.

■ ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)

□ **لسان العرب**، دار صادر - بيروت (١٣٧٤-١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥-١٩٥٦).

■ ابن النديم: محمد بن إسحق (ت ٣٧٨هـ)

□ **الفهرست**، نشر مكتبة خياط - بيروت - ١٩٦٤م.

■ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك

□ **سيرة النبي**، مطبعة حجازي - القاهرة.

■ أبو البركات: كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)

□ **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٩م.

■ **أبو حيان: أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤هـ)**

□ **تفسير البحر المحيط**، الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض المملكة العربية السعودية.

■ **أبو شامة: شهاب الدين أبو محمد بن عبد الرحمن (ت ٦٦٥هـ)**

□ **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين في أخبار الدولتين**، نشر باعتناء محمد زاهد الكوثري، ط ١ القاهرة (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م).

■ **أبو العلاء المعري: أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي (ت ٤٤٩هـ)**

□ **لزوم ما لا يلزم**، مطبعة الجمالية بمصر (١٣٣٣هـ-١٩١٥م).

■ **أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ)**

□ **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت - بدون سنة طبع.

■ **الأسنمي: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ)**

□ **طبقات الشافعية**، تحقيق الأستاذ عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م).

■ **الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ)**

□ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١ مكتبة النهضة المصرية (١٣٦٩هـ-١٩٥٠).

■ **الأصبهاني: عماد الدين الكاتب محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ)**

□ **جريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء العراق، الجزء الأول، تحقيق محمد بهجت الأثري، والدكتور جميل سعيد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ببغداد (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م)، قسم شعراء الشام، تحقيق الدكتور شكري فيصل، ٣ أجزاء، المطبعة الهاشمية بدمشق (١٩٥٥-١٩٦٤م).

□ **تاريخ دولة آل سلجوق**، اختصار الشيخ الفتح بن علي بن محمد البغدادي الأصبهاني، مطبعة الموسوعات - القاهرة (١٣١٨هـ-١٩٠٠م).

■ **الأصطخري: أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت ٣٤١هـ)**

□ **المسالك والممالك**، لايدن ١٩٢٧م، منشورات مكتبة الصدر طهران.

■ **الألوسي: شهاب الدين محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)**

□ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الطباعة المنبرية - القاهرة.

■ **البرسخي: أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٤٣٨هـ)**

□ **تاريخ بخاري**، عرّبه عن الفارسية، وقدّم له وحققه، وعلّق عليه الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، دار المعارف بمصر (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م).

■ **البيهقي: ظهير الدين أبو الحسين علي بن زيد (ت ٥٦٥هـ)**

□ **تاريخ حكماء الإسلام**، عنى بنشره وتحقيقه محمد كرد علي، مطبعة الترقي بدمشق (١٣٦٥هـ-١٩٤٦م).

□ **تتمة صوان الحكمة**، لاهور ١٣٥١هـ.

■ **التفتازاني: سعد الدين**

□ **شرح المقاصد**، إستانبول ١٢٧٧هـ.

■ **الجرجاني: علي بن محمد الشريف الحسيني (ت ٨١٦هـ)**

□ **التعريفات**، بيروت ١٩٦٩م.

■ **الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)**

□ **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، عنى بنشره، ج براجسترامر، ط١، مكتبة الخانجي، مصر (١٣٥١هـ-١٩٣٢م) (٣) أجزاء في مجلّدين.

■ **حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧هـ)**

□ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، اعتناء محمد شرف الدين بالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، طبعة وكالة المعارف التركية إستانبول (١٢٦٠-١٣٦٢هـ/ ١٩٤١-١٩٤٣م)، ورجعت أيضاً إلى طبعة أوروبا (لايزبك) لتكميل ما نقص من طبعة إستانبول.

■ **الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)**

□ **الكفاية في علم الرواية**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٥٧هـ.

□ **خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ط ١، المطبعة الخيرية مصر، القاهرة (١٣٢٢هـ-١٩٠٣م).

■ **الخوانساري: الميرزا محمد باقر الموسوي (ت ١٢١٣هـ)**

□ **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، ط٢، طهران ١٢٤٧هـ، (٤) أجزاء في مجلّد واحد.

■ **الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)**

□ **تذكرة الحفاظ**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن الهند (١٣٧٥-١٣٧٧هـ/ ١٩٥٥-١٩٥٨م)، ط٤، دار التراث العربي - بيروت (٤) أجزاء في مجلّدين (ج١-٢ سنة ١٣٧٤هـ)، (ج ٣-٤ سنة ١٣٧٧هـ).

□ **دول الإسلام**، ط ٢، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٦٤هـ جزءان.

□ **العبر في خبر من غبر**، (٥) أجزاء (ج١، ٤، ٥) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، دار المطبوعات والنشر الكويت (١٩٦٠-١٩٦٦م)، و(ج٢ و٣) تحقيق فؤاد السيد مطبعة حكومة الكويت ١٩٦١م.

□ **المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتاب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ط١، ١٩٦٢م، جزءان في مجلّد.

□ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، عني بتصحيحه محمد بدر الدين الغساني، ط١، مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥هـ (٣) مجلّدات.

□ **بيان زغل العلم والطلب**، رسالة نشرها حسام الدين القدسي، دمشق ١٣٤٧هـ، وعلّق عليها الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي.

■ الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي التميمي المعروف بابن خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)

□ **التفسير الكبير**، مطبوع في اثنين وثلاثين مجلّداً، القاهرة - المطبعة البهية المصرية (١٣٥٧هـ-١٩٣٨م).

□ **الأربعين في أصول الدين**، حيدر آباد الكن بالهند سنة ١٣٥٣هـ.

□ **المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات**، ط١، دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٣هـ.

□ **مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر**، تحقيق فتح الله خليف، دار المشرق بيروت - ١٩٦٦م.

□ **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، مطبعة الآداب في القاهرة سنة ١٣١٧هـ.

■ رضا: السيد محمد رشيد

□ **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**، ط ٢، ١٣٧٤هـ، أصدرتها دار المنار القاهرة.

■ سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ)

□ **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، مطبوع منه الجزء الثامن في قسمين ط ١، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند سنة (١٣٧٠-١٣٧١هـ/١٩٥١-١٩٥٢م).

■ السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ)

□ **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (١٣٨٣هـ-١٩٦٤م) صدر منه (٨) إزاء ط١، واعتمد أيضاً على طبعة المطبعة الحسينية، ١٣٢٤هـ (٤) أجزاء في مجلّدين.

■ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)

□ **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق فرانز رونثال، مطبعة العاني بغداد (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م).

■ **السمعاني، تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي المروزي (ت ٥٦٢هـ)**

□ **أدب الإملاء والاستملاء**، نشر باعتناء مكس ويسويلر، ليدن ١٩٥٢م.

□ **الأنساب**، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ط ١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند (١٣٨٤-١٣٨٦هـ/ ١٩٦٢-١٩٦٦م) (٦) أجزاء لم يكمل بعد.

□ **التحبير في المعجم الكبير**، تحقيق منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد - بغداد (١٣٩٥هـ-١٩٧٤م)، في جزءين.

■ **السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)**

□ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) جزءان.

□ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المطبعة العلمية، المدينة، (١٣٧٩هـ-١٩٥٩م).

□ **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، جزءان.

□ **طبقات المفسرين، ليدن ١٨٣٩هـ.**

■ **الشعراني: سعيد بن عبد الوهاب**

□ **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (١٣٧٨هـ-١٩٥٩م).

■ **شهاب الدين: أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي (ت ٦٦٥هـ)**

□ **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، مطبعة النيل، القاهرة ١٣٨٧هـ.

■ **الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (٥٤٨هـ)**

□ **الملل والنحل**، المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧هـ، طبع في هامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (ت ٤٥٦هـ).

■ الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ)

□ طبقات الفقهاء، مطبعة بغداد ١٣٤٦هـ.

■ الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ)

□ الوافي بالوفيات، طبع منه تسعة أجزاء، الجزء الأول، تحقيق هاموث ريترفيسبادن ١٨٦٢م، (ج١-٤) نشر باعتناء ديدرينغ، الجزء الثاني طبعة وزارة المعارف ١٩٤٩م، ج٣-٤، المطبعة الهاشمية، دمشق (١٩٥٣-١٩٥٩م).

□ نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق الدكتور أحمد زكي، القاهرة ١٩٥١م.

■ طاش كبري زاده: أحمد مصطفى (ت ٩٦٨هـ)

□ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري، وعبد الوهاب أبو نور، دار الكتب الحديثة، مطبعة الاستقلال القاهرة ١٩٦٨م.

■ الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)

□ مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

□ تفسير جوامع الجامع، طبع حجر، حرّره محمد حسين الدكمانيكاني في سنة ١٣٢١هـ.

■ الطرطوشي: أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري المالكي (ت ٥٢٠هـ)

□ سراج الملوك، مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٨٩هـ.

■ عضد الدين: عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٨١٦هـ)

□ المواقف، ط١، مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥هـ.

■ الغزنوي: سراج الدين أبو حفص عمر الحنفي (ت ٧٧٣هـ)

□ الغرّة المنيفة في تحقيق مسائل الإمام أبي حنيفة، مطبعة السعادة بمصر ط١، (١٣٧٠هـ-١٩٥٠م).

■ **الغزالي حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)**

□ **المنقذ من الظلال**، ط ٥، مطبعة مخيمر بالقاهرة - ١٣٨٥هـ.

■ **الغساني: الملك الأشرف أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣هـ)**

□ **العسجد المسبوك في ذكر الخلفاء والملوك**، تحقيق الزميل الدكتور شاكر الهيتي، دار التراث الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٥م.

■ **الفارابي: محمد بن محمد (ت ٣٣٩هـ)**

□ **إحصاء العلوم**، تحقيق الدكتور عثمان أمين، ط٢، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٤٩م.

■ **القرشي: محيي الدين أبو محمد بن أبي الوفاء المصري (ت ٧٧٥هـ)**

□ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، مطبعة دائرة المعارف بالهند، حيدر آباد الدكن ١٣٣٢هـ.

■ **القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت ١٢٨٣م)**

□ **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت - دار صادر - (١٣٨٠هـ-١٩٦٠م).

■ **القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)**

□ **تاريخ الحكماء**، وهو مختصر الزوزني، المسمى بالمنتحبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مؤسسة الخانجي، مصر ١٩٠٣م.

□ **أنباه الرواة على أنباء النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م في ثلاثة أجزاء.

■ **القمي: الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٠٧هـ)**

□ **غرائب الفرقان**، طبع حجر ١٣١١هـ، لم يذكر مكان الطبع.

■ **الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ)**

□ **فوات الوفيات**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥١م جزءان.

■ الكتيبي: أبو الحسنات محمد بن عبد الحي (ت ١٣٠٤هـ)

□ الفوائد البهية في تراجم الحنفية، طبع حجر، بنارس الهند، مكتبة ندوة المعارف ١٩٦٧م، بهامشه كتاب التعليقات السنية على الفوائد البهية (للمؤلّف نفسه).

■ المقدسي: المعروف بالبشاوي

□ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، ليدن ١٩٠٦م.

■ المناوي: الشيخ عبد الرؤوف (ت ١٠٢١هـ)

□ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، ط ١، القاهرة (١٣٥٧هـ-١٩٣٨م).

■ المنذري: زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ)

□ التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، الجزء الأول، مطبعة الآداب، النجف الأشرف (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

■ الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد.. النيسابوري (ت ٥١٨هـ)

□ مجمع الأمثال، القاهرة - ١٣٥٢هـ.

■ النعيمي: محيي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ)

□ الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق (١٣٦٧هـ-١٩٤٨م) جزءان.

■ النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)

□ تهذيب الأسماء واللغات، المطبعة المنبرية - القاهرة، قسمان في ثلاثة أجزاء.

■ الوطواط: رشيد الدين، محمد العمري الكاتب البلخي (ت ٥٧٣هـ)

□ مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط، ط١، مطبعة المعارف بالفجالة بمصر ١٣١٥هـ.

■ اليافعي: عفيف الدين عبدالله بن أسعد أبو السعادات اليمني (ت ٧٦٨هـ)

□ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) أربعة أجزاء.

■ ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله الرومي (ت ٦٢٦هـ)

□ **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، نشر باعتناء د. س مرجيلوث، ط٢، مطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٣٢م، سبعة أجزاء.

□ **معجم الأدباء**، طبعة الدكتور فريد رفاعي، القاهرة سنة ١٩٣٦م (١-٢٠) جزءاً.

□ **معجم البلدان**، طبع باعتناء وستنفلد، لايزبك ١٨٦٦م، ورجعت إلى طبعة بيروت دار صادر - (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م).

■ اليحصبي: القاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ)

□ **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، تحقيق السيد أحمد صقر، ط١، دار التراث، المكتبة العتيقة تونس (١٣٨٩هـ-١٩٧٠م).

● المطبوعات العربية الحديثة:

■ بدوي: عبد الرحمن

□ **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**، دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها وترجمها عن الألمانية والإيطالية، ط ٣، القاهرة ١٩٦٥م.

■ البغدادي: إسماعيل باشا بن محمد البابانى (ت ١٩٢٠م)

□ **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، مطبعة وكالة المعارف إستانبول ١٩٥٥م.

■ حسنين: عبد النعيم محمد

□ **سلاجقة إيران والعراق**، مطبعة السعادة - القاهرة - ط٢، (١٣٨٠هـ-١٩٧٠م).

■ خليلي: خليل الله

□ هراة تاريخها، أثارها، رجالها، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٤م.

■ الذهبي: محمد حسين

□ التفسير والمفسرون، دار الكتاب العربي - القاهرة ط١، (١٣٨١هـ-١٩٦١م).

■ رضا: العلّامة اللغوي الشيخ أحمد

□ معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

■ الزركان: محمد صالح

□ فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، مطبعة دار الفكر، (١٣٨٣هـ-١٩٦٣م).

■ الزركلي: خير الدين

□ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين، ط٢، مطبعة كوستاتوماس - القاهرة (١٣٧٣-١٣٢٨هـ/ ١٩٤٥-١٩٥٩م).

■ السامرائي: السيد صبحي البدوي

□ مجموعة رسائل في علوم الحديث، للإمام النسائي، والخطيب البغدادي، ط١، المدينة المنوّرة، المكتبة السلفية.

■ شاكر: أحمد محمد

□ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ط٣ طبعة محمد علي صبيح وأولاده، بمصر.

■ شفيق: الدكتور رضا زادة

□ تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى الهندامي، دار الفكر العربي سنة ١٩٤٧م.

■ شلبي: الدكتور أحمد

□ تاريخ التربية الإسلامية، صنّفه بالإنكليزية وترجمه إلى العربية ط٢، القاهرة ١٩٦٠م.

■ القاهرة: الدكتور علي جواد

□ الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٨م.

■ طوقان: قدري حافظ

□ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، القاهرة - (١٣٧٤هـ-١٩٥٤م).

■ عبد الحميد: الدكتور محسن

□ الرازي مفسّراً، دار الحرية للطباعة - بغداد (١٣٨٤هـ-١٩٧٤م).

□ الألوسي مفسراً، مطبعة المعارف بغداد (١٣٩٩هـ-١٩٦٨م).

■ عيسى: الدكتور أحمد بك

□ معجم أسماء النبات، القاهرة ١٩٣٠م.

■ الكتاني: محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥هـ)

□ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ط٣، مطبعة دار الفكر دمشق (١٣٨٣هـ-١٩٦٤م).

■ كحالة: عمر رضا

□ معجم المؤلّفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مطبعة الترقي، دمشق (١٩٥٧-١٩٦١م).

■ كرم: يوسف

□ تاريخ الفلسفة اليونانية، لجة التأليف والترجمة بمصر، (ظ ١٣٧٨هـ-١٩٨٥م).

■ محفوظ: الدكتور حسين علي

□ المتنبي وسعدي، مطبعة الحيدري - (ظهران ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م).

■ معروف: الأستاذ الدكتور ناجي معروف

□ مدارس قبل النظامية، مطبعة المجمع العلمي العراقي (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

□ علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، مطبعة الإرشاد - بغداد (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م).

□ المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة، ط٢ - دار الشعب - القاهرة (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).

□ تاريخ علماء المستنصرية، ط٢، مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٥م في جزءين.

■ منيرة ناجي سالم

□ تاج الإسلام أبو يسعد السمعاني وكتابه التحبير في المعجم الكبير، القاهرة - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٧٦م.

■ الهاشمي: السيد أحمد

□ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف بيروت.

● المصادر الأعجمية:

■ الجويني: مؤيّد الدولة منتجب الدين بديع أتابك

□ عتبة الكتبة، مجموعة مراسلات ديوان السلطان سنجر (فارسي)، نشر بتصحيح وإتمام محمد قزويني وعباس إقبال، شركة سامي جاب - طهران ١٣٢٩ش.

■ الجويني: علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد (ت ٦٥٨هـ)

□ تاريخ جهانكشاي، بسعي واهتمام وتصحيح، محمد عبد الوهاب قزويني، دار مطبعة بريل درليدن، سنة (١٣٣٤هـ-١٩١٦م).

■ الرازي: شمس الدين محمد بن قيس

□ المعجم في معايير أشعار العجم، مط، طهران (١٣٢٧هـ-١٩٠٩م).

■ رازي: عبدالله

□ تاريخ مفصل إيران (فارسي) أو تأسيس مادنا عصر حاضر، ش جاب دوم طهران ١٣٣٥هـ.

■ **آرمينوس: فافبيري**

□ **تاريخ بخاري**، ترجمة الدكتور أحمد محمود الساواني، مراجعة وتقديم الدكتور يحيى الخشاب - القاهرة سنة ١٩٦٥م.

■ **الدوميلي: Aldomiel**

□ **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي**، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار - الدكتور محمد يوسف موسى، الناشر - دار العلم ط١ - (١٣٨١هـ-١٩٦٢م).

■ **لسترانج: كي**

□ **بلدان الخلافة الشرقية**، نقله للعربية بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م).

- **BallW. W. Rouse.**
  * A short account of the History of Mathematies. London 1927 Barthold. W.
  * Turkestan down to the Mongol Livasion, London 1968 Cajori, Florian, P.H.D.
  * A History of Mathematies (New-York 1926) Sarton.
  * Introduction to the History of Science (Washington Vol.1, 1927).

٥ المجلات:

■ **مجلة المجمع العلمي العراقي**، المجلد الثالث، الجزء الأول لسنة ١٩٥٤م، بحث لسعيد نفيسي عن المدرسة النظامية ببغداد، ترجمة الدكتور حسين علي محفوظ.

■ **مجلة المعلم الجديد**، كانون الأول ١٩٤٢م، تموز، آب - أيلول - تشرين الأول بحث الأستاذ حبيب الزيات الموسوم بـ(صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام).

■ **ملاحظة: هناك بعض المصادر وردت الإشارة إلى طبعاتها في هوامش الكتاب، لقلّة رجوعي إليها، ولكثرة مصادري.**

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مساجد نيسابور:

مساجد مرو:

مساجد هراة:

مساجد مدينة بلخ:

مساجد سرخس:

الربط (مقدمة):